

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
إدارة الثقافة والنشر

أفغانستان المجاهدة

أمانة فى أعناق المسلمين

وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ

تأليف
د . محمد عبد العليم مرسى



المملكـة العربيـة السعودية
وزارة التعليـم العالى
جامعة الإمام محمد بن سعـود الإسلامية
إدارة الثقافة والنشر



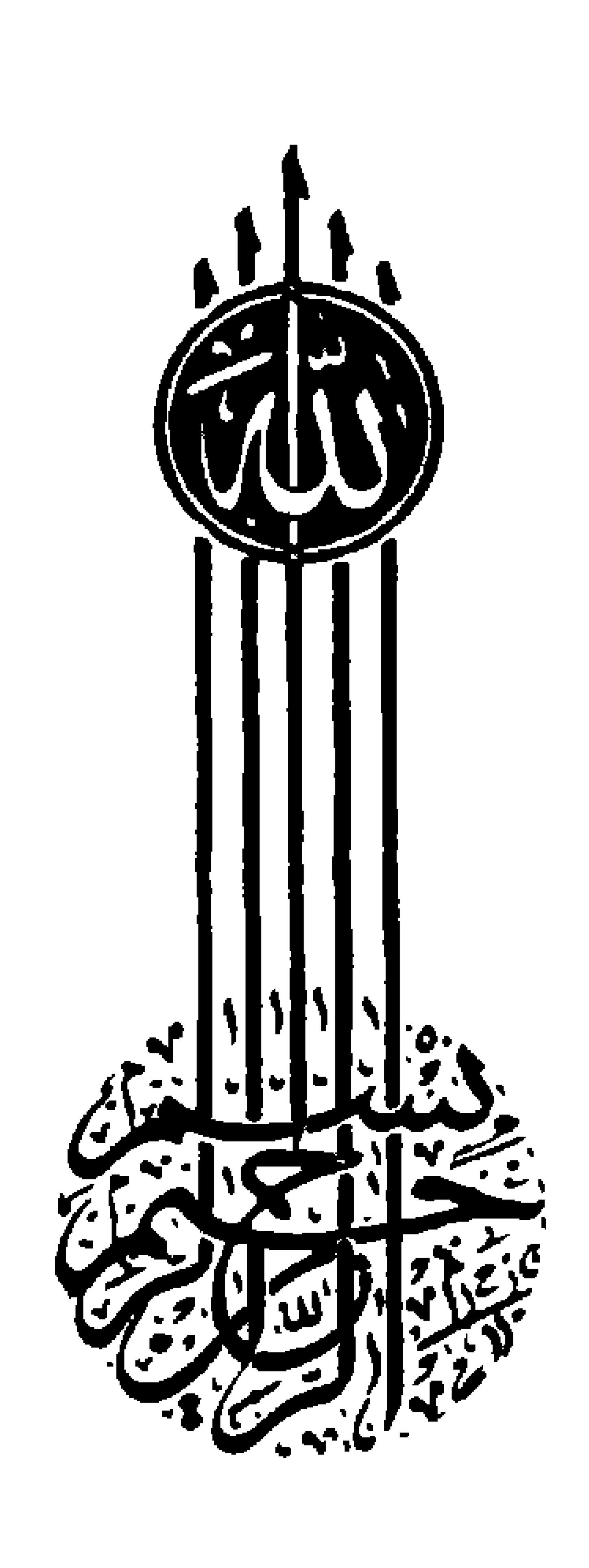
أفغانستان المجاهدة

أمانة فى أعناق المسلمين

تأليـف
د . محمد عبد العليم مرسى
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م





تقديم

بقلم معالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى
مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

الظلم والبغى والعدوان والفتنة نوازع شريرة رجيمة ، يجب أن تكافح بكل وسيلة مشروعة .

فإن العدل والسلام والأمن قوام الحياة الإنسانية ، ومن المحال أن يتمتع الناس بهذه المقومات ، وأن يعيشوا وادعين في ظلها ما لم ينكسر الظلم ، وينكف العدوان ، وتنطفىء الفتنة .

ولأجل ذلك ـ لأجل توفير هذه المقومات الأولى الضرورية ـ نزلت آيات محكمات كثيرات تحض على دفع الظلم والبغى والعدوان والفتنة :

* ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ سورة الحج الآيتان رقم ٣٩ ورقم ٤٠ .
* ﴿والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ . الآيات ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢ من سورة الشورى .
* ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ . ١٩٤ ـ من سورة البقرة .

* ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾ . الآية ٣٩ من سورة الأنفال .

وما وقع على الشعب الأفغانى المسلم ، إنما هو ظلم للإنسان بواح، وبغي في الأرض بغير الحق، وعدوان على الكرامة غشيم، وفتنة في الدين مدلهمة .

ومن حق الشعب الأفغاني أن يجاهد الظلم بقوة، وأن يدفع البغي بثبات . وأن يرد العدوان رد العزيز الذى لا يطيق أن تخدش عزته، وأن يحسم الفتنة حسم من يعلم أن الفتنة في الدين هي البلاء الأعظم، والمصيبة الفادحة .

ومن هنا ، انبعث الجهاد الأفغاني ، وانطلقت كتائبه تجاهد الغزاة البغاة دون دينها ، ونفسها، وعرضها، وأرضها، ومقدراتها، وسيادتها .

وعلى الرغم من الظروف الصعبة التى اكتنفت الجهاد الأفغانى، فإن هذا الجهاد اتسم بخصائص ينبغي أن تكون موضع دراسة علمية من قبل المهتمين ، أو المختصين بالدراسات العسكرية .

ومن هذه الخصائص التى تبدت في الجهاد الأفغاني :

- قوة الإيمان .
- وضوح الحق .
- اكتساب مهارات قتالية عالية في زمن وجيز .

وحين ينزل أو يقع عدوان على عضو من أعضاء الأمة الإسلامية، فإن الواجب يقتضى أن تسهم الأمة كلها في دفع ذلك العدوان .

ومن العدل أن نقول : إن عونا لا بأس به قد وصل إلى المجاهدين من العالم الإسلامي، ومن دول مجلس التعاون الخليجي بوجه خاص .

ومن الإنصاف أن نقول : إن المملكة العربية السعودية قد بادرت ـ منذ اللحظة الأولى لميلاد الجهاد الأفغاني ـ إلى تقديم العون على مستويين، مستوى المجاهدين،

وهم يكرّون على من احتل أرضهم، وانتهك سيادتهم .

ومستوى اللاجئين الذين يحتاجون إلى الغذاء والكساء والمأوى والتعليم والرعاية الصحية .

وقد اشترك في تقديم هذا العون : شعب المملكة وحكومتها، رجالها ونساؤها شيوخها وشبابها .

وبادرت حكومة خادم الحرمين الشريفين ـ أيده الله ـ بالاعتراف بحكومة المجاهدين الأفغان ، مما أسهم في منحها قوة ووزنا ثقيلا على المستويين العسكرى الجهادى ، والمدنى السياسى .

وقد حقق الجهاد الأفغاني بفضل الله، ثم بجهده الذاتى، وبالعون الآتى من إخوانه المسلمين في المملكة خاصة، والخليج، والعالم الإسلامي عامة .

حقق من الوزن، والقوة، والتأثير ما حمل الغزاة على الإعلان عن الانسحاب من أفغانستان .

وحق عليهم أن ينسحبوا : ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ . آية (٣) من سورة الحشر .

إن الاتحاد السوفيتى اقترف جريمة تاريخية مركبة وهو يدفع جيشه لاستعمار أفغانستان .

فهو قد اعتدى على شعب مسلم ، فوضع ـ بذلك ـ الإلحاد في امتحان مرير أمام الإيمان بالله الحق جل شأنه ، فخبا الإلحاد وتألق الإيمان .

وهذه ـ بحساباته هو ـ خطيئة جد جسيمة .

وهو قد انتهك حق كل مسلم حين انتهك حق المسلم في أفغانستان، ذلك أن من غزا أرضا للمسلمين . فكأنما غزا أرض المسلمين جميعا .

وهو قد عاد إلى عهود الاستعمار والاحتلال ، وهي عهود كافحت البشرية طويلا للتخلص منها .

وهـو قد أسـاء إلى سمعتـه في العالم بالتناقض بين شعار يرفعه وهو : مكافحة الاستعمار، وبين واقع يعيشه وهو : ممارسة الاستعمار .

هذه جملة أفكار كونتها وأنا أطالع كتاب : «أفغانستان المجاهدة أمانة في أعناق المسلمين» «للدكتور محمد عبدالعليم مرسى» .

إن هذا الكتاب جهد فكرى جيد توخى فيه مؤلفه خدمة القضية الأفغانية .

فالكتاب ـ من ثم ـ عمل متكامل يعطي صورة تاريخية وواقعية عن أفغانستان، وقضيتها ، وجهادها .

والكتـاب ـ من ناحيـة أخرى ـ نداء موجه إلى المسلمين جميعا بأن يستمروا في تقـديم العـون لأفغـانستان وأن يوسعوا أوعية هذا العون حتى تكون في مستوى حاجات أفغانستان : الحاضرة والمستقبلة .

والكتاب ـ من ناحية ثالثة ـ دليل على تناول القضايا الحية بجد، ووعى واستيعاب .

وإنى، إذ أسأل الله تعالى أن يجزل مثوبة المؤلف على ماقدمه من عمل طيب كريم ، وإذ أقدم لهذا الكتاب بهذه الأفكار ، فإنه ليس بالضرورة أن أتفق مع المؤلف في كل ماذهب إليه من تحليلات تعد وجهات نظر خاصة .

فهناك مجالات تتسع لوجهات نظر متعددة ـ من حيث التحليل . وأحسب أن هذا أحد تلك المجالات .

وبالله العون والتوفيق :

عبدالله بن عبدالمحسن التركى

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إهــــداء وتقــــديـــر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على معلم البشرية ، وهاديها إلى طريق النور ، محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم .

وبعـــد . . . .

فلقد كان هذا الكتاب حلما راود خيالى كثيرا ، وداعب آمالى ، إيمانا منى ويقينا بأنـه طالمـا أنى لم أستـطـع أن أحمـل السـلاح ، وأذهب للجهاد مع المؤمنين . . الصابرين ، ضد كفار القرن العشرين ، من الشيوعيين الملحدين ، فلا أقل من أن أكتب كلمة أعتقد مؤمنا أنها واجب لا فكاك منه ولا محيص عنه ، فلا عذر لإنسان لديـه شيء من علم بقضيـة تهم المسلمين جميعا ، ثم يكتم هذا العلم ويحبسه فى صدره ، ولايسعى لإخراجه للناس ينير به طريقا ، ويؤيد به قضية ، يدفع ظلماً . . ويؤيد حقا ، ينصر ضعيفا مضطهدا ، ويقف فى وجه جبار عنيد كفور .

ولأن المرء قليل بنفسه . . . كثير بإخواته ، فإن مثل هذا العمل ما كان يمكن أن يرى النور لمجرد أن الكاتب كانت لديه القدرة على البحث فى الكتب والرجوع إلى المصـادر ، فهـذا يستـطيعه الكثيرون ، خاصة مع تيسيرات الاطلاع فى مكتبات الجامعات المزودة بأحدث الكتب والمراجع . . ولكن هناك من هم أحق بأن يهدى إليهم هذا الكتـاب ، تعبيرا عن اعتراف الكاتب لهم بكل الشكر . . والعرفان ، والامتنـان ، على ما قامـوا به . . ويقـومـون ، وتسجيلا لما بذلوا . . ويبذلون ، وأنا أعلم عن يقين أن هذا الذى أكتبه هو أقل القليل بالنسبة لهم جميعا ، أما جزاؤهم الأوفى فعنـد الغنى القادر ، سبحانه وتعالى ـ أكرم الأكرمين ، وهو . . وحده . . سبحانه . . . الذى سوف يثيبهم على كل ماقدموا فى سبيل هذا الدين دفاعاً عنه ، ووقوفا فى وجه الكفار . . . والملحدين . . . والانهزاميين . والمضللين .

وعليه فهذا الكتاب مهدى . . . من القلب . . . ومن الأعماق :

لكل شهيد من شهداء المسلمين على أرض الأفغان ، أولئك الرجال الذين باعوا أرواحهم فى سبيل الله ، فأعادوا لنفوس المسلمين عزة الإسلام بالجهاد وعدم الاستسلام ، وأيقظوا فيهم روح المقاومة ضد الذل والاستعباد والخضوع والاستسلام ، مهما كانت قوة الكفر وعنف جبروته ، أولئك هم ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا . . وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ . .

* ولكل أم وزوجة وابنة . . وجدة ، من أولئك المؤمنات الصابرات المحتسبات ، من نساء الأفغان اللاتى أصبن فى أعز ما يملكن . . فى أبنائهن . . وأزواجهن . . وآبائهن . . وأحياناً فى جميع أقربائهن ، ورغم ذلك ماضعفن . . وما استكنَّ ، فطوال سنوات الجهاد القاسيات ما سمعنا ولاقرأنا عن امرأة أفغانية ثبَّطت رجلا من بيتها عن الجهاد، ولازيَّنت له الهروب أو التقاعس، ولكنهن كن من خلفهم جميعا يدفعنهم للقتال . . والصبر ، فكن بذلك نموذجاً متأسيا للمرأة المسلمة المجاهدة التى فقدت زوجها . . وأباها . . وبعض أولادها ، ثم هى لم يهمها إلا أن يكون الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بخير . . فكل مصيبة بعده . . . تهون ، وجرى كل ما جرى فى أفغانستان ، وماضعفت المرأة المسلمة هناك وما استكانت .

* وهو ـ بعد ـ مهدى لكل أم مسلمة . . وزوجة باتساع العالم الإسلامي . . وقد تركت ابنها أو زوجها يذهب للجهاد فى أفغانستان وشجعته عليه ، نصرة لدين الله ، ووقوفا مع إخوانه المجاهدين هناك ، متخطين بذلك الحدود السياسية المصطنعة بين الأمة الإسلامية الواحدة .

وقد وقفت هذه الأم المسلمة . . والزوجة ، من خلف ابنها . . ورجلها تدعو له بالنصر والثبات ، وتتقرب إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالصلوات والدعوات كى ينزل على عباده المجاهدين هناك . . . ثباته . . وصبره . . ونصره . . . وكانت هذه الأم . . . والزوجة ، صابرة محتسبة حين جاءها نبأ

استشهاد ابنها . . أو زوجها ، بل وكتبت بعضهن ـ باركهن الله ـ تتحدث عن زفاف أولئك الشهداء الأبرار إلى الحور العين . . فى الجنة . . فى مكة كنَّ . . وفى المدينة ، ومن الطائف سمعنا وقرأنا عنهن ، ومن قرى مصر فى صعيدها ووجهها البحرى ، ومن السودان والمغرب كله . . وبارك الله فى الجهاد الأفغانى الذى أظهر للعالم هذه المعادن . . بل الجواهر النفيسة من رجالات الإسلام . . ونسائه .

* وهو هدية وقبلة أطبعها على جبين كل شيخ أفغانى طاعن فى السن ، ممن التقيت بهم ، في مخيماتهم ، وقد أحنى الدهر ظهورهم ، ولكنهم لم يحنوا هاماتهم أمام هجمات تتار القرن العشرين المجرمين الشيوعيين ، بل كانوا يزكون روح الحماس والفداء فى شبابهم يدفعونهم لمزيد من البذل والفداء ، ولن أنس ماحييت دموع بعضهم ، ودموع الشيوخ ـ خاصة ـ عزيزة وغالية ، وهم يبكون ويرفعون أيديهم للسماء بالدعاء للإسلام والمسلمين بالنصر ، بالذات حين كانوا يعلمون أننا عرب . . من بلاد سيد المرسلين ، عليه أفضل الصلاة والسلام.

* وهو كذلك مهدى لكل طفل أفغانى ، ممن فقدوا أباءهم وذويهم ، وعاشوا فى مخيمات أبسط ما يقال فيها إن الحياة بها لايمكن تصورها إلا لمن زارها ، فنسوا بسمات الأطفال ومرحهم وسعادتهم ، وبدل أن يسمعوا الأغاني من أمهاتهم والقصص من جداتهم ، ما كان يطرق أسماعهم إلا دوى المدافع ، وانفجارات القنابل والألغام ، وصراخ المقاتلات فوق رؤوسهم وحولهم ، فعاشوا وما زالوا يعيشون حياة أبعد ما تكون عن الطفولة وعن المرح وعن البراءة ، فلهم الله جميعا . . .

* والكتاب مهدى لكل مسلم مؤمن أحس بالهجمة الشيوعية الكافرة الحاقدة ، ضد الإسلام والمسلمين ، فقام بناصر الجهاد ، والمجاهدين . . بالمال . . . والمؤونة . . والسلاح . . والدواء ، وكان مع هذا الصنف رجال وهبوا أنفسهم للعمل فى اللجان والمؤسسات الإسلامية فى صمت وإيمان يحتسبون مايقومون به عند الله ، ويرجون أن يكتب لهم فى ميزان حسناتهم يوم الدين .

* كما أنه مهدى من القلب لكل شيخ . . معلم . . أفغاني . . أومن أى بلد من بلاد الإسـلام . . وهب نفسـه وحيـاتـه لتعليم أبنـاء الأفغان القرآن الكريـم، والعربية التى نزل بها . . إيمانا منهم بخطورة التعليم وبأنه لايقل ـ بحال من الأحـوال عن الجهاد بالسلاح ، ومعرفة منهم بما يقوم به الكفار والصليبيون في مجال التعليم ، واستشرافا منهم لمستقبل الشعب الأفغاني المسلم ، وخوفا على هذا الشعب أن تطعنه هذه القوى المجرمة فى مقتل حين تتمكن من تعليم أبنائه ، وكذا هو لكل عالم شيخ في جامعة الدعوة والجهاد من الذين حولوا علمهم إلى عمل وقولهم إلى فعل ، فى زمن تباعدت فيه المسافات بين الأقوال والأفعال ، فهم يدرِّسون فى الجامعة طوال العام الدراسى، ويحملون مدافعهم ويذهبون لقضاء أجـازاتهم بين المجـاهـدين . . . دفـاعـا عن الـدين فصـدقـوا أقـوالهم . . بأفعالهم . . . فنعم الأساتذة . . . ونعم المثل .

* ولن أنسى فى هذا الإهداء أن أذكر من يسِّر هذه المهمة من العاملين فى سفارة المملكـة العـربيـة السعـوديـة فى إسـلام أباد ، اعتباراً من سفير خادم الحرمين الشريفين هناك ، ومروراً بالإخـوة الذيـن أعانـوا على الطريق، ولـولا أنى أعلم كرههم للحديث عنهم لذكرتهم بالإسم ، فهذا حقهم . والشكر موصول للإخوة فى مكتب خدمات العرب ورابطة العالم الإسلامى والوكالة الإسلامية للإغاثة ، والهلال الأحمر السعودى هناك .

* والكتـاب مهدى لمعالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى ، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأنا موقن أنه يكره أن يذكر اسمه، ولكن اخفاءه هنا غير ممكن من جانب ، كما أنه إقرار بأمر وقع لامجال لإخفائه . وهو الذى طلب منى الذهاب لدراسة المشكلات التعليمية التى يعانى منها أبناء الأفغان ، كجزء من جهود المملكة العربية السعودية من خلفهم ، إيمانا من المسئولين بها بخطـورة التعليم فى حيـاة الشعـب الأفغـانى ، كما أنـه قد بـذل من وقته وراحته الشيء الكثير فى قراءة هذا الكتاب ومراجعته ثم إن اقتراحاته فى بعض أجزائه كانت مما أخرج الكتاب بشكله الحالى .

* ومن الأفغان أذكر شخصا . . ولا أنساه . . ولاداعى لذكر اسمه ، فالذى يهم هو النموذج والرمز والمثل الذى يبيّن شخصية الشعب الأفغانى المسلم الأبى ، ذلك هو سائق السيارة الذى رافقنى لأكثر من شهر من إسلام آباد . . إلى بيشاور ، وعلى طول امتداد الحدود الباكستانية/ الأفغانية . كنا نطلبه للسفر عند الفجر فنجده أمامنا فى لحظات ، وكان يعود بنا أحيانا فى أنصاف الليالى ، وما سمعت منه مرة واحدة شكوى أو تبرما . وذات يوم وقفنا أمام سلاسل جبال جلال أباد الشاهقة الأبية . . إباء مجاهدى المسلمين هناك ، ونظرت للرجل بتمعن فوجدت عينيه تلمعان بشيء من الدمع الأبى الذى حاول أن يحبسه ، وقلت فى نفسى الرجل يحن لموطنه ومسقط رأسه ، وطلبت من الأخ المترجم الذى كان يرافقنى دوما أن يسأله . .

* وقال الرجل بهدوء المؤمن وتسليمه : لقد تركتهم هناك ، ولن أنساهم ، قلت لمن ترجم قل له إن شاء الله سوف تعود اليهم قريبا بعد أن يتنزل النصر ، فجاءتنى إجابة الرجل الصابر . . إنهم أبنائى الثلاثة . . استشهدوا خلف هذه الجبال . فهم عند الله . . وزلزلت فى مكانى . . !!! ثلاثة من الأبناء لرجل . . ركبت معه آلاف الكيلو مترات ولم ينطق بحرف إلا حين شم عبيرهم عبر الجبال . . وتيقنت أن شعبا هذا معدن رجاله وذلك مبلغ إيمانه لن ينهزم أو يهزم ، وأهويت على رأس الرجل الصابر المحتسب . . . أضع قبلة عرفان واحترام ومحبة وكلى الآن يقين أنى كنت بها أعبر عن ملايين المسلمين الذين رفعوا رؤوسهم عاليا فى عصر أحاطت بهم الكثير من الظروف التى جعلتهم يحنون رؤوسهم ، فجاء الأفغان المجاهدون ليقولوا لهم هذا هو الطريق الذى دلّنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال ما معناه : ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا .

* وأخيرا ـ وقد طالت هذه السطور ـ أهدى عملى هذا لأفراد أسرتى الذين تركتهم فى ضواحى مدينة شيكاغو ، تركتهم فى إجازتى السنوية ، التى هى حقهم علىّ ، كى أذهب إلى الحدود بين باكستان وأفغانستان ، وإذا كنت أسعد بشيء الآن فهو سعادتى باهتمام هذه الأسرة بشئون الأفغان هناك . . فى أمريكا ، خاصة بعض

المجاهدين الذين حملوا هناك للعلاج . . رجالا ونساء ، ولا أريد أن أتحدث عن ذلك حتى لا أقلل من ثوابهم ، ولكنى أذكر بالعرفان حماس زوجتى ، بارك الله فيها لهذا العمل ، بل واقتراحها أن تذهب للعمل هناك بين مخيمات اللاجئين مع الأخوات الأفغانيات لولا ظروفنا الخاصة التى يعلمها الله ، ولا نريد ان نقصها على البشر .

* وفى النهاية أسجد لله شكرا على أن مكننى من إنجاز هذا الكتاب الذى أرجو أن يخدم قضية الجهاد الأفغانى ضد الظلم والشرك والكفر والإلحاد ، وأرجو أن يحتسبه الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى ميزان حسناتى يوم الدين ، يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهو الهادى إلى سواء السبيل . . سبحانه .

الرياض فى رجب ١٤١٠هـ
فبراير ١٩٩٠م

تنويه

يخرج هذا الكتاب إلى الإخوة القراء، وقد خرج آخر جندى من جنود الاحتلال الشيوعي الكافر الحاقد لبلاد الأفغان الإسلامية المجاهدة، بفضل الله ـ أولاً وأخيراً ـ ثم بفضل المجاهدين الأفغان . . أحفاد الغر الميامين، أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذين غيروا الدنيا من حولهم، بفضل العقيدة التى خلقت منهم بشراً من نوع جديد.

نوع من الرجال باعوا دنياهم بآخرتهم مجاهدين في سبيل نشر دينه بين الناس، مرابطين على الثغور وعلى الحدود، في جوف الليل، واثقين من وعد الله بجنات عرضها السماوات والأرض لتلك العيون التى تبيت تحرس في سبيل الله، والتى بلغت ذروة سنام الإيمان. . . بالجهاد في سبيل الله.

والذين يبلغون هذه المرحلة العظمى. . في إيمانهم، تهون أمامهم جميع الصعاب، وتصبح لهم حسابات أخرى غير حسابات البشر العاديين الذين يحسبون جيوش الأعداء بالأفراد. . والمعدات. . والأسلحة والذخائر. أما أجدادنا الغر الميامين فكانت حساباتهم حسابات أرواح مؤمنة مجندة في سبيل الله، يقتل الفرد منهم، ولسان حاله يقول ما قاله سيد المجاهدين، عليه أفضل الصلاة والسلام « وددت أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيا. . ثم أقتل» حبا في الجهاد وإعلاء لكلمة الله.

وقرأنا هذا كثيرا في كتب تاريخنا الإسلامي العظيم، ولكن المجاهدين الأفغان بعثوا هذه المعاني حية رائعة ملموسة حين ساروا على نفس درب المجاهد المسلم الأول، من المهاجرين والأنصار الذين لم يتوقفوا ليحسبوا أعداد المشركين في غزوة بدر الكبرى، تلك التى غيرت وجه التاريخ على وجه اليقين، وكذلك فعل أسلافهم العظام أمام قوات المشركين والمرتدين، وأمام قوات الفرس والروم، وقد تمثلوا جميعهم قول الله عز وجل: ﴿ الذين قال لهم الناسُ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾.

ومن هنا فإن هؤلاء المجاهدين العظام قد نجحوا في اختبار المواجهة وسقطت قوى الشر والبغى والكفر والعدوان، رغم ما بين الفريقين من فروقات تعز على الحساب.

ولكن هل انتهى الجهاد بخروج الروس الكفار من الأرض الإسلامية التى دنسوها لسنوات بأقدام جنودهم وضباطهم . . . ؟؟. الإجابة الواعية تقول عكس ذلك فالجهاد قائم حتى يسقط آخر خائن عميل من الدمى التى تركها الروس من خلفهم في «كابول»، وأعنى بهم أولئك العملاء الذين باعوا وطنهم ودينهم في سبيل شهوة الحكم وشهوة التحكم، ولم يعتبروا من دروس التاريخ.

لقد أفاق أسيادهم الشيوعيون من غيهم حين استطاع المجاهدون الأبرار أن ينالوا من سمعتهم على المستوى الدولى، وأن يمرغوا سمعة جيشهم الجرار في التراب الأفغانى الطاهر، وحين استطاعوا أن يقتلوا من أفراده وأن يأسروا بعشرات الألوف، حسب تقديرات الأعداء أنفسهم.

كذلك لاشك أن الروس الكفار قد حسبوا بعداً آخر، وهو الخوف من أن تمتد شرارة الجهاد إلى الجمهوريات الإسلامية الست التى اغتصبوها ذات يوم، بعد جهادٍ من أهلها المسلمين لعشرات السنين، ولو أن ذلك حدث لدخلوا في دوامة لا يعلم مداها إلا الله.

وعلى ذلك فالجهاد باق ما بقى خائن أو عميل من الذين باعوا أنفسهم للشيطان ذات يوم، وهو باق ما بقى أثر لهذه الهجمة الشيوعية الحقودة على أرض الجهاد المقدس في أفغانستان، وهو ـ كذلك ـ باق ما رجع نفر من أبناء الأفغان الذين حملهم الشيوعيون معهم ليغسلوا عقولهم، وليعودوا حربا على وطنهم وأهليهم وذويهم.

والجهاد ـ أيضا ـ باق ما بقى أثر من آثار المضللين (المبشرين) الذين حاولوا أن يصطادوا في الماء العكر، فجاءوا يهرعون إلى بلاد الأفغان وعلى الحدود، يحاولون السيطرة على عقول أبناء المجاهدين والشهداء.

إن الجهاد الأفغانى ـ بكل المعايير ـ بعثٌ لروح الأمة الإسلامية التى وجدت فيه طوق نجاة يعيدها إلى شاطىء الإيمان، ويبين للخائفين . . والمذعورين . .

والمترددين. . أن الفرد المؤمن بربه. . الواثق بوعده ـ سبحانه وتعالى ـ يمكنه أن يزيل الجبال، وأن يحطم الطواغيت، كما أن هذا الجهاد الأفغاني العظيم قد حطم الحواجز التى حاولت قوى الشر والبغى ـ داخلية وخارجية ـ أن تزرعها بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة، فتوافد المجاهدون من شباب العالم الإسلامي. . باتساعه، كى يدفعوا دماءهم وأرواحهم في سبيل الله على أرض أفغانستان الطاهرة.

إن الدماء الإسلامية العزيزة والغالية، تلك التى أريقت في سبيل الله على أرض أفغانستان قد استوقفت، ولازالت تستوقف، المفكرين والمحللين في بلاد الغرب والشرق، وهم يخشون صحوة إسلامية حقيقية تبعث الدين الإسلامي دينا ودنيا في نفوس أبنائه، وساعتها فإن حساب الأمور بالماديات فقط. . قد لا يفيد، واقرأوا ما يكتبه الواعون من هؤلاء وما يخرجون به على أقوامهم من تحليلات.

ما أردت أن أقوله في هذه الكلمة هو أنه طالما أن الجهاد الأفغاني لا يزال قائما، ولا يزال مستمرا، ولازلنا نسمع ونقرأ ونشاهد على شاشات التليفزيون ما يدور هناك من معارك. . . ما دام الأمر كذلك فلا ينبغى على المسلمين أن يهدأوا أو يتوقفوا عن مد يد المساعدة والعون. . بكل السبل لأولئك الشجعان البواسل من رجال الأفغان الذين حموا شرف المسلمين، وردُّوا لهم اعتبارهم، في عصر تدنت فيه مكانتنا ـ بلا شك ـ كما لم يحدث في التاريخ، حتى احتلت عصابات أنجس أهل الأرض من اليهود بيت المقدس، أولى القبلتين وثالث الحرمين، وفرضت سيطرتها على أهلينا هناك، رغم شجاعتهم ومحاولاتهم المتنفضة هناك.

ولا أحد يدرى فلعل وقوف العالم الإسلامي خلف مجاهدى أفغانستان ـ بالشكل الرائع الذى حدث ـ يكون بداية الطريق لوقفة جهادية منتصرة على أرض فلسطين، يشارك فيها مجاهدو أفغانستان مع مجاهدى فلسطين، مع المجاهدين من كل مكان يرتفع فيه صوت لا إلـه إلا الله، محمد رسول الله، وما ذلك على الله بعزيز، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم، والمسلمون يرفعون أيديهم في هذه الأيام المباركات ـ من شهر رمضان ـ يدعون الله سبحانه وتعالى نصرا مثل ذلك النصر الذي تنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم، ومن معه من المؤمنين، في

غزوة بدر الكبرى، وما ذلك على الله بعزيز، خاصة وقد أخذت طائفة من المسلمين بالأسباب . . . فقاتلوا عن دينهم ودافعوا ما استطاعوا، ووقفت من خلفهم طوائف أخرى من المسلمين فخلفتهم في بيوتهم وأهليهم وذويهم بخير.

هذا ولقد كان مقدَّراً لهذا الكتاب أن يخرج قبل ذلك، خاصة وأن فكرته نبتت في ذهن المؤلف منذ سافر إلى الحدود الأفغانية في صيف ١٩٨٦م، ولكن جمع المعلومات، والبحث عن المصادر، في مكتبات الجامعات الأمريكية، لأن الكتابات العربية قليلة للأسفِ الشديد، وكذلك جمع البيانات عن معونات العالم الإسلامي للمجاهدين الأفغان، ثم كتابة الكتاب . . ومراجعته . . بضع مرات، كل ذلك أخَّر صدوره إلى هذا الوقت، ولعل في ذلك حكمة لا نعلمها نحن، ويعلمها الله علم اليقين، ومن هنا فليس لنا إلا أن نشكره ـ سبحانه وتعالى ـ على كل ما أعان به ووفق.

وهو الهادى إلى سواء السبيل . . سبحانه.

المؤلف

مـدخـل :

منذ تسع سنوات روع الشعب الأفغانى المسلم الآمن ، حين اجتاحت دبابات الـروس الملحـدين مدنـه وقـراه مدمرة الحياة على أرضها ، وحين زمجرت فى سمائه الـطائـرات الحربية الروسية ملقية بآلاف من أطنان القنابل على رؤوس أفراد هذا الشعب المجـاهد الباسل ، والعَزَّل من السلاح ، حيث دكت المنازل ، وحطمت المنشآت ، واجتاحت القرى والمزارع ، ناشرة الرعب والدمار والخراب ، فى كل مكان وصلت إليه . . فى السهول والجبال والوديان ، هادفة إلى تحطيم معنويات ومقاومة هذا الشعب المسلم الأبى ، الذى رفض أبناؤه المسلمون الأحرار الأعزة أن ينقادوا للحفنة الباغية من أبناء جلدتهم الذين تربَّوا فى أحضان الشيوعية ، والذين أرادوا أن يخضعوا أبناء وطنهم جميعا لحكم المنجل والمطرقة .

ومنذ ذلك التاريخ ، تاريخ الاجتياح الروسى المجرم ، للحدود الأفغانية ، فى الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر عام ١٩٧٩م ، والشعب الأفغانى المسلم يدفع ثمن حرصه على دينه الإسلامى الحنيف ، وثمن تمسكه بعقيدته السمحة ، يدفعها من دم أبنائه الشهداء الذين زادوا عن المليون شهيد حتى كتابة هذه السطور ، بالإضافة إلى مئـات الألـوف من الجـرحى والمشوهين والمعوقين ، بجانب أكثر من أربعة ملايين لاجىء ، أرغمـوا على ترك قراهم ومـزارعهم ، ونـزحـوا إلى الحدود ، حيث تركز معظمهم فى مخيمات على الحدود الباكستانية . . في خيام مهلهلة لاتقيهم حر الصيف اللافح ، ولا برد الشتاء الزمهرير .

ورغم سوء الأحـوال والـظروف التى يعيش فيهـا هؤلاء الـلاجئون ، من جميع النواحى ، إلا أن الروس المجرمين الحاقدين على الإسلام والمسلمين ، لم يتركوهم لحالهم ، وإنما هم يفاجئونهم بضربات مجرمة ، فيها الكثير من النذالة ، من سلاح الطيران خاصة ، وذلك ما بين حين وآخر ، حيث يقتلون منهم المئات فى كل غـارة ، ويكون معظم الضحايا ـ عادة ـ من المسنين من الرجال والنساء ، بالإضافة إلى أعداد هائلة من الأطفال المساكين ، الذين تفتق العقل الروسى الشرير عن اختراع ألعاب

صغيرة . . ملونة جذابة لهم ، تنفجر فيهم حال ملامستها ، ممزقة أجسامهم أشلاء . . ! !

هذا ولقد أذهل الاجتياح الروسى للأراضى الأفغانية شعوب العالم الحرة ، وخاصة فى العالم الإسلامى . ولم تكن الحجج التى سيقت لتبرير هذا الاجتياح مقنعة لأى إنسان على وجه الأرض ، اللهم إلا صنف من البشر ماتت ضمائرهم وعميت منهم الأبصار والقلوب ، سواء كانوا من المعسكر الشرقى . . الشيوعى ، أو من عملائهم الدائرين في فلك الشيوعية .

وفى العالم الغربى خرجت الاحتجاجات ضد هذا العمل الإجرامى ، من بعض الحكومات ، بشكل حاد تارة ، وبشكل ديبلوماسى منافق ، يراعى المصالح دون اعتبار للمبادىء والقيم . . تارة أخرى . وفى الولايات المتحدة الأمريكية تحمس الرئيس الأمريكى «جيمى كارتر» ـ ساكن البيت الأبيض آنذاك ـ وأصدر عددا من البيانات القوية التى شجب فيها الغزو الروسى لأفغانستان . . بعبارات قوية رنانة ، وأتبع ذلك بعدد من القرارت التنفيذية كان من بينها وقف صفقات القمح التى كان الاتحاد السوفييتى قد تعاقد عليها مع الولايات المتحدة ، ومنها تحريم تصدير المواد التكنولوجية المتقدمة والمعقدة التى يحتاجها الروس ، خاصة ما تعلق منها بوسائل الكشف عن البترول والمعادن المختبئة فى باطن الأرض ، وكان منها أيضا مقاطعة دورة الألعاب الأوليمبة التى أقيمت فى موسكو عام ١٩٨٠م ، ولقد تبع أمريكا فى ذلك عدد من دول الغرب الدائرة فى فلكها ، وكذا بعض الدول الأخرى .

وفى العالم الإسلامى تنبه المسلمون ، كمن لدغوا على حين غفلة ، وأحسُّوا أنهم أمام خطر داهم ، يوشك أن يجتاحهم ، وأن يصلهم إعصاره العاتى المدمر ، فكتبت صحافتهم ، وتنادت حكوماتهم ، وتشاوروا . . . وتحاوروا واتفقوا على مؤتمر التقوا خلاله فى الباكستان ، وكانت هناك خطب كثيرة ، وعبارات للشجب والإدانة . . لاتنتهى .

ولكن . . ورغم كل ذلك . . ظل السوفييت ـ والعملاء الأفغان من خلفهم ـ

سادرين في غيهم ، يقتلون من يقتلون ، ويسجنون . . ويشردون ، ويقذفون خارج حدود أفغانستان بمئات الألوف من البشر الفزعين . . كل عام ، وأخذت أرقام الشهداء تتصاعد ، وأرواحهم تشتكى إلى بارئها ظلم البشر ، إذ منذ متى كان الشجب ذا أثر فى وقف اعتداء المعتدين . . . ؟؟ ومنذ متى كانت ـ حتى ـ قرارات الأمم المتحدة رادعة للمجرمين . . . ؟؟

حقا إنه لايفل الحديد إلا الحديد ، ولايوقف البغى إلا تضحيات الرجال العظام ، ولكن كيف يمكن لمجتمع صغير . . متخلف أن يقف أمام دولة هى الثانية فى العالم ، من حيث القوة المادية ، وهى تمتلك الملايين من الجنود المدربين والمسلحين بأحدث الأسلحة وأشدها فتكا وتدميرا ، كما أنها تمتلك خط حدود مباشر مع الضحية المسكينة ، بحيث تستطيع أن ترسل ـ يوميا وبلا توقف ـ إمدادات لاتنتهى من الذخيرة والمؤن والعتاد . . بلاحساب . . وبلا انقطاع . . . ؟؟!!

كذلك فإن هناك قاعدة بشرية عميلة من الخونة فى داخل أفغانستان ، أولئك الذين تحالفوا مع الشيطان ، وباعوا الوطن والأهل . . ونسوا الدين ، فسهلوا للأعداء أن يتحكموا فى مقدرات الأمة ، وأن يمسكوا بمفاتيح القوة فيها . **ولقد كانت هذه الخيانة وراء عنصر المفاجأة التى أخذ بها الناس ، حيث فتحت لهم المطارات ، وأمّنت لهم الطرق ، كما أن العناصر الوطنية المخلصة من أبناء الشعب الأفغانى المسلم قد أبعدت عن مراكزها الحساسة ، فى القوات المسلحة . . وغيرها ، وسوف نرى خلال سطور هذا الكتاب كيف لعبت الخيانة دورها فى تقتيل المئات من القيادات الأفغانية ـ غدراً وخيانة . . فى ليلة الاعتداء الإجرامى والاجتياح الشيوعى الحقود ، وذلك حتى ننبه الغافلين من أبناء الأمة الإسلامية بخصوص العناصر الشيوعية التى تعيش بينهم ، والتى تدعى الوطنية ، بينما الولاء كل الولاء هو للعقيدة الفاسدة . . . فى موسكو .**

ووسط كل هذا الرعب القاتل الذى اجتاح أفغانستان المسلمة ، ورغم كل مئات الألوف من جنود الكفر ، ورغم آلاف الدبابات والمجنزرات والمدافع والمصفحات ، ورغم الطائرات الناقلة والقاذفة المقاتلة . . . رغم كل ذلك . . . **ظهر المجاهد**

الأفغـانى المسلم . . . واثقـا بربـه أولا وأخيرا . . . معتمدا على إيمان راسخ . . لايتزعزع . . مؤداه ﴿إن تنصروا الله ينصركم . . ويثبت أقدامكم﴾ .

وضحك الروس من أسطورة «**الجهاد**» هذه . . . !!!

وقالوا ماهى إلا أشهر معدودة . . فقط تذوب الثلوج ، وتفتح الطرقات الجبلية الـوعرة أمام المدرعات والدبابات والمجنزرات والمصفحات ، وسوف نسحق مقاومة المتمردين . . سوف نسحق لحومهم ونفرى عظامهم ، كما قال بعض قادة الجيش الروسى .

وتعجب الغـرب المـادى ، الـذى يحسب كل شيء . . . بالكم . . والكيف ، وجـرت مقـارنات عديدة بين القوات البرية السوفيتية . . وقوات أقوى الدول فى العالم ، حتى أمريكا ، وثبت من دراسات معاهد الاستراتيجيات العالمية أن روسيا لديها قوة برية رهيبة ، يمكنها أن تجتاح شرق أوروبا كلها ، فى أيام معدودات ، إذا حدث وقامت حرب عالمية جديدة ، لأنه بينما تعتمد الولايات المتحدة الأمريكية على التكنـولوجيات المتقدمة جدا فى تسليح جيشها ، تعتمد روسيا على شيء من هذه التكنـولـوجيات وعلى قواتها البرية التقليدية التى تستطيع أن تدفع بطوابير وكتائب وألـوية . . بل وفـرق منهـا كاملة لاتنتهى ، خاصـة إذا اضـطرت لاستـدعـاء الاحتياطى ، ودفعت بأفراده إلى أتون المعركة .

وفى العالم الإسلامى . . أشفق المخلصون على هذه الفئة المؤمنة من رجال الأفغان الـذين باعـوا أنفسهم لله ، والـذين صدقـوا ماعاهدوا الله عليه ، وقال المتفائلون منهم . . . إنها بضعـة أشهر يقاومون فيها . . بسلاحهم العتيق ، الذى يرجع فى معـظمـه إلى بنادق الحرب العالمية الأولى . . !! ثم يقضى عليهم بواسطة الزحف السوفييتى الرهيب وإن قواتهم تلك . . أى قوات المجاهدين . . لاتملك حتى أحذية لرجـالهـا وشبـابها ، فكيف يستطيعون أن يتحملوا القتال أمام ما تدفع به المصانع السوفيتية من ذخيرة وعتاد وإمدادات . . . ؟؟ ودعا لهم المخلصون . . . بالتحمل والصبر على هذا البلاء والابتلاء .

أما المتشائمون والمتخاذلون ، فى عالمنا الإسلامى ، فقد انطلقوا يرددون مقولات مؤداها أنه طالما لا فائدة من المقاومة ، حيث القوى غير متكافئة . . ولا حتى متقاربة ، إذ ليس هناك وجه على الإطلاق للمقارنة بين القوتين ، فلماذا يركب المجاهدون رؤوسهم ، ويكبدون أنفسهم وشعبهم خسائر هم فى غنى عنها ، ولماذا يعملون على أن تزيد أعداد الضحايا والمشردين ، وعلى أن تتضاعف آلام شعبهم وأحزانه ومآسيه . . ؟؟

لقد سبق أن قاوم إخوان لهم من قبل ، فى نفس منطقة وسط آسيا ، فى بداية هذا القرن ، فى التركستان وأوزبكستان ، حيث «سمرقند» و«بخارى» تلك التى كانت مراكز إسلامية ذات حضارة رائعة . . فماذا كانت النتيجة . . . ؟؟ لقد سقطت جميعها فى فم الدب الروسى الرهيب ، وابتلعها فى جوفه الضخم حيث امتصها بعد أن أجاد هضمها ، ومن بقى من أفراد هذه الشعوب الإسلامية يعيشون الآن ضمن حدود الدولة الروسية الكافرة الكبرى ، فلماذا لايفعل الأفغان مثلهم . . . ؟؟

أتراهم لم يتعلموا درس التاريخ القاسى ، بعد كل هذه التجارب الكبرى . . . ؟؟ ألم يسمعوا ما وقع «للمجر» عام ١٩٥٦م حين اجتاحت بلادهم آلاف الدبابات الروسية ، ذات صباح من شهر نوفمبر فى ذلك العام ، لتقضى على ثورة هذا الشعب المسكين الذى أراد أبناؤه الأحرار أن يخرجوا من ذل استعباد الشيوعية لهم ولبلادهم . . ؟؟

لقد انتفض المجريون ، بزعامة قائدهم «إمرى ناجى» بعد أكثر من عشر سنوات من احتلال الروس لبلادهم ، وبعد أن قاسوا ذل الاستعمار الشيوعى الأحمر البغيض ، ذلك الاستعمار الذى خلق طبقة عميلة من أبناء شعبهم ، كان كل هم أفرادها هو التجسس على مواطنيهم ، ونقل أخبار نشاطاتهم الوطنية إلى السلطات الخاضعة للسوفييت ، وكم ذاق آلاف من أبناء الشعب من الوطنيين من أهوال السجن والتعذيب . وحينما اندلعت الثورة فى المجر كان همُّ هؤلاء الوطنيين من الثوار هو القبض على هؤلاء العملاء والجواسيس ، ثم ضربهم بالرصاص . . فوراً فى شوارع العاصمة المجرية ، كما رأيناهم فى بعض صحفنا العربية .

ولم تتحمل روسيا الشيوعية ، **التى يكثر قادتها من الحديث عن حرية الشعوب ، وعن مناصرتهم لحركات التحرر فى العالم (!!!)** ، لم تتحمل أن ترى شعبا يخرج من طوق الشيوعية النارى فأرسلت دباباتها . . بالآلاف . . تجتاح المجر ، وتقبض على الوطنيين ، فتقتل الكثيرين منهم ، وترحل المئات إلى داخل أراضيها هى حيث سيقوا إما إلى السجون الرهيبة ، وإما إلى معسكرات العمل القاتلة في سيبيريا ، وكان من بين هؤلاء زعيم الثوار «امرى ناجى» الذى أختفى للأبد فى جوف الدب الروسى . . . !!!

ألم يسمع المجاهدن الأفغان ما جرى فى «تشيكوسلوفاكيا» عام ١٩٦٨م ، حين حدث لها الشيء ذاته . . . ؟؟ لقد انتفض أفراد هذا الشعب الأوروبى الشرقى الذى راح ضحية الاجتياح الروسى لشرق أوروبا ، فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وفرضت عليه الشيوعية فرضاً ، بقوة الدبابات والمجنزرات السوفيتية الرهيبة .

وظل أفراده يغلون بالثورة المكتومة ، وهم يرون بلادهم منقادة للدب السوفييتى ، تحت قوة السلاح ، وحتى بعد أن سمعوا ولمسوا ما جرى للشعب المجرى من مآسى على يد القوات السوفيتية ، إلا أنهم لم يتراجعوا عن طلب الحرية ، حيث ظهر بينهم واحد منهم يقودهم إلى التمرد على الروس وعملائهم من الحكام فى العاصمة التشيكية وكان اسم هذا الزعيم هو «دوبتشك» الذى كان خطيباً مفوها وزعيما يمتلك مقومات الزعامة فعلا ، حيث التفت حوله الجماهير التشيكية المتعطشة للحرية والاستقلال وبدأ العالم كله يتحدث من الثورة وعن التحول بعيدا عن سيطرة موسكو . . فى تشيكوسلوفاكيا . .

ولم يطل انتظار الناس فى العالم كثيرا ، **فالدب السوفييتى لايصبر على هذه الحركات التى تنادى بالحرية** ، فلقد فوجىء الناس فى فجر أحد الأيام من عام ١٩٦٨م بأكثر من خمسة آلاف دبابة سوفيتية تجتاح حدود (الأصدقاء التشيك) . . . !!! لتقضى على الثورة ، ولتقتل الآلاف دون تمييز، ولتحمل معها إلى داخل الحدود الروسية أعداداً أخرى منهم ، وكان من بينهم ـ بطبيعة الحال ـ «دوبتشك» الزعيم وبعض القيادات التشيكية الأخرى . . واختفوا للأبد فى جوف

الدب الروسى زعيم (الاشتراكيين) ، ونصير حركات التحرر فى العالم . . . !!

وفى «بولندا» كاد يحدث الشيء نفسه فى نهاية السبعينات ، حين انتفضت الجماهير البولندية مناصرة حركة العمال المعروفة باسم «تضامن» تحت قيادة زعيمها «فاليسا» ولكن فى هذه المرة أوعز السوفيت إلى طائفة من أفراد الجيش البولندى ، الخاضع للإشراف الروسى ، للقيام بحركة عسكرية قضت على الانتفاضة الشعبية ، ووضعت أفرادها فى السجون . . ويبدو أن الروس كانوا يجهزون لغزو أفغانستان فلم يريدوا أن يفاجئوا العالم بضرب بلدين فى آن واحد . . .

كذلك تساءل الناس عن مدى معرفة الأفغان لما جرى فى «ألمانيا الشرقية» ، وبالتحديد فى برلين ، حين اضطر الروس لبناء سور ، عرف باسم «سور برلين» الشهير ، الذى إن دل على شيء فإنما يدل على كراهية الشعوب لحكم الشيوعية ، بحيث أنهم كانوا يهربون قبل بناء السور ، بكل السبل ، من حكم الشيوعيين . وحتى بعد أن بنى هذا السور ، لم يتوقف الناس عن محاولات الهرب ، بل إن كثيرين قد قتلوا برصاص الحراس ، وأكثر من ذلك أن أذهان كثيرين من عشاق الحرية قد تفتقت عن حيل أغرب من الخيال هروباً من ذلك السور المقيت ، بحفر أنفاق تحته . . تارة ، أوبالطيران فى طائرات شراعية فوقه . . فى ظلام الليل . . تارة أخرى . . . !!!

أما المجاهدون الأفغان فيبدو أنهم لم يكن لديهم وقت لقراءة كل هذا أو للتوقف عنده ، فلقد كانت حساباتهم مختلفة تماما . إنهم لو كانوا قد توقفوا عند هذه الحسابات البشرية التى عددت مئات الألوف من الدبابات والمجنزرات والمصفحات والطائرات والصواريخ ، ربما ما كانوا حملوا سلاحاً ولاقابلوا عدواً . إن أعدادهم هم قد لاتصل إلى أعداد هذه الأدوات الحربية الرهيبة . . !!

لقد كان للمجاهدين الأفغان المسلمين . . . حسابات خاصة
لقد قرأوا شيئا آخر . . . واستوعبوه تماما . . حتى النخاع . .
لقد قرأوا كتاب الله العظيم . . .

قرأوا القرآن ، واستوعبوا آيات الجهاد ، فاستشعروا النصر ، ولم ينهزموا داخليا . .

قرأوا . . . .

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين . . . .﴾ .

قرأوا . . .

﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والله مع الصابرين﴾ . . .

قرأوا . . .

﴿وكأين من نبى قاتل مع رِّبيُّون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا . . وانصرنا على القوم الكافرين . .﴾ . .

كذلك فإنهم استوعبوا تماماً أحاديث نبى هذه الأمة ، محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وكـان منهـا . . **«ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا»** ولقد دفعوا من دمائهم وأرواحهم الشيء الكثير . . . الكثير الـذى يعـز على الحسـاب ، مواكب تتلوها مواكب . . من الشهداء ، الذين صبروا واحتسبوا . . فلحقوا بالنبيين والصديقين والشهداء . . . عند مليك مقتدر .

إن هؤلاء المجاهـدين الأفغان الكرام لو أنهم توقفوا للحظة كى يحسبوا قواتهم وقدراتهم ، وكى يقارنوها مع قوات عدوهم . . بالمعاير المادية العادية ، لكانوا قد انهزموا من الداخل وانهارت معنوياتهم .

إنهم لم يروا إلا عدوا كافرا ظالما يجتاح بلادهم الإسلامية ويدنس أرضها ، بقتل النســاء والأطفـال والشيوخ ، ويحـرق الأخضر واليابس ، ولايرى فى حقـده على المسلمين إلا أن يبيدهم ويقضى عليهم بكل السبل والوسائل المشروعة فى الحرب ، وغـير المشروعـة من قنـابل النابالم الحارقة إلى حرب الكيماويات السامة الرهيبة إلى المذابح الجماعية لقرى أفغانية بأكملها ، سويت تماما بالأرض ، ودفن سكانها وهم أحياء تحت أنقاضها ، والذين لم تدفنهم قنابل الطائرات ، حصدهم رصاص فرق ضرب النار من الخونة ومن جنود السوفييت الأسافل .

ورغم كل هذا الهول والارهاب والنيران المتفجرة من السماء والأرض ، ثبت الله أقدام المجاهدين المدافعين عن الإسلام وعن الأوطان ، حيث تجلت قدرته سبحانه وتعالى ، وتنزل عليهم النصر بعد النصر ، بعد أن برهنوا على إيمانهم وصبرهم . . وبذلهم وتضحياتهم . وذابت ثلوج كثيرة . . من ورائها ثلوج وثلوج . . . !!!

ومرت الأيام . . . يوما بعد يوم ، وعاما بعد عام . . .

وإذا بالعالم ينظر ناحية أفغانستان مذهولا مشدوها . . . !!!

فهاهم . . . الحفاة . . الجياع . . . المساكين . . . المستضعفون . . الذين يقاتلون وهم صائمون . . . ها هم يقفون سدا منيعاً صلداً أمام الجيش الروسى الأحمر ، ويذيقون أفراده ، من جنود وضباط ، وأحيانا . . بعض قياداته الكبرى ، يذيقونهم ناراً حامية ، يقتلون منهم ويأسرون ، وتتجلى آيات للرحمٰن عظيمة رائعة . . جلية واضحة حيث تهزم الدبابات والطائرات بأعداد كبيرة تصيب المخططين العسكريين فى موسكو بالذعر ، خاصة وقد سلّمت أعداد كبيرة من جيش كابول العميل ، كما أخذت أعداد أخرى من أفراده تلوذ بالهرب وتنضم إلى المجاهدين ، حتى أخذت أعداد هذا الجيش فى التناقص بشكل ينذر بالخطر . . !!!

ولم يكن «اللحم الروسى» ذاته بعيدا عن أتون المعركة ، فرغم أن الروس يدفعون بالجيش الأفغانى العميل أمامهم ، ويحتمون هم وراءه ، إلا أن نيران المجاهدين طالتهم هم أيضا وأصابت منهم أعدادا حاولوا التكتم على حقيقتها ، أول الأمر ولكنها حينما زادت عن الحد الذى يستحيل إخفاؤه اضطروا للاعتراف بما أصابهم . بل إن عدداً من مراسلي الغرب ووكالات الأنباء الأمريكية خاصة قد قدمت لمواطنيها وللعالم تقارير ظهرت على شاشات التليفزيون حيث رأينا مظاهرات خاصة بالنساء الروسيات وقد خرجن يطالبن بعودة أزواجهن من الجبة الأفغانية ، كما نشر الكثير عن النعوش التى كانت تحملها الطائرات الروسية من الجبهة الى داخل الاتحاد السوفييتى ، وكانت تلك تجربة مرة فريدة ذاقها الظالمون واكتووا بنارها . . .

وتحدث الخبراء الاستراتيجيون فى الغرب عن «فيتنام» جديدة ، تورط فيها الاتحاد السوفييتى هذه المرة . . بدلا من أمريكا ، وإن كانوا فى تحليلاتهم قد توقفوا أمام

ظاهرة الصبر الأفغانى العجيب . . فإذا كان الفيتناميون قد صبروا فى حربهم ضد أمـريكـا ، فما كان ذلـك إلا لأن حدود بلادهم كانت متصلة مع حدود الاتحـاد السوفييتى وحدود الصين مباشرة ومن هنا كان سهلا أن تنقل إليهم الأسلحة والمعدات والذخائر بكميات هائلة أتعبت الأمر يكبين بالفعل . . حتى اضطروا فى النهاية إلى الانسحاب المهين من هناك .

أمـا الأفغان فحدودهم مع بلدين صغيرين ، إذا ماقورنا بروسيا والصين . هما باكسـتـان وإيران ، كما أنهما ليستـا دولتـين متقدمتين فى مجال التسليح والصناعات الحربية ، بحيث يمدان الأفغان بحاجاتهم من المؤن والذخيرة ، بل إن إحداهما وهى إيران منغمسة فى حرب ضروس مع العراق منذ أيام الغزو السوفييتى لأفغانستان ، وبالتالى ليس لها أى جهد يذكر فى دعم الجهاد الأفغانى ، اللهم إلا إيواء أعداد من مهاجريهم فى المناطق الحدودية .

أما الباكستان فهى التى تتحمل العبء الأكبر فى هذا الإيواء ، ولكنها ـ بلاشك ـ تعمل حساب عداوة السوفييت وانتقامهم ، خاصة وقد جرت محاولات إجرامية من الشيوعيين لضرب عدد من القرى الباكستانية التى يعيش المجاهدون الأفغان بجوارها على الحـدود . كذلـك لاينسى الضغط الـذى يمارس على حكـومـة البـاكستـان الشجـاعـة . . فى الداخل ، حيث يفجر عملاء المخابرات السوفيتية والأفغانية ، مابـين حين وآخـر ، القنـابـل فى الأسواق والمنشآت . ولكن الناس صامدون . . صابرون . . محتسبون ، ومصممون على نصرة إخوانهم المجاهدين .

وعـلى ذلـك فإن حسابات الغرب بالنسبة لأفغانستان باعتبارها نموذجا فيتناميا جديدا لم تكن سليمة ، وذلك لأن هذه الحسابات المادية لم تضع ضمن معادلاتها صبر المجاهد المسلم ، ولاقوة إيمانه ، ولا دعم السماء . . فهذه أمور تعز على الحساب ، خاصة لمن لا يعرفونها . . أو لمن لايعترفون بها .

وعـلى الـرغم من أن دول العالم الإسلامى ـ بصفة عامة ـ لم يكن لها موقف قوى مدعم للمجـاهـدين ، بحيث يرغمون الروس الشيوعيين على الانسحاب من أفغانستان

ووقف ممارساتهم الإجرامية ضد الشعب الأفغاني المجاهد، إلا أن الصورة ليست قاتمة بشكل يدعو إلى اليأس ، إذ أن هناك عددا من الدول ـ حقيقة هي قليلة جدا تعد على أصابع اليد الواحدة ـ التي تدعم جهاد الأفغان ، كما أن هناك عاطفة رائعة من أعداد من أبناء الشعب المسلم الذين يدعمون هذا الجهاد بأموالهم التي أفاء الله عليهم بها ، في منطقة الخليج عامة ، وفي المملكة العربية السعودية خاصة ، بإعتراف زعماء الجهاد وقادته ، كما أن هناك أعداداً من الشباب المسلم قد تركوا بيوتهم وأسرهم والتحقوا بصفوف المجاهدين يقاتلون معركة الإسلام ضد الكفر والإلحاد ، ولقد سقطت منهم أعداد بعد أن نال أفرادها الشهادة مختلطة دماؤهم بدماء إخوانهم الأفغان ، وكم من أم مسلمة محتسبة صابرة قدمت فلذة كبدها للدفاع عن قضية المسلمين الأولى . . الآن . . . حدث هذا في مكة المكرمة . . والمدينة المنورة وفي مصر . . وفي الجزائر . . والسودان وغيرها ، فأزال هؤلاء الشهداء العرب المسلمون عاراً كاد أن يلحق بهذه الأمة حين وجد أفراد من الشيوعيين العرب يدافعون في صفوف أسيادهم الروس . . !!

لقد صدم كثير من المجاهدين الأفغان ـ حقا ـ حين سقط في أيديهم عدد من أسرى العملاء الأفغان ، فوجدوا من بينهم بعض العرب الذين اتخذوا الشيوعية مذهبا لهم وعقيدة ، صدموا لأنهم ـ كما عبر بعضهم للكاتب لم يكونوا يتصورون أن عربيا واحدا . . . مسلما ، يمكن ان يكون شيوعيا . . هكذا يتصورون . . . لأنهم مسلمون على الفطرة ، ويعتقدون عن يقين أن كون الإنسان منتسباً للإسلام يبعده بالضرورة عن التيارات المنحرفة ، ولا يمكن أن ينضوي تحت أي منها في ظل أية دعاوى كاذبة أو خادعة .

وحينما اشتد ضغط المجاهدين الأفغان على القوات العميلة والقوات الروسية ، وحينما حرروا أجزاء كبرى من أفغانستان ، ووضعوها تحت إشرافهم المباشر ، وحينما لم يفلح الإجرام الروسي والإرهاب الشيوعي لوقف تدعيم الشعب الأفغاني لمجاهديه البواسل ، حينما لم يفلح كل ذلك في تحطيم الجهاد الأفغاني ووقف مده العظيم ، بل حينما لم يفلح الروس والعملاء في وقف هجمات هؤلاء الأبطال على العاصمة

الأفغانية ـ كابول ـ ذاتها ، لجأ الروس إلى حيلة جديدة علها تنفع أو تجدى .

لقد خلعوا دميتهم التى كانت تجلس فى قصر الرئاسة فى كابول ، وأعنى بالدمية «بـابـراك كارمال» الرئيس الأفغانى السابق ، وجاءوا مكانه بدمية أخرى فى مقعد الرئاسة ، جاءوا بشخص يدعى «نجيب الله» ، مع دعوى جديدة خادعة ، حيث حاولت أجهزة دعايتهم أن تصور هذا التغيير على أنه تغيير فى السياسة ، وليس مجرد تغيير فى الأشخاص .

لقد حاولوا ترويج فكرة «المصالحة الوطنية» وفكرة المفاوضات بين الطرفين، وفكرة وقف إطلاق النار بين الجانبين لفترة معينة ، يتفقون أثناءها على أسلوب للحكم داخل أفغانستان . وكان المجاهدون الأفغان على وعى كامل بمخططات الأعداء ، فلم ينخدعوا بهذه الحيلة ، وإنما أعلنوا منذ اللحظة الأولى أنه لا سلام ولا مفاوضات فى ظل الوجود السوفييتى والاحتلال الشيوعى لوطنهم .

كذلك فإنهم كانوا أوعى من كثيرين من الكتاب فى عالمنا العربى وفى الغرب الذين حاولوا أن يروجوا لفكرة المصالحة الوطنية أو المفاوضات . لقد أعلنوا صراحة ، وبكل وضـوح ، أن المصالحة الوطنية كفكرة ـ لا تكون إلا بين فئات وطنية فعلا ، يعمل أفرادها لصالح وطنهم ، بينما العملاء الأفغان الجالسون فى مقاعد الحكم لاتنطبق عليهم هذه الصفـة ، فليس من صفات الوطنيين أن يتحالفوا مع القوى الأجنبية الكافرة، ويمهدوا لها السبيل لاحتلال الوطن ولإذلال أبنائه ـ إن هذا الصنف من البشرَ لايقل ـ فى خطورته عن الأعداء الأجانب أنفسهم ، بل إنه أخطر منهم ، لأنه من السهل عليه أن يتلون وأن يخدع الكثيرين من السذج ، ولذلك فلابد من القـضاء عليهم بالجهاد . . تماما مثلهم فى ذلك مثل الشيوعيين المعتدين .

ومن هنا فشلت هذه الحيلة ولم يقع فى حبائلها المجاهدون الأفغان ، ومن ثم جن جنون الروس والعملاء من خلفهم ، فعادوا يكثفون هجماتهم الإجرامية على القرى الأفغانية ، بل وعلى معسكرات اللاجئين المساكين ، وارتفعت أعداد الشهداء ، كما أنهم قد كثفوا من هجماتهم الإجرامية ـ بواسطة عملائهم على الأماكن العامة فى بعض مدن الباكتسان الصامدة ، لتأييدها للمجاهدين ، ولعدم قبولها بممارسة أى ضغط

عليهم لوقف حربهم ، وللدخول فى خدعة «المصالحة الوطنية» . . .

ومرت أيام كثيرة . . وليال طويلة ، وأسابيع . . وشهور . . بل وسنوات ، والمجاهد الأفغاني الصلب . . . يقف هناك على قمم الجبال الشامخة ، يحمل بندقيته . . أو مدفعه . . أو يقف خلف صاروخ يطلقه . . يسقط به طائرة ، أو يصيب به دبابة ، فيثير الرعب فى نفوس الجبناء من العملاء الأفغان ، أو من الروس المجرمين . .

وهو إذ يفعل ذلك يقلب حسابات «موسكو» رأساً على عقب ، ويجعلها تفكر بدل المرة ألف ، فلم تكن اللقمة سهلة . . هذه المرة ، **ولم يكن المجاهد المسلم فى أفغانستان لقمة سائغة كما كان الحال فى المجر أو تشيكوسلوفاكيا أو المانيا الشرقية . . . إنه نوع آخر من البشر ، إنه المجاهد المسلم الذى قرأنا عنه فى كتب التاريخ . . . وقد بعث من جديد . . . ! !**

لقد ذكرنا المجاهد الأفغانى المعاصر . . بالمجاهد المسلم الذى رمى التمرات التى كانت فى يده حين رأى بعاطفتة الإسلامية أن العمر سيمتد به طويلا لو أنه بقى ليأكل هذه التمرات . . سيتأخر عن دخول الجنة واللحاق بموكب الشهداء هناك مع النبيين والصديقين والشهداء . . ! !

لقد أثار فينا هذا المجاهد الأفغانى المسلم العظيم عزة الإسلام . . وعزة المسلمين التى نسيناها ، أو نسيها معظمنا ، إن المسلم لاينبغى أن يرضى بالدنية فى دينه ، وليس أذل على الإنسان من أن يقع فريسة للإحتلال ، من جانب أهل الكفر والملحدين .

كذلك أثار فينا المعنى العظيم الذى تمثله أجدادنا الغر الميامين «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» وكيف تكون هناك عزة للمسلمين وهم محتلون مقهورون فى وطنهم الإسلامى . . ؟؟ لا يمكن أن تكون هناك عزة إلا بحمل السلاح ودفع الأعداء ومجاهدتهم ومجالدتهم ، حتى يخرجوا من أرض المسلمين . . فإما النصر أو الشهادة .

لقد ذكرنا هذا المجاهد الأفغانى المسلم . . الرائع ، الذى بذل روحه ودمه ، فى

صمت ، ومضى ليلقى ربه ، ذكرنا بشهداء الإسلام العظام الذين مضوا على طريق الشهادة الخالدة ، انتصاراً للدين العظيم ، ذكرنا بسيد الشهداء حمزة عم الرسول ، رضى الله عنه ، وذكرنا بجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة . . . رضى الله عنهم أجمعين .

كذلك فإن الإنسان الأفغانى المسلم . . العظيم ، قد ذكرنا بعزة المسلمين الغابرة ، ذكرنا بالفرد المسلم . . المجاهد الذى باع الدنيا بالآخرة ، فلم يهتم بما كان عند الفرس ـ أعداء الله ـ من عز وطنافس وخيول . . وقصور وعظمة وأبهة ، ذكرنا وهو يرفض أن يفاوض الروس والعملاء بالمسلم المجاهد «ربعى ابن عامر» الذى دخل على كسرى فى إيوانه . . وملكه . . واعتزازه بإسلامه . . . وبطلبه للآخرة ، أعز وأقوى وأمنع من كل هذا المتاع الزائل .

لقد دخل بفرسه ورمحه الذى أخذ يغرسه فى الطنافس غير مبال بصيحات الذين كانوا حول عرش كسرى ، لقد أدخل الرعب فى قلوبهم هم ، لأنه كان منتصرا بالله . . بالحق ، قويا بالإيمان ، أما هم فكانوا محتمين بمتاع الدنيا الزائل . . وقد تركوه فى النهاية ليغنمه المجاهدون المسلمون الذين نصرهم الله . . لأنهم نصروه . . ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ .

ويقينى هو أن الإنسان الأفغانى المجاهد الذى يحارب قوة من أخطر وأبشع ما عرف فى تاريخ البشرية ، سوف ينتصر بإذن الله . . فى النهاية ، لأنه لم يخرب من الداخل . . لم يغرَّب ، وبالتالى لم ينهزم قبل أن يدخل المعركة . بل على العكس لقد انقضت الفترة الحرجة ، فى تصورى من المعركة ، وهذا هو مايسميه العسكريون «تطعيم المعركة» بحيث يألفها المقاتل ، ولايخشى التعامل مع أسلحتها .

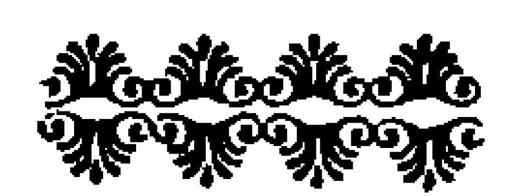
لقد كانت الشهور الأولى منها هى العنصر الحاسم فيها ، بمعنى أنه لوكان الإنسان الأفغانى المسلم ضعيفا لانهار منذ البداية أمام جحافل الروس وآلياتهم الرهيبة ، لقد دخلوا هم ـ أى الروس ـ معتزين بها ـ كما دخل معهم العملاء وهم مسنودون عليهم ، والجميع متأكدون من سحق المجاهدين المساكين الفقراء والبؤساء غير المسلحين أو المدربين .

ومرت الأيام وراء الأيام ، فإذا الآليات والدبابات والمدرعات والمصفحات والمجنزرات ، بل والطائرات ، لا ترعب هؤلاء المجاهدين ، بل تزيدهم ثباتا وقوة وإصراراً على النصر ، ولما أخذت بعض هذه الآليات تتساقط بفعل هجمات المجاهدين أيقن العملاء الروس أن هذه «القرى المحصنة» لن تغنى عنهم شيئا فبدأوا يتركونها ويهربون ، **وهنا وضح تماما أن العنصر البشرى هو الأساس فى هذه المعركة . . . وتفسيرى لذلك أمر واحد . . لاقبله ولابعده . .**

إنها معركة إيمان ويقين . . .

معركة بين مؤمنين موحدين ، وكفار ملحدين ، لايقاتلون إلا من وراء قرى محصنة ، كما أن بأسهم بينهم شديد ، كما وصفهم القرآن العظيم ، ومن هنا فلقد انهزموا من الداخل ، وبدأوا يفرون بأعداد كبيرة . . أو يستسلمون ، **وهنا فإنى أعود لأكرر قولى من أن المجاهدين الأفغان سوف ينتصرون بإذن الله ، تصديقا للقانون السماوى الذى لايتغير ولايتبدل . .**

﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ . . . صدق الله العظيم .



الفصـــل الأول :

شروط تأدية الأمانة

إذا كان المجاهد الأفغاني المسلم قد أوفى بما عاهد عليه الله ، فحمل السلاح - كما رأينا ورأى العالم أجمع - ولم يخنع للاحتلال الشيوعى البغيض لوطنه ، وقاتل قتالاً مريرا ، على مدار سنوات وسنوات ، كى تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وإذا كان أكثر من مليون من أبناء الأفغان قد سقطوا شهداء ، فى أشرفَ ميدان ، وإذا كان نحو خمسة ملايين من أفراد هذا الشعب المسلم العظيم قد أجبروا على ترك وطنهم ، وتحولوا إلى لاجئين يبيتون فى العراء ، يموت منهم الآلاف سنويا ، من الحر تارة ومن البرد تارة أخرى ، وإذا كان مئات الألوف منهم قد أصبحوا مشوهين مبتورى الأيدى أو الأرجل ، أومقعدين ، أو فقدوا أبصارهم بفعل الحقد الشيوعى ضد المسلمين . .

إذا كان كل ذلـك قد حدث . . وأكثر ، فإن هذا الشعب المجاهد المسلم . . الشعب الأفغانى ، قد قام بواجبه خير قيام ، كما أنه قد أعذر إلى الله ، حين حمى ظهر المسلمين ودفع هذا الثمن الغالى الذى لم يتحمله شعب آخر فى مثل ظروف الشعب الأفغـانى ، بعـد ذلـك تبقى الأمانة التى علقها هذا الشعب فى عنق كل مسلم . . فى عنق المجتمع المسلم من أوله إلى آخره ، حكاما ومحكومين ، وهى أمانة لو نعلم . . عظيمة . . بل جليلة ، ولا فكاك من أدائها والوفاء بها .

إننا نحن المسلمين لايمكن أن نقف مكتوفى الأيدى ، ننظر إلى معركة الشعب الأفغانى ، نظرة الشعوب الغربية مثلا ، فى أوروبا وأمريكا ، أو نتفرج على نشرات الأخبار والصور الرهيبة التى تحملها إلينا وكالات الأنباء العالمية ، وكأننا نسكن فى أمريكا الجنوبية أو نيوزيلندا . . أو استراليا . . ! !

إن هذه المعـركـة الكبرى . . . الدائرة منذ أكثر من ثمان سنوات ، فوق جبال

أفغانستان ، هى معركة الإسلام والمسلمين الأولى ، لانها بين قوة كافرة عاتية باغية ، تريد أن تجتث الإسلام من جذوره فى هذا البلد المسلم ، وأن تحل الكفر والإلحاد محل الإسلام والتوحيد .

إن هنــاك مئــات الآلاف من الفتيــات والأمهـات المسلمات الـلائى صرخن «وامعتصـماه» فى قرى بلاد الأفغـان ، وفى السهـول وفوق التلال والجبال ، حين اجتاحت قراهن ومساكنهن قوات الشر وجنود البغى والعدوان . ولاينبغى أن تضيع هذه الصرخـات هبـاء أوسدى ، وإلا فسوف ندفع ـ نحن المسلمين جميعا ـ ثمن صمتنا وسكوتنا ، سوف ندفع ـ والعياذ بالله ـ من دمائنا وأعراض بناتنا ونسائنا ، فالسوفييت إذا قدر لهم ـ والعياذ بالله ـ أن يتغلبوا على الشعب الأفغانى المجاهد ، لن يتوقفوا هناك أويقنعوا . . .

إن حلمهم الذى يراودهم ـ فى روسيا ـ منذ أيام القياصرة ، بالوصول إلى المياه الدافئة فى الخليج العربى لايزال يداعب وجدانهم ، بل إن تخطيطهم البعيد المدى يقـول بأن هذا الحلم يرسم لتحقيقه خطوة . . خطوة ، **وما إقامة نظام شيوعى فى الحبشة واليمن الجنوبى ببعيد . . عن هذه الرؤية الاستراتيجية البعيدة المدى . . .**

إن المسافة بين الحبشة والخليج العربي . . لاشك مسافة قصيرة ، وهى بين اليمن الجنوبى والخليج . . . أقصر . **كما أنه قد ثبت أن الولاء للشيوعية يأتى أولا ـ عند معتنقيها ـ قبل الولاء للوطن ، وذبح المواطنين إرضاء للأسياد أو الرفاق فى موسكو ،** أمر شاهدنا أمثلة له فى كثيرمن التجارب المعاصرة التى لاينبغى أن ننساها ، بل يجب أن نحفره فى أذهاننا . . بل وأذهان أبنائنا ووجداناتهم ، إذا أردنا أن نحمى أرضنا وبلادنا وأعراضنا ، ممن لايعرفون دينا ، ولايقيمون وزنا للأعراض أو الأديان أو الأوطان ،

لكـل هذا . . ولغـيره كثـير ، أقـول بأننا لاينبغى أن نقف موقف المتفرجين ، وإلا عرّضنا أنفسنا لدفع الثمن غاليا بأكثر مما يتصور الكثيرون منا ، وحينئذ قد ينطبق علينا المثل الشائع المعروف «إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض» والتاريخ لايكذب ،

ولنا فى الجمهوريات الإسلامية ، فى آسيا الوسطى ، والتى قتل الشيوعيون من أبنائها مئات الألوف ، خير عبرة وعظة ، ولذلك أعود فأقول . . وأكرر إن أفغانستان أمانة فى أعناق المسلمين جميعا ، ولكى نوفى هذه الأمانة حقها ، هناك شروط ومستلزمات ومتطلبات لهذا الوفاء من بينها مايلى :

أولا : ضرورة استمرار حضور القضية الأفغانية :

ينبغى ألا تغيب القضية الأفغانية عن وعى المسلمين لحظة واحدة ، بل يجب أن تظل حية فى وجدانهم ، تلهبهم فى نومهم ويقظتهم ، وذلك حتى لاتضيع بالنسيان ، أو بالتقادم ، وتصبح جزءا من تاريخنا المأساوى ، مثلها مثل الأندلس ، وأخشى أن أقول مثلها مثل فلسطين ، وإن كان أطفالها وشبابها قد أحيوها من جديد فى انتفاضتهم المباركة . . رعاهم الله وأعانهم .

وحينما أطالب بأن تظل حية فى ضمائرنا ووجداننا ، لاأقصد أن نظل نذكرها . . . ونتحسر عليها فى أشعارنا وأخبارنا أو فى تسميتنا لبعض شوارعنا أو ميادينا ، ولكن ما أقصده هو أن يصاحب إحساسنا بها . . . . فعل مستمر من جانبنا على كل المستويات ، فى مدارسنا . . **ينبغى أن يدرس لأبنائنا أهداف الشيوعيين وأطماعهم فى بلادنا ، وكيفية مواجهة مخططاتهم** . وفى جامعاتنا كان من المفروض ولايزال ـ مفروضا ـ أن تعقد المؤتمرات والندوات العلمية التى تقدم فيها البحوث التى تتناول مخاطر الغزو الشيوعى لبلاد المسلمين وأوطانهم ، مخاطر هذا الغزو على الدين الإسلامى ذاته ، وعلى ثقافة المسلمين وهويتهم ، ومخاطره على اقتصاديات المسلمين التى يبتلعها الدب السوفييتى . . مابين حين وآخر .

إن هذا الجانب لم يغب عن جامعات البلاد الغربية ، وخاصة الجامعات العريقة مثل جامعات هارفارد وبوسطن ولندن وأوكسفورد وباريس وهلسنكي . . وغيرها ، وبطبيعة الحال فإنهم يهتمون بأمور تختلف عما نهتم نحن به ، فهم يتحدثون عن خطورة الغزو الروسى على الثقافة الأفغانية ، ونحن لاننتظر منهم أن يهتموا بأمر الدين الإسلامى وتعرضه للخطر فى أفغانستان . . بطبيعة الحال . . !!

إن الإنسان العربى المسلم ليحزن حين يبحث فى المكتبة العربية عن الكتب التى كتبت بلغة القرآن الكريم ، والتى تناولت القضية الأفغانية ، وذلك لندرتها الواضحة ، بينما كتب باللغة الإنجليزية عشرات وعشرات من الكتب ، كذلك كتب بالفرنسية قدر لا بأس به عن القضية . وإذا غابت القضية الأفغانية بهذا الشكل المحزن عن أقلام مفكرى الأمة فكيف نطلب من عامتها أن يتذكروها وأن يتفكروا فيها . . . صباح مساء . . ؟؟

كذلك فإن أجهزة إعلامنا كان من المحتم أن تكون قضية جهاد المسلمين فى أفغانستان على رأس اهتماماتها التى لاتخمد ، سواء كان ذلك فى الصحف والمجلات أو فى الإذاعة وأجهزة التليفزيون . إنْ هناك مئات من ساعات الإرسال التليفزيوني فى أوطاننا ، والتى تتكلف ملايين الدولارات ، تخصص للتمثيليات والأفلام التى يحسن عدم وصفها هنا ، بينما غابت القضية الأفغانية عن شاشة التليفزيون ، فى معظم بلادنا ، اللهم إلا من نتف من الأخبار البسيطة ، وحتى تلك . . جاءتنا من وكالات الأنباء العالمية ، ولم نتدخل نحن فى صياغتها ، أوفى جلبها من ميادينها الحقيقية . . !!

ثانيا : حتمية توحيد كلمة المسلمين تجاه القضية :

لسنا فى حاجة لأن نقول بأن دولنا الإسلامية عليها أن توحد مواقفها ، فيما يختص بقضية الجهاد الأفغانى ، فهى لاتحتمل الخلاف ، خاصة ودماء المسلمين فى أفغانستان تجرى أنهاراً . . كل يوم ، وربما يستفيد أعداء الأمة الإسلامية ، بل هم يستفيدون على وجه اليقين من اختلافات المسلمين فيما بينهم فى كثير من القضايا ، ومن عدم توحيد كلمتهم بخصوصها .

إن بعض بلادنا قد تنخدع فيما يختص بنوايا السوفييت ، وذلك بناء على نظرة قصيرة ، مؤداها أن (الرفاق) السوفييت يمدوننا بالسلاح ، كى ندافع عن أنفسنا ضد الصهاينة وعن فلسطين ، ولقد كان ينبغى أن نكون واعين لأهداف السوفييت في الشرق الأوسط ، كما أنه كان ينبغى علينا أن نتعظ من تجارب دولنا التى كادت أن

تنجذب ناحية القطب السوفييتى الجاذب الذى أوهمها بصفقات للسلاح ، علمنا مؤخرا ـ من أعلى قياداتنا الوطنية ـ أنها كان ينقصها الكثير جدا من وسائل الهجوم . . بل إنهم قالوا صراحة ـ أقصد السوفييت ـ لماذا لاتدعون إسرائيل تعيش معكم في سلام . . ؟؟ لماذا تريدون تدميرها . . ؟؟ هكذا جاء في مذكرات «الفريق مدكور أبو العز» ، قائد سلاح الطيران المصرى ، والذى أكد على عدم جدية الروس في تدريب الطيارين المصريين ، وعلى عدم وفائهم بتعهداتهم فى توريد الأسلحة الحساسة لمصر ، وكيف أنهم اتخذوا من المأزق الذى وجدت فيه مصر ، في أعقاب كارثة يونيو ١٩٦٧م ، فرضوا شروطهم . . بل وتدخلاتهم فى شئون مصر بصفة عامة ، والعسكرية بصفة خاصة .

كذلك ثبت ، بما لايدع مجالا للشك ، أنه على الرغم من كثرة أحاديث السوفييت عن مساعداتهم للعرب . . ضد إسرائيل ، إلا أنه قد ثبت أنها في مقابل مدنا ببعض قطع السلاح ، إلا أنهم كانوا ـ ولازالوا ـ يمدون إسرائيل بالعنصر البشرى المدرب ، وهو أخطر مرات ومرات من السلاح . ولقد كتب فى صحافتنا العربية ، أيام حرب الاستنزاف بيننا وبين اسرائيل أنه قد التقطت إشارات لاسلكية لمحادثات ـ باللغة الروسية ـ وأحيانا بالعبرية ، بين الخبراء الروس الذين كان يعملون فى الضفة الغربية لقناة السويس . . أى فى مصر ، وبين زملائهم من اليهود الروس ، الذين جاءوا إلى إسرائيل للعمل فى صفوف قواتها المسلحة ، على الضفة الشرقية للقناة . . ! !

لكل هذا ينبغى ألا يغيب عن أذهان دولنا الهدف الاستراتيجى الكبير للاتحاد السوفييتى ، وهو هدف التوسع فى الاقليم ، ومحاولة السيطرة على حكوماته ، ومن ثم على مقدراته وكل اقتصادياته فيما لو استطاع ، وذلك على الرغم من الشعارات الكثيرة التى يرددها قادته وأجهزة إعلامه ، والمخدوعون ـ في بلادنا ـ بهذه الشعارات .

إن دولنا الإسلامية مطالبة اليوم ، أكثر من أى يوم مضى ، بأن تفهم وتعى تماما هذا الدور الخطير لهذه القوة الأجنبية التى تحاول فرض سيطرتها وهيمنتها الملحدة على بعض بلادنا ، إن هذا الفهم والوعى بخطورة الأهداف السياسية الاستراتيجية ، بعيدة المدى ، للاتحاد السوفييتى ، سوف يؤدى بدولنا إلى توحيد كلمتها إزاء وضع

السوفييت فى أفغانستان . . ولاينبغى أن تقلل من قيمة وأهمية هذا التوحيد ، لأنه سوف يبين لدول العالم أجمع أن الدول الإسلامية لها موقف موحد من القضية . . لاتختلف عليه ، وإذا ما تحققت الدول الأجنبية من موقف دولنا هذا فإن ذلك سوف يكون حافزاً لها ودافعا لاحترام وحدة المسلمين ، أو وحدة موقفهم وللتعامل معهم على هذا الأساس ، بل وسوف تضغط هذه الدول على الاتحاد السوفييتى كى ينسحب من أفغانستان حتى لا يثير حكومات نحو ألف مليون مسلم باتساع العالم .

ثالثاً : وجوب التخطيط والتنسيق بين العاملين هناك :

نتيجة للهجمة الاستعمارية الخطيرة على أفغانستان المسلمة ، ونتيجة لنزوح ملايين من أبناء الشعب الأفغانى الباسل المجاهد عبر الحدود الأفغانية ، واستقرار معظم هؤلاء المهجَّرين حول الشريط الحدودى فى الباكستان ، ظهرت مشكلات لاحصر لها فى المخيمات التى يعيشون فيها وحولها . مشكلات فى الغذاء والكساء ، ومشكلات فى الصحة وحتى فى الحصول على الماء ، ومشكلات فى إيواء وتسكين النازحين الذين يتزايدون كل يوم ، وكذا مشكلات فى تعليم الأبناء والبنات الذين تركوا مدارسهم من خلفهم ، ولاننسى مشكــلات تشغيل الأرامــل الــذين أصبحـوا بلا عائـل ولانصير . . . الخ .

وعلى الرغم من جهود الأمم المتحدة ـ لجنة الإغاثة الدولية ـ بالتعاون مع حكومة الباكستان ، إلا أن هذه الجهود ظلت قاصرة عن ملاحقة الأفواج المهاجرة بين يوم وآخر ، ويكفى أن يذكر فى هذا المجال ما صرح به رئيس لجنة الإغاثة الإسلامية ، من أنه خلال الصيف القائظ بأيامه الطويلة هناك يموت يوميا بمعدل عشرة أطفال فى كل معسكر ، من ضربات الشمس الرهيبة ، كما أن الشتاء القارس البرد قرب الجبال يتسبب فى قتل أعداد أخرى من هؤلاء المساكين ، وذلك بطبيعة الحال بسبب انعدام وسائل التدفئة نهائيا ، وبسبب عدم كفاية الأغطية التى تصرف لهم من هيئات الإغاثة .

هذا ولقد اندفعت أعداد من أبناء المسلمين ، بجهود ذاتية . . وبعاطفة نبيلة ، لمساعدة إخوانهم الأفغان فى مأساتهم الفظيعة ، وبدأوا يكوِّنون جمعيات للإغاثة وصلت إلى خمس فى الوقت الحاضر ، وأخذت كل واحدة من هذه الجمعيات أو الوكالات تعمل جاهدة فى أكثر من مجال ، سواء كان هذا المجال العناية الطبية بالجرحى والمصابين والمرضى ، أو كان رعاية أبناء الشهداء ، أى الأيتام الذين لاحصر لهم ، أو كان هذا المجال هو محاولة تعليم أبناء الأفغان لتعويضهم عن مدارسهم التى فقدوها ، أو كان مساعدة المجاهدين بالمال والسلاح والمؤن والعتاد .

ومما لاشك فيه أن هذه جهود خيِّرة ، وسوف يؤجرون عليها إن شاء الله ، ولكن الملحوظ هو عدم التنسيق فيما بين هذه الجماعات الطيبة والخيرة ، مما يضعف من عملهم ، وذلك على الرغم من قلة هذه الجمعيات والوكالات ، ولعلنا نشير هنا ـ فى هذا المجال ـ إلى الجمعيات والوكالات الغربية التى اندفعت من العالم المسيحى للعمل فى صفوف المهاجرين وأطفالهم ، فى كل مجال . . . ابتداءً من التمريض والتطبيب إلى تشغيل النساء . . إلى تعليم الأبناء . . الخ .

والذى يزور مخيمات اللاجئين وتجمعاتهم يشعر على الفور بالتعاون بين هذه الأجهزة الغربية ، فاللجنة السويدية ترك لها مجال تعليم أبناء الأفغان . . فى الداخل ، فى المرحلة الابتدائية ، بينما تنفرد الجمعيات التابعة للولايات المتحدة بالتعليم فى مرحلته الثانوية ، فى الوقت الذى تركز في جمعيات ألمانيا الغربية على التعليم الفنى . . . وهكذا .

ورغم هذا النموذج الغربى الفعَّال ، والذى ستكون له آثار سالبة خطيرة على أجيال أبناء الأفغان فى المستقبل ، إلا أننا نحن المسلمين لم نستفد كثيرا من رؤيته أمام أعيننا ، ومازال بعض الأفراد الأثرياء من المسلمين يندفعون بعاطفتهم ليوزعوا الأموال على الأيتام المساكين . . هكذا وبصورة فردية .

إن هذا الوضع ينبغى أن يعاد النظر فيه ، من الأساس ، بحيث يجلس المسئولون عن هذه الجمعيات الإسلامية . . سويا ، كى يرسموا سياسة موحدة . . واضحة ،

بحيث تؤتى أعمالهم ثمارها ، وحتى لاتسبقهم جهود المبشرين (المنصرين) الذين بدأوا بالفعل يظهرون في الميدان ، وبدأوا يقدمون السم فى العسل .

رابعا : فضح المخططات الشيوعية :

من أخطر الأمور التى تجرى فى أفغانستان ـ حاليا ـ والتى لم يتنبه لها بالشكل المطلوب ، ولم يجر التصدى لها على الإطلاق ، هو ما يقوم به الاتحاد السوفييتى من ترحيل آلاف من أبناء الأفغان سنويا ـ رغما عنهم وعن ذويهم ، بحيث يرسلونهم داخل الاتحاد السوفييتى ، بل وداخل عدد كبير من دول المعسكر الشرقى ، مثل ألمانيا الشرقية وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر . . بل وكوبا ، وذلك لفترات يخطط لها أن تكون عشر سنوات ، بحيث ينشأ هؤلاء الأبناء على النظم الشيوعية والتعليم الشيوعى ، وبحيث يمحى الإسلام من حياتهم تماما .

إن هذا المخطط الرهيب قد يكون فى المدى الطويل أخطر من الاحتلال العسكرى ، بل إن الروس قد يسحبون قواتهم العسكرية ، حين تبدأ أفواج من هؤلاء الأبناء الذين يغسلون مخهم ويغيرون شخصيتهم ويسحقون هوياتهم لأنهم سوف يقومون بمهمة المستعمر الشيوعى ، على الرغم من أنهم يحملون أسماء إسلامية . . ! !

لقد سبق أن جرَّبت روسيا هذا الأسلوب مع بعض المجاهدين المسلمين فى أواسط آسيا ، خاصة حينما اشتدت مقاومتهم ، حيث طالبوا بهدنة بينهم وبين المسلمين ، ثم أخذوا بعض أبناء المسلمين لديهم نظير إرسال عدد من ضباطهم مقابل هؤلاء الأبناء ، وخُدع المسلمون بالفكرة وظنوا أنهم آمنون طالما أن هؤلاء الضباط الروس تحت أيديهم ، لكن حينما عاد الأبناء من روسيا كانوا هم الذين خدعوا ذويهم . . بل وخانوهم وسلموا أوطانهم للروس . . دون قتال . . ! !

إن هذا المخطط الإجرامى الرهيب ينبغى على الدول الإسلامية أن تكشفه وأن تفضحه ، وألا تمل من إثارته وذكره فى المحافل الدولية ، فى الأمم المتحدة وغيرها ، وفى كل لقاء يتم بينهم هم ، وبينهم وبين غيرهم من ممثلى الدول المختلفة حتى تكف

روسيا الشيوعية عن فرض عقيدتها الفاسدة على أبناء المسلمين الأفغان ، وحتى - أيضا - يتنبه المسلمون جميعا ، باتساع الأرض ، لخطورة ما تفعل ، وحتى لا تتكرر مأساة «الشيخ شامل» المجاهد الذى حارب الروس طويلا ودوخهم ، ولكنهم استطاعوا أن يهزموه من خلال ابنه «جمال» الذى نفذوا معه هذا الأسلوب اللعين .

خامسا : حماية ظهر المجاهدين . . فى أوطاننا :

إن البطولة الرائعة التى يبديها المجاهدون الأفغان ، فى أرض المعركة المقدسة ، بدأت تشد إليها أنظار الناس جميعا ، فى العالم الإسلامى ، وخارج العالم الإسلامى ، كما أنها - من ناحية أخرى - بدأت تقلق الشيوعيين المعتدين ، وأعوانهم المنقادين لهم ، ولما كانت القوات المسلحة الروسية ، ومعها القوات الأفغانية العميلة قد ووجهت بهذا القتال الضارى والمقاومة العنيفة ، من أحفاد حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن الوليد وأسامة بن زيد ، وسعد بن أبى وقاص . . وغيرهم ، فإنها لم تستطع أن تكسر شوكتهم أوتفت فى عضدهم فى أرض المعركة ، ولذلك لجأ الروس وأعوانهم الخبثاء إلى أسلوب آخر عله ينفعهم .

لقد لجأوا إلى أسلوب الحرب النفسية يثيرونها حول الأفغان المجاهدين ، فى بلاد المسلمين ، وخاصة فى البلاد ذات الثقل الاقتصادى ، والتى تسهم بقسط وافر فى مدهم بالأموال التى يشترون بها السلاح ، ويدفعون ثمن نقله عبر الحدود ، كما يدفعون منه ثمن غذائهم وملابسهم وكذا ما يحتاجونه من أدوات ومعدات طبيه . . . الخ .

ولقد بدأوا هذه الحملات المسعورة ضدهم بإخراج عدد من الشائعات التى تشكك والعياذ بالله . فى عقيدة المجاهدين ، وكيف أنها عقيدة منحرفة ، وأنهم يضمون بين صفوفهم عددا من الذين يؤمنون بالشعوذة والخرافات ، ولقد بدأوا بهذا الجانب لعلمهم بمدى تأثر شعوبنا الإسلامية بالجانب الدينى ، فنحن لانطيق الانحراف ولا الخروج على الدين ، ومن هنا كان تركيزهم على هذا الجانب الخطير ، وحرصهم على إشاعته بيننا ، ولقد سقط عدد منا - للأسف الشديد - فى الهاوية التى

حفرها هؤلاء الأوغاد ، فتأثرت نفوس البعض بالفعل . . وبدأوا يكفون لأيديهم عن معون الأفغان المجاهدين . . . ! !

كذلك أشاع الخبثاء من الشيوعيين وأتباعهم ، فى عالمنا العربى الإسلامى ، أنباء كاذبة عن تبعية المجاهدين للولايات المتحدة الأمريكية ، وأنها تستخدمهم لتحقيق أغراضها الاستراتيجية فى العالم ، بحيث يخدمونها فى لعبة التوازن الدولى . . . بينها بين روسيا . ومن جهة ثالثة أطلقت بعض الشائعات التى تقول بأن حرب المجاهدين هى فى مجلمها حرب يؤيدها تجار المخدرات الذين يربحون من ورائها الملايين . . هكذا قالها «جورباتشوف» نفسه ، ورددها من ورائه واحد من أكبر وأشهر الكتاب فى العالم العربى ، وسقط فيها على الرغم من حنكته السياسية واطلاعاته الموسوعية بأحوال السياسات العالمية . . . ! !

إن العالم الإسلامى مطالب . . بينه وبين ربه . . أولا ، ثم بينه وبين نفسه . . ثانيا ، بأن يراجع هذه الشائعات بشيء من الحس السليم ، والفهم الواعى ، وبعد النظر ، أما عن الحس السليم فى فهم الأمور ، فيكفى أن نسأل أنفسنا : هل الملايين التى استشهدت وجرحت وعُوقت وهجِّرت فى سبيل الله يمكن أن تفعل ذلك فى غير سبيل الله . . ؟؟

وأما عن الفهم الواعى وبعد النظر فيكفى أن نتفكر فى الأساليب المختلفة التى يلجأ إليها أعداؤنا فى القتال ، خاصة وأن هؤلاء الأعداء ليس لديهم وازع من دين أو من ضمير يردعهم عن إتيان أى شيء ، وطالما أن شائعات كهذه ستكسبهم خطوة واحدة فى حربهم مع المجاهدين ، فهم على استعداد لها . . ولأكثر منها . ثم هل يضحى الإنسـان بحياتـه فى سبيل توزيع المخدرات أو فى سبيل ما يعود عليه من ربح ؟؟ وماذا ينفع هذا الربح إذا كان الإنسان يضحى بنفسه ذاتها . . وكذا بأهله وعشيرته . . ؟؟ إن الروس قد أفسدوا بعقيدتهم الخربة ملايين الأنفس ، فلماذا فى حالة الأفغان نجدهم حريصين على تحذيرنا من «تجار المخدرات» . . ؟؟ أهم فضلاء وشرفاء إلى هذا الحد . . ؟؟

ثم يبقى سؤال محورى أساسى وهام ، وحتى لو فرض ووجد داخل أى مجتمع بعض الأفـراد المنحـرفين أو السيئـين ، أهـذا دليل على انحـراف المجتمـع كله وفسـاده . . ؟؟ إنـه فى أنقى المجتمعات التى عرفتها البشرية ، وأعنى به المجتمع المسلم الأول الذى رباه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ورعاه فى المدينة ، وجد حوله عدد من المنافقين الخطرين الذين كانوا يبغون الفساد فى الأرض ويسعون إليه ، ويعلم الله أنى زرت الكثير من أماكن تجمع الأفغان المهاجرين والجرحى ، وما كان من نلتقى به منهم يعلم أننا عرب حتى ترتفع أيديهم بالدعاء إلى الله . . وبالصياح الفرح . . ودموعهم تجرى على وجوهم . . فرحاً أن رأوا أحدا من العرب المسلمين الذين بعث الرسول ، صلى الله عليه وسلم . . فيهم ، وما كانـوا يعرفون من العربية إلا كلمات قلائـل ، يرددونها بفرحة باكية . . عرب يارسول الله . . عرب يارسول الله ، وأيديهم ترتفع للسماء . . بالابتهال والدعاء .

ولازلت فى هذا المجال أتذكر أن واحدا من مرافقى ، وكان شابا طيبا كريما ممن نذروا أنفسهم للعمـل ، فى سبيل الله هنـاك ، وكـان من أبنـاء المملكـة العـربية السعودية ، قد رأى شيخا أفغانيا طاعناً فى السن ،وقد تدلى على صدره حجاب من الجلد ، بدأ عليه القدم الشديد ، فجلس بجانبه بلطف وسأله . . وكان يعرف شيئا من لغة البشتو فتفاهم معه بها ، وكان السؤال لماذا هذا الشيء وقال الرجل ما معناه أنها آيات من القـرآن أعـطاه أياها بعضهم كى تشفيه من الأمراض ، وتدفع عنه آلامها ، فأفهمه الشاب بأن الله هو الشافى وهو القادر على كل شيء ، والرجل فى كل عبارة يرفع يديه إلى السماء مؤمنا . ولما أفهمه صاحبنا بأن ذلك الحجاب لاينبغى أن يحمله المسلمون خلعه بعد تردد ، ولما فتحاه وجدنا به الآية القرآنية «وإذا مرضت فهو يشفين» . . !! فهل يمكن أن نتهم شيخا كهذا بأنه منحرف فى عقيدته . . أو بأنه مشرك بالله . . ؟؟!!

سادسا : لزوم تجرد العاملين فى ميدان خدمة المجاهدين :

من نافلة القول أن نتحدث عن أمانة وإخلاص وتجرد كل من يعمل فى ميدان خدمـة المجاهدين . إن ميدان الجهاد ذاته من أشرف ميادين العمل الإسلامى ،

وأكثرها تقربا إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن هنا وجب على العاملين فيه أن يكونوا من أكثر الناس بعدا عن الشبهات ، ومن أخلصهم فى نياتهم فى هذا العمل ، وأن يكون احتسابهم لجهودهم ووقتهم وخدماتهم واردا حتى يضاعف الله أجرهم .

إن الذين يعملون من خلف المجاهدين ، فى جميع المجالات التى تخدم الجهاد ، سواء كان ذلك فى رعاية أسرهم ، أو فى العناية بأبناء وبنات وزوجات الشهداء ، أو فى مجال شراء الأسلحة لهم ، ونقلها إليهم ، وفى تأمين احتياجاتهم التموينية أو الطبية . . . أو أى شيء يمت لخدمتهم بصلة ، كل هؤلاء فى يقينى ، لايقلون عند الله سبحانه وتعالى عن المجاهدين فى الأجر والمثوبة . وإذا كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد قال «من جهز غازيا فقد غزا» ، فإن أولئك الذين ييسرون عمل المجاهدين ، ويحملون أعباء مسئولياتهم من بعدهم ، فيرعون من تركوهم من خلفهم ، يطعمونهم أو يعلمونهم أو يلتمسون لهم العلاج والمأوى سوف يؤجرون بعون الله أجرا عظيما .

لكل ذلك . . لشرف هذه الأمانة ، ولخطورتها وأهميتها ، ينبغى أن يكون هؤلاء الأفراد عن حسن الظن بهم ، وعند مستوى المسئولية . إن شخصا واحدا أو آحاداً ، من الناس يظن الناس بهم السوء ، من حيث سلوكياتهم وأخلاقهم ، فى عملهم هذا ، قد يكون سببا من أسباب توقف المحسنين عن دعم الجهاد .

إن كل قرش أوسنت أو هللة ، ينفقها محسن كريم فى سبيل الله ، ينبغى أن تذهب فى مظانها التى أنفقت فيها أو دفعت من أجلها ، ومن يستحل منها شيئا لنفسه دون وجه حق فهو بلاشك يأكل من نار جهنم ، وسوف يصلى سعيرا . إنه بذلك يتسبب فى إحجام بعض المؤمنين المحسنين عن أن يمدوا أيديهم بالمال دعماً لإخوانهم المجاهدين . . مما قد يتسبب فى إضعاف الجهاد . . فى ساحات المعارك ذاتها ، أو فى المجالات الأخرى التى تخدم الجهاد . ولازالت أذكر أنى حينما كنت أزور بعض المواقع الحدودية ، بين باكستان وأفغانستان ، سمعت بعض الإخوان هناك وهم يحاولون تجميع شىء عاجل من الأموال ، لدفعها لبعض القبائل التى تيسر انتقال السلاح والمؤن عبر الجبال ، وتصورت خطورة أن تظل قافلة كاملة محملة بالأسلحة

والذخائر محبوسة فى أماكنها ، لانستطيع الانتقال إلى المجاهدين . . بسبب العجز فى بعض الأموال .

إن هذه القافلة . . وغيرها ، يمكن أن تكون عرضة لأن تضرب أو تنسف ، وهى محبوسة فى أماكنها لا تستطيع التحرك ، خاصة ونحن نعلم أن الروس الأوغاد والأفغان العملاء لهم عيون تتجسس فى كل مكان ، كذلك فإن هذه القوافل قد تكون فى طريقها لنجدة بعض المجاهدين ، فى معارك دائرة بالفعل ، أو تكون فى طريقها لفك حصار من حولهم ، وتأخيرها قد يعيق كل ذلك ، وقد يتسبب فى إسالة مزيد من الدم الأفغانى ، وذلك بسبب عدم وجود الدعم الكافى من الأموال ، وهذه نتيجة واحدة من نتائج انحراف آحاد من الناس ، والذين يتسببون ـ بتصرفاتهم الجشعة ـ فى إحجام البعض من ذوى العواطف الإسلامية النبيلة ، عن مد يد المساعدة للمجاهدين ولقضيتهم .

سابعا : مقاومة الضعف . . والاستكانة . . والانهزامية :

ونقصد مقاومة كل أولئك . . فى صفوفنا نحن ، فالمجاهدون الأفغان ـ باركهم الله ـ عرفوا طريقهم بوضوح لايحتاج لبرهان ، وبيقين لايعرف التردد ، أما المشكلة التى نعانى منها ، والتى تؤثر بلاشك على المجاهدين ، فهى أن بعضنا لازالوا يتحدثون عن جدوى الجهاد ضد دولة كبرى مثل الاتحاد السوفييتى ، وهل يجدى ذلك أو ينفع . . !!

لقد ذل المسلمون منذ أن تركوا الجهاد فعلا ، تصديقا لحديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومنذ دخل المستعمرون بلادنا ، وفعل التغريب فعله . . فى عقولنا ونفوسنا وأرواحنا ، واستكان نفر منا للأوضاع الجديدة وقد خارت منهم العزائم ووهنت القوى . وليست المشكلة فى هؤلاء الأفراد بذواتهم ، إنما المشكلة الخطيرة هى فى إشاعتهم لهذه الروح الانهزامية بين أفراد الأمة .

إن هؤلاء الذين يحسبون القتال ضد الروس أو غيرهم ، على أساس القوة المادية التى يمتلكها المجاهدون وتلك التى يمتلكها الكفار يخطئون فى الحساب ، إذ ينسون

أن «الجهاد» له قانون خاص به . . قانون لايخضع لهذه الحسابات المادية ، وليس هذا حماسا دينيا ، بقدر ماهو قراءة لتاريخنا الإسلامى ومعطياته فمنذ الأيام الأولى للدعوة الإسلامية التى بدأها رسولنا ، صلى الله عليه وسلم ، فى مكة ، والمعركة بين الإيمان والكفر معركة ذات حسابات خاصة ، تعمل وفق قانون يختلف عن كل القوانين التى تواضع الناس عليها .

إنها معركة دائمة . . ومستمرة بين قلة مؤمنة ، وكثرة باغية كافرة ، قلة مسلحة بالإيمان واليقين ، وكثرة مسلحة بالعتاد والأسلحة ، قلة باعت نفسها لله فهى أحرص على الموت منها على الحياة ، وكثرة باعت نفسها للشيطان وهى أحرص ما تكون على حياة . . أية حياة ، كما وصفهم القرآن الكريم ، قلة اعتز أفرادها بالله ، فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا ، بل كانوا دوما أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى الله حق جهاده ، ولايخشون فيه لومة لائم ، بينما الكثرة الكافرة اغتر أفرادها بالجاه والملك والصولجان ، تحسبهم جميعا . . وقلوبهم شتى .

وأمر الجهاد العجيب . . وقانونه الأعجب هو أن القلة المؤمنة المجاهدة الصابرة المحتسبة . . دائما تنتصر على الكثرة القوية المسلحة المتفاخرة ، واليوم الوحيد الذى اختبر فيه المسلمون ضد هذا القانون هو يوم أعجبتهم كثرتهم . . فانقلبت الآية ، لقد ركنوا إلى أنفسهم ، وإلى عَددهم وعُددهم ، فانهزموا شر هزيمة ، ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ . . وكان درسا سريعا قاسيا تعلمه أجدادنا المسلمون الأوائل ، وعادوا مرة ثانية إلى جوار الله ، لايركنون لأحد إلا إليه . . سبحانه .

هكذا كان حال الدعوة الإسلامية فى أيامها الأولى . . فى مكة المكرمة قلة مؤمنة . . صابرة . . محتسبة . . متحملة ، وكثرة باغية . . ثرية ظالمة ، وحسمت القضية ـ حسب القانون ـ لصالح الإيمان وهاجر الضعفاء المستضعفون إلى المدينة المنورة ليقيموا دولة الإسلام ، وليعودوا إلى الكثرة الباغية . . فاتحين ، وليعفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكثرة . . . المنهزمة «اذهبوا فأنتم الطلقاء» . . .

وطبق القانون . . قانون الجهاد ، على مدار التاريخ الإسلامى العظيم كله ، فجيوش المسلمين أمام الفرس . كانت قلة ، وأمام الروم كانت كذلك قلة . وكانت روح المجاهد المسلم التى تقمصت «ربعى بن عامر» هى التى تقمصت المسلمين المجاهدين جميعا ، فهزموا مئات الألوف من الجنود ، وفتحوا مئات البلدان ، وأزالوا من الوجود امبراطوريات عزت على مر الزمان .

وحتى فى تاريخنا الوسيط ، عمل قانون الجهاد عمله ، وآتى أكله «وصلاح الدين» القائد المسلم المجاهد ، وشيخ المسلمين «العز بن عبد السلام» «وقطز» . . وغيرهم كانوا على رأس أعداد من المجاهدين أقل بكثير من أعداد أعدائهم من التتار والمغول والصليبيين ، ولأن المسلمين فى ذلك الوقت تجمعوا حول راية الجهاد الإسلامى فإن النصر كان حليفهم ، لأن الرحمن كان من خلفهم يدعمهم ويقويهم ويعطيهم من أسباب النصر ما ينتصرون به على أعدائهم . . مهما تكاثرت أعدادهم ، ومهما تنوعت أسلحتهم وعددهم .

إن هذه الدعوات الانهزامية التى يعيش بها بيننا بعض الناس ، ويحاولون أن يبثوها بين صفوفنا قد تكون خطرا ماحقا ، على الجهاد الأفغانى . . وعلى كل جهاد ، لأنها تفت فى عضد المسلمين ، وتقعدهم عن مواجهة أعدائهم ، بل وتقيم العراقيل فى أوجههم بحيث يفقدون الثقة فى النصر حتى قبل أن يخوضوا الحرب ، وهذا أخطر شيء . . أى أن ندخل معارك الجهاد ونحن منهزمون من الداخل ، ولايمكن أن ينتصر أناس هذا حالهم . . والعياذ بالله ، ولذلك وجب مقاومة هؤلاء الذين يشيعون روح الهزيمة فينا بكل السبل . . وبلا هوادة أو توقف أو مهادنة .

ثامنا : ضرورة التأكيد على وحدة الجهاد الإسلامى :

يخطىء من يتصور أن المعركة الدائرة بين الشيوعيين الكفرة ، وبين المجاهدين الأفغان معركة تخص الأفغان وحدهم ، أى باعتبارهم شعبا يحاول الدفاع عن أرضه أو وطنه ، حرصا على استقلاله أن يمس أو يداس من أعداء خارجيين . . فحسب . إن هذا ـ حقا ـ وجه من وجهى العملة ، فالدفاع عن الأوطان أمر يحتمه الدين

الإسـلامى ويحث عليه ، ولكن الأمـر الآخـر أووجه العملة الثانى **هو أن المعركة الدائرة هى معركة بين الإسلام وبين الشيوعية . . بمنتهى الوضوح والصراحة .**

ويكفى أن ندلل على هذا من سلوك أعدائنا أنفسهم ، إن هناك قوات من جميع دول المعسكر الشرقي الشيوعي ، أى من جميع بلاد أوروبا الشرقية مثل المجر وبولندا وتشيكـوسلوفـاكيا وألمـانيا الشرقية . . بل وكـوبـا ،وأدهى من ذلك وأمر أن يذكر المجاهدون أنهم قبضوا على بعض العرب . . الشيوعيين ، وهم يقاتلون فى صفوف الروس . . ضد المسلمين . . . !!

وعـلى ذلك فالكفار يعتبرون معركتهم مع الأفغان معركة عقائدية استحقت أن يجمعوا صفوفهم لها من جميع دولهم ، فكيف لايعى بعضنا هذا البعد الخطير . . ؟؟ إن الروس . . والشيوعيين عامة يحقدون على الإسلام حقدا لا مزيد عليه ، والتاريخ يقول هذا . . فى الماضى والحاضر ، ومن هنا فإن واجبنا أن نعمق هذا الفهم بين شعوبنا ، وخاصة أجيال المستقبل ، حتى نحذرهم من الخطر الأحمر الذى ينتظرهم ويتربص بهم . . . رغم كثرة الدعاوى عن الحرية والمساواة . . وكفاح الشعوب . . ونضال الرفاق . .

وفى حقيقة الأمر فإن أفغانستان بموقفها الرائع هذا قد كشفت النوايا السوفيتية على حقيقتهـا ، كما أنها تمنع ـ حتى الآن ـ هذا السيل الحاقد من الشيوعيين ، من أن ينسـاحـوا فى بلاد المسلمـين جنـوب أفغانستان ، ولنقرأ ما يقوله الشيخ «عبد رب الرسول سياف» فى هذا المعنى «إن أفغانستان بنت سدا عظيما لإيقاف السيل الأحمر الـذى يأبى إلا أن يجتاح الأمة الإسلامية ـ لو وجد إليها طريقا ـ فلا تسكتوا على تدمير هذا السـد لأن إعادة بنائه مكلفة . . . إنه استعمل فيه أشلاء وجماجم أكثر من مليون شهيد ، فلو دمِّر هذا السد ـ بانتهاء المقاومة الجهادية لاسمح الله ـ يكون الشعب الأفغانى قد أعذر إلى الله ، لأنه لم يدخر شيئا فى سبيل الدفاع عن دين هذه الأمة وعقيدتها واستعادة مجدها وكيانها ، لكن كيف يكون الوضع وراء أفغانستان ؟؟ وأين يتجه السيل؟؟ وهل يستعد الآخرون لتقديم هذه الكمية من الضحايا . . ؟؟ وهل تسمح لهم ظروفهم وأوضاعهم الطبيعية والجغرافية والاجتماعية والسياسية أن يقوموا

بمثل ما قام به هذا الشعب . . ؟؟ وأستسمحكم ـ فى مقامى هذا ـ (والحديث كان للشيخ سياف مخاطبا الملوك والرؤساء المسلمين فى مؤتمر القمة الإسلامى الخامس الذى عقد أخيرا بالكويت) أن أقول : **إن المتفرج على كربة أخية يدفع الغرامة ضعفين . . ؟؟**

إن من لايعرفون الشيوعيين قد يتصورون أنهم قد يكونون أصدقاء لبعض الناس ، ولكن الذين يعرفونهم جيدا يعلمون أن من عادتهم أنهم يخوضون فى لحم الصديق . . قبل العدو ، حدث هذا فى كل بلد وضعوا أقدامهم فيه ، فلا بد أن تكون هناك مذابح وتصفيات دموية بلا حدود ـ حدث هذا لأبناء جلدتهم هم أنفسهم ، على يد «ستالين» وحدث فى كابول ، كما حدث فى عدن ، ومن هنا فلا ينبغى أن نتخذ منهم أصدقاء أو حلفاء ، لأنهم لايمكن أن يخلصوا للمسلمين أصحاب العقيدة ، لأنهم يعتبرون الدين عدوهم الأول **﴿كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولاذمة ، يرضونكم بأفواههم ، وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون﴾** . . . صدق الله العظيم .

تاسعا : ضرورة الإحساس بالمجاهدين . فى حياتنا العامة :

إن معظم مجتمعاتنا الإسلامية تعيش حياتها العادية وهى لاتكاد تشعر بجهاد المسلمين فى أفغانستان ، اللهم إلا إذا شد بعض أفرادها خبر على شاشات التليفزيون ، أوفى بعض الصحف أو المجلات أو صورة معبرة ، وهذه فى حقيقة الأمر مشكلة ينبغى إثارتها فى أجهزة الإعلام فى كل بلاد المسلمين ، بل وعلى منابر المساجد دوما فى كل خطبة وموعظة ، وفى مدارسنا مع صباح كل يوم يطلع علينا ، وذلك حتى يتمكن الإحساس بالجهاد وبالمجاهدين من مشاعرنا ، ويصبح جزءا من حياتنا . . . نقوم به . . وننام به ، نتذكره ونحن نأكل . . ونحن نشرب ، فى كل خلجة من خلجات حياتنا .

إن رسولنا الكريم ، محمد بن عبدالله ، صلى الله عليه وسلم ، هو القائل «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له

سائر الأعضاء بالسهر والحمى» . . . وإخواننا المجاهدون فى أفغانستان لايشتكون فقط . . ولكنهم يستشهدون كل يوم . . بل كل ساعة ، والذين لاينالون الشهادة منهم يعيشون فى رعب قاتل كل يوم ، بسبب الغارات الوحشية الإجرامية من جانب قوات الكفر والإلحاد .

لقد صرخت أخت مسلمة ، ذات يوم ، مستنجدة بالخليفة المعتصم «وا معتصماه» . . !! أخت مسلمة واحدة فقط ، فحركت جيوش الدولة الإسلامية كلها كى تقضى على جنود الكفر والإلحاد ، وكى تحمى عرض المسلمين . . فالمساس . . بشخص مسلم واحد . . مساس بالأمة الإسلامية كلها . كان ذلك وقت أن كان المسلمون ملء السمع والبصر ، ويوم أن كان العالم كله يعمل لهم ألف حساب . أليس هذا هو الذى يحدث اليوم حين يمس شخص أمريكى - مثلا - فى أية بقعة على وجه الأرض ، فتنقض الحكومة الأمريكية بكل جبروتها وسطوتها وتتحرك لتخليصه ، عبر قنوات الاتصال الديبلوماسية ، بل وقد تستنفر بعض قواتها المسلحة للتدخل ، علاوة على ما يصيب الأمة الأمريكية كلها فى الداخل . . ؟؟

واليوم كيف حالنا نحن المسلمين ، وقد صرخت مئات الألوف من سيدات وبنات المسلمين فى أفغانستان ، كم مائة ألف منهن قتلن وأصبن على أيدى الحقراء الشيوعيين ، وكم منهن اعتدى عليهن من جانبهم . . ؟؟ وهل تحركنا نحن المسلمين ، كأمة واحدة ، لرد هذه الإهانات المتلاحقة ؟؟ وحتى فى أبسط الأمور . . فى الغذاء والكساء . . هل نشعر بالفقر والحرمان والبؤس الذى يعيش فيه الأفغان وأبناؤهم . . ؟؟

هل أصاب موائدنا شيء من الاعتدال ، ولا أقول من التقشف ، منذ أن دخل الروس بلاد المسلمين واجتاحوها ، وأخرجوا أهلها منها ، بحيث تشكل منهم أكبر عدد من اللاجئين عرفه العالم فى تاريخه . . ؟؟ إن بعض الإحصائيات تقول بأن أكبر عدد من اللاجئين هم من بين المسلمين . . فى أفغانستان ، وقبل ذلك فى فلسطين ، وأيضا فى إريتريا وجنوب السودان . . ؟؟

إن اليابانيين قبل الحرب العالمية الثانية كانوا يذكِّرون أبناءهم فى المدارس . . حتى الابتدائية منها بأن هناك عدوا خطيرا سيخوضون الحرب معه ، هو أمريكا ، ولذا تحولت أناشيد الصباح فى المدارس إلى ما يخدم هذا المعنى ، وتحولت الموسيقى الصباحية الهادئة إلى مارشات عسكرية صاخبة تستثير حماس الصغار والشباب ، وأكثر من ذلك أن تأثر المنهج المدرسى بحالة الحرب هذه ، فصارت الأمثلة التى يضربها الأساتذة لطلابهم معبرة عن حالة الأمة كلها فبدل أن نقول اشترى رجل عشر تفاحات مثلا ، أصبح المثل من الدبابات والطائرات والغواصات ، وأصبح تدعيم القوة اليابانية الصاعدة هو الأساس فى بناء عقلية الأمة وأحاسيسها .

وحتى لانذهب بعيدا نقول بأن عدو المسلمين الأول ، ونعنى به دولة إسرائيل ، تفعل هذا الآن فهم يربون أبناءهم هذه التربية العدوانية ، ويكفى أنه قد وجد فى تدريسهم للرياضيات فى المرحلة الابتدائية أنهم قد وصفوًا مثلا يقول لدينا مائة عربى قتلنا منهم خمسين أو ستين. مثلا ـ فكم يبقى حتى ننتهى منهم جميعا . . ؟؟ أليس من حقنا أن نعود فنذكر المسئولين عن التعليم فى بلادنا بمراجعة ما بين أيدينا من كتب ومناهج ومقررات ، وليتنا فقط ندرس المعانى العظيمة التى تندرج تحت حديث واحد من أحاديث رسولنا العظيم ، صلى الله عليه وسلم «ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا» . . . ندرسه . . . بمعانيه . . وآثاره . . . وتطبيقاته .

عاشرا : فهم ما يجرى على الساحة الأفغانية الآن . . بعيدا عن ميدان القتال :

نتيجة للهجمة السوفيتية الشرسة ضد أفغانستان المسلمة ، اضطر ملايين من الأفغان إلى ترك وطنهم والنزوح خارجه . بعيدا عن قنابل الطائرات والدبابات والمدفعية الثقيلة ، وبعيدا من الهجمات الإجرامية لبعض وحدات القوات السوفيتية والجيش الأفغانى العميل ، والتى أزالت فى بعض الحالات قرى بأكلمها من الوجود . . حصد أهلها بالرصاص حصدا . هذا وتقول أكثر الأرقام تحفظا بوجود ما بين ٢ـ٤ ملايين لاجىء أفغانى ، وتقول بعض الجهات بأن الرقم يقترب الآن من خمسة ملايين ، خاصة وأن سيل المهاجرين لم ينقطع منذ بدأت تلك الهجمة الكافرة الشرسة .

ويتركز معظم هؤلاء اللاجئين على الحدود الباكستانية الأفغانية ، والباقى يتركزون على الشريط الحدودى بين إيران وأفغانستان . وجميعهم يعيشون عيشة لايمكن وصفها ، وحتى حينما توصف لايمكن لقارىء أن يتخيلها إلا أن يعيشها أو يراها على الطبيعة حقا ، فمئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال يتجمعون فى مخيمات لاتقيهم شيئا من حر الصيف القائظ ولا برد الشتاء القارس ، ومعظم الرجال من كبار السن فعلا ، لأن الذين فى مرحلة الشباب والرجولة إما أنهم قتلوا بأيدى المعتدين ومن عاونهم ، أو أنهم فضلوا البقاء على أرضهم كى يصدوا عنها هذه الهجمة التترية المجرمة .

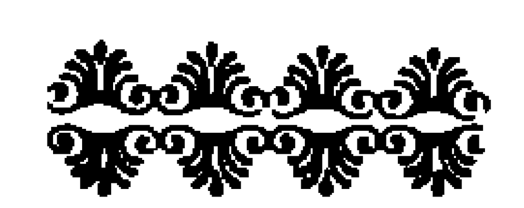
وإذا كان الذين بقوا فى الداخل يعرفون عدوهم ويرونه رأى العين ، ويتقاتلون معه فى وضوح ، فإن الذين فى المخيمات قد سقطوا ضحايا أمور أخرى غير الجوع والعطش والمرض ، لقد سقطوا فى براثن القوى الاستعمارية الجديدة والتى تتخفى وراء أهداف إنسانية معلنة ، ظاهرها الرحمة ، بينما باطنها العذاب الأليم . إن هناك عشرات من المنظمات والجمعيات الكنسية التى أتى أفرادها من أنحاد العالم الغربى ، تركوا بلادهم بكل ما فيها من حياة مترفة ومظاهر للعز بادية ، جاءوا إلى الباكستان يعيشون وسط المهجَّرين المساكين ، بين الأتربة والطين وروائح المخلفات والقاذورات ، وذلك بهدف واحد هو إخراج هؤلاء المساكين الضعاف من دينهم القويم .

وهم أذكى من أن يعلنوا عن هدفهم هذا ، إذ يقولون بأنهم جاءوا للمساعدة الإنسانية ، ولعلاج الجرحى ، ولتعليم الذين فاتهم قطار التعليم . **إن هناك مخططا تبشيريا (تنصيريا) رهيبا يجرى تنفيذه الآن بين أبناء الأفغان ، وهذا المخطط تشرف عليه وتموله الكنيسة ، فى أكثر من بلد غربى ، من الولايات المتحدة إلى انجلترا وفرنسا وألمانيا الغربية ، بل وحتى السويد وكندا . . . واستراليا . . !!!**

والكتب تطبع لأبناء الأفغان فى الهند (!!!) ويؤتى بها لتوزع عليهم ، وبها من الأمور التى ضد الدين الشيء الكثير (وسوف نتناول ذلك بشيء من التفصيل إن شاء الله حينما يحين الحديث عن التعليم) المهم أن هذه الجهات ما جاءت لخدمة الإسلام

والمسلمين ، ولكنها فرصتهم الصليبية ، حيث غاب المسلمون عن ملء الفراغ فى الميدان . . ويكفى أن نذكر أن المنظمات الإسلامية العاملة بين أبناء الأفغان لاتزيد فى عددها عن أصابع اليد الواحدة ، بينما المنظمات النصرانية تعد بالعشرات . . دون أية مبالغة .

إن فهم أدوار هذه المنظمات ، ومعرفة الأعمال التى تقوم بها هناك . . وحجمها . . وتأثيرها . . خاصة فى المستقبل ، لمن أوجب واجبات المسلمين المخلصين ، لأن هذه الأعمال تتعلق بتشكيل عقليات الكثيرين جداً من ناشئة الأفغان ، خاصة وأنه يغيب عنهم تأثير وطنهم المسلم . . **فلا إذاعة ولا صحافة ولا راديو ولا تليفزيون يجمع** بينهم . **ومن هنا فإن هذا الفراغ ينبغى أن يملأ . . . إسلاميا ، وإلا فالبديل خطير . . والعياذ بالله** ، وفى ذلك يقول الشيخ «سياف» إن الأيدى الأخطبوطية الكافرة قد امتدت إلى أبناء الأفغان لتهويدهم أوتنصيرهم أوتضليلهم ، بطريقة أوبأخرى ، وذلك لما وجدوا غياب المسلمين عن ساحات البر والخير الواجب ، إن الحكمة القائلة بأنه «حيث لا أوأجد أنا يوجد عدوى» مطبقة بوضوح شديد فى معركة الأفغان .



الفصـــل الثانـــى :

التعريـــف بأفغـانستـــان

أفغانستان دولة داخلية ، ليست لها منافذ بحرية تطل منها على بحر أو محيط ، وموقعها يكاد يكون فى جنوب غربى القارة الآسيوية ، ويقع الاتحاد السوفيتى فى شمالها ، وإيران فى غربها ، وجمهورية الصين فى شمالها الشرقى ، بينما تقع دولة الباكستان منها فى الشرق والجنوب .

أما بالنسبة لمناخ أفغانستان فإننا نجده يتفاوت بشدة بين الجبال المرتفعة والأراضى أو السهول المنخفضة حيث تصل درجات الحرارة ، فى الجنوب الغربى خلال شهور الصيف إلى قرب الخمسين درجة مئوية (أكثر من ١٢٠ درجة فهرنهيت) ، بيمنا نجد أن درجة الحرارة ، فوق جبال هندكوش ، فى الشتاء تنخفض إلى ما دون الصفر المئوى بكثير .

هذا ويتحدث الناس فى أفغانستان لغات عدة ، ولكن اللغتين الأساسيتين هما **البشتو** Pashtu والدارى Dari والغالبية العظمى من سكان أفغانستان من السنَّة ، وتعيش بينهم طوائف تكوِّن أقليات من الهندوس والسيخ واليهود .

التاريخ الحديث لأفغانستان :

لقد حكم آخر ملوك أفغانستان . وهو الملك «ظاهر شاه» من عام **١٩٣٣**م وحتى عام **١٩٧٣**م . ولقد استطاع أن يجعل دولته على الحياد ، خلال الحربين العالميتين - كما أنه كان من بين الزعماء الذين تبنوا سياسة الحياد الإيجابى بعد ذلك . وفى عام **١٩٥٣**م أصبح أبن أخيه سردار «محمد داوود خان» رئيسا للوزراء ، ولقد تبنى عددا من الخطط الاقتصادية بقصد تطوير وتحديث أفغانستان ، بعد أن ضمن شيئا من المساعدات من الاتحاد السوفييتى .

وفى عام ١٩٦٣م استقال جنرال «داوود» ، وحل محله د . «محمد يوسف» كأول رئيس للوزراء من خارج الأسرة المالكة ، ومما يذكر له أنه قدم دستورا ديمقراطيا جديدا ، حاول فيه أن يدمج الأفكار الغربية مع الدين الإسلامى والمعتقدات السياسية، ولكن الملك لم يسمح على الإطلاق بوجود أحزاب سياسية .

وفى عام ١٩٧٣م ، وبينما كان الملك «ظاهره شاه» فى إيطاليا ، قضى على الملكية بواسطة انقلاب قاده رئيس الوزراء السابق . . جنرال «داوود» وألغى دستور ١٩٦٤ ، وأعلنت أفغانستان جمهورية ، وأعلن «داوود» نفسه رئيسا للدولة ورئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية والدفاع . . !! ولقد شكلت جمعية وطنية بالتعيين من بين بعض الموثوق بهم وبناء على توصيات من حكام الأقاليم ، وتم ذلك فى ١٩٧٧م ، وخرج للوجود دستور جديد ، وهو ينص على وجود حكومة رئاسية ودولة ذات حزب واحد Aone- party state .

ولقد انتخب «داوود» رئيسا لأفغانستان لدورة رئاسية مدتها ست سنوات ، حيث قام بحل الجمعية الوطنية ، وفى شهر مارس ١٩٧٧م شكل حكومة مدنية جديدة ، منهياً بذلك الحكم العسكرى ، ولكن خلال العام نفسه بدأت تظهر بعض المعارضات لحكمه ، خاصة بين القوات المسلحة ، وتصاعدت هذه المعارضة حتى وصلت إلى ثورة مسلحة قضت على الرئيس وراح معه ضحايا كثيرون من أفراد أسرته .

وفى الوقت نفسه أطلق سراح «محمد تراقى» الذى كان رئيسا أو قائداً لحزب الشعب الديمقراطى ، أطلق من السجن ،وجيىء به رئيسا للمجلس الثورى ورئيسا للوزراء ، وأعيدت تسمية أفغانستان من جديد ، فأصبحت «جمهورية أفغانستان الديمواقراطية» وفى الوقت ذاته ألغى دستور البلاد ، وحرم قيام الأحزاب السياسية أو تشكيلها ، باستثناء الحزب الشيوعى وبطبيعة الحال أصبحت العلاقة مع الاتحاد السوفييتى أكثر قوة .

ولم يمر الأمر بهدوء ـ بطبيعة الحال ـ فى أفغانستان ، فلقد بدأت المعارضة للنظام

الشيوعى تتصاعد وتتزايد ، حتى وصلت إلى حد المعارضة المسلحة للنظام الجديد ، وخاصة من جانب الجماعات الإسلامية الغيورة على دينها ووطنها . ولقد شملت هذه المعارضة المسلحة تقريبا كل الأقاليم والمقاطعات فى أفغانستان .

وعلى الرغم من القوات المسلحة المحيطة بالرئيس ، وعلى الرغم أيضا من الحرس الخاص والبوليس السرى المحيط به إلا أنه لم يعد يعيش فى أمن ، وفى سبتمبر عام ١٩٧٩م أزيح من الرئاسة بواسطة «حافظ الله أمين» والذى كان نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للخارجية ، منذ شهر مارس . ولقد حاول «حافظ الله أمين» هذا أن يفرض سياسات شيوعية قاسية ، ولكنه لم يفلح فى ذلك ، كما أن الشعب لم يتقبلها ، ولذا فإنه فى ديسمبر من نفس العام - أزيح من السلطة وقتل فى انقلاب مدعم من الاتحاد السوفييتى ، بل ومواكب بدخول القوات السوفيتية ذاتها بالألاف إلى داخل الأراضى الأفغانية ، ولقد أثار دخول الجيش السوفييتى إلى أراضى دولة من دول الحياد الإيجابى معارضة شديدة ، باتساع العالم كله ، كما أثار استنكاراً هائلاً فى جميع المحافل الدولية .

هذا ولقد وضع «بابراك كارمال» كرئيس للدولة ، وهو الذى كان يشغل منصب نائب رئيس للوزراء قبل ذلك ، فى حكم «تاراقى» ، ومما يذكر أنه كان موجودا فى شرق أوروبا وقت وقوع الأحداث الأخيرة ، ولقد حملته طائرة عسكرية سوفيتية من هناك إلى كابول - ورغم الجيش الأفغاني ، أو بمعنى أصح . . رغم الوحدات المسلحة الأفغانية الموالية للسوفييت ، ورغم وجود القوات السوفيتية ذاتها بأعداد كثيفة ، إلا أن المظاهرات والاضطرابات قد عمت البلاد التى كرهت أن يتحول الوطن إلى ألعوبة فى يد الشيوعيين والشيوعية الدولية ، وهو البلد الذى تأبّى على كل أنواع الاستعمار ، واحتفظ بإسلامه خالصا نقيا ، طوال قرون عديدة من الزمان .

هذا ولقد عمل «كارمال» على تمكين نفسه من السلطة ، حيث أعاد تنظيم أجهزة الحكم ، من خلال مكتبه كرئيس للوزراء ، فى يوليو ١٩٨٠م . ولكن «سلطان على كشتماند» Keshtmand تولى منصب رئيس الوزراء ، بدلا من «كارمال» ، فى شهر يونيو ١٩٨١ . وفى محاولة لتقوية مركز جماعة Parcham ضد جماعة خلق

(وهما طرفا الحزب الشيوعى هناك) نجد أن المجلس الثورى ومن يشايعه داخل الحزب قد وسّعت سلطاتهم ، وحاول الجميع أن يقووا شوكتهم داخل الوطن . . أفغانستان ، ولكن محاولاتهم جميعا فشلت ، لرفض المسلمين الشيوعية أساساً ، سواء كانت من داخل حزب أفغانى ، أو من خارج البلاد ، ولذلك أعيد ترتيب أوضاع مجلس الوزراء من جديد خلال شهرى أغسطس وسبتمبر ١٩٨٢م ، وكانت كلها محاولات مستميتة لتقوية مركز «كارمال» وأتباعه فى الحزب .

ولابد من القول بأن القتال الحامى قد نشب بين المجاهدين الأفغان ، وبين وَحدات الجيش الأفغانى ، فورا فى عام ١٩٧٩م فى أعقاب الانقلاب الذى تم آنذاك ، ولقد ازدادت حدة هذا القتال ، واشتدت ضراوتة عندما بدأت الإدارة الشيوعية محاولتها لتطبيق ما أسمته الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ، حيث كان وجهها الشيوعى واضحاً .

ومما يذكر أن الجيش الأفغانى يعتمد أساساً على المساعدات العسكرية السوفيتية والتى تصله على شكل أسلحة وذخيرة ومعدات ، ومعها - بطبيعة الحال - الكثير من الخبراء ، ولكن الأهم من ذلك كله هو أن الروح المعنوية للجيش الأفغانى قد هبطت إلى الحضيض ، ولا أدل على ذلك من حالات الهروب من الخدمة العسكرية بأعداد كبيرة واللجوء أو الإنضمام إلى قوات المجاهدين . ولتأكيد هذا المعنى يكفى أن نذكر أن الجيش الأفغانى الحكومى كان قد وصل فى عدده إلى نحو ٨٠,٠٠٠ جندى وضابط فى عام ١٩٧٨م ، ولكن هذا العدد قد تقلص بشكل ملفت للنظر ، ومنذر بالخطر للسلطة ، حيث هبط إلى حوالى ٤٠,٠٠٠ جندى وضابط فقط فى عام ١٩٨٥م . . . !!

أما من الجانب السوفييتى فنجد أنه فى شهر مايو ١٩٨٥م قدرت أعداد القوات السوفيتية المتواجدة على أراضى أفغانستان بنحو ١١٥,٠٠٠ جندى وضابط ، ولقد كانت هذه القوات هناك منذ الغزو السوفييتى ، فى نهاية ١٩٧٩م ، لمحاولة مساعدة النظام الأفغانى العميل فى السيطرة على الأمور فى البلاد ، مما يدل على ضعف النظام نفسه - وخلال الفترة من ١٩٨٠- ١٩٨٥م شنت القوات الحكومية بمساعدة القوات

السوفييتة سلسلة من الهجمات والغارات المكثفة على وادى بانشير Panjsher على بعد حوالى ١٣٠ كيلومترا من العاصمة ، وذلك فى محاولات مستميتة لإيقاف مقاومة المجاهدين العنيفة ، ولكن النتائج لم تكن مشجعة .

وعلى الرغم من أن قوات المجاهدين كانت فقيرة جداً فى تسليحها إلا أنها أثبتت أنها قد أقلقت السلطات الحاكمة ، فى كل من كابل وموسكو ، ومن هنا بدأت عليهم سلسلة رهيبة من الغارات الجوية ، وخاصة على طرق إمداداتهم بالسلاح والمؤن والذخيرة قرب الحدود الباكستانية ، بل إن وحدات كاملة من القوات السوفيتية ذاتها قد حركت بالفعل عام ١٩٨٤م قرب تلك الحدود ، كما حاول الجيشان . . السوفييتى والأفغانى معا ، إغلاق الحدود تماما ، وفى هذا السبيل حاولت الحكومة العميلة أن تتقرب من القبائل الحدودية ، وأن تعطيهم بعض التسهيلات والتنازلات ، فى مقابل مساعدتها على إغلاق الحدود أمام المجاهدين ، ولكن كان من الواضح أن هذه المحاولات لم تؤت الثمار المرجوة .

ولقد حاولت القوات الحكومية السيطرة على بعض المدن الرئيسية ، وطرق الإمدادات المعروفة ، ولكن هذه الخطط فشلت بوضوح ، وخير نموذج على ذلك ما تم فى مقاطعة Paktia (باكتيا) . ولقد كانت خطط المجاهدين تقضى بإزعاج هذه القوات ، حيثما تمركزت فى المدن ، بينما كانت السيطرة التامة على القرى من نصيب قوات المجاهدين أنفسهم .

ولم تكن هذه الحرب الطويلة الأمد لتمر هكذا دون أن تؤثر على العلاقات مع حكومة الباكستان ، خاصة وأن هذه الحكومة لم تعترف بالنظام العميل فى كابول ، كما أنها كانت مستاءة جدا من الغارات السوفيتية والأفغانية على مناطق الحدود ، وبالذات فيما يتعلق باختراق مجال الباكستان الجوى بواسطة طائرات السلاحين الروسى والأفغانى .

وبطبيعة الحال فإن هذه الحروب المستمرة لسنوات طويلة قد أثرت على الإنتاج الزراعى خاصة ، حيث أحرقت قرى بأكملها ، وأبيدت مزارع لاحصر لها ،

وهجرها أصحابها ، ومن هنا بدأت حالة من الفقر . . . بل إنها فى بعض الأقاليم قد وصلت إلى حدود المجاعة . وتدفقت ملايين اللاجئين ، عبر حدود باكستان وإيران . ولقد قدر أنه فى أكتوبر ١٩٨٥م بلغت أعداد المهاجرين أكثر من ثلاثة ملايين شخص (أى حوالى ٢٠٪ من أعداد السكان ، وهؤلاء هم الذين التجأوا إلى حدود باكستان فقط أما الذين عبروا الحدود الإيرانية فقد بلغت أعدادهم أكثر من مليون ونصف المليون أفغاني .

ومنذ ١٩٨٠م بذلت جهود دولية مكثفة ، فى محاولات لترتيب انسحاب سوفييتى من الأراضى الأفغانية ، كما دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى هذا الانسحاب أيضا . وفى الوقت ذاته فإن «منظمة المؤتمر الإسلامى» قد رفضت الاعتراف بالحكم العميل فى «كابول» واشترطت لهذا الاعتراف أن تنسحب القوات السوفيتية من الأراضى الأفغانية ، كما شكلت من بين أعضائها لجنة خاصة لمحاولة إيجاد حل للمشكلة .

كذلك فإن المحادثات التى عقدت بين ممثلى أفغانستان وباكستان ، وأحيانا بين أفغانستان وإيران ، بحضور ممثل عن السكرتير العام للأمم المتحدة لم تكن أكثر حظا من كل ما سبق ، وبقى الوضع على ما هو عليه . ولقد جرت محاولات عدة لإيجاد مخرج من الأزمة ، وذلك من خلال عدد من اللقاءات التى تمت ، منذ الغزو الروسى ، وحتى كتابة هذه السطور ، ولكن لم يحدث أى تقدم وذلك لتمسك كل طرف بموقفه .

فالباكستان تصر على عدم الاعتراف بالنظام العميل فى «كابول» كما تصر فى الوقت ذاته على أن يكون المجاهدون طرفاً فى هذه المفاوضات لأنهم هم أنفسهم لن يقبلوا بحلول ليسوا طرفا فيها ، كذلك اشترطت العودة السالمة لملايين اللاجئين إلى أراضيهم وديارهم ، وفى الوقت ذاته يرفض السوفييت وضع جدول زمنى لانسحابهم من أفغانستان ، يؤيدهم فى ذلك النظام العميل فى كابول لعلمهم بأنهم لن يستطيعوا البقاء فى الحكم بدون دعم السوفييت .

وفى العـام المـاضى تخلص السـوفييت ـ كما هى عادتهم ـ من الجالس فى قصر الـرئـاسـة ، وجـاءوا بألعـوبـة أخـرى ، هو «نجيب الله» الـذى كان مديرا سابقا للمخابرات ، وذلك على أمل أن يكون فى التغيير شيء من الفائدة . ولقد صاحب مجيء الشخص الجـديد شيء من الـدعاية التى حاولت أن تبين للعالم أن الحكم الجـديد يبتغى السـلام ويسعى إليه ، ولقـد أعلن «نجيب الله» عن خطة مرحلية للسـلام يتـوقف فيها القتال لمدة ستة شهور يتم التفاوض أثناءها ، بعد أن يكون المجاهدون قد استجابوا من جانبهم وأوقفوا القتال ، ولكن المجاهدين كانوا واعين جدا لمخـططات أعـدائهم ، فلم يبتلعوا الطعم ، ولم يلقوا السلاح ولم يتوقفوا عن القتال ، فعاد النظام العميل يكثف غاراته عليهم ، وعادوا هم يكيلون له ولمؤيديه من السوفييت الضربات تلو الضربات ، ولايزال الجهاد يجرى بدعم من الله سبحانه وتعالى وتوفيق منه ، والأفغان صابرون محتسبون .

الأوضاع الاقتصادية فى أفغانستان :

من المسلم به أن الـدول الاستعـمارية لاتستعمـر الـدول الأخـرى إلا لتحقيق مصـالحها ، قبل أى شيء آخر ، وتحقيق المصالح هذا تتنوع أشكاله ، فقد يكون الاستعـمار بقصـد الاستغـلال المبـاشر للخـيرات المـوجودة لدى الشعب الضعيف المستعمر ، ومن هنا يوجه الاقتصاد لخدمة الأهداف الاستعمارية ، بغض النظر عن مصلحـة الشعب صاحب الأرض وصـاحب المصادر ، كان هذا هو الحال بالنسبة لبريطانيا فى مصر ، حين كان كل همها هو مد مصانع الغزل والنسيج فى يوركشير ولا نكشير بالقطن المصرى طويل التيلة ، بحيث كان يصنع هناك ، ثم يعاد تصديره إلى المستعمرات البريطانية ، ومن بينها مصر ، ليدفع الفلاح المصرى ثمنه مضاعفا . . !!

وكان هذا هو الحال فى الجزائر حين كانت واقعة تحت السيطرة الفرنسية ، تلك التى قتلت أكثر من مليون من الجزائريين المسلمين ، كى تحافظ على أراضى الجزائر الخصبة التى كانت تمد فرنسا بكثير من الخيرات والمحاصيل ، ومن أهمها محاصيل الكروم التى كانت تمد معامل فرنسا بكميات هائلة من العنب ، استغلته فى صناعة

الخمور التى كانت تصدرها لدول العالم المختلفة ، ولقد بلغ الأمر بتعصب الفرنسيين وتمسكهم باستعمارهم للجزائر إلى الحد الذى جعلهم يعاندون حتى الحدود الطبيعية التى أوجدها الله سبحانه وتعالى ، فخرج ادعاء من عندهم بقول بأن الجزائر جزء من التراب الفرنسى ، وأن البحر المتوسط الذى يفصل بينهما . . ليس فاصلا طبيعيا . . !! وبطبيعة الحال لم يتركوا الجزائر إلا بعد أن أذاقهم المجاهدون الجزائريون الموت والخزى فى كثير من معارك البطولة والشرف ، مما جعلهم يسلّمون صاغرين باستقلال الجزائر .

كذلك نجد أن الموقع الاستراتيجى الحاكم قد يكون وراء الاستعمار ، وذلك كما كان الحال بالنسبة لبريطانيا فى مصر ـ بالإضافة للاقتصاد ـ حيث كان احتلال الانجليز لمنطقة قناة السويس أمراً بالغ الحيوية وذلك لسيطرة القناة على التجارة العالمية ، خاصة بين منتجات الشرق من المواد الخام ، ومنتجات الغرب من الصناعات المختلفة ، ولم يسلّم الإنجليز بحق مصر والمصريين فى قناة السويس إلا بعد أن أذاقهم المجاهدون المصريون الكثير من أعمال القتل والعنف على ضفاف القنال ، وفى مدنها الثلاث السويس والاسماعيلية وبورسعيد ، وخرجوا مرغمين منكسى الرؤوس والأعلام .

وقد يكون الاستعمار استعمارا استيطانيا دائما ، وهذا هو أسوأ أنواع الاستعمار ، والمثل عندنا لايزال قائما فى فلسطين التى اغتصبها اليهود من أهلها ، وفرضوا عليها حكم الحديد والنار ، بمساعدة الدول الكبرى ، وعلى رأسهم الاتحاد السوفييتى ، الذى يتصور بعض المخدوعين أو غير الفاهمين فى عالمنا العربى أنه سوف يساعدهم على استرداد فلسطين . . (!!) وهو الذى يمدها بما هو أخطر من السلاح . . يمدها بالقوى البشرية الماهرة والمدربة الشابة .

وإذا عدنا إلى حالة أفغانستان نجد أنها بلد به خيرات كثيرة جدا ، يريد الشيوعيون السوفييت أن يستأثروا بها ، وأن يحولوها لصالحهم ، كما أن أفغانستان بالنسبة لهم ذات موقع استراتيجى هام . إذ أن السيطرة عليها تجعلهم على مشارف الخليج العربى ، حيث ثروات البترول الهائلة والتى لا يدانيها إقليم آخر من العالم فى

ضخامتها ، وحيث المياه الدافئة . . حلم الروس القديم منذ عصور القياصرة ، ولنقم سويا ننظر فى خريطة الأرقام الأقتصادية ، فى وطننا المجاهد أفغانستان :

تمثل الزراعة محوراً أساسيا من محاور الاقتصاد الأفغانى حيث يعمل فيها نحو ٧٨٪ من السكان المستقرين ، وذلك حسب إحصاءات عام ١٩٨٠م ، بينما يعمل فى حرفة الرعى حوالى ٢,٦ مليون نسمة . وتمد الزراعة الاقتصاد الأفغانى بنحو ٥٠٪ من قيمة الصادرات . ويشمل الإنتاج الزراعى والحيوانى رؤوس الأغنام والماشية ، والصوف والقطن ، والفواكة الطازجة والمجففة ، والجلود المدبوغة ، والأعشاب الطبية . . الخ .

ومما يذكر هنا أن الحكومة الأفغانية العميلة قد تبنت تنفيذ برنامج أسمته «الإصلاح الزراعى» ومن خلاله جرت محاولة لتحديد الملكية ، أى ملكية الأراضى الزراعية ، وكان ذلك خلال الشهور الستة الأولى من عام ١٩٧٩م ، إلا أن هذا البرنامج (التخريبى) لم يلق شعبية على الإطلاق ، بل على العكس من ذلك لقى معارضة شديدة عند تنفيذه ، ولذلك فإنه لم يحل شهر أكتوبر عام ١٩٨٣م إلا وكانت الحكومة قد تخلت عن فكرتها تماما ، وذلك فى محاولة من جانبها لكسب شىء من تأييد الشعب الأفغاني لها .

كذلك فإن الحكومة قد اتجهت نحو فرض التعاونيات الزراعية Farm Co-Operatives التى بلغت فى مجموعها نحو ١٣٠٠ تعاونية عام ١٩٨٤م ، والذين يذكرون التاريخ جيدا يعرفون كيف أن الفلاحين السوفييت المساكين قد قاوموا فى بلادهم فرض هذه التعاونيات التى تقضى على الحافز الفردى ، والتى تأخذ ناتج جهد الإنسان وعرقه للجالسين فى مقاعد الحزب الشيوعى وأعضاء اللجنة المركزية وأتباعهم وأشياعهم ، ولذا فلقد جرت محاولات كثيرة جدا لمقاومتها ، بل ولإحراق المحاصيل وإتلاف الزبد . . الخ حتى لا تأخذه الحكومة ، ولم يتوان الشيوعيون فى فرضهم لهذه التعاونيات عن ضرب الآلاف بالرصاص ، وترحيل أكثر منهم للعمل فى سيبيريا حيث الموت المحقق ـ من البرد . ورغم مرور سبعين عاما أو أكثر على الثورة

الشيوعية وعلى (الإصلاحات) التى أتت بها ، لايزال المجتمع الشيوعى السوفييتى ـ رغم ضخامة المساحات الزراعية التى يمتلكها ـ لايزال مستورداً للقمح لإطعام أفراده . . ؟؟

هذا وتعتبر أفغانستان من البلاد المكتفية ذاتيا فى غذائها ، وهذا شيء نادر الآن بين دول العالم الثالث . ولكن منذ وطئت أقدام الشيوعيين أرضها ، وحل بها الكفار بدأ الإنتاج يقل بشكل خطير ، وذلك بفعل إحراق السوفييت لمزارع بأكلمها كما سبقت الإشارة ، وكذلك بسبب هجر الفلاحين لأراضيهم . . إما فراراً من عمليات الذبح والتقتيل الجماعية ، وإما للتفرغ لقتال الكفار ، وكنتيجة لكل ذلك تحولت أفغانستان إلى دولة مستوردة للغذاء بشكل خطير . . بل مخيف . هذا ويبلغ متوسط إنتاج ، أفغانستان من القمح سنويا ما بين ٢,٨-٢,٩ مليون طن مترى .

أما بالنسبة لإنتاج المعادن ، فأفغانستان من البلاد التى حباها الله خيرا كثيرا ، وعلى سبيل المثال **فإن بها احتياطيا هائلا من الغاز الطبيعى يصل إلى ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (مائة ألف مليون متر مكعب)** ومن الفحم والملح وأحجار اللازورد وكبريتات الباريوم وغيرها لديها الكثير الذى يستخرج من باطن الأرض ، ومن طبقات الصخر المتنوعة .

وفى شهر مايو عام ١٩٨٠م أقيم مجمع ضخم لاستخراج وتنقية الغاز الطبيعى ، بل إنه بدأ الإنتاج الفعلى عام ١٩٨٣م بطاقة إنتاجية مقدارها ٢٠٠٠ مليون متر مكعب سنويا ، وفى عام ١٩٨٤م **بلغت طاقة التصدير من هذا الغاز الهام إلى ٢,٤٠٠ مليون متر مكعب إلى الأراضى السوفييتية** ، وذلك طبقا لتقديرات الحكومة الأفغانية .

وإذن فنحن أمام هدف استعمارى اقتصادى واضح ، بدأ تنفيذه . وتحقيقه بالفعل فور دخول القوات السوفيتية إلى أراضى أفغانستان ، حيث بدأت الخيرات الأفغانية تنزح إلى أراضى الروس الشيوعيين ، **ولقد مدت خطوط الأنابيب بالفعل من داخل أفغانستان إلى داخل حدود الاتحاد السوفيتى** ، وهؤلاء هم (الأصدقاء) السوفييت . .

أو الرفاق الذين يطنطنون كثيرا (بالمعونات) التى يمنحونها لأصدقائهم . **هذه هى خيرات الشعب المسلم تنـزح من أرضـه وتصدر لبلاد الكفر تحت ضغط القنابل والمدافع والدبابات . . وضد رغبة أصحابها الحقيقيين المساكين .**

وهناك جهود على قدم وساق لاستخراج كميات هائلة من خامات الحديد الممتازة النوعية ، حيث تقول الاكتشافات الواعدة بوجود نحو ١,٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (ألف وسبعمائة مليون) طن مترى منها ، فقط فى منطقة حاجى جاك Hajigak . **وبطبيعة الحـال فسـوف يعمـل السـوفييت جهودهم على سرعة استخراجها وشحنها إلى بلدهم** ، قبل أن يرغموا على ترك أفغانستان ، وهناك تحول هذه الخامات الحديدية إلى دبابات ومدافع وطائرات لضرب المسلمين أنفسهم ، وويل للذين لايعون هذه الأبعاد ، ولا يقدرونها حق قدرها .

وهناك إرسابات تحتوى على البترول والنحاس (يقدر بوجود ٤,٧ مليون طن مترى من النحـاس فقط) ، ويجـرى العمل على قدم وساق لاستغلالها ، ولقد بدىء فى تعدين النحاس فعلا وأقيمت لذلك المصانع قرب «كابول» ويقال بأن هذه المصانع عندما تصل إلى كامل طاقتها الإنتاجية سوف تصل إلى ٢٪ من الإنتاج العالمى من النحاس ، وليس هذا بالقدر القليل .

أمـا بالنسبة للطاقة فهناك خطِّط منذ بضعة أعوام لاستغلال حقلين من حقول البترول شمال البلاد ، تقول التقديرات بأن هذين الحقلين عند تشغيلهما تشغيلا كاملا سوف يكفيان حاجـة أفغـانستان من البترول ومنتجاته ، كذلك فإن هناك مصادر لاستغـلال مسـاقط المياه لتـوليد الـطاقـة ، ويقـدر أن الـطاقـة المولدة هيدروليكيا تكفى ٨٠٪ من احتياجـات الـطاقة هناك ، ولقد بدأت فعلا أول محطة هيدروليكية فى العمل منذ أكتوبر ١٩٨٣م قرب بلدة «أسد أباد» .

أمـا بالنسبـة للصنـاعـات الأفغـانية فنجد أنها تتمثل فى المنسوجات القطنية ، والمخصبات الكيماوية ، والمصنوعات الجلدية وكذا صناعات البلاستيك ، وفى العام ١٩٨٠/ ١٩٨١م كان إنتاج أفغانستان من الصناعات القطنية ٤٣,٣ مليون مترا ، ولكن بحلول عام ١٩٨٣/٨٢م تدهور الإنتاج ليصل إلى ٢٦,٥ مليون مترا فقط ،

وذلـك بطبيعة الحال للأسباب السالفة الذكر والمتعلقة كلها بالتواجد السوفييتى ، واندلاع المعـارك الحـربية بين الشيوعيين والمجاهدين ، ويكفى أن نشير إلى حالة التدهور هذه على أساس القيمة بالدولار ، ففى عام ١٩٧٩م كانت صادرات البلاد من القطن تجلب لاهلها ٤٧ مليونا من الدولارات كعملة صعبة ، ولكن بحلول عام ١٩٨٤م انخفض إسهام الصادرات القطنية ليصل فقط إلى ٩ مليون دولار . . . !!

ومن المعروف أن أفغانستان تصدر السجاد والكليم ، وكذا الفواكه والخضروات إلى كل من الهند وباكستان ، كما تصدرالغاز الطبيعى والقطن المحلوج إلى الاتحاد السوفييتى ، كما تصدر أنواعاً خاصة من الخراف التى يتخذ منها نوع ممتاز من الصوف إلى أوروبا ، حيث أسواق الفرو العالمية .

أما ماتستورده أفغانستان فيشتمل على القمح والآلات ومنتجات البترول ، خاصة من الاتحـاد السـوفييتى ، الـذى يعتـبر الـطرف الأكـبر فى التعـامـل التجارى مع أفغـانستان ، وتأتى اليابان فى المرتبة الثانية حيث تستورد منها البلاد بعض المنتجات الصناعية ، أما البلاد التى تستورد من أفغانستان فهى الاتحاد السوفييتى وباكستان ، **ولقد حرص النظام العميل فى كابول على أن يربط الوطن المسلم بالدولة الشيوعية الكـبرى ولـذا فلقـد استهدف زيادة الارتباط التجارى بروسيا إلى ثلاثة أضعاف ما كان عليه** ، ولذا نجد أنه فى عام ٨٤/ ١٩٨٥م وصلت صادرات أفغانستان إلى روسيا ٣٧٠ مليون دولارا ، ممثلة نسبة مقدارها ٦٥٪ من صادرات البلاد ، كذلك استـوردت منهـا ما قيمته ٥١٥ مليون دولاراً ، أى بنسبة ٥٧٪ من جملة وارداتها . وينبغى أن يلاحظ القارىء المسلم الواعى هنا أن الميزان التجارى فى هذه العمليات بدأ يميل بطبيعـة الحال لصالح الاتحاد السوفييتى وضد أفغانستان ، وذلك شيء طبيعى متوقع ، حيث يفرض الطرف القوى الأسعار التى يريدها . . فى الحالتين . . استيراداً وتصديرا ، **كما ينبغى أن نتذكر أيضا أن الطغمة الفاسدة الجالسة فى الحكم والعميلة لايمكنها أن تشترط أسعاراً مرتفعة أو حتى مناسبة لمنتجات وطنها . . لأنها أصـلا باعت هذا الوطن للأعداء ، ولأنها لاتملك من أمر نفسها شيئا ، حيث يمكن للسـوفييت أن يغـيروها بغيرهاوأن يحركوها كما تحرك قطع الشطرنج، وبذا غابت**

مصلحة الوطن المسلم، بل ضاعت للأسف الشديد .

ومما يذكر أنه فى العام ١٩٨١م وقعت أفغانستان (الحكومة طبعا) اتفاقية للتبادل التجارى مع الاتحاد السوفييتى للفترة من ١٩٨١ـ ١٩٨٥م، وطبقا لهذه الاتفاقية فإن أفغانستان سوف تمد روسيا بالمواد الخام والغاز الطبيعى والمنتجات الغذائية، بينما تصدر روسيا إليها العدد والآلات الصناعية .

المواصلات فى أفغانستان :

أفغانستان كما سبق القول ـ دولة داخلية، لايمكنها الوصول إلى البحر إلا عن طريق الباكستان، أوعن طريق طويل يمر عبر الاتحادالسوفييتى . وفى عام ١٩٧٨م كان يوجد بها نحو ٢,٨١٢ كيلو مترا من الطرق المرصوفة، تربط المدن الرئيسية ببعضها، وكانت هناك خطة لرصف ١,٠٦٠ كيلو مترا أخرى بحلول عام ١٩٨٤م . أما الطرق الرئيسية فتربط المدن الكبرى مثل كابول وقندهار وهارات فى الجنوب والغرب، وجلال أباد فى الشرق، وكذا مزار شريف ونهر آموداريا (Oxus) حيث توجد حركة نقل مائية كبيرة . كذلك يوجد فى أفغانستان مطاران دوليان، بالإضافة إلى ٢٩ مطارا محليا .

وفى موضع آخر من هذا الكتاب سوف نبين إن شاء الله كيف استغل الاتحاد السوفييتى برنامج المعونات السوفيتية لأفغانستان، حيث وجه جزءاً كبيرا منها لبناء طرق ربطت أفغانستان بروسيا، وذلك بدعوى خدمة الاقتصاد الأفغانى، ثم سوف نرى كيف كانت هذه الطرق هى التى استخدمها السوفييت فى احتلال أفغانستان بمجنزراتهم ومدرعاتهم ودباباتهم، ونقل أكثر من مائة ألف جندى كى يقتلوا أبناء الأفغان وشيوخهم ويغتصبوا بناتهم ونساءهم، وذلك حتى يتعظ المخدوعون بالمعونات السوفيتية، وحتى يفهموا المقاصد والأهداف البعيدة للشيوعيين، الذين لايمكن أن يصفوا ذات يوم للمسلمين، وذلك لأن الطريقين مختلفان تماما . . وأبدا، ولالقاء بينهما . . . إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إذ شتان ما بين طريق إيمان ويقين، وطريق كفر وإلحاد .

التعليم فى أفغانستان :

لقد قدر أن نسبة الأطفال الذين يقعون فى الفترة العمرية من ست سنوات إلى إحدى عشرة سنة، ويتلقون التعليم الابتدائي ارتفعت نسبتهم من ٩٪ فقط عام ١٩٦٠م إلى ٢٣٪ عام ١٩٨٠م . أما بالنسبة للبنات فإن نسبة اللاتى يتلقين هذا التعليم منهم لاتـزيد عن ٧٪ . أمـا بالنسبة للتعليم الثانوى (عمر ١٢- ١٦ سنة) فنسبة الأولاد الملتحقين به لاتزيد على ٨٪ من جميع الأطفال الذين فى عمر هذه المرحلة .

وفى عام ١٩٧٩م أعلنت الحكومة الأفغانية عن مجانية التعليم الإبتدائى وإجباريته لكل الأطفال الذين يقعون فى المرحلة العمرية من ٧-١٠ سنوات . كذلك فإن هذه الحكومة قد قدمت خطة خمسية (١٩٧٩- ١٩٨٤م) لمحو الأمية .

هذا وترتفع نسبة الأميين كثيرا فى أفغانستان ، حيث تبلغ نحو ٨٠٪ ، وقد اعتبرت هذه النسبة من أعلى النسب فى آسيا ، وفى سبتمير ١٩٨٢م أعلنت الحكومة خطة للتقليل من نسبة الأميين ، وكان من بين بنودها إلحاق جميع الأطفال الذين في سن التعليم بحلول العـام ١٩٨٧م . وطبقا لتقديرات الحكومة الأفغانية ذاتها نجد أن ١,٥٠٠ مدرسة قد خرِّبت بسبب القتال الدائر هناك ، ومنذ عام ١٩٧٨م عرقل التعليم العالى فى البلاد، بسبب نزوح أعضاء هيئة التدريس خارج أفغانستان .

المساحة والسكان :

تبلغ مساحة أفغانستان ٢٥١,٧٧٣ ميلا مربعا ، بينما تصل أعداد السكان إلى ١٧,٦٧٢,٠٠٠ نسمة، حسب التقديرات الحكومية لعام ١٩٨٤م وهناك عدد من المـدن الـرئيسية فى أفغانستان، منها كابول العاصمة، أكبر المدن من حيث أعداد السكان، حيث بها ١,٠٣٦,٤٠٧ نسمة، يليها قندهار ١٩١,٣٤٥ نسمة ، هيرات ١٥٠,٤٩٧ نسمـة، مزار شريف ١١٠,٢٦٧ ، جلال أبـاد ٥٧,٨٢٤ نسمـة . وتنقسم أفغانستان إلى عدد من المقاطعات تبلغ تسعا وعشرين مقاطعة .

هذا ومن المعروف أن الشعب الأفغانى يدين بالإسلام بنسبة ٩٩٪ من سكانه، وأن ٨٠٪ من السكان هم من السنة . ويقرأ الشعب الأفغانى اثنتى عشرة جريدة يومية، تأتى جريدة أنيس Anis (الصداقة) فى مقدمتها حيث توزع ٢٥ ألف نسخة يوميا وتطبع بلغتى الدارى والبشتو، كما أن بها ٢٤ دورية ، ولديها وكالة واحدة للأنباء، هى وكالة بختار للأنباء Bakhtar News Agency .

هذا ولدى أفغانستان شبكة إرسال تليفزيونى ، يصل إرسالها إلى خمسين كيلو مترا خارج العاصمة كابول . وقد بدأ الإرسال الملون عام ١٩٧٨م . وجهازا الراديو والتليفزيون يخضعان لوزارة المواصلات . أما لغات الإذاعة فهى : الدارى - البشتو - الباشاى - النورستانى - الأوزبكى - التركمانى - البالوشى - وهناك إذاعات موجهة باللغات الأجنبية التالية : الأوردو ، العربية - الإنجليزية - الروسية - الألمانية .



الفصـــل الثالـــث :

الاتحاد السوفييتي . . . والمسلمـــون فـــي آسيـــا

منـذ أيام القياصرة وروسيا تنـاصب المسلمـين العداء، خاصة المسلمين الذين تتجاور حدودهم مع حدود الدولة الروسية ، وحينها قامت الثورة الشيوعية الحمراء فيها اشتد هذا العداء وبلغ مداه . حتى وصل إلى حد إبادة المسلمين بالآلاف، وكذا رحِّلت أعداد كبيرة جدا منهم للعمل فى معسكرات الذل والمهانة فى سيبيريا، حيث لاقوا حتفهم هناك بين الجليد والصمت، بعيدا عن ديارهم وأموالهم وممتلكاتهم . ويذكر التاريخ أن المراكز الحضارية التى بناها المسلمون فى أواسط آسيا مثل «بخارى» و«سمـرقند» قد دمرت وخربت، كما هدمت آلاف المساجد ، حقدا على الإسلام والمسلمـين، من جانب الملحـدين الشيوعيين الـذين اعتـبروا الإسلام عدوا لدودا لعقيدتهم الشيوعية الفاسدة .

وأتصور أن هناك نوعاً من الإهمال ـ ولا أقول المتعمد ـ جرى فى تدريسنا لتاريخنا الإسلامى لأبنائنا ، فى مناهج التاريخ، على جميع المستويات الدراسية، من التعليم الابتدائي إلى التعليم الجامعى ، وذلك فيما يختص باحتلال الاتحاد السوفييتى لبلاد المسلمين وأوطانهم ، فى قارة آسيا ، كما أن الجهاد الذى قام به المسلمون المجاهدون هناك طوال سنوات بلغت العشرين عاما ، فى بعض الأحيان ، لم تعلم عنه أجيال كثيرة من أبناء المسلمين شيئا ، ولذلك فإن هذه الفترة من تاريخنا الإسلامى تكاد تكون متوارية فى ظلال كثيفة، بحيث أن كثيرين جدا من مثقفينا لايعرفون عنه شيئا ، ولسوف نحاول ـ فى هذا الفصل ـ أن نلقى عليها شيئا من الضوء بموضوعية شديدة . . إن شاء الله .

إننا إذ نفعل ذلك نتصور أن هذا الجانب سوف يكون بمثابة خلفية تاريخية تبين لنا ما يجرى الآن فى أفغانستان، إذا أن التاريخ سلاسل متتابعة من أفعال وردود الأفعال، فالروس قديما خشوا المسلمين الذين كان إسلامهم يدفعهم لأنه ينشروا دين العدل والرحمة والحرية فى ربوع آسيا، ولقد خشوا أن ينتشر الدين أكثر وأكثر فى أراضيهم هم ، ومن هنا هاجموا المراكز الحضارية الإسلامية فى وسط آسيا، للقضاء على هذا المد الإسلامى العظيم، ومن جانب آخر لكى يخضعوا هذه الأقاليم الإسلامية الغنية المصادر لحكمهم وأطماعهم .

ولقد تنبه الروس للمسلمين المجاهدين، فى أفغانستان، حين وجدوا أنهم يقاومون العملاء من أبناء جلدتهم، أولئك الذين انحرفوا عن العقيدة، وباعوا أنفسهم للشيطان، خاصة حينما وجد أن هؤلاء المجاهدين أقوى شكيمة مما تصوروا ، وحينما خشوا أن يزيحوا الشيوعيين الذيول من مقاعد الحكم فى كابول العاصمة .

كذلك فإن الروس قد حسبوا حساب بعد آخر ـ لو أن المجاهدين قد انتصروا على أعدائهم فى أفغانستان ـ وهذا البعد هو إيقاظ روح الجهاد لدى الشعوب الإسلامية المقهورة والتى تعيش مرغمة مقهورة تحت الحكم الشيوعى فى الجمهوريات السوفيتية التى كانت تدين بالإسلام قل ذلك، والتى قاومت الروس سنوات وسنوات، ولايزال الإسلام يعيش بينهم ويحملونه فى صدورهم، وهم على استعداد للدفاع عنه ضد الكفار الملحدين، وكان فزع الروس من هذا الخاطر عظيما، كما نشر فى بعض التقارير الغربية خاصة وأن هذه الجمهوريات الإسلامية تشكل مناطق غنية جدا فى مصادرها الاقتصادية ضمن الاتحاد السوفييتى . ولعل وقفة سريعة لمعرفة هذه الجمهوريات ، بشيء يسير من التفصيل يكون فيه شيء من الفائدة إن شاء الله .

يتكون الاتحاد السوفييتى ـ حاليا ـ من خمس عشرة جمهورية اتحادية، لكل جمهورية منها علمها الخاص، ونشيدها الوطنى ، ولكل منها دستورها الخاص الذى يتفق مع طبيعة أرضها وسكانها وأحوالها الاقتصادية، كما أن لكل جمهورية التشريعات القضائية الخاصة بها . . ويعتبر مجلس السوفييت الأعلى فى كل جمهورية هو السلطة العليا بها . ويتم تمثيل كل جمهورية من الجمهوريات ب ٣٢ عضوا فى مجلس

القوميات السوفيتية الأعلى . وهى جميعا خاضعة لمجلس السوفييت الأعلى، وهو أعلى سلطة اتحادية وفيه تتمثل المبادىء الشيوعية المعروفة ، والجمهوريات جميعا ملتزمة بها .

ويقول المصدر السابق إن الاتحاد السوفييتى اتحاد فيدرالى يضم خمس عشرة جمهورية، سوفيتية اشتراكية، تتمتع كل منها بالحكم الذاتى، ويحق لها الانفصال إذا شاءت (!!!) وهو حق قائم نظريا فقط(*) ، لأن وجود الحزب الشيوعى كقوة منظمة حاكمة تضم ممثلين للأحزاب الشيوعية فى كل الجمهوريات، يجعل من المستحيل تنفيذ هذا الانفصال عمليا بالوسائل السلمية . . ويطلق اسم روسيا أحيانا على الاتحاد كله، وذلك لأن جمهورية روسيا هى أكبر الجمهوريات، حيث تزيد عن نصف سكان الاتحاد السوفييتى كله .

وقد اختصت الحكومة المركزية ومقرها موسكو العاصمة طبقا للدستور السوفييتى الذى وضع فى عهد ستالين، بالقرارات المتعلقة بالعلاقات الدولية ، وإعلان الحرب والسلام، والدفاع القومى، والتجارة الخارجية والميزانية، ثم الإشراف على الصناعات التى تهم جميع جمهوريات الاتحاد، بينما تختص الحكومات المحلية بالمسائل المتصلة بالصحة والتعليم والإسكان والصناعات المحلية ووسائل النقل فيها .

غير أن الحكومة السوفيتية أصدرت فى عام ١٩٤٤م قانونا يخول لكل جمهورية، على حدة، الحق فى اتخاذ القرارات الخاصة بعلاقاتها الخارجية، إلا أن هذا القانون بقى حبرا على ورق من الناحية العملية، وبقيت هذه العلاقات من اختصاص الحكومة المركزية فى موسكو . وكان الهدف من هذا القانون هو المطالبة بتمثيل مستقل لكل جمهورية من الجمهوريات السوفيتية فى الأمم المتحدة ، ولكن هذا الهدف لم يتحقق، وبقيت حكومة الاتحاد السوفييتى الممثلة الوحيدة لهذه الدولة ، ولو أن الأمم

---

* لاشك أن القارىء المسلم الواعى يدرك أن الحكومة المركزية فى موسكو لايمكن أن تسمح حتى بمجرد التفكير فى ذلك ، أو التعبير عنه ، فالروس الذين لايطيقون أن تنفصل عن كتلتهم الشيوعية إحدى الدول الأوروبية الشرقية الخاضعة لهم - كما رأينا سابقا - على استعداد لإحراق من يفكر فى الانفصال من داخلهم .

المتحدة وافقت ـ فيما بعد ـ أن يكون لكل من جمهوريتى روسيا البيضاء وأوكرانيا ممثل مستقل فى المنظمة الدولية(*) .

وفيما يلى أسماء الجمهوريات الإسلامية الست، الواقعة تحت السيطرة الروسية، وعاصمة كل منها، وأعداد سكانها . . . ومساحاتها :-

جدول رقم (١)
الجمهوريات الإسلامية داخل الاتحاد السوفييتى(**)

اسم الجمهورية	العاصمة	أعداد السكان بالتقريب	المساحة بالكم المربع	نسبة المسلمين ٪
أذربيجان	باكو	٧,٠٠٠,٠٠٠	٨٦,٦٣٠	٧٨
أوزبكستان	طشقند	٢٢,٠٠٠,٠٠٠	٤٤٧,٤٠٠	٨٨
طاجيكستان	دوشانب	٦,٠٠٠,٠٠٠	١٤٣,١٠٠	٩٨
تركمانستان	أشكاباد	٤,٠٠٠,٠٠٠	٤٨٨,١٠٠	٩٠
قازاخستان	آلماآتا	١٦,٠٠٠,٠٠٠	٢,٧١٧,٣٠٠	٦٨
قرغيزيا	فرونزى	٤,٠٠٠,٠٠٠	١٩٨,٥٠٠	٩٢
المجموع		٥٩,٠٠٠,٠٠٠	٤,٠٨١,٠٣٠	

وعلى ذلك فنحن أمام ثروات بشرية هائلة ، تمثل تقريبا ربع أعداد السكان فى الاتحاد

---

* أخذت هذه البيانات من كتاب «البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر» تأليف محمد السيد غلاب وآخرين ، وهو من إصدارات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ، وقد جرى الاجتهاد في تعديل أعداد السكان بناء على نسب الزيادة المتوقعة التى وردت في هذا الكتاب ، بحيث تكون أقرب ما يمكن إلى الواقع في بداية عام ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م .

** المؤلف يقول المصدر السابق أن هذه النسبة كانت كذلك ، بمعنى أنها تغيرت الآن ، ولا ندرى عنها شيئا اليوم .

السوفييتى ، ضمهم إليه رغما عنهم - وفرض عليهم استعماراً استيطانيا خطيرا، بل أكثر من ذلك أنه بعد أن قتل منهم آلافاً مؤلفة ، فى بدايات هذا القرن الذى نعيش فيه، أقدم على ترحيل أعداد هائلة منهم، إلى الداخل . . وإلى سيبيريا، ونقل أعدادا كبيرة من الروس الكفار زرعهم فى بلاد المسلمين، كى يقللوا من الكثافة السكانية الإسلامية، وكى يكونوا - بطبيعة الحال - جواسيس على كل تحركات المسلمين فى أوطانهم .

الموارد الاقتصادية فى الجمهوريات الإسلامية(*) :

تعتبر الموارد الاقتصادية التى تتمتع بها الجمهوريات الإسلامية الست، فى الاتحاد السوفييتى، من الركائز الأساسية التى يعتمد عليها الاتحاد السوفييتى في حياته وفى تقدمه . ويكفى في بداية الحديث عن هذه المصادر أن نذكر أن مساحة هذه الجمهوريات الست تزيد على أربعة ملايين من الكيلو مترات المربعة، بكل مايعنيه ذلك من أراضٍ زراعية خصبة ، تعطى محصولات وفيرة، بالإضافة إلى تنوع هائل فى المناخ الدافىء على وجه الخصوص، بخلاف الأراضى الشمالية الشديدة البرودة فى الاتحاد السوفييتى. كذلك فإن هذه الجمهوريات تشتمل أراضيها على خيرات معدنية وفيره هائلة الإنتاج . وبذلك فإن استيلاء الاتحاد السوفييتى عليها واستعماره لها، استعماراً استيطانيا كاملاً، مكنه من استغلالها لصالحه ، مما أضاف إلى قوته وثروته وجعله يقف بين دول العالم الغنية الوفيرة الموارد .

ففي جمهورية أذربيجان، على سبيل المثال ، نجد أنه يطلق عليها، كما يقول مؤلفو «البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة فى العالم المعاصر» . . بلد البترول والقطن، أى بلد الذهب الأسود والأبيض ، ويعبر عن هذا شعار جمهورية أذربيجان الذى يصور رافعة للزيت تحوطها لوزات القطن المتفتحة، وتنتج أذربيجان ٩٪ من إنتاج البترول فى الاتحاد السوفييتى .

وبالإضافة للزراعة المتقدمة واستخراج البترول وتكريره، تعتبر أذربيجان من المجتمعات الصناعية الكبيرة ، حيث فيها مركز ضخم للصناعات الثقيلة، تزدهر فيه

* استفيد أساسا فى هذا الجانب من المصدر السابق .

صناعات البترول والمخصبات والآلات الزراعية والصناعات المعدنية والهندسية والكيماوية والكهربائية .

هذا ويتنوع الإنتاج الزراعى، ويغزر الإنتاج بشكل لافت للنظر فى جمهورية أذربيجان، حيث تنتج المحاصيل سنويا بملايين الأطنان من والحبوب والقطن والبطاطس والخضر والفواكهة والعنب والشاى والتبغ، وكل ذلك يضيف إلى الاقتصاد الروسى قوة ومتانة ، حيث تصل قيمة هذه الثروات الزراعية بلايين الدولارات سنويا . ومما يذكر أيضا فى هذا المجال أن سكان هذه الجمهورية الإسلامية يهتمون بالثروة الحيوانية ، وذلك ناتج عن تنوع المراعى الطبيعية على قمم الجبال وفى بطون الأودية، وأرقام الماشية والأغنام والدواجن بالملايين كذلك، كما أن المنتجات الحيوانية من اللحوم والألبان والجبن والبيض والسوف تضيف للدخل القومى العام للسوفييت الشيء الكثير . أما بالنسبة للتعدين والصناعة فجمهورية أذربيجان غنية فيهما، حيث أنها غنية بالبترول والغاز الطبيعى، وخامات الحديد والبوكسايت والكروميوم والمولبيدنوم والكوبلت والملح الصخرى والرخام . **وبترول هذه الجمهورية الإسلامية الواقعة تحت سيطرة الحكم الشيوعى السوفييتى يوزع على معامل التكرير المنتشرة فى روسيا** . كما أن هناك صناعات ضخمة تتمثل فى الحديد والصلب والألومنيوم والآلات الثقيلة التى تتضمن المعدات والآلات اللازمة لاستخراج البترول وتكريره ، كما تشمل المنتجات البتروكيماوية (البلاستيك والمطاط والمخصبات ومبيدات الأعشاب والآفات ، ومواد الطلاء) ، ومواد البناء والمنسوجات القطنية والحريرية والصوفية ، وللعلم فإن الإنتاج من هذه المواد السابقة إنتاج ضخم وبمئات الألوف من الأطنان ، وأحيانا بملايينها ، ويكفى أن نضرب مثلا على ذلك فقط من المنسوجات الحريرية التى يصل إنتاج أذربيجان منها إلى ٢٤,٥ مليون مترا مربعا .

أما جمهورية أوزبكستان فتعتبر من أغنى جمهوريات الاتحاد السوفييتى قاطبة ، ويكفى أن نعلم أن هذه الجمهورية الإسلامية الخاضعة لروسيا الشيوعية، تنتج ٦٧٪ من قطن الاتحاد السوفييتى، ٥٠٪ من أرزه ، ٣٣٪ من حريره ، ٨٥٪ من

جوته ، ٣٤٪ من جلوده . بالإضافة إلى أنها تنتج كميات كبيرة من البترول والغاز الطبيعى والفحم والكهرباء والنحاس والكبريت ، كما أن بها كثيرا من الصناعات الكهربائية والكيماوية والهندسية والنسيجية ، ويكفى أن نعلم أن جمهورية أوزبكستان الإسلامية تشغل المرتبة الثالثة، بين دول العالم، فى إنتاج القطن ، والمرتبة الثانية فى إنتاج الحرير الخام والقمح .

وللتدليل على عظمة جمهورية أوزبكستان فى مجال الزراعة والثروة الحيوانية ، يكفى أن يذكر أنها تتمتع بأضخم نظام للرى فى الاتحاد السوفييتى ، حيث بها - وحدها - نحو ٥٤٪ من كافة الأراضى المروية فى الاتحاد السوفييتى كله ، ويزرع فى هذه الجمهورية الإسلامية ، الخصبة بكميات هائلة ، تصل إلى ملايين الأطنان أحياناً ومئات ألوفها فى معظمها ، يزرع القطن والفاكهة والحبوب والأرز والخضر .

أما فى مجال الثروة الحيوانية فهناك عناية خاصة بها ، وهى أيضا بالملايين ، سواء تحدثنا عن الماشية أو الأغنام ، وبطبيعة الحال فإن الإنتاج الحيوانى يعتبر ضخما أيضا ، من لحوم وألبان وأجبان وبيض وصوف ، كما أن هناك كميات كبيرة من الأسماك التى يصطادها السكان من الأنهار المنتشرة فى أنحاء البلاد .

وفى مجال التعدين والصناعات نجد أن هناك موارد غنية للطاقة منها البترول والفحم والغاز الطبيعى والكهرباء ، بالإضافة إلى توفرالمعادن المختلفة مثل النحاس والذهب والبوكسايت . وإنتاج هذه الجمهورية الإسلامية بمئات الألوف من الأطنان سنويا ، من الصلب والفحم ، كما أن إنتاج البترول وصل فى بعض الأوقات إلى أكثر من أربعة ملايين طن ، أما إنتاج الغاز الطبيعى فهو يقترب من أربعين مليون م^3 سنويا . بالإضافة إلى إنتاج هائل من نسيج القطن يصل إلى نحو ١٧٤ مليون م^2 ، ومن نسيج الحرير ٧٢ مليون م^2 . وتصنع هذه الجمهورية الإسلامية ١٩,١٠٠ جرارا سنويا ، بالإضافة إلى صناعات أخرى كثيرة منتشرة فى البلاد مثل الأسمنت والنحاس والأسمدة المعدنية والأحذية والبلاستيك والملابس والأدوات المنزلية والآلات الزراعية ، والصناعات الغذائية ، وأجهزة استخراج البترول وتكريره والمحركات والمحولات والمكبرات وأجهزة الصوت للسينما ، وأدوات الراديو والمصابيح الكهربائية

والأدوات الدقيقة . . الخ .

وحينما ننتقل إلى جمهورية طاجيكستان الإسلامية نجد أنفسنا أمام جمهورية يتنوع فيها المناخ من البارد جدا إلى المعتدل ، ومن هنا يقوم اقتصادها أساسا على الزراعة والرعى ، كما أن بها الكثير من الصناعات الثقيلة وتعتبر من البلاد المتقدمة فى مجال استخدام أحدث الأساليب الزراعية ، ولديها الكثير من الإنتاج الزراعى المتنوع ، فهناك القطن والخضر والجوت وبنجر السكر وقصب السكر ، بالإضافة إلى بذور الزيت ومحصولات الحبوب كالقمح والأرز والشعير ، ويصل إنتاجها من القطن لأكثر من ٨٠٠،٠٠٠ طن مثلا ، كما أن الخضر والفواكه تقدر بمئات الألوف من الأطنان أيضا .

أما بالنسبة للثروة الحيوانية فهى تسير حسب الأساليب العلمية الحديثة أيضا ، مثلها فى ذلك مثل الثروة الزراعية ، فتزيد فيها الماشية على مليون رأس مثلا ، بينما تقدر الحيوانات الأخرى بالملايين ، ومن هنا نجد أن الإنتاج الحيوانى كبير أيضا ، فإنتاجها من اللحوم يكاد يصل إلى مائة ألف طن سنويا ، وإنتاجها من الألبان بمئات الألوف من الأطنان ، ونفس الشيء يقال عن الصوف ، أما البيض فيكاد يصل إلى مائتى مليون بيضة سنويا .

وحينما نصل إلى التعدين نجد أن هذه الجمهورية الإسلامية الخاضعة للشيوعيين السوفييت تشتمل أراضيها على الكثير من المعادن التى من أهمها : الفحم والبترول والغاز الطبيعى والرصاص والزنك والتنجستن والذهب والفضة . ومن هنا فلقد تطورت الصناعة فى طاجيكستان حيث بها صناعات حديثة ومتقدمة فى ميادين المنسوجات القطنية والمواد الغذائية والتعدين والهندسة الكهربائية وكذا الصناعات الكيماوية، بالإضافة إلى صناعة الجرارات وقطع غيار السيارات ، ثم المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية .

ويكفينا فى هذا المجال أن نشير فى عجالة سريعه إلى أن إنتاج هذه الجمهورية من الغاز الطبيعى يقترب من ٤٠٠ مليون متر^{3} ، وأن إنتاجها من الكهرباء يكاد يصل إلى ٤٠٠٠ مليون كيلوات/ ساعة ، كما أن الفحم قد اقترب فى إنتاجه من مليون

طن سنويا ، وغير ذلك كثير فى الأسمنت والمخصبات ، أما المنسوجات القطنية فهى تقترب من ١٠٠ مليون م ، أما المنسوجات الحريرية فهى تقترب من ١٠٠ مليون م[٢] .

ونصل إلى جمهورية تركمانستان أو تركمانيا كما يطلق عليها البعض ، فنجد أنفسنا أمام جمهورية يقوم اقتصادها أساسا على الزراعة المتطورة التى تعتبر دعامة أساسية وقوية للاقتصاد الوطنى ورغم أن مساحات كبيرة من هذه الجمهورية الإسلامية تعتبر من الأراضى الصحراوية الجافة ، إلا أنه قد نفذت فيها مشروعات كبرى للرى ، حيث أقيمت خزانات ملئية كبرى على الأنهار ، كما حفرت قنوات كثيرة للغرض ذاته ، ويكفى أن نشير إلى أن إحدى القنوات الرئيسية تصل فى طولها إلى أكثر من ٥٠٠٠ كم . وبسبب هذه القناة تزايدت المساحة المحصولية بنسبة ٥٠٪ عما كانت عليه قبل حفرها ، وتحولت الصحراء من حولها إلى شريط مستطيل أخضر من مزارع القطن وبساتين الفاكهة والكروم ، ولاينس هنا خدمات نقل الإنتاج الزراعى التى استفاد ت كثيرا من هذه القناة .

ويتنوع الإنتاج الزراعى فى تركمانستان فنجد الحبوب والأرز والقطن والخضر والفواكة والأعناب . . الخ ويمثل القطن العمود الفقرى للزراعة وإحدى الدعائم الاقتصادية الأساسية للبلاد حيث يشغل نصف المساحة المزروعة وتأتى صناعة المنسوجات القطنية فى المقام الأول فى الجمهورية ، يليها الخضروات من حيث الإنتاج ، ثم نجد بعد ذلك القمح والأرز والذرة والبرسيم ، وكثيرا من الفواكه مثل : العنب والبلح والتين والبطيخ والشمام والرمان والليمون . . الخ .

أما الثروة الحيوانية فى هذه الجمهورية الإسلامية فهى تنمو وتزداد فى كل عام عن الذى سبقه ، وهى تشتمل على الماشية والأغنام ، بينما يتنوع إنتاج سكانها من ناتج الثروة الحيوانية من اللحوم والألبان والأجبان والبيض الذى يصل إلى نحو ١٥٠ مليون بيضة سنويا ، كما أنها تنتج الصوف أيضا .

وبالنسبة للثروة المعدنية نجد أن جمهورية تركمانستان الإسلامية بها كميات طيبة من الغاز الطبيعى والكبريت والفحم والمغنسيوم والملح والمعادن الأخرى . والبترول

أما بالنسبة للصناعات فهناك الصناعات الكيماوية وصناعة المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية ، وبطبيعة الحال صناعة المواد الغذائية، كما يعد إنتاج الآلات من أحدث فروع الصناعة الثقيلة فى تركمانستان ، وهى تنتج الآلات الهندسية و(البلدوزرات) والجرارات وآلات الحصاد والمعدات والأجهزة الكهربائية .

هذا وتشتهر بعض مدن الجمهورية بصناعات تقلدية معينة مثل السجاد الفاخر كما أن الإنتاج من حلج القطن ونسجه وكذا نسج الحرير وصناعات الزجاج والصناعات الغذائية آخذة فى الزيادة والتطور ، فإنتاجها من البترول ربما يكون قد زاد الآن عن ٢٠ مليون طن ، ومن الغاز الطبيعى حوالى ٣٠مليون م٣ . . وهكذا .

أما فى جمهورية قازاخستان فالإنتاج الاقتصادى بها يقوم على دعائم قوية من الزراعة والرعى والصناعة معا ، فهى من **أكثر جمهوريات الاتحاد السوفييتى إنتاجا للحبوب، وبخاصة القمح الذى يصل ومعه بعض الحبوب إلى نحو خمس إنتاج الاتحاد السوفييتى كله، حيث أن هذه الجمهورية الإسلامية الخاضعة للاتحاد السوفييتى تشغل المرتبة الثانية بعد جمهورية أوكرانيا فى هذا المجال ، كما أنها تنتج أكثر من خمس إنتاج الاتحاد السوفييتى كله من الصوف ، كما أن قازاخستان تعد المصدر الرئيس لإنتاج الرصاص والزنك فى الاتحاد السوفييتى ، كما تشغل المرتبة الثانية فى إنتاج النحاس ، والمرتبة الثالثة فى إنتاج الفحم والبترول ، بل وأكثر من ذلك أن نعرف أن جمهورية قازاخستان الإسلامية تعتبر ثالث جمهوريات الاتحاد السوفييتى من ناحية حجم الإنتاج الصناعى .**

هذا ولقد كانت حرفة الرعى هى السائدة بين سكان قازاخستان فى الماضى ، غير أن الزراعة تفوقت عليها اليوم ، بالرغم من احتفاظ حرفة الرعى بأهميتها ، وقد بلغت مساحة الأراضى الزراعية فى قازاخستان فى سبعينات هذا القرن حوالى ١٤٪ من مجموع المساحة الزراعية فى الاتحاد السوفييتى .

أما الإنتاج الزراعى فيشمل الحبوب والأرز والقطن وبنجر السكر ، والخضر والبطاطس والفواكه والأعناب ، وفى بعض هذه المحاصيل نجد أن الإنتاج منها يصل إلى ملايين الأطنان سنويا ، كما هو الحال فى الحبوب والبنجر والخضر والبطاطس .

ويقدر بعض علماء الجغرافيا الاقتصادية أن جمهورية قازاخستان ، الإسلامية تمثل «**سلة الخبز**» **بالنسبة للاتحاد السوفييتي المستعمر** ، وذلك نظرا لكثرة ما تنتجه من الحبوب عامة والقمح بشكل خاص ، حيث تأتي في المرتبة الثانية في إنتاج القمح بعد أوكرانيا .

وفي قازاخستان ثروة حيوانية ضخمة تعتمد على المراعي الطبيعية التي لاتزال تشغل قسما كبيرا من السهول والسفوح الجبلية . هذا وإن إنتاج قازاخستان من الثروة الحيوانية ليقدر بالملايين . ففي الماشية يزيد عن ٨ مليون رأس ، أما الأبقار فتزيد عن ٣ مليون رأس ، بينما تصل أعداد الأغنام لأكثر من ٣٥ مليونا ونفس الشيء بالنسبة للدواجن . وبذلك تمتلك قازاخستان أكثر من خمس ثروة الاتحاد السوفييتي من الثروة الحيوانية كلها .

ونتيجة لذلك تجد أن المنتجات الحيوانية من جمهورية قازاخستان الإسلامية تمثل ثروة رئيسية للإتحاد السوفييتي كله ، فهي تلبي حاجة سكانها جميعا ، وتصدر الفائض عنها إلى باقي الجمهوريات الأخرى ، فهي في اللحوم على سبيل المثال تنتج أكثر من ألف مليون طن (أي مليار طن من اللحوم سنويا . . !!) كما تنتج أكثر من مليارى بيضة في العام (٢٤٠٠ مليون) ، وفي الصوف تنتج أكثر من مائة مليون طن سنويا ، يضاف إلى كل ذلك كميات ضخمة من الأسماك التي يصيدها السكان من الأنهار والبحيرات والبحار الداخلية .

ونصل إلى التعدين فنجد أن هذه الجمهورية الإسلامية التي أخضعت بقوة السلاح للشيوعيين السوفييت تعتبر الأولى بين دول العالم كله في إنتاج الكروم ، كما تنتج ٦٢٪ من نحاس الاتحاد السوفيتي ، ٦٠٪ من رصاص ، ٥٠٪ من التوتيا فيه . كما تتوفر في البلاد معادن أخرى كالحديد والفحم والبترول والغاز الطبيعي والذهب والفضة والنيكل والمنجنيز والتنجستن والبوكسيت وغيرها .

هذا ويجمع الاقتصاد الصناعي في قازاخستان الإسلامية بين الصناعة الثقيلة والصناعات الخفيفة والصناعات الغذائية . وقد نمت الصناعات الاستخراجية والكيمائية وصناعات مواد البناء ، هذا وقد تعدى إنتاج قازاخستان من الحديد ٤ مليون طن ، ومن الفحم ٨٠ مليون طن . ومن البترول ٢٠ مليون طن ، ومن الغاز الطبيعي ٥٠٠٠ مليون م٣ ، ومن القوى الكهربائية ٤٤,٠٠٠ مليون كيلوات/ساعة ، ومن الصلب ٥ مليون طن ، ومن الأسمدة المعدنية ٤,٥ مليون طن ، ومن

الأسمنت ٦,٥ مليون طن ، ومن المنسوجات القطنية ٨٥ مليون م[٢] .

ونصل إلى آخر الجمهوريات الإسلامية الخاضعة للاتحاد السوفييتى المستعمر، وهى **جمهورية قرغيزيا** ، فنجد أنفسنا أمام بلاد متنوعة الإنتاج . . . رعيا وزراعة . . وصناعة ، وقد بذل الروس جهودا خارقة للسيطرة على السكان المسلمين فيها وفى سبيل ذلك أحضروا مئات الآلاف من الروس لتوطينهم فى بلاد القرغيز المسلمين الذين قاوموا مقاومة باسلة ضد احتلال الروس لأراضيهم والاستيلاء عليها وضمها للاتحاد السوفييتى ، وقد قتل منهم أعداد لا حصر لها فى مقاومتهم للشيوعيين .

هذا ويتنوع الإنتاج فى جمهورية قرغيزيا فنجد هناك إنتاجا زراعيا ضخما يشمل الكثير من المحصولات مثل : القطن والقمح والتبغ والجوت والبذور الرئيسية والعلف والخضر والفواكة وبنجر السكر والبطاطس والفواكة والأعناب . . الخ . والإنتاج من هذه المحاصيل كثير ومتنوع **ويكفى أن نذكر أن إنتاج الحبوب يزيد عن المليار طن بكثير وكذا إنتاج بنجر السكر ، أما إنتاج القطن فيتعدى المليارى طن بكثير ، ويزيد إنتاج بعض المحاصيل عن حاجة السكان فى هذه الجمهورية الإسلامية فتقوم بتصدير الفائض إلى باقى الجمهوريات السوفيتية ، فهم بذلك يطعمون الروس الشيوعيين المحتلين .**

هذا وتشتهر قرغيزيا بثروتها الحيوانية التى تربى على المراعى الطبيعية بصفة أساسية ، وقد خصصت مساحة ١١ مليون هكتار تقريبا للمراعى ، حيث تربى قطعان كبيرة من الماشية والأغنام ذات الصوف الممتاز . وتصل أعداد الحيوانات أرقاما كبرى ، حيث تزيد الماشية عن مليون رأس ، كما أن الأبقار بمئات الألوف بينما تزيد الأغنام عن ١٠ مليون رأس، وتقترب الدواجن من ٨ مليون ، ولذلك نجد أن الإنتاج الحيوانى كبير ومتعدد ، فهى تنتج أكثر من مائة وخمسين ألف طن من اللحوم ، وأكثر من ٦٠٠ ألف طن من الألبان ، أما الصوف فيزيد إنتاجه عن ٣٠ ألف طن ، كما يزيد إنتاج البيض عن ٣٠٠ مليون بيضة بكثير .

وفى مجال التعدين نجد أن جمهورية قرغيزيا بها كميات ضخمة من البترول والغاز الطبيعى والفحم والرصاص والزئبق والأنتيمونى . وتعد قرغيزيا واحدة من أكبر

الجمهوريات التى تزود الاتحاد السوفييتى بالزئبق والانتيمونى . ويصل إنتاجها من الفحم إلى أكثر من أربعة ملايين طن ، أما الغاز الطبيعى فيزيد عن ٤٠٠ مليون م٣ فى العام ، كما أن إنتاج الكهرباء يزيد عن ٤٠٠٠ مليون كيلوات، ساعة بكثير .

وتمتلىء قرغيزيا بمئات المصانع التى تعمل على تكرير البترول والسكر ودبغ الجلود وحلج القطن ، وتنظيف الصوف ، وطحن الغلال ، وعمل التبغ ، وتعليب الأغذية ، وصناعة النسيج والأثاث ، إلى جانب مختلف متطلبات الهندسة والتعدين ومواد البناء والكهرباء والسيارات وغيرها . وإنتاجها من السيارات يقترب من ٢٠,٠٠٠ سيارة فى العلم ، وتنتج من الأسمنت نحو مليون طن فى العام ، ومن الأقمشة القطنية حوالى ٣ مليون متر ، ومن الأقمشة الحريرية حوالى ٧ مليون متر ، ومئات الآلاف من أطنان السكر .

وبعد أن استعرضنا الإنتاج الاقتصادى للجمهوريات الإسلامية الست ، الواقعة تحت السيطرة الاتحاد السوفييتى الاستعمارية الاستيطانية الجشعة ، وبعد أن تأكدنا من غنى هذه الجمهوريات بالمصادر الطبيعية والموارد الاقتصادية ، التى تمد جمهوريات الاتحاد السوفييتى الأخرى بالكثير من ضروريات الحياة . . من غذاء وكساء وطاقة . يتضح لنا لماذا أقدمت روسيا القيصرية . . وروسيا الشيوعية من بعدها على احتلال هذه الجمهوريات ، وقتل أهلها واغتصاب خيراتها .

إننا أمام هدفين خطيرين لهذه القوة الاستعمارية الغاشمة ، الهدف الأول هو ضرب الإسلام والقضاء على المسلمين، خاصة وقد ثبت أن المسلمين فى هذه الجمهوريات الإسلامية كانوا من المسلمين الأقوياء الذين عملوا على نشر الدين والجهاد فى سبيل الله ، فيما حولهم من مدن وقرى ، والهدف الثانى هو ضم هذه الأراضى الخصبة بعناصرها البشرية النشطة إلى رقعة الاتحاد السوفييتى الشاسعة ، كى يزداد اتساعاً ، ويزداد غنى ، على حساب المسلمين الذين قاوموه مقاومة عنيفة ، بلغت حد التضحية بمئات الألوف منهم ، **ولكن نظرا لأنهم حاربوه فرادى فإنه انتصر عليهم . ولعل هذا يعطينا مؤشرا خطيرا ينبغى أن نتنبه له نحن المسلمين ، ألا وهو أننا إذا تركنا أفغانستان الإسلامية المجاهدة تصارع هذا الدب المفترس . .**

وحـدهـا ، فإن مصيرها ـ والعياذ بالله قد يكون مثل مصير شقيقاتها الجمهوريات الإسـلاميـة السابقة ، ثم نعود نتحدث ـ فيما يلي من أيام وأجيال ـ عن أفغانستان الجمهورية الإسلامية السابعة ، ضمن جمهوريات الاتحادالسوفييتي . . . لاقدر الله .

وينبغي أن يكون معلوما لدى جميع المسلمين . . في آسيا . . وفي غيرها ، أن هذا الـدب السوفييتي الرهيب لايشبع ولايقنع ، بل إن نجاحه في قضم بعض البلاد الإسلامية . . وهضمها ، يغريه بمزيد من الهجوم ، ومن التوسع ، على حساب المسلمـين الضعـاف الـذين يحاربـونه فرادى . . دولة . . دولة . . أو فريسة . . فريسة ، بينما يتفرج الباقون ، وقد نسوا حكمة الشاعر العظيمة التي قالت :

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا . . . وإذ افترقن تكسرت آحدا .

هذا وللعلم فإن هذه الجمهـوريات الإسـلامية التي استعرضناها من النواحي الإقتصـادية ليست غنية فقط في مواردها الاقتصادية هذه ، بل إنها غنية بمواردها البشرية ذات النوعيات الجيدة ، والتي سبقت الإشارة لأعداد سكانها ، في بداية هذا الفصل ، ويكفي أن نشير هنا إلى أن نسبة الأمية بين سكانها جميعا في المرحلة العمرية من ٩ـ٤٩ سنـة لاتزيد على ١٪ فقط ، كما أن بها أعداداً هائلة من المدارس الثانوية والثـانـوية المتخصصـة ، ومن الجامعات والمعاهد العليا ، وكذا مؤسسات البحث العلمي ، والمكتبات والصحف والدوريات .

ولمن تهمهم الأرقام يكفي أن نشير إلى أن هذه الجمهوريات الإسلامية الست بها أكثر من ١٢٥ جامعة ومعهد عال بها مئات الألوف من الطلاب والطالبات ، كما أن بها أكثـر من ثلاثـين ألف مدرسـة ثانـوية ، بالإضـافـة لمئـات المـدارس الثـانوية المتخصصـة ، علاوة على نحـو ١٠٠٠ صحيفـة يومية ، ونحو ٦٠٠ دورية علمية وثقـافية ، ثم إنها جميعـا لديهـا مؤسسات للبحث العلمي كثيرة ، تزيد على ١٣٥ مؤسسة ، وعند الحديث عن المكتبات فيكفي أن نذكر أن لديها نحو ٢٠,٠٠٠ مكتبة تشتمل على ملايين الكتب . . بل عشرات الملايين وكل ذلك مما يضيف إلى ثقافة المجتمعـات في هذه الجمهـوريات الإسلامية التي فقدها العالم الإسلامي لصالح الشيوعيين المعتدين والمغتصبين في الاتحاد السوفييتي .

الفصـــل الـرابـــع :

تـاريـخ الاتحـــاد السوفييتى مـــع المسلمـــين فـــى آسيـــا

لقد دخل الإسلام إلى أواسط آسيا منذ أيامه الباكرة الأولى ، فلم يكد الخليفة الأول أبو بكر ، رضى الله عنه ، ينتهى من حروب الردة حتى توفاه الله ، بعد فترة خلافة قصيرة جدا ، لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولكنها كانت فترة حاسمة ، لأنها أعـادت إلى الإسـلام أولئـك الشاردين الذين سولت لهم أنفسهم فى لحظات ضعف وطيش الخروج على الجماعة ، والارتداد عن دين الله .

وحين أصر أبو بكر رضى الله عنه على قتال المرتدين . . جميعا ، فى وقت واحد ، وعلى إنفاذ جيش أسامة لقتال الروم على الحدود ، وهو الجيش الذى كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد أعـده قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى . . . حين فعل أبو بكر ذلك ، وقال قولته الشهيرة «والله لو منعونى عقالاً كان يؤدونه لرسول الله . . لقـاتلتهم عليه» عرف الجميع . . بل تيقنوا أن جند الله هم الغالبون ، وأنهم هم المنصورون ، طالما تمسكوا بما تركه نبى البشرية لهم . . كتاب الله . . وسنته صلى الله عليه وسلم .

ولذلك فإنه حين تولى الخلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، كان المسلمون فى قمـــة حماسهم للجهـــاد فى سبيل الله ، فانسـاحت جيوش التـوحيد شمالا . . وشرقا . . وغربا ، لتقضى على حصون الظلم ومعاقل الشرك والكفر ، فضربوا جند الروم فى الشام ومصر ، وقضوا على امبراطورية عبدة النار من الفرس المجوس ، ومن هناك اندفعوا شمالا وشرقا فى قارة آسيا الشاسعة ، ينشرون كلمة التوحيد ، ويهدون الناس إلى عبادة الواحد القهار . ولقد كانت هذه الفتوحات الإسلامية المبكرة هى

القواعد الأولى التى أرسيت عليها دولة الإسلام فى القارة الآسيوية ، والتى وجدت على آثارها الجمهوريات الإسلامية الست التى التهمها الروس المحتلون ، سواء فى أيام قياصرتهم التواقين إلى الاغتصاب والاستعمار ، أو فى أيام الشيوعية التى قضت على حرية شعبها ، ثم استدارت تقضى على حريات الآخرين ، رغم كثرة الشعارات التى رفعها قادتها عن الحرية ، وعن مناصرة الشعوب المغلوبة على أمرها . . !!

وعلى ذلك يمكننا القول بأن الإسلام له جذور قوية بالغة العمق شديدة القوة ، منذ أيام خلافة عمر بن الخطاب ، فى أواسط آسيا ، وذلك حيث مضى المسلمون بعد هزيمة الفرس الماحقة فى فتح أراضى أرمينيا وأذربيجان ، وذلك على يد حذيفة بن اليمان ، والمغيرة بن شعبة ، والأشعث بن قيس الكندى ، ومن بعدهم الوليد بن عقبة بن أبى معيط فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، وسعيد بن العاصى ، ثم جاء الوليد بن عقبة الذى غزا البلاد التى تلى قزوين ، كذلك كثر جهاد المسلمين فى هذه البقاع فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وامتدت الفتوح الإسلامية ـ دون توقف ـ فى عصر الخلافة الأموية حتى أمنت بحر قزوين بأكمله ، وأقامت الثغور على شواطئه لحماية ديار الإسلام ، وامتد الوضع بنفس الحالة فى عصر الدولة العباسية والتى فرضت نفوذها على كثير من الممالك هناك حتى أدى أهلها الخراج للدولة الإسلامية الفتية .

أما فى وسط القارة فإن الأحنف بن قيس قد اندفع بجند الله الموحدين لينشر الإسلام ، بعد أن وافقة أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، على ذلك ، وهناك أخضعت خراسان للمسلمين ، ومن بعدها أخضعت طخارستان الولاية الكبيرة فى أعالى نهر جيحون والتى هى جزء من جمهورية طاجيكستان الحالية والواقعة إلى الجنوب الشرقى من جمهورية أوزبكستان ـ وفى مراحل تالية عززت الفتوح الإسلامية بفتح بلاد سيحون وبخارى وسمرقند وفرغانة وطشقند ، وقد بُنى أول مسجد فى بخارى عام ٩٤هـ ، ويعد هذا المسجد ومئذنته من أهم الآثار الإسلامية

فى بخارى حتى وقتنا الحاضر .

ولقد ظلت الفتوح الإسلامية تندفع شرقا ـ فى قارة آسيا ـ حتى وصلت إلى أطراف الصين ، فى الفترة ما بين ٩٤ـ٩٧ هـ ، فى عهد الوليد بن عبدالملك ، حيث توجد جمهورية قرغيزيا التى سبق الحديث عنها فى الفصل السابق . بل إن المسلمين الجدد من أهل البلاد هم الذين حملوا لواء الجهاد ، خاصة من منطقة التركستان الغربية ، وأوصلوا الإسلام إلى بلاد الصين ذاتها ، وبخاصة فى إقليم التركستان الصينية .

ويقول مؤلفا كتاب تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر(*) أن الإسلام ـ بعد ذلك ـ قد انتشر فى حوض نهر الفولجا عن طريق التجارة فى بداية الأمر ، ثم عن طريق الدعوة ، إذ دخل الإسلام إلى مملكة بلغار التى كانت قائمة على المجرى الأوسط لنهر الفولجا ، وكانت حاضرتها «بلغار» بالقرب من موقع قازان الحالية ، وذلك فى نهاية القرن الثالث الهجرى ، إذ وصل إليها جماعة التجار الذين يتاجرون فى الفراء من أصقاع الشمال ، وعن طريقهم أسلمت جماعة من البلغار ، فطلبت من الخليفة العباسى فى بغداد أن يرسل لهم من يفقههم فى الدين ، فبعث لهم قائده احمد بن عباس والمعروف بـ(ابن فضلان) .

وغزا المغول بقيادة جنكيز خان آسيا الوسطى ـ كما يقول المؤلفان السابقان ـ وكان جيشه يضم أعدادا من البوذيين والنساطرة النصارى ، وبتحريض من الصليبيين الذين فشلوا فى حروبهم ، وتمكن جنكيز خان من الانتصار على جيش خوارزم . . . ودخل مدينة بخارى وأحرقها ، ونهب وسبى ماشاء له طغيانه ، ثم تقدم نحو الغرب فقاومته نيسابور ، فكان جزاء أهلها القتل ، وتابع سيره غربا فدخل أوروبا واحتل بلاد الروس ، وتوفى فخلفه ابنه (أوجتاى) الذى غزا الصين ، ثم عاد فاتجه غربا فدخل روسيا وجعلها ولاية تابعة له عام ٦٣٣هـ . كما استولى على المجر وبولندا ، إلا أن المغول انسحبوا من بعض مناطق أوروبا عندما حدث بينهم خلاف على الحكم .

---

* اسماعيل احمد باغى ، محمود شاكر فى تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، الجزء الأول الجناح الآسيوى ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

قسم جنكيز خان امبراطوريته الواسعة قبل أن يموت بين أولاده ، فكان نصيب ابنه الكبير القسم الغربى ، ويضم روسيا وبولندا ، وأعطى ابنه الثانى آسيا الوسطى ، وكانت الصين من نصيب ولى عهده ، وأعطى فارس لولد من بنيه ، وقد أسس كل واحد منهم أسرة حكمت المنطقة التى كانت من نصيبه ، وقد أسس أحد أحفاد جنكيز خان ، وهو (أباتو بن جوجى) القبيلة الذهبية التى لم تلبث أن اعتنقت الإسلام . . . وبعده غدا المغول التتار المسلمين ، واستقروا فى المناطق التى دخلوها ، وهذا هو الذى جعل الأجزاء التى حكموها إسلامية ، وهى تشمل حوض نهر الفولجا ، وسهوب أوكرانيا ، وشبه جزيرة القرم ، وأجزاء من المناطق الوسطى ، وجزر متفرقة فى بولندا ، والمجر ، وليتوانيا ، وبقاعا على سواحل بحر البلطيق فى فنلندا ، وفى موقع لينتجراد اليوم .

وبدأ أمر المغول يضعف بعد ذلك فى الوقت الذى أصبح أمر الروس يقوى حيث بدأوا يجمعون أنفسهم حول بعض أمرائهم ، وخاصة حول أمير موسكو ، وأمير كييف ، ولقد نظر الروس إلى هؤلاء المغول من التتار على أنهم أعداء لهم بصفتهم حكام بلادهم يريدون أن يحلوا محلهم ويحكموا أرضهم ، كما نظروا إلى العثمانيين الترك فى جنوبهم على أنهم أعداء لهم لأنهم فتحوا القسطنطينية ، واتخذوها حاضرة لهم ، وغدت ضمن بلاد المسلمين ، وكانت من قبل مركز الأرثوذكس ، والروس من النصارى الأرثوكس ، فاتخذ الروس من أنفسهم حلفاء للبيزنطيين ، ومن عاصمتهم موسكو مقرا للكنيسة الأرثوذكسية عوضاً عن القسطنطينية .

كما نظرا الروس إلى التتار والعثمانيين على أنهم إخوة مادامـوا جميعا يدينون بالإسلام . . وانصب عداؤهم على الإسلام بدافع حقدهم الصليبى ، والمسلمون يحكمونهم . . . إن هذه النظرة لم تزل ، وهذه السياسة لم تتغير ، والروس ـ روس ، سواء كانوا من القياصرة أو من الشيوعيين . ولقد بدأوا هجومهم على المسلمين فى آسيا ، وسكتت الدول الأوروبية الأخرى على ذلك فرحاً فى محاربة الإسلام وحقدا على أهله ، كذلك لكى تندفع روسيا ناحية الشرق . . . بدلاً من أن تتجه نحو الغرب ، ولذا فرحت هذه الدول ، خاصة انجلترا وفرنسا ، حتى لاتصل روسيا إلى

المياه الدافئة ، وتصبح المضايق (البوسفور والدردنيل) بيدها .

ومن الأحداث الهامة فى تاريخ توسع روسيا فى آسيا ، ضم القرم فى ١٧٨٠م ، وانتصارات روسيا المتلاحقة على الامبراطورية العثمانية وفارس فى القوقاز فى السنوات التى أعقبت ١٨١٠م . وقد سيطرت روسيا على المناطق الهامة فى القوقاز وعلى فارس وبحر قزوين ، مما مكنهم من استكشاف أحوال بلاد التركمان ووسط آسيا ، وبدأوا يوسعـون امـبراطـوريتهم شرقا وجنوبا بشرق ، وفيما بين ١٨٤٠ ـ ١٨٥٠م احتلوا سهول الكازاخ ، وأصبحوا فى منتصف القرن ١٩ الميلادى يسيطرون على معظم بلاد القوقاز ، ووصلت حدودهم الشواطىء الشمالية لبحر آرال والشرق الأقصى(*).

ومما يذكر هنا أن المسلمين فى هذه البلاد قاوموا الغزو السوفييتى مقاومة عنيفة ، وجاهدوا ضده قدر إمكانياتهم واستطاعتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا الوقوف فى وجهه لعـدة أسباب ، من أهمها أنهم حاربوه منفردين . . كل مجموعة على حدة ، وبذا استـطاع أن يقضى على دولهم واحـدة وراء الأخرى رغم بسالتهم وتضحياتهم ، والسبب الثانى هو عدم استطاعة المسلمين أن يقدموا لإخوانهم فى آسيا دعماً يمكنهم من الصمـود فى وجـه المستعمـرين الروس ، وذلك لأن بلاد العالم الإسلامى ـ فى معظمها ـ كانت واقعة تحت ظروف غير مواتية ، فلقد كانت الهجمة الاستعمارية ـ باتساع العالم ـ على بلاد المسلمين فى قمة عنفوانها ، **ولكن ذلك لاينفى أن المسلمين فى وسط آسيا قد أبدوا بسالة منقطعة النظير . . جهادا فى سبيل الله ، ودفاعا عن الأرض والعـرض والأبنـاء والمقدسات ، ويكفى أن يؤرخ لواحد منهم هو الشيخ شامـل الـذى دوخ الـروس لسنـوات طوال ، حتى لقب بالمجـاهد الأسطورة ، ولم يتمكن الروس منه إلا بالخداع والحيلة حيث استطاعوا هزيمته أخيرا فى العامين ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠م ، وهكـذا أصبحت القوقاز** قاعدة رئيسية لتوسع روسيا فى اتجاه الجنوب الشرقى .

---

* محمد ساراى : نتائج حملة روسيا الحضارية في أراضى المسلمين التركستان ؟ (ضمن بحوث ندوة الأقليات المسلمة فى العالم ظروفها المعاصرة ، آلامها وأمالها ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

ليس هذا فقط ، ولكن مؤرخا منصفا مثل أنتونى أرنولد Anthony Arnold يقول بأن الأراضى السوفيتية الواقعة شمال أفغانستان تعتبر أراض إسلامية . . تاريخيا وثقافيا ، كما أن احتلال السوفييت لها واستيلاءهم عليها لايزيد على قرن واحد من الزمان . وقد ظلت مقاومة المسلمين للاحتلال الروسى دائرة فى حروب طاحنة ـ إلى نحو خمسين عاما فقط . . وينظر الرجل بعين المستقبل ، فى لمحة ذكية ، حين يقول إن ما يجرى فى أفغانستان الآن ذو صلة هامة وحساسة . . . ليس فقط بالنسبة لباكتسان وإيران . . وإنما لأوزبكستان وتاجيكستان .

وبطبيعة الحال فإن القارىء يدرك أن المؤلف هنا يلمح إلى مخاوف السوفييت التى لم يستطيعوا أن يخفوها ، فى الفترة الأخيرة ، من أن تنتقل عدوى الجهاد من الأفغان إلى الجمهوريات الإسلامية الأخرى ، فجذوة النار هناك . . تحت التراب ، **والمسلمون لم ينسوا دينهم ، كما أنهم لم ينسوا شهداءهم الذين راحوا . . بالملايين ، على أيدى الشيوعيين ، وهم بطبيعة الحال لم ينسوا ما ذاقوا من ذل واضطهار على أيدى الدخلاء المغتصبين ، الروس الشيوعيين . . الذين نزحوا ثروات بلادهم واستعبدوهم وقضوا على ثقافتهم ومنعوهم من تأدية شعائر دينهم .**

ويرجع بنا أحد المؤلفين إلى سبب آخر . من أسباب هجموم السوفييت (الروس) على بلاد المسلمين فى وسط آسيا ، بعيدا عن الأسباب التى ذكرت قبل ذلك ، **فهو** يضيف بعدا نفسيا جديدا ، **وهو أن الروس لايزالون يحملون للإسلام والمسلمين أشد مشاعر العداء ،ويرجع ذلك للفترة من القرنين ١٣ـ١٥ م حين هُزم الروس وسيطر عليهم المغول المسلمون** ، ولذلك اعتبر الروس أن هزيمتهم وسيطرتهم على وسط آسيا بمثابة رد اعتبار لهم وانتقام من الذين أذلوهم ، **وقد كان استيلاؤهم على «سمرقندة» عام ١٨٦٨م قمة هذا الشعور ، وذلك لأنهم هزموا على أيدى سكان هذا الإقليم وذاقوا الأمرين فى الحرب أمامهم .**

وعلى الرغم من مرور نحو ٥٠٠ عام على هزيمة الروس أمام المسلمين بقيادة تامرلين Tamerlane نجد أنهم لم ينسوا هذه الهزيمة ، بل إنهم يذكرونها قائلين : لقد احتلت قواتنا عاصمة ذلك الجبار الذى أذلنا عام ١٣٩٥م ، ودخلنا إلى حيث يرقد

فى قبره . وهـذا الموقف النفسى يذكرنا بموقف الجنرال اللنبى الذى وقف أمام قبر صلاح الـدين متشفيا فى نهاية الحـرب العالمية الأولى قائلا : ها قد عدنا يا صلاح الدين . . !! وكان يعيش بذكرى هزيمة الصليبيين أمام القائد المسلم رحمه الله منذ بضعة قرون . . . !!

المهم أنـه ابتداء من عام ١٧٦٥م وحتى ١٨٨٥م تحركت الجيوش الروسية إلى الدول الإسلامية فى وسط آسيا واحتلتها واحدة وراء الأخرى ، وفى هذا السبيل قضى على الملايين ـ دون أدنى مبالغة ـ وسحقت مقاومتهم وأحرقت مزارعهم ومساكنهم ، وفرض حكم القياصرة على مسلمى وسط آسيا بالحديد والنار ، والذين لم يقتلوا منهم عاشـوا فى ذل مهـين تحت سيطرة الروس الحاقدين كما عانوا من سوء الإدارة ومعه الاستغلال والنهب لثرواتهم وناتج عملهم من جانب السلطات الروسية التى تولت أمرهم ، وكان هذا هو حال المسلمين فى بلادهم الواقعة تحت الاحتلال حتى وقت قيام الثورة الشيوعية فى ١٩١٧م .

وجاءت الثورة الشيوعية :

إن بعض المخدوعين بالشعارات فى عالمنا الإسلامى اليوم ، قد لا يعرفون حقيقة مشاعر الشيوعيين تجاه الدين الإسلامى وتجاه المسلمين . إنهم مخدوعون فى الشعارات التى يرفعهـا قادة السـوفييت فى الخـارج . والتى صيغت كى تخدع الشعـوب الإسلامية ، فهى تتحدث عن الحرية وعن الاشتراكية وعن التحرير ، بينما حقيقة ممارسة الشيوعيين تختلف عن ذلك تماما وعلى طول الخط . . وليس أصدق ـ فى هذا المجال ـ من تجارب الشعوب .

لقد كانت الثورة الشيوعية فى بداية عهدها ضعيفة وتلتمس سبل القوة ، وتطلب النصرة من طوائف الـروس ومن الشعوب التى أخضعت لحكمهم ، ولذلك فلقد خدعوا المسلمين برفع شعارات العدل والمساواة وإزالة الظلم والاضطهاد اللذين وقعا على المسلمين فى عهد القياصرة الروس . ولذلك وجهوا للمسلمين النداء تلو النداء وكانوا يمنونهم الامانى فى عدل وفى حرية . . . فى ظل الوضع الجديد ، ولنقرأ معا

ما أصدره الزعماء البولشفيون فى بداية ثورتهم الدامية . ففى ١٥ نوفمبر ١٩١٧م صدر إعلان موقَّع من لينينَ وستالين ينادى بالآتى :ـ

١ ـ مساواة وسيادة أمم آسيا .

٢ ـ حق الأمم الروسية فى تقرير المصير بحرية ، بما فى ذلك الحق فى الانسحاب وتشكيل دول مستقلة **ثم أعقب ذلك بيان رسمى موجه بصفة خاصة للمسلمين جميعا فى روسيا ، قالوا فيه : «يامسلمى روسيا . . يا تتار القولجا والقرم . . يا أهل قرغيز وتركستان ، يا أتراك وتتار القوقاز (أذربيجان) . . . يا كل أولئك الذين دمرت مساجدهم ودور عبادتهم ، يا من سحقت دياناتهم وعاداتهم ومؤسساتهم الوطنية والثقافية . . . من الآن فصاعدا مؤسساتكم حرة ولايمكن انتهاك حرمتها . . . وعليكم ببناء حياتكم الوطنية . بحرية . . . ودون عوائق . . . فهذا حقكم»[*] . . !! ويا له من خداع . . . !! لقد سقط المسلمون للأسف الشديد ضحية له . سقطوا فى الفخ الخطير الذى نصبه لهم الشيوعيون فى بداية ثورتهم ، حين كانوا ضعافاً ، وحين كانو يتسولون التأييد لهذه الثورة الكارثة . لقد بدأ المسلمون الطيبون فى تشكيل حكوماتهم المحلية ، وفى ترميم مساجدهم وتعميرها ، متوهمين أن الذئب يمكن أن يعيش مع الحملان . . . !!**

إن الشيوعيين ما كادوا يشمون أنفاسهم حتى بعثوا بجيشهم الدموى الأحمر للقضاء على المسلمين ، فهم أعداؤهم الحقيقيون ، إذ كيف يمكن أن تصفوا قلوب أصحاب العقيدة الفاسدة لقلوب أصحاب عقيدة الإسلام . . . !؟ إن العداء أزلى ومحكوم عليه بالبقاء إلى أن تقوم الساعة بينهما ، فشتان بين أصحاب عقيدة تدعو للتوحيد ، وعقيدة كل مصدرها إلحاد . ولذا فإن الجيش الأحمر أخذ فى اجتياح بلاد المسلمين واحتلالها ، فى الفترة من ١٩١٧ ـ ١٩٢٠م ثم بدأ السوفييت فى إنشاء ما يسمي بجمهوريات الحكم الذاتى ، وذلك لبعثرة جهود المسلمين وتفتيت وحدتهم ، بعد أن اتهموهم بمعاداة الثورة ، وآنذاك تمت الإجراءات التالية ، والتى

---

* محمد ساراى مرجع سابق .

ينبغى علينا ـ نحن المسلمين ـ أن نعيها جيدا ، لأنها تكرر الآن فى أفغانستان ، وما لم نقف نحن من خلف المجاهدين الأفغان ، ندعّم جهادهم ، حتى ينجحوا فى صد هذا الحقد الأسود فلسوف تتكرر الصورة فى أكثر من بلد إسلامى ، بعد أفغانستان . . . لا قدر الله ، هذه الإجراءات هى :

١ ـ تم اعتقال الزعماء المسلمين ، وأعدم الكثيرون منهم .
٢ ـ تم إغلاق المساجد والمدارس ومصادرة أملاك الأوقاف .
٣ـ منع تعليم الشباب على الأسس الدينية الإسلامية .
٤ ـ تم منع المسلمين من ممارسة أركان الإسلام ، من صلاة وصوم رمضان وزكاة وحج . . بنص القانون .
٥ ـ كما تم منع نشر الكتب الخاصة بالتراث الدينى الإسلامى .
٦ ـ تم وضع جميع الوسائل الممكنة تحت تصرف الشيوعية ، كعقيدة روسيا ، فى حربها ضد الإسلام .
٧ ـ ظل التعليم المعادى للإسلام مستمرا حتى الوقت الحاضر ، وهو يقدم للشباب كجزء أساسى من سياسة التعليم الشيوعية .
٨ ـ ظلت النظرية الشيوعية ، وممارسة الإلحاد جزءا لايتجزأ من الكيان الأساس للدولة .
٩ ـ تقوم الدولة الشيوعية بتدريب بعض مجموعات الشباب الملحد من العائلات الإسلامية ، وهؤلاء للأسف الشديد ـ يقومون حاليا بدورهم الذى رسم لهم ضد الإسلام(*) . . . !!

ويحدثنا باحث مسلم عن سياسات الاتحاد السوفييتى المعادية للإسلام والمسلمين ، فيقول بأن الهدف الرئيسى للنظام الشيوعى ، منذ عام ١٩١٧م ظل ثابتا لم يتغير ، فقد شن الزعماء البلاشفة حرباً شاملة ، ضد جميع الأديان ، بمجرد توليهم مقاليد السلطة ، وإن اختلفت السياسات التى استخدموها فى سبيل تحقيق هذا الهدف ، مما يعكس مرونتهم التكتيكية ـ وينبغى علينا نحن المسلمين أن نتنبه إلى ذلك

(*) مرجع سابق .

جيدا . . حتى لاننخدع فى أية شعارات يقدمونها هذه الأيام للمجاهدين فى أفغانستان ـ ولذلك فإنه ما إن انقضى العقد الأول من الحكم الشيوعى الذى يسوده نوع من التعايش القائم على أساس هش ، حتى واجه المسلمون حملة عدوانية ضارية ، وهجوماً مباشراً على الإسلام ، لم تخف حدته إلا مع اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية ، **وعلينا هنا أن نكون واعين لحقيقة الأهداف الشيوعية فى تهدئة الهجوم على المسلمين . إنه لا يتم إلا إذا كان هناك عدو خارجى يناصب السوفيت العداء ، فحينئذ تجدهم يصطنعون المهادنة مع المسلمين فى الداخل ، ولكن ما إن يزول العدوان الخارجى عليهم ـ كما كان الحال فى الحرب الثانية ـ حتى يعودوا سيرتهم الأولى من اضطهاد للمسلمين وتشويه للإسلام ذاته ، فى حملات مكثفة مركزة بغية صرف الناس عنه ، ومحاصرته حتى لايفعل فعله فى النفوس المؤمنة .**

وكم من دراسات علمية جندت لها الأقلام ، ورصدت لها الأموال ، بل أقيمت لها المعاهد المتخصصة . . . فقط لتشويه الإسلام ، وإلصاق التهم بمعتنقى عقيدة التوحيد ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خوف هؤلاء الشيوعيين من الإسلام أن ينتشر بين السكان ، لأن المسلم يأبى الظلم ويأبى الإضطهاد ، ويعتبر فريضة الجهاد فريضة واجبة فى حالة تعرض بلاد المسلمين للعدوان .

ولنلاحظ بيقظة ما تقوم به الدولة فى روسيا الشيوعية من تربية للإنسان السوفييتى ، تبدأ من الأطفال فى سن الحضانة ، أى فور رؤيتهم للنور ، فالدعاية الإلحادية هناك تمارس بطريقة منظمة وعلى أوسع نطاق ، فهى من المهام والواجبات الأساسية لجميع المؤسسات التعليمية ابتداء من رياض الأطفال حتى الجامعة ـ بل إن الدعاية الإلحادية تبدأ فى مدارس الحضانة أيضا .

وتشكل الإلحادية العلمية جزءا أساسيا وإجباريا فى مناهج الجامعات فى الاتحاد السوفييتى ، ومن أول واجبات الدعاية الإلحادية تثقيف المعلمين وإعادة تثقيفهم فى مجال الإلحاد العلمي ، ولا يدخرون وسعاً فى محاولة إعداد . . المعلم الملحد المثالى . . (!!!) . **وقد أضيفت ندوات عن تعليم الإلحاد العلمى إلى برنامج التدريب السياسى للمعلمين ، على مستوى المدارس الثانوية .**

وفيما يختص بالعمال فإن إدارات الدعاية والإثارة التابعة للأحزاب الشيوعية ، فى الجمهوريات المختلفة قد أعدت برنامجا خاصا لتعليمهم الإلحاد . ومن واجب منظمات الحزب والكومسومول الإشراف على تأثير الدعاية الإلحادية فى أوساط العمال ، وكذلك توجد فى المشروعات الكبرى مجالس خاصة لممارسة الدعاية الإلحادية ، كما توجد مدارس للإلحاد فى كثير من المصانع .

وكما هو الحال فى المشروعات المقامة فى المدن ، يفرض على الحزب والمنظمات الاجتماعية فى الريف ممارسة الدعاية الإلحادية فى المزارع الحكومية والمزارع التعاونية . **وهكذا تروّج جميع المنظمات العامة ووسائل الإعلام الجماعية للمذهب الإلحادى . . بشكل أو بآخر** . أما الدعاة المحترفون فلا تقتصر مهمتهم على ترويج الدعايات المناهضة للأديان فى أماكن العمل والتعليم ، وإنما يتعين عليهم أيضا أن يذهبوا إلى البيوت لإعادة تثقيف المؤمنين (!!!) وإثارة الاهتمام فى نفوس من لايبالون بالعناصر الدينية بين السكان(*) .

وللذين تستهويهم الأرقام نقول بأن القتلى من المسلمين الذين فتك بهم الشيوعيون فى الاتحاد السوفييتى ، بخلاف الذين رحلوا ليموتوا فى أصقاع سيبيريا الرهيبة ، قد بلغوا الملايين ، **كما أن مساجد المسلمين قد هدمت وأزيلت تماما من أماكنها ، أو حولت إلى مؤسسات أخرى لخدمة الفكر الإلحادى المنحرف** ، ولقد كان هناك عشرات الألاف من هذه المساجد ، ولكن لم يبق منها الآن إلا حوالى ٤٠٠ مسجد فقط ، وحتى هذا العدد البسيط لايفتح إلا عند الزيارات الرسمية لبعض رؤساء الدول الإسلامية ، وذلك للخداع والتمويه ، حتى يظن أولئك أن الإسلام والمسلمين بخير ، فى ظل أصحاب العقيدة الشيوعية . . . !!

إن الواقع الفعلى للإسلام والمسلمين فى روسيا السوفيتية مؤلم ومثير للحسرة فى نفوس المؤمنين ، وذلك لأن الحرب على الدين والمتدينين لم تتوقف للحظة واحدة منذ قرابة قرن من الزمان الآن ، وإذا توقفت أو هدأت ـ كما سبقت الإشارة من قبل ـ

---

* نادر دولت : الوضع الراهين للمسلمين السوفييت كما يمثلها التتار في إقليم كازان ، ضمن بحوث ندوة الأقليات المسلمة في العالم ، مرجع سابق .

فلأسباب تكتيكية فقط ، تتعلق بإنشغال القيادات السوفيتية بالتهديد الخارجى ، فتكـون حينئذ فى حاجة لتأمين ظهرها فى الجبهة الداخلية ، وذلك كما حدث أثناء الحرب العالمية الثانية ، حين اقترح مفتى أوفا عبد الرحمن ريزوليف ، وهو من القلائل الـذين نجـوا من حملة الاضطهاد الدينى التى استمرت طوال الفترة من ١٩٣٢ - ١٩٣٨م ، اقترح على ستالين فى عام ١٩٤٢م تطبيع العلاقات بين الحكومة السوفيتية والمسلمين .

وقـد قبـل ستـالـين هذا الإقتراح ، وأبرمت اتفاقية كان من نتيجتها وضع حد للدعايات المناهضة للدين . . . ولكن بعد أن انتهت الحرب عاد الروس فنكسوا على رؤوسهم وبـدأ خروشوف الحملات ضد الإسلام ، وبدأ بث الشعار «العودة إلى تعاليم لينين» بقوة واندفاع ، وخفض عدد المساجد بشكل ملحوظ . . بل إن الزعماء السوفييت قد قرروا - خلال السنوات الأخيرة شن حملة دعائية لنشر الإلحاد ، ولمقاومة الإسلام بصفة خاصة ، ونتيجة لذلك صدر فى (كازان) وحدها أكثر من ٢٥ كتابا مخالفا للإسلام ، فيما بين ١٩٦٠ - ١٩٨١م ، وبهذه الطريقة أتيحت الفرصة لمؤلفى هذه الكتب تشويه صورة الإسلام والمسلمين ، دون أن ينتقدهم أحد[*] .

وكمثال واحد فقط يذكر أن مدينة كازان كانت تفخر بأنها تضم ١٣ مسجدا فى عام ١٩١٧م - وقت قيام الثورة الشيوعية - ولم يكن عدد سكانها يزيد على ٢٠٦ ألف نسمة ، تصل نسبة المسلمين بينهم إلى ٢٢٪ فقط . أما الآن فإن تعداد سكانها يصل إلى مليون نسمة ، نصفهـم من التتار ، ومن المؤكد أن نسبة كبيرة من هؤلاء التتار من المسلمـين ، ومـع ذلـك لايـوجد لديهم سوى مسجد واحد فقط . وقد سمحت السلطات لستـة فقط من شبـاب كازان بالـدراسـة فى بخارى ، ولايصرح سنويا إلا لشخصين فقط من المسلمين من منطقة الفولجا - أورال بالسفر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج[**] . . !!

---

* المرجع السابق .

** المرجع السابق .

ويحدثنا باحث آخر عن محاولات الروس تذويب المسلين هناك ، فى الثقافة الروسية الشيوعية ، وعن أهدافهم من محو التراث الإسلامى العريق من بين أبناء المسلمين ، وذلك من خلال التربية ، وكيف فرضت اللغة الروسية على جميع مراحل التعليم ، فهى تدرس فى المدارس الابتدائية والثانوية كلغة أولى أو ثانية ، وهى لغة التعليم الوحيدة فى أكثر أقسام المدارس العالية . . . وإذا ما قدر لأى شخص أن يفلت . . من هذا الغزو اللغوى ، أتت فترة الخدمة فى القوات المسلحة لتعليمه إياها . . . ولم يكتف النظام الجديد بهذا التفتيت السياس والقومى واللغوى للمسلمين . . بل عمد إلى هدم جميع المؤسسات الإسلامية التى يمكن أن تساهم فى المحافظة على الشخصية الإسلامية وثقافتها الخاصة بها ، ومن أهم تلك المؤسسات الأوقاف الإسلامية ، والمحاكم الشرعية ، والمدارس والمعاهد الإسلامية ، فقد قامت السلطات بمصادرة جميع الأراضى المملوكة للأوقاف على أنها قوة مادية فى يد رجال الدين ، وكانت هذه الأوقاف قد بلغت من الغنى والسعة بحيث وصلت إلى ٥٠٪ من مساحة الأرض فى القرم والقفقاس وآسيا الوسطى ، فضلا عن الطواحين والحمامات والأسواق والحانات والفنادق ، وكل عقار أو ملك يمكن وقفه واستثماره . ولقد ظلت هذه الأوقاف ـ عبر العصور ـ مصدراً ثابتا للإنفاق على المستشفيات والمدارس ودور العجزة ومساعدة الفقراء المحتاجين من المسلمين(*) .

ولم تمض بضع سنوات من قيام الحكم الشيوعى حتى تم القضاء نهائيا على هذه المؤسسة الإسلامية ، وبذلك حرم رجال الدين من أسباب رزقهم ، كما حرمت المدارس الإسلامية من الوسائل المادية لدوام بقائها ، فكان أن قل عدد المدارس والمساجد ورجال الدين قلة ملحوظة ، إذ هبط عدد المساجد من **٢٦,٢٧٩** مسجدا ، يقوم عليها **٤٥,٣٩٩** رجلا من رجال الدين بين واعظ وإمام ومؤذن ، إلى **١,٣١٢** مسجدا ، يقوم عليها **٨,٠٥٢** رجلا ، وذلك خلال سنوات قليلة من قيام النظام الشيوعى .

---

* عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب : أثر الثقافة السوفيتية على الأقلية المسلمة بالاتحاد السوفييتى ، دراسة حالة ، ضمن بحوث ندوة الأقليات المسلمة في العالم ، مرجع سابق .

كذلك صدر مرسوم فى ٣١ ديسمبر ١٩١٧م خاص بالأحوال الشخصية ، يقضى بإحلال التوثيق المدنى للزواج محل التوثيق الدينى ، ويقضى بإعدام أى أثر قانونى للعلاقة بين الزوجين ، أو بين الآباء والأبناء ، إذا اكتفى الزوجان بالتوثيق الشرعى لعقد الزواج ، ثم ألغيت المحاكم الشرعية نهائيا لأنها تعطى للمسلمين سلطة على حياتهم اليومية وتقوى كيانهم كمسلمين .

كذلك وجهت ضربة قاضية إلى مؤسسات التعليم الدينى الذى هو أساس حياة المسلمين وبقائهم ، وبعد أن كان بتركستان وحدها ٧,٢٩٠ مدرسة ابتدائية إسلامية ، يرتادها أكثر من ٧٠٠,٠٠٠ تلميذ ، ٣٧٥ مدرسة ثانوية ، يرتادها ٩٠,٦٠٠ طالبا ، صدر مرسوم ٢٣ كانون الثانى ١٩١٨م الذى تمنع المادة التاسعة منه التعليم الدينى فى المدارس ، ولم يأت عام ١٩٢٨م . إلا وقد صفيت تلك المدارس تماما ، وأخلى المجال للتعليم العام الروسى الماركسى التوجيه(*) .

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل تدخلت السلطة لمنع المسلمين من إقامة شعائر دينهم ، مخالفة بذلك أبسط حقوق الإنسان ، إذ منعت فرضين من فروض الإسلام الخمسة ، وهما الحج إلى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة ، حتى لايتصل المسلمون الروس بإخوانهم خارج البلاد، وفرض أداء الزكاة ، حتى لا يتحول إلى قوة مالية فى يد رجال الدين ، وهاجمت الفرض الرابع ، وهو صيام شهر رمضان ، على أساس أنه معطل للإنتاج . وأخيرا شنت حملة منظة من خلال الحزب الشيوعى . . لإغلاق المساجد ، فأغلق أكثرها ، وتحولت إلى نوادى ودور للسينما . . وكان من نتيجة هذه الحملة المنظمة اندثار عدد كبير من المساجد ، ولم يبق فى عام ١٩٤٢م من آلاف المساجد التى كانت موجودة بالاتحاد السوفييتى غير ١,٣١٢ مسجدا مفتوحا للعبادة ، كما قالت صحيفة Soviet War News السوفيتية ، ولعل هذه المساجد قد ظلت مفتوحة اسما ، أى أنها لم تهدم لأغراض الدعاية الخارجية ، إذ لايستطيع أحد أن يصلى فيها بحرية ، ولاتفتح إلا لزيارة المسلمين الذين يأتون من الخارج(**).

---

* المرجع السابق .

** المرجع السابق .

ولقد بذلت السلطات السوفيتية الشيوعية كل جهودها فى سبيل تطبيع أطفال المسلمين ، بحيث يشبون بعيدين تماما عن تراث آبائهم وأجدادهم ، بحيث ينسون كل شيء عن دينهم الإسلام . ولكى تتأكد السلطة من نجاح عملية التطبيع الماركسى الإلحادية هذه فقد أعطت عناية فائقة لما يسمى (بالسلوك) ، والذى يقاس بمدى تشرب الفرد لقيم الحزب وأفكاره (وتنال درجات السلوك عادة أهمية بالغة فى حياة التلميذ ، تفوق أهمية الدرجات التى يحصل عليها فى النواحى الأكاديمية ، إذ قد يعيد العام الدراسى إذا ما فشل فى الحصول على درجة مقبولة فى السلوك) . **وهناك تمثال للطفل السوفييتى المثالى . . . ممثلا فى طفل وشى بوالده الذى يعتنق أفكارا مناهضة للحزب الشيوعى** . . فالوشاية حتى بالآباء والأصدقاء والأقربين هى قمة السلوك الاشتراكى الذى تتطلبه الدولة والحزب من أطفالها وطلابها . . !! **ويكفى أن يذكر فى هذا المجال أن الدولة ترصد أكبر ميزانية فى العالم ، حيث تنفق ١٠٪ من مجموع دخلها القومى على مثل هذه الأغراض التربوية والتعليمية**[*] .

هذا وهناك من المؤرخين الغربيين المنصفين من كتبوا الحقائق المتعلقة بهذه الفترة ، وأقصد بها فترة قيام الثورة الشيوعية فى ١٩١٧م ، وخداع السوفييت للمسلمين ، ثم الانقضاض عليهم بعد ذلك بقوة السلاح ، وبواسطة الجيش الأحمر الشيوعى ، بينما لم يكن لدى المسلمين جيش ولا سلاح ، وقد جاء ذلك بناء على أوامر مباشرة من ستالين نفسه ، وقد أقام الجيش الروسى مذبحة رهيبة للمسلمين العزل من السلاح ، فى مدينة واحدة فقط ، هى مدينة كوكند ، كما سجل ذلك هويلر Wheeler فى كتابه عن السكان فى وسط آسيا .

وقد اعترف بذلك سافاروفا Safarov والذى كان صديقا شخصيا مقربا من لينين حيث قال فى عام ١٩١٩م لو أننا كنا قد تساهلنا مع هؤلاء الناس ـ يقصد المسلمين طبعا ـ لكانت قد ضاعت منا الجمهوريات الإسلامية كلها .

جهـــاد المسلمـــين :

هذا ومن الإنصاف أن نذكر أن المسلمين فى وسط آسيا قد قاوموا الغزو الشيوعى لبـلادهم ، مقـاومة الأبطال ، حيث اعتبروا هذه الغزوة الوحشية موجهة بالدرجة الأولى نحو دينهم وعقيدتهم ، ومن هنا فإنهم ضحوا بكل رخيص وغال ، فى سبيل الله ، وفى سبيل الدفاع عن أوطانهم .

وعلى الرغم من أنهم كانوا يحاربون معركتهم ضد الكفر . . بمفردهم ، ودون أية مساعدة من الخارج ، إلا أنهم صمدوا فترات طويلة ، وصلت إلى سنوات من الجهاد المستمر ، ردُّوا فيها الجيش الروسى الأحمر المدجج بالسلاح مرات كثيرة على أعقابه ، كما حدث فى مدينـة «آلمـا آتـا» ، فقد جاءت قوات كثيفة من البولشفيك واحتلت الإقليم المحيط بها فى الفترة من يناير إلى مارس ١٩١٨م ، كما احتلوا بعض المدن الشـمالية فى الإقليم ، ولكن قبـل نهاية العام كان المسلمون قد شنوا عليهم حرباً لا هوادة فيهـا ، بحيث أنهم طهـروا الإقليم كله من البـولشفيك (أى القـوى الشيوعية) ، وقد قام بهذا العمل مجاهدو القوقاز المسلمون . وبطبيعة الحال فإن ذلك الانتصار المبدئى على القوات الشيوعية لم يستمر طويلا ، حيث كانت الدولة الروسية كلها هناك تدعم المعتدين ، وتمدهم بقوات كبيرة وعتاد لاينتهى ، مما ساعد على إنهاك قوات المسلمين . . ثم هزيمتهم فى النهاية للأسف الشديد .

أما فى المراكز الإسلامية الأخرى مثل «بخارى» «وكييف» فلقد حافظ بعضها على درجة محدودة جدا من الاستقلال حتى عام ١٩٢٠م ، كما كان الوضع أيام حكم القياصرة الـروس . وإن كانت قوات الجيش الأحـمر الـروسى قد حاولت دخـول «بخارى» إلا أن المسلمين قاوموها مقاومة عنيفة ، وردوها على أعقابها عدة مرات ، ولكنهم ـ للأسف الشديد ـ غلبوا على أمرهم فى النهاية . ونفس الشيء حدث لإقليم مدينة كييف ، حيث قاومت بشدة ، وكان على رأس مجاهديها الأمير المسلم «جنيد خان Junayd Khan » الذى قاوم مقاومة الأبطال ، ولكنه فى النهاية اضطر للالتجاء إلى الصحراء ، حيث تغلبت عليه قوى الكفر فى شهر يونيو عام ١٩٢٠م ، وأسست فى كييف حكومة جمهورية تابعة للحكم الشيوعى الروسى .

وفى إقليم Transcaspia وقع الشيء نفسه ، كما يقول هويلمر ، واشتعلت ثورة المسلمين هناك ، لمدة خمس سنوات متصلة ، وقد اندلعت هذه الثورة بداية فى إقليم فرغانة ، ثم امتدت منه إلى باقى الجهات التى يقيم فيها المسلمون والذين اندفعوا يمدونها ويؤيدونها بالعتاد والسلاح والغذاء . . والمجاهدين . وكانت هذه الثورة كلما أخمدها الروس عادت لتشتعل من جديد ، وقد ظهر بين هؤلاء قائد محنك هو «تاجان Tagan » الذى نظمهم ووحد كلمتهم ، بل وأقام لهم اتحادا خاصا بإقليم تركستان ، وقد أطلق عليه مسمى إتحاد التركستان الوطنى The Turkistan Natiomal union ، والذى كان من أهدافه إقامة حكومة فى إقليم تركستان . . بعيدا عن السيطرة الشيوعية للروس .

ومن بين قادة المجاهدين المسلمين ـ لهذه الفترة من فترات التاريخ الإسلامى ـ فى إقليم فرغانة ظهر القائد المسلم «كورباتش شير محمد Kurbashi Shir Mohammad والذى جاهد فى سبيل الله ، هو ومن معه من المسلمين الذين أبوا أن يخضعوا لحكم الشيوعيين الروس الكفار ، وإن كانوا قد غلبوا على أمرهم فى النهاية ، نظراً للظروف غير المواتية التى أحاطت بهم أنذاك .

ومما يذكر فى هذا المجال أن أفغانستان تحت حكم «أمان الله» ، خلال الفترة التى بدأت فيها الثورة الشيوعية ، . حاولت أن تمديد المساعدة للمسلمين الذين وقع عليهم العدوان الروسى ،فلقد افتتح علاقات دبلوماسية مع «بخارى» «وكييف» ، وذلك على أمل أن يمد هذه البلاد بالاعتراف القانونى ، كدول ذات سيادة ، وكان أمله ـ كما يقول أنتونى أرنولد Anthony Arnold أن يفعل الشيء نفسه مع التركستان الإسلامية ، **بل كان يحلم فى أن تنضم هذه الدول الإسلامية الآسيوية جميعا فى اتحاد يقويها أمام الأطماع الروسية ، تلك التى عبرت عنها ثورة الشيوعيين منذ بداية أيامها الأولى .**

وبطبيعة الحال نظر الروس إلى هذا علمل من جانب أفغانستان على أنه تحد للدولة الشيوعية الناشئة ، بل واعتبروه توسعاً خطيراً من جانب أفغانستان نحو الشمال ، واتهموه بأنه عمل من أعمال الإقطاع (!!) موجه ضد الحركة الاشتراكية . . . !!

ولأن الدولة الشيوعية ـ أنذاك ـ كانت تمر بظروف صعبة ، حيث لم تكن أقدامها قد ثبتت بعد فى الحكم ، حتى داخل حدودها الإقليمية ، وخاصة خلال النصف الثانى من العام ١٩١٩م ، وذلك بسبب تقدم قوات روسيا البيضاء ، وهى القوات المناهضــة للشيوعيــة ، شمــالاً على طول نهـر الــدون Don River حتى وصلوا إلى فورينزه Vorenezh وبدا أن «موسكو» ذاتها مهددة .

ويقول بعض المحللين السياسيين الواعين إنه ربما لهذا السبب ، وربما أيضا بسبب قدرات الروس المحدودة ـ آنذاك ـ والمبعثرة ، كتب «لينين» **(وليتنبه القارىء المسلم هنـا للخـداع الـلا أخـلاقى والـذى هو صفـة من صفـات الشيـوعيين دوما)** إلى «أمان الله» . . الخطاب التالى :

«ياصديقى . . إن أفغانستان هى الدولة الإسلامية الوحيدة المستقلة . . فى العالم أجمع . ولقد أرسل القدر إلى الشعب الأفغانى المهمة التاريخية العظيمة كى توحد حولها كل الشعوب الإسلامية المستعبدة ، وكى تقودهم على طريق الاستقلال» . . ! !

تخيلوا . . . هل هنـاك خداع تكتيكى ، ونفـاق سياسى . . أكبر وأخـطر من ذلك . . . ؟؟ فهذا هو زعيم السوفييت . . وباعث حركتهم الكافرة ، يكتب مخادعاً ومضللا . . ومنافقا . . لكسب الوقت ، يكتب لأحد حكام المسلمين وكأنه مهتم بشئـون المسلمـين وشئـوون استقلالهم ووحدتهم ، وكأنه لاهم له إلا أن يستقل المسلمون . . فى العالم ، وأن يتوحدوا تحت راية واحدة . . . وياله من شيوعى . . كافر . . ملحد . . مهتم بشئوون الإسلام والمسلمين . . ! !

إن «لينـين» هذا هو الـذى ستجتاح قواته بعد ذلك بسنوات قليلة جدا ، بلاد المسلمـين المجاورة لأفغانستان ، والتى ستقتل الملايين من أهلها ، فى أكبر عملية للسطو على شعوب بأكملها ، تضم أرضها إليها وتستغل خيراتها ضد رغبتها . كما أن قوات خلفاء لينين ـ هذا المخادع المنافق ـ هى التى سوف تجتاح ـ بعد ذلك ـ حدود أفغـانستـان ذاتهـا . . الدولة الصديقة ! ! ، فى محاولة جديدة لقضم دولة إسلامية بأكملها ، بعد أن هضم الدب الروسى ست دول إسلامية قبلها . . . ! ! !

ويذكر التاريخ أن «أفغانستان» قد وقفت من إخوانها المسلمين المجاهدين ضد الاعتداء والغزو الروسى موقفا طيبا ، حيث كانت تؤويهم فى أراضيها ، وتقدم لهم المساعدات الممكنة ، كما هو الحال ـ فى أيامنا هذه بالنسبة لباكستان . وإن كان عنف وشراسة الدب السوفييتى تتطلب من المسلمين ـ جميعا أكثر من مجرد الإيواء ومد يد المعونة ، إنها تتطلب الجهاد من الجميع ، وليس أقل من ذلك ، حتى لاتتساقط الدول الإسلامية واحدة وراء الأخرى فى جوف هذا الدب الروسى . . الكافر الجشع الذى لايقنع ولايشبع .

ويقول لنا التاريخ إن الأفغان قد حاولوا جاهدين مساعدة أمير بخارى وخان كييف ، ولكنهما لم يستطيعا مقاومة القوات الشيوعية الحمراء ، واضطرا للخروج من بلديهما ، واللجوء إلى أفغانستان التى منحتهما ملجأ وقاعدة ليحكما بلديهما من المنفى .

وأكثر من ذلك نجد أن الأفغان قد قدموا المساعدة المباشرة لمجاهدى الباسماتش Basmachi الذين استمروا يقاتلون الروس بشراسة هائلة ، حيث اعتبروهم أهم قوى معادية خطيرة ودخيلة على وسط آسيا ، وينبغى طردهم من هذا الإقليم ومطاردتهم بلا هوادة . ولقد استمر صدام أعضائها عسكريا مع الجيش الأحمر الشيوعى بالسلاح لمدة خمس عشرة سنة (١٥ عاما) من ١٩١٧ ـ ١٩٣٢م . ويكفى فى هذا المجال أن يعترف الروس أنفسهم بأنهم قد واجهوهم فى معركة واحدة بنحو ثلاثين ألفا من مقاتليهم الأشداء ذوى المراس الشديد ، وذلك فى صيف عام ١٩٢٠م . وبطبيعة الحال ليس فى مصلحة الروس أن يظهروا للعالم قوة وعنف المقاومة التى واجهتهم .

ولقد كان لهؤلاء الباسماتشيين نصراء داخل القوات الروسية ، بل وداخل الشعب الروسى ذاته ، بل ولقد ثبت أن بعض الجنود من القوات السوفيتية النظامية قد تركوا الخدمة فى الجيش الأحمر ، وهربوا إلى قوات الباسماتش هذه على أرض المعارك .

قصة أنور باشا :

ولقد كان هذا المجاهد العظيم من أشهر قواد الباسماتش الذين جاهدوا السوفييت

جهادا عظيما ، بل إنه خدع الروس الشيوعيين خديعة كبرى ، جعلتهم يطلقون عليه لقب «أشهر الخونة» والفضل بطبيعة الحال . . . ما شهدت به الأعداء .

كان هذا المجاهد المسلم وزيرا للحرب فى الامبراطورية العثمانية ، خلال الحرب العالمية الأولى ، وكان نابغة فى فنون الحرب وإدارة المعارك ، على الرغم من صغر سنه .

وحين هزمت القوات الوسطى Central Forces التى كانت تركيا منضمة إليها ، طرد من منصبه ، أولا إلى ألمانيا ، ومنها إلى موسكو ، حيث عرف هناك بأنه وطنى بولشفى وهناك أقنع قادة الروس بقدرته على جمع مسلمى وسط آسيا . . فى حرب دينية «جهادية» ضد الامبراطورية البريطانية ، وأنه إذا ما اتخذ أفغانستان قاعدة له فإنه سوف يتمكن من طرد الإنجليز من الهند ، وكان ذلك حلما روسيا كبيرا . .

هذا ولقد ابتلع الروس الشيوعيون الطعم . . وصدقوا أنور باشا ، فتركوه يذهب إلى «بخارى» كى ينفذ ما وعدهم به ، ولكنه فى شهر نوفمبر عام ١٩٢١ ، وتحت ستار الذهاب فى رحلة صيد لجأ الرجل إلى الباسماتشى . وفى بداية ١٩٢٢م أفلح فى تجميع كل فصائلهم المختلفة . . بل ووحدهم عسكريا ، حيث استخدم مهارته الإدارية كوزير سابق للحرب ، فى تجميعهم وتنظيمهم ، ومن ثم بنى منهم جيشا قوامه عشرون ألف مقاتل .

وفى ١٩ مايو ١٩٢٢م أرسل ، باعتباره رئيسا لجمهورية وسط آسيا التركية Turkish Centeral Asian Republic ، أرسل مذكرة للجمهورية الاتحادية الفيدرالية السوفيتية ، يطالب فيها بسحب قوات الجيش الأحمر المتمركزة فى «كييف» «وبخارى» «وتركستان» . وكان الجيش الأحمر قد استولى على بخارى فى ٣ سبتمبر ١٩٢٠م ، وأقام فيها حزبا شيوعيا ونظاما للدولة ، واختار لها أعضاء من الذين يناسبون العهد الجديد . . . أيديولوجيا .

وينسب الفضل فى هذا الذى صنعه أنور باشا ، من ضغط على الاتحاد السوفييتى فى أنه كان وراء موافقة الروس على اتفاقية وقعت فى كابول بين الروس والأفغان ،

تقول بأن «بخارى» «وكييف» سوف تمنحان حق تقرير المصير . ولقد كان ذلك مطلباً أفغانيا الهدف منه كسب احترام العالم الإسلامى ، ولقد كان الأفغان مدهوشين لسهولة موافقة الروس على هذا المطلب ، بينما كانت الحقيقة هى مناورتهم وخداعهم التكتيكى المعروف حينما يكونون فى موقف صعب يواجهونه ، حتى إذا ما عبروه ونجوا منه . . عادوا إلى طبيعتهم السيئة وعدوانهم الإجرامى المشين .

وخلال العام التالى تحالف قادة بخارى مع المجاهدين البسماتشيين ، وحين تم توقيع الإتفاقية فى أغسطس ١٩٢١م حوّل رئيس اللجنة التفيذية لجمهورية بخارى السوفيتية «عثمان خودزه» إلى الباسماتشيين اثنى عشر فرداً من المتعاونين مع الجيش الأحمر ، حيث أعدم ستة منهم على الفور .

ولقد ظل عثمان خودزه هذا فى السلطة حتى محاولته نزع سلاح الفرقة السوفيتية الحمراء وإبعادهم عند منطقة «دوشانب» ووقوف حلفائه الحقيقيين من الباسماتشيين بجانبه ، إلا أن المحاولة فشلت ولم يكتب لها النجاح ولكنها بينت حقيقة مشاعر عداء البخاريين للسوفييت ، وخاصة بين قادتهم . ولايمكن إحصاء عدد الذين فروا لاجئين إلى صفوف الباسماتشيين والذين كان على رأسهم مسئول الحزب الشيوعى فى القوات المسلحة Commisar of War وكذا نائبه ، ورئيس البوليس (الميليشيا) بل وحتى رئيس البوليس السرى هناك والذى يعرف باسم الشيكا Cheka . . . !!

ومن سخرية القدر أن القائد الوحيد الذى ظل على ولائه لموسكو - فى إقليم وسط آسيا - وهو «أوزبك فيض الله خور شييف» - أعدمه ستالين ، باعتباره بورجوازيا وطنيا . . !! وكان هو النشاز الوحيد الذى لم يتفق مع البسماتشيين ولم يلجأ إليهم ، وبقى مع أسياده الشيوعيين ، فعوقب على أيديهم هم ، حيث لاصديق لهم ولا أمان ولا عهد . .

ومما يذكر هنا أن الروس قد أعلنوا آنذاك أنهم ما جاءوا إلى «بخارى» إلا بناء على طلب أهلها الذين استنجدوا بهم ، وهو نفس الادعاء الذى قالوه عند غزوهم لأفغانستان منذ تسع سنوات ، والذى مازالوا يرددونه حتى اليوم ، رغم القتال الدامى الذى لم يتوقف يوما واحداً ضدهم ، والذى يكذب مزاعمهم وافتراءاتهم ، فكيف

يطلب منهم شعب أن يأتوا لنصرته أو نجدته (ولاندرى ممن . . أو ضد من) ثم بعد ذلك يحاربهم بهذا الشكل الذى لاهوادة فيه . . ؟؟

وإذا كان بعض أفراد هذا الشعب الذين يتمثلون فى عدد من القيادات الشيوعية الخائنة لأمتها ، هم الذين استدعوا هذا الجيش الروس إلى وطنهم ، ثم رأى قادة الاتحـاد السوفييتى أنهم ضيوف ثقلاء وغير مرغوب فيهم ، بل أعداء مكروهين ، فلماذا لم ينسحبوا فور أن تبين لهم ذلك . . من خلال المعارك التى لم تهدأ ضد وجودهم الكريه على أرض أفغانستان . . . ؟؟

هذا إذا كانت النـوايا خالصة ، وما يعلن للعالم هو ماينفذ بالفعل من سياسات ، **ولكن الحقيقة التى لم تعد خافية على أحد هى أن الروس هم الذين خططوا لهذا الغزو الإجرامى لأفغانستان ، وهم الذين ساعدوا فى وضع هذه القيادات العميلة فى السلطة ، كى يقـومـوا بتمثيليـة استـدعـائهم هم** ، بدليل أنهم لم يخرجـوا من أفغانستان حتى الآن ، وبدليل المخططات الإجرامية التى ينفذونها بالفعل لتغيير وجه أفغانستان الإسلامى ، وبدليل ـ أيضا ـ تغييرهم للوجوه العميلة الجالسة فى مقاعد السلطة فى «كابول» . . كلما استنفذ بعضها الأغراض التى وضع هناك من أجلها ، حتى وإن اضطروا إلى قتله . . فليس لهم ـ كما سبق القول ـ أصدقاء أو حلفاء ، إنما هم على استعداد للتحالف مع الشيطان ذاته تنفيذ لأطماعهم ، وتحقيقا لمآربهم .

ونتيجة للتدخل السوفييتى السافر ضد «بخارى» فى وسط آسيا ثار الرأى العام فى أفغانستان ، حيث قتل العديد من أفراد البعثة السوفيتية هناك فى عام ١٩١٩م ، وفى ١٩٢٢م قتـل خمسـة من أعضـاء السفـارة الروسية فى «كابول» ، كما جرت محاولة لاغتيال القنصل الروسى ورفاقه فى مدينة «هيرات» وقتل عدد من حراسه والجواسيس الروس هناك .

هذا ولقد كان تأييد أفراد الشعب الأفغانى لجهاد البسماتش ، ولمطالبتهم بالحرية بعيدا عن السيطرة الشيوعية البغيضة ، دافعاً لحركتهم لأن تظل حية ونشيطة لعشر سنوات تالية ، رغم جهود الجيش السوفييتى الأحمر المستميتة فى إخمادها والقضـاء

عليها ، ولقد سمح الشعب الأفغانى العظيم لقوات إخوانهم البسماتش بالعبور عبر حدوده ، بل والدخول فى أراضيه ، خاصة فى المناطق الوعرة التى كانت تمكنهم من المناورة ضد الجيش الروسى الأحمر ، مما جعل حياة أفراده جحيماً لايطاق فى وسط آسيا . . . **وبطبيعة الحال فإن السوفييت قد اتهموا الامبريالية العالمية بالتآمر ضدهم ، ويمد القوات المعادية لهم بالمؤونة والسلاح والذخيرة ، وهو نفس الاتهام الذى تردده هذه الأيام ضد المجاهدين الأفغان ، حيث تحاول الدعايات الشيوعية أن تصور المجاهدين على أنهم عملاء أو تابعين للقوى العالمية لهم ، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية** . وللأسف الشديد فإن البعض - فى عالمنا الإسلامى - يصدقون هذه الدعايات ، علما بأن الجهاد الأفغانى نابع من عقيدة الأفغان الإسلامية الراسخة ، والتى لاتتصور أن يخضع المسلم للكافر . . ولا أن يهادنه ، ولعلم الجميع فإن الثورة الأفغانية ضد الوجود الشيوعى الأحمر على تراب أفغانستان قد لاينظر إليها فى الغرب المسيحى على أنها شيء مريح ، ذلك أن هذا النموذج الإسلامى الفذ والفعال قد يكون مثلا يحتذى فى باقى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا ، بل وفى العالم أجمع ، وهذا شيء لايريده الشرق ولا الغرب على السواء .

ورغم أن الشيوعيين العتاة نجحوا فى إخماد حركة البسماتش الإسلامية ، إلا أن جذورها هناك ، فى نفوس الناس الذين لم ينسوا تضحيات أجدادهم ، والأساليب البشعة التى اتبعها الروس للقضاء عليهم . إن هذا العنصر يمثل خوفاً جديداً للسوفييت ولمخططيهم فى موسكو هذه الأيام ، ذلك أنهم يخشون أن يكون الجهاد الأفغانى الحالى مثيرا لأفكار الناس فى الجمهوريات الإسلامية ، وباعثا لحماسهم الدينى الذى يبدو أنه باقٍ تحت السطح ، ولذا فهم يحاولون القضاء على الجهاد الأفغانى بشتى الطرق والأساليب . . وبأسرع وقت ممكن ، قبل أن تمتد شرارته إلى باقى الأقاليم الإسلامية فى وسط آسيا ، وبالتالى يصعب على الجيش الأحمر الشيوعى أن يواجه أكثر من ثورة مسلحة فى وقت واحد ، خاصة وأن أكثر من مائة ألف جندى سوفييتى مدججين بأحدث أنواع الأسلحة قد فشلوا حتى الآن فشلا ذريعا فى إخماد الجهاد الأفغانى وحده ، مما مرغ سمعة هذا الجيش الروسى فى الوحل .

النهاية المؤسفة لجهاد الباسماتش :

مما يؤسف له فعلا أن ما لايستطيع الأعداء أخذه بقوة السلاح من المجاهدين يتوصلون إليه ، ويحصلون عليه من خلال الخداع والدبلوماسية والسياسة ، وهذا هو ما حدث مع حركة الباسماتش الإسلامية التى دوخت الروس الشيوعيين لسنوات طويلة ، أجهدوهم فيها ، وقتلوا من جنودهم وضباطهم أعدادا ضخمة .

لقد بلغت الحركة قمتها بالفعل عام ١٩٢٢م بقيادة «أنور باشا» السابق الذكر . وقواته ، ولكن الروس بعد أن فشلوا معها عسكريا لجأوا للأساليب الدبلوماسية ، خاصة بعد أن لمسوا تأييد الشعب الأفغانى لأفرادها .

التقارب الروسى الأفغانى :

لقد انتهز الروس فرصة قيام حركة معادية «لأمان الله» فى إحدى مناطق أفغانستان الوعرة وهى منطقة خوست Khost فعرضوا عليه مساعدته بسلاح الطيران الخاص بهم ، وبالفعل قضى على الحركة ، وزيادة فى إلقاء الشباك حول أفغانستان عرض الروس أن تبقى الطائرات الثلاث عشرة ، ومعها طياروها الثلاثون هدية من الاتحاد السوفييتى لأفغانستان . . !!

ولم تمر هذه الهدية دون ثمن يدفع لها . . بطبيعة الحال ، حتى لانكون سذجاً فى تفسير الأحداث ، فلقد أخذ الروس حق بناء طريق داخل أفغانستان ، يربط شمالها بجنوبها ، وبدأ المواطنون الروس يظهرون فى المكاتب السوفيتية الحكومية داخل أفغانستان ، ولم يلق هذا الاتجاه من جانب أمان الله استجابة من قبل أفراد الشعب الأفغانى الذى يكره الشيوعية والشيوعيين بفطرته الإسلامية الواعية .

ولقد سقط «أمان الله» ، نتيجة لهذا الاتجاه ، ونتيجة لما أسماه بالإصلاح الذى فرض بسببه على الأفغان الرجال أن يرتدوا الملابس الإفرنجية ، حين يكونون فى «كابول» ، كما حاول أن ينزع الحجاب الذى ترتديه المرأة الافغانية المسلمة . إن كل هذه الأمور التى هى ضد طبيعة المجتمع لايمكن أن يفرضها أى حاكم هكذا بسهولة ، لأنها تكون ضد طبيعة الأشياء ، ولذا فلقد اندلعت الثورة من رجال القبائل

ضد الحاكم الذى ترك البلاد وهرب خارجها .

وبمساعدة الإنجليز عاد «نادر شاه» ومعه أخواه إلى البلاد ، فى الوقت الذى أرسل فيه الروس من الشمال «غلام نبيه» الذى كان سفيرا لأفغانستان فى موسكو ، فى محاولة فاشلة للاستيلاء على الحكم ، وبتأييد من الملحق العسكرى السوفييتى فى كابول ، وعندما فشلت هذه الحركة عاد «غلام نبيه» هاربا إلى أسياده فى روسيا حيث عاش هناك منفيا .

هذا ولقد بدأ «نادر شاه» حكمه بالتخلص من «الإصلاحات» الداخلية التى أدت إلى الثورة ، ولكنه فى الوقت ذاته أخذ فى تنفيذ الاتفاقية التى كانت بين «أمان الله» والروس ، والتى كانت تقضى بعدم استخدام الأراضى الأفغانية بواسطة قوات البسماتش ضد الروس . ومن هنا بدأ التضييق على قوات هؤلاء المجاهدين البواسل . وجاءت الكارثة الكبرى حين دفعت القوات الأفغانية فى بداية عام ١٩٣١م «ابراهيم بيج» Beg ، وهو واحد من أعظم قواد الباسماتش إلى داخل الحدود الروسية ، حيث خانه أحد رجال القبائل . . وأسره الروس ، وبعد محاكمة صورية أعدم هذا المجاهد العظيم . وبنهاية عام ١٩٣٣م عبرت آخر فصيلة من فصائل الباسماتش المجاهدة الحدود إلى إيران ، بعد غارة على الحدود الروسية ، وبذلك أسدل الستار على هذا الفصل الرائع من جهاد المسلمين فى وسط آسيا ، ضد الاتحاد السوفييتى المستعمر .

لقد ساعد « نادر شاه» الروس على أن يحكموا قبضتهم على وسط آسيا الإسلامى . وعلى الرغم من أنه حاول أن يقلص النفوذ السوفييتى داخل أفغانستان ذاتها ، فاستعان بالألمان والإيطاليين واليابانيين ، بدلاً من الروس ، لأنهم ليس لهم قوات على الحدود تناصرهم عند اللزوم ، كما قال ، ولكنه لم يطل به الوقت حيث تم اغتياله ، بعد أن مكن للروس الشيوعيين من إخوانه المسلمين ، ولم يكن يدرى - ربما - أن أولئك الذين لاعهد لهم ولا دين سوف يقفزون على بلده هو فيما بعد كى يحتلوه وكي يعملوا فيه تقتيلا وسلبا ونهبا .

وحكم من بعده أبنه «ظاهر شاه» لمدة أربعين عاما ، نفى بعدها إلى الخارج ، بواسطة قريبه «محمد داوود» عام ١٩٧٣م . قبل أن نصل إلى الوضع الحالي ، الذي

توجد فيه إحدى الدول الإسلامية ، وهى أفغانستان ، والتى نرجو الله ونضرع إليه ألا يكون مصيرها مثل مصير أخواتها الإسلاميات من حولها ، والتى قضى الاتحاد السوفييتى على مقاومتها ، وضمها إليه فى النهاية ، أقول قبل أن نصل إلى هذا الجزء من هذا الكتاب لعلنا نتذكر أن كل ما يحدث للمسلمين ـ فى العالم ـ هو بسبب بعدهم عن الدين . . من جانب ، وبسبب فرقتهم وعدم توحدهم . . من جانب آخر ، ومن هنا هانوا على الله ، وهانوا من بعد ذلك على الناس ، وكما يقول أحد الكتاب الإسلاميين :ـ

«بالامس كان المسلمون أعزة يحكمون العالم ، ويسيطرون على الدنيا . . فخالفوا أوامر ربهم ، وتناسوا تعاليم نبيهم ، فتباغضوا وتحاسدوا وتدابروا وتقاطعوا وتنازعوا **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾** وأضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات ، وغرقوا فى الملذات فصدق فيهم وعد ربهم **﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾** .

وصدق فيهم وعد نبيهم . . «تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، فقالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله . . ؟ قال لا . . بل أنتم كثير ، ولكنكم كغثاء السيل» لأنهم أصيبوا بالوهن وحب الدنيا وكراهة الموت .

وبالأمس ضاعت الأندلس ، ثم ضاعت تلك الأراضى الشاسعة الواسعة الممتدة التى حكمها المسلمون على طول ضفاف نهر الفولجا ، من قازان حتى استراخان . ثم ضاعت بعدها جبال الأورال و سهولها ، وتبعها جبال القفقاس ووديانها ـ وضاعت القرم .

وتوالت الهزائم . . وتوسع الروس ـ الذين وصفهم لنا ابن فضلان وابن رستة والمسعودى وابن بطوطة بأنهم همجية ، شقر الشعور ، زرق العيون ، قباح الوجوه ، أهل غدر . . . وأقذر الأمم ـ فى أراضى المسلمين ، واحتلوا سهوب قازاخستان . . وزحفوا شرقا وغربا وجنوبا ، حتى احتلوا جميع مناطق التركستان التى تزيد مساحتها على أربعة ملايين كيلو متر مربع . . فى حملات متتابعة ، بدأها إيفان الرابع» .

المشهور «بإيفان الرهيب» سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٢م) عندما احتل خانية قازان الإسلامية التترية .

وفى بضع سنوات توالى سقوط تلك الخانيات (الدويلات) التى فرقتها الخلافات ، فسقطت خانية استراخان سنة ٩٦٥هـ (١٥٥٧م) وسقط نهر الفولجا بأكمله فى يد إيفان . . وفى غضون ثلاثين سنة كانت القوات الروسية قد اخترقت جبال الأورال واحتلت مناطق البشكير ، ووصلت إلى شواطىء بحر قزوين (بحر الخزر) الشمالية . كما اتجهت شرقا حتى احتلت سيبيريا الغربية سنة ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) .

وتوالت هزائم المسلمين فى تلك الأصقاع ، وواجهوا حرباً صليبية شرسة قادها «إيفان الرهيب» بتوجيه من «البابا» . . وتبعه خلفاؤه . . **ولم يكن غريبا أن تسقط «قازان» بعد سقوط «غرناطة» بأيدى الأسبان بستين عاما فقط .**

وليس غريبا أن يقوم «إيفان الثالث» ، جد «إيفان الرهيب» سنة ٨٨٥هـ (١٤٨٠م) بإنهاء سيطرة تتار «قازان» المسلمين على «موسكو» التى دامت ٢٤٠عاما . . . وإنما الغريب أن ينام هؤلاء عن الخطر المحدق بهم وهم يسمعون نداءات البابا المتكررة إلى «فاسيلى الثالث» والد «إيفان الرهيب» لكى يقتلع المسلمين من وطنهم ، ويقوم بحرب صليبية مقدسة ضد المحمديين (كما كان يدعوهم) واعداً إياه بملكوت السماء وبالقسطنطينية التى كان قد احتلها «محمد الفاتح» السلطان العثمانى المجاهد سنة ٨٥٧هـ (١٤٥٣م)(*) .

واستمرت الخلافات بين خان قازان وأولاد عمومته خانات استراخان والقرم وإمارة قاسموف التترية وخانية سيبيريا . . وهم غافلون عما يدبره لهم البابا وإيفان الرهيب .

وما هى إلا سنوات حتى اجتاحتهم قوات «إيفان الرهيب» وامتلكت تلك المساحات الشاسعة من أراضيهم ، وواجهوا حرب إبادة حقيقية ، وكانت سياسة إيفان تجاه تتار الفولجا تتلخص فيما يلى :

---

* محمد على البار : المسلمون في الاتحاد السوفييتى عبر التاريخ ، دار الشروق ، جدة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م (من مقدمة الجزء الأول) .

بالنسبة للأشراف المسلمين والأمراء إما أن يرتدوا إلى المسيحية أو الطرد من وطنهم . . والخراب الاقتصادى الكامل . . أو التصفية الجسدية ، لمن يبدى أقل مقاومة . أما الجماهير المسلمة فقد أخضعت للصهر الدينى ، فمنذ عام **٩٦٣هـ (١٥٥٥م)** اعتمدت سياسة ردة بالقوة . . وكان المرتدون (ستارو كرياستين) يتمتعون بوضع شرعى تجاه القانون مماثل لرعايا القيصر . . .

وعومل الدين الإسلامى بكل قسوة ، وهدمت الجوامع وطرد رجال الملا (علماء الدين) من المدن ، وصودرت الأوقاف الإسلامية(*) . .

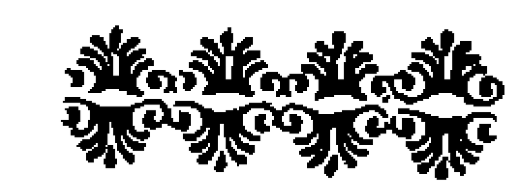
واستمرت سياسة «إيفان» فى عهد خلفائه ، وخاصة أسرة «رومانوف» التى امتد حكمهـا من سنـة ١٠٢٢هـ (١٦١٣م) حتى سنـة ١٣٣٦هـ (١٩١٧م) . . ثم استمرت تلك السياسة بصورة أشد وأعتى فى عهد القياصرة الحمر . . وابتداء من لينين ومروراً بستالين ، وحتى عهد خروتشوف وبريجينيف . .

ولا نزيـد على ذلـك ، فهذا هو تاريخ الاتحاد السوفييتى مع المسلمين . . منذ مئـات السنـين ، تاريـخ أسـود ملطخ بالـدم . . والعار . . والخديعة ، منذ أيام قياصرتهم ، إلى أيام شيوعييهم الحمر الملاحدة ، وهو تاريخ تثبت كل وقائعه شدة الحقد الأسود الذى تضمه صدور هؤلاء القوم الكافرين . . على الإسلام والمسلمين . .

إنه حقد يبتعد كثيرا عن مجرد إخضاع الشعوب الإسلامية للحصول على ما تحت أيديهم من أراض خصبة ، أو ثروات من الرزق وفيـرة ، إنه يصل إلى أعمق أعماق ما فى أيدى المسلمين . . وما فى قلوبهم ، إنه حقد يريد أن يقتلع كل أثر للإيمان من نفـوس المؤمنين ، فحتى هدم المساجد لم يكفهم ، وإغلاق مدارس أبناء المسلمين لايشبع النيران المستعرة فى قلوبهم ضد الإسلام والمسلمين ، كما أن مصادرة أوقافهم لم تطفىء هذه النيران . . . !!

* نقلا عن كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتى) ، كما جاء فى مقدمة المؤلف السابق .

إنهم لم يرضوا بأقل من إخراج المسلمين من دينهم والذين رفضوا من المسلمين المجاهدين صفوا تماما . . . وأحرقوا . . . ومثّل بهم . . . . بالملايين . . دون أدنى مبالغة ، حتى دفعوا من تبقى إلى عيشة ذليلة خانعة . . في أوطانهم التى طالما ردد الأذان فيها من على مآذنها خمس مرات فى اليوم لمئات السنين ، أما اليوم فلم يتبقى من هذه المساجد إلا القلة النادرة التى تتخذ واجهة للزينة ولخديعة بعض حكام المسلمين الذين لايزالون ينخدعون فى شعارات الكفار الملاحدة ، عن العدالة والاشتراكية . ولن ينصلح حال المسلمين إلا بعد أن تزول الغشاوة عن أعينهم جميعا . . والله الهادى إلى سواء السبيل . . . سبحانه .



الفصـــل الخامـــس :

تــاريخ روسيــا المعاصـــر . . مع أفغانستان

كان لابد لنا لكى نفهم أحداث التاريخ المعاصر الذى تجرى وقائعه اليوم ، بين روسيا وأفغـانستـان ، كان لابـد لنا أن نعود بذاكرتنا إلى الخلف إلى تاريخ روسيا (القيصرية أو الشيوعية . . لافـرق) مع المسلمين فى وسط آسيا ، فما جرى خلال القرن الماضى وقرننا هذا الحاضر يمثل القاعدة . . قاعدة السلوك التى تتبعها روسيا تجاه المسلمين بصفة عامة . . حيث التهمت وابتلعت ـ كما رأينا ـ دويلات إسلامية ست ، أعملت فى أهلهـا السـلاح قتلا وتمزيقا ، وأغارت على مقدساتهم فدمرتها تدميرا ، مما يبين الحقد الدفين الذى يكنه هؤلاء الملحدون ضد الإسلام والمسلمين .

وما يجرى حاليا فى أفغانستان هو حلقة من هذا المسلسل الدامى الرهيب الذى يمارسه هؤلاء الكفار الشيوعيون ضد الإسلام والمسلمين ، ويخطىء الكثيرون ممن خدعتهم الـدعـاوى الشيوعية القـائلة بتبنى السـوفييت لشعـارات تحرير الشعوب وصداقة دول عدم الانحياز .

إن هؤلاء الروس قد أفلحوا ـ ولابد لنا أن نعترف ـ فى خديعة عدد من قيادات العـالم الثـالث التى كان أصحـابهـا قصـيرى النـظر ، فلم يتحققوا من الأهداف السوفيتية ، ولم يتوقفوا ليدرسوا تاريخ الشيوعيين مع من جاورهم ، ومن عرفهم ، **فما من أمة تعاملت معهم واستمعت لدعايتهم وصدقتها إلا وعادت بعد ذلك فلعنت الظروف التى أرغمتها على التعامل معهم ، سواء فى المجال السياسى أو الاقتصادى أو العسكرى .**

إنهم يتسللون إلى الدول الصغيرة تسلل الثعابين ، فى هدوء وصمت ، دون أن

يشعر بهم أحد ، حتى إذا حانت الفرصة لهم كانت لدغاتهم التى لاشفاء منها . إنهم يدخلون إلى هذه الدول تحت دعاوى مناصرة حركات التحرر ومناصرة للدول الصغرى ضد الدول الاستعمارية المعروفة ، وتسبقهم شعارات براقة ودعايات واسعة تتحدث عن ممارساتهم الاقتصادية الطيبة ، وعن الاشتراكية العادلة المطبقة فى بلادهم ، وعن العدالة والمميزات الأخرى التى يضمنها تطبيق الشيوعية للطبقات العاملة .

ولا تكاد الدول الصغرى المسكينة تبتلع الطعم الخطير ، والذى يقدم لها على شكل شيء من المعونة الاقتصادية أو العسكرية التى تكون فى حاجة إليها ، لايكاد ذلك يحدث حتى تبدأ الشيوعية الرهيبة فى مد شباكها الأخطبوطية الرهيبة حول الضحية المسكينة ، فالمعونة التى أعطيت لمساعدة الاقتصاد الوطنى تكون مشروطة لإنجاز أمور معينة يطلبها الشيوعيون ، فهم يصرون مثلا على إنشاء شبكات طرق معينة . . فى أماكن محددة فى البلد المنكوب ، وقد لايفهم من تسببوا فى دخول الروس لماذا الإصرار على هذه الطرق بالذات ، ولكنهم حين يفهمون يكون السيف العزل قد سبق ، ولا ينفع الاحتجاج أو الاعتراض ، **وسوف نرى إن شاء الله ، من خلال عرض حالة أفغانستان ، كيف أن الطرق التى أقيمت فيها بالمعونة الروسية ، قد أنشئت فى اتجاهات معينة ، بحيث ربطت الضحية المسكينة ـ أفغانستان ـ بشبكات الطرق الرئيسية فى الاتحاد السوفييتى ، وكيف أن هذا الطرق هى التى حملت عليها الدبابات والمجنزرات وعربات المدافع وناقلات الجنود والتموين . . . الخ ، ونقلت من الاتحاد السوفييتى (الصديق) كى تقتل مئات الألوف وتشرد الملايين من أبناء الشعب المسكين الذى أوقعه بعض من كانوا أبناءه ضحية لأخطر وأبشع استعمار عل وجه الأرض .**

ومن ناحية اخرى قد تكون المعونة عسكرية ، على شكل أسلحة ومعدات مختلفة يحتاجها جيشها الوطنى ، وتحت شعار كسر احتكار السلاح الذى كان يملكه الغرب اتجهت بعض قيادات العالم الثالث لتربط أوطانها بعجلة السلاح فى الاتحاد السوفييتى الذى أغراهم ـ فى البداية ـ بأنه سوف يمدهم بما يشاءون من سلاح وذخيرة . . . .

حتى إذا ماسقطت الفريسة فى الشباك ، وقطعت علاقاتها المختلفة مع باقى دول العالم ، ولم يبق أمامها إلا روسيا الشيوعية ومن يدور فى فلكها ، بدأ فرض الشروط ، والتى يكون أبسطها أن يمول التسليح من الإنتاج الزراعى الوطنى - مثلا - بحيث يعمل الوطن كله فى إنتاج الغذاء والكساء الذى يتحول فى معظمة ليسد حاجة الشعب السوفييتى الذى لم يفلح حتى هذه الأيام فى سد حاجاته الغذائية هو رغم كثرة الحديث عن التقدم والرفاهية . . ! !

وتأتى قمة الكوارث حين يكتشف المخدوعون أن السلاح الذى يحصلون عليه من (أصدقائهم) السوفييت ليس على المستوى المطلوب لمعارك الحروب الحديثة ، **بل هو أسلحة قديمة قد يرجع بعضها إلى الحرب العالمية الثانية ، كما أنه قد تحجز عنهم قطع معينة من قطع غيار الطائرات مثلا ، بحيث لا تسلم لهم إلا بعد أن يخضعوا لشروط معينة يفرضها عليهم (أصدقاؤهم) الشيوعيون فى موسكو ، وقد تكون هذه الشروط ماسة بكرامة الوطن وبسيادته على أرضه ، كالمطالبة بحرية إنشاء حزب شيوعى ، أو الإفراج عن الخونة من الشيوعيين ، أو فى وضع بعض العملاء الشيوعيين فى مناصب معينة . . وخاصة فى وزارات الإعلام وأجهزته المختلفة بحيث يتمكنون من ترويج الدعايات لروسيا ولإنجازاتها ، بحيث يحجبون أى نقد أو انتقاد للشيوعية والشيوعيين .**

وأخطر من هذا أن يفرض الاتحاد السوفييتى ألا يتم تدريب الضباط العسكريين على الأسلحة المختلفة إلا هناك . . فى روسيا ، فى قلب الشيوعية الدولية ، وعلى مقربة من الكرملين ، حيث يتم غرس العقيدة الفاسدة ، بل وحيث يتم تدبير التآمر على أنظمة الحكم الوطنية فى بلادهم الأصلية . . وبطبيعة الحال يكون ذلك كله على حساب تدريب الضباط والطيارين ، . وعلى حساب كفاءاتهم العسكرية ، **لأن هدف الاتحاد السوفييتى هو التمكن من هذه الكفاءات الوطنية . .** سياسيا ، أما أن يكونوا ذوى كفاءة عسكرية عالية بحيث يعرفون كيف يدافعون عن أوطانهم ، **فهذا**

شيء ليس في حسابات السوفييت . . ولا هو من أهدافهم(*) .

وتأتي الكارثة للوطن الذي يتمكن السوفييت من جذب بعض أبنائه إلى أيديولوجيتهم الفاسدة ، حيث يتفقون معهم على القيام بالانقلابات ضد حكام بلادهم ، وبمساعدة العملاء من الشيوعيين لهم في هذه البلاد . . بل وبمساعدة السفارة السوفيتية المباشرة تتم الانقلابات وتحدث المذابح الجماعية التي يروح ضحيتها عشرات الألوف من أبناء الوطن المساكين . . . وكل ذلك لكي يتمكن الشيوعيون من الحكم ومن تسيير مقدرات الوطن . . . لصالح روسيا . . . بطبيعة الحال .

وإذا حدث واعترض بعض هؤلاء الذين وضعوا في قمة السلطة ، على أي شيء مما يطلب منهم من جانب الروس ، خاصة بعد أن تتكشف لهم الأمور ، وبعد أن يتحققوا من أنهم أصبحوا عملاء مخدوعين أو مسيَّرين رغم إراداتهم . . ضد وطنهم ومواطنيهم . . . أقول إذا حدث واعترض أحدهم أو بعضهم . . فسرعان ما تدبر ضدهم الانقلابات المضادة التي تطيح بهم ، حيث تحصدهم المدافع الرشاشة دون رحمة . ويمثل بهم . . أو حتى يسحلون (!!!) بالإضافة إلى تلويث سمعتهم الوطنية ، حيث يتهمون بالعمالة والخيانة . . . وربما ممالأة الرأسمالية العالمية (!!) . . . وكم قتل من هؤلاء . . . بالمئات . . . ومعهم أقرب أقربائهم . . بل وكامل أسرهم ، كما سوف نقرأ في حالة أفغانستان . .

إن هذا الدرس الرهيب لايعيه هؤلاء المخدوعون في البداية ، وأعني بهم أولئك الذين ساروا في ركاب الشيوعية الدولية . . منذ البداية ، حتى إذا ماسقطوا في الهاوية لم يجدوا من يرحمهم أو يهتم بهم ، فهم قد سقطوا في أعين مواطنيهم يوم أن جعلوا من أنفسهم مطايا يركبها الشيوعيون لتحقيق مآربهم ، وفي الوقت نفسه فإنهم لم يحظوا -

* الذين يريدون أن يتأكدوا من هذا الكلام . . ومن واقعيته ، أحيلهم إلى مانشرته جريدة «المسلمون» على شكل حلقات مطولة من مذكرات الفريق مدكور أبوالعز ، قائد سلاح الطيران في الجيش المصري ، حيث كان الرجل في أعلى قمة للمسئولية العسكرية في بلده ، وقد عايش كل هذه الأحداث المؤلمة في وطنه . . ولمسها ، واعترض عليها في حينها لدى عبدالناصر . . فأبعده عن موقعه الحساس . . . !!

حتى باحترام الشيوعيين ـ الذين وظَّفوهم لتحقيق أغراضهم فى أوطانهم ، فهم مجرد لعب أو دمى رخيصة الثمن اشتروها بثمن بخس ، ومن هنا فإن التخلص منها يكون بمقدار ثمنهم ، بضع طلقات من الرصاصات الحقيرة وينتهى أمرهم ، بعد أن كانوا يظنون أنهم من القيادات التى جاءت لإنقاذ أوطانها . . فإذا بهم يجرونها إلى الهاوية ، حيث تقضى الأوطان بعد ذلك سنوات وسنوات ، فى محاولات مستميتة للتخلص من قبضة الشيوعيين ، ويعلم الله وحده إذا كانت هذه الأوطان تستطيع ذلك أم لا . . . أو أنها تغرق فى بحار من الدماء والقلاقل والكوارث والمصائب التى لايعلم مداها إلا الله ، وعلى ذلك فإن هذه الأوطان ـ فى مجملها ـ تدفع غاليا ثمن خيانات بعض من حسبوا عليها من أبنائها ذات يوم ـ ومن هنا فإن كشف طبيعة هذا الأسلوب الشيوعى وتلك الاستراتيجية السوفيتية مهم جدا لأبناء عالمنا الإسلامى ، عسى الله أن يقيهم شر هذا الأخطبوط الملحد الرهيب ، خاصة ونحن نكتب عن حلقة من حلقات هذا المسلسل الشيوعى الدموى الخطير ، الذى لانزال نعيشه فى أيامنا هذه ، فهو لايحتاج لتقليب صفحات التاريخ ، ولكنه يحتاج منا لفتح العقول والعيون على ما يجرى حولنا . . . فى عالمنا عامة . . والعالم الإسلامى خاصة ، وعلى مايدور أمامنا فى أفغانستان المسلمة ، والتى ينبغى ألا نتركها وحدها تصارع هذا الدب المتوحش الرهيب ، وإلا فإن الدور علينا ـ دون أدنى مبالغة ـ والتاريخ يقول لنا ، وهو خير شاهد ، أن هذا الدب بشع جشع . . حقود حقير . . بكل ما تعنيه هذه الكلمات من مدلولات ، وأنه لايشبع . . وخاصة من دماء المسلمين .

إن واجب هذه الأمة المعلق فى أكتاف أبنائها من العلماء والمثقفين هو فى التنبيه إلى خطورة هذا الدب المفترس الفظيع ، وفى الكشف عن مخططاته واستراتيجياته وكذا تكتيكاته ، بحيث يعى المواطنون جميعا ـ فى بلادنا الإسلامية ـ واجباتهم حيال إخوانهم الأفغان ، فى جهادهم ضد هذا الطاغوت المعاصر . . . الرهيب .

إن مجرد سكوت المسلمين على مايحدث فى أفغانستان . . . هو جريمة حقيقية فى حق الإسلام والمسلمين ، وليس فى حق الأفغان فقط ، فالمتفرج على كربة أخيه يوشك أن يكتوى بنارها ، واللاهى عما يجرى فى أى بلد إسلامى مجرم وبلا تحفظ

فى حق بلده هو ، والـذين يقفون مكتوفى الأيدى يتفرجون على مآسى إخوانهم فى بلاهة وسلبية سوف يدفعون هذا الثمن . . إن آجلا أو عاجلا ، وليس هذا من شيم المسلمين . . بل ولا من الإيمان ، حيث حثنا نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن نكون مثل البنيان المتين . . يشد بعضه بعضا .

ورحم الله أياما كانت صرخة امرأة مسلمة واحدة كفيلة بأن تحرك جيوش المسلمين كلها لتأديب المذنبين المعتدين ، يومها كان الجميع يعملون حسابا للمسلم . . الفرد ، لأن وراءه أمة قوية يقظة لن تترك الاعتداء عليه يمر دون عقاب من أمة الإسلام . . جمعاء . أما أيامنا هذه فقد أصبح النفر القليل من اليهود . . أسوأ أمة على وجه الأرض ، أصبحوا يقايضون بالآلاف من أبناء المسلمين ، مما يدل على مدى تدهور أحوالنا . . نتيجة لبعدنا عن ديننا . . دين العزة والإباء .

وما يقوم به المجاهدون الأفغان فى هذه الأيام هو نوع من أنواع المحاولات الجادة لإزالة الغبار الكثيف عن وجه هذه الأمة الإسلامية ، ذات التاريخ الرائع ، كى يظهر للوجود ، مرة ثانية . . . وجهاً ناصعاً مشرقاً يحترمه الجميع ، وتعمل له الدول ألف حساب ، ولاينبغى لنا نحن المسلمين أن نجلس ـ هكذا فى مقاعد المتفرجين ، وفى أحسن الأحوال . . . نسب الروس . . . ونلعن الشيوعية وندعو للأفغان بالنصر ، إن هناك واجبا يحتمه الدين علينا ، وهو أن ننصرهم ونناصرهم . . . بكل شيء نستطيعه ، وليس لناعذر بعد اليوم ، وذلك حتى لا يأتى علينا يوم نقول فيه ليتنا نصرناهم قبل أن يصل الطوفان الشيوعى الكافر إلى أوطاننا وأبنائنا ، ولعلنا بعد هذه المقدمة نقوم لندرس ونتمعن فى الدرس الأفغانى . . . فعسى أن يكون لنا فيه عبرة . . . والله الهادى إلى سواء السبيل . . . سبحانه .

أفغانستان والحرب العالمية الثانية . . وما بعدها :

لقد سنحت الفرصة ـ مرتين ـ للأفغان لاسترداد أرضهم المغتصبة من جانب الإنجليز ، وذلك عام ١٨٥٧م ، أثناء التمرد الهندى ضد بريطانيا ، وأثناء الحرب العالمية الأولى ، حين كان باستطاعتهم الانضمام إلى تركيا فى جهادها ضد

الامبراطورية البريطانية ، ولكنهم حافظوا على شرف اتفاقيتهم مع البريطانيين . . ووقفوا على الحياد(*) .

وللمرة الثالثة . . . وحين كان الإنجليز فى أدنى مستوياتهم العسكرية ، وحينما كانت الهزائم تحيق بهم من كل جانب أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقد أذاقهم الألمان ـ خاصة ـ طعم الهزائم المر ، لم تستطع أفغانستان انتهاز الفرصة والحصول على تحقيق مطالبها الوطنية ، وحافظ «ظاهر شاه» على حياده معهم . . بل وأعلن على الملأ الدولى ـ دون تردد ـ وقوف أفغانستان على الحياد فى هذه الحرب ، ولو فعل غير ذلك ، وانضم لقوات الألمان فى حربها ضد الإنجليز لتغير وجه الحرب بالنسبة لبريطانيا . . فى وقت مبكر ، خاصة فى آسيا .

ومثل كثير من الدول ، مرت أفغانستان بفترة صعبة فى اقتصادياتها ، بسبب ظروف الحرب العالمية ، وتعثر التجارة الدولية بسببها ، وكان هذا خيط البداية فى دخول أفغانستان فى دوامة المعونات الخارجية ، وخاصة تلك التى بدأت تتلقاها من الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى عام ١٩٤٧م حصلت الهند على استقلالها من بريطانيا ، وانفصلت عنها الباكستان ، ووجد الأفغان أن هناك فرصة سانحة لاستعادة أراضيهم الضائعة من خلال المفاوضات ، ولكن رحيل الإنجليز جعل من الصعب جدا على الأفغان أن يستعيدوا شيئا من الباكستان . ولقد حاولت أفغانستان مضايقة انضمام الباكستان إلى الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٧م ، بل وترجمت هذه المضايقة بتصويتها ضد هذا الانضمام فى ذلك المحفل الدولى ، ولما لم تنجح فى هذا المسعى حاولت إنشاء ما أسمته باشتونستان Pashtunistan ، وفشلت هذه المحاولة أيضا ، خاصة حينما لم تؤيدها الولايات المتحدة الأمريكية التى كانت تسعى آنذاك لاسترضاء باكستان ـ

* لعل الأفغان يدفعون ثمن وقوفهم على الحياد بين دولة إسلامية هي تركيا وبين دولة أخرى تغتصب حقوق المسلمين . . هى بريطانيا ، إذ الأساس فى الحروب هو أن يغلب صالح المسلمين العام على أية اعتبارات أخرى ولقد انفرط عقد الامبراطورية الإسلامية بعد القضاء عليها بواسطة القوى الصليبية العالمية ، ثم عانت كل دولة منها على حدة بعد ذلك ، وربما كان ذلك جزاء تصورها أنها يمكن أن يكون لها عزة أو مكانة في غياب شقيقاتها الإسلاميات الأخرى .

الدولة الجديدة ـ كى تدخلها ضمن إطار الدول المحيطة بالاتحاد السوفييتى . . وبطبيعة الحال لم تفلح جهود السوفييت التى حاولت تأييد الأفغان فى مسعاهم ، وذلك لأن هذه الجهود كانت تفتقد الحماس والجدية .

ويذكر التاريخ الخاص بفترة ما قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، وما بعدها مباشرة ، أن الأفغان قد تنبهوا لنوع من النشاط السوفييتى الذى تضمن عمليات للجاسوسية حاولت أن تتغلغل فى مناطق أوزبكستان وتركمانستان وتاجيكستان . . بل وأفغانستان ذاتها ، حيث حاول عملاء الاتحاد السوفييتى أن يقيموا شبكات للتجسس فى هذه المناطق ، وكان الهدف هو المجاهدين السابقين من الباسماتش ، وممن هربوا من فترات التقتيل الرهيبة التى صاحبت إنشاء المزارع الجماعية فى الجمهوريات الإسلامية . لقد كان هذا الفعل ـ من جانب الشيوعيين السوفييت ـ مكشوفا ومفضوحا ، بل إن بعض عملائهم وجواسيسهم قد قبض عليهم واعترفوا بما كانوا يقومون به داخل أفغانستان ، وقد كان ذلك من الأمور التى جعلت حكام أفغانستان يأخذون جانب الحذر الشديد من جارهم المخادع . . الاتحاد السوفييتى .

وحينما وجدت أفغانستان نفسها بلا نصير دولى ـ تقريبا ـ يساعدها على استرجاع أرضها ، أخذت توجه الإذاعات المعادية للباكستان ، كى تستثير القبائل الموجودة على الحدود بينهما ، خاصة فى المناطق الجبلية الوعرة ، والمنطقة المتنازع عليها .

وفى عام **١٩٥٠م** قامت بهجوم مسلح على بعض نقط الحدود ، وكان رد فعل باكستان عنيفاً حيث بادرت بإغلاق الطرق أمام مرور البضائع الأفغانية عبر الأراضى الباكستانية وكان ذلك قاتلاً بالنسبة لأفغانستان ، خاصة فى مجالى الجاز وأنواع الوقود الأخرى مما لايمكن لأفغانستان الاستغناء عنه .

وهنا قفز الاتحاد السوفييتى إلى الصورة ـ وليتنبه القارىء المسلم جيدا لاستغلال الروس الجيد للفرص ـ تماما كما حدث لمصر إبان رفض الغرب تسليح الجيش المصرى ، حيث قفز الروس للمنطقة بدعوى كسر احتكار السلاح الغربى ـ فبادر **بتوقيع اتفاقية سريعة مع أفغانستان فى ١٧ يوليو ١٩٥٠م** ، يتبادل بمقتضاها المنتجات الغذائية ، والملابس القطنية ، والسكر . . وبضائع كثيرة أخرى ، كما سمح بمرور

البضائع الأفغانية عبر أراضيه ، دون أن تفرض عليها أية ضرائب . . . وكانت هذه الاتفاقية الأولى من نوعها بين البلدين منذ الثلاثينات . . . وكانت هذه هى البداية .

وأمسك الروس بالفرصة :

ولم يضيعوها . . وبل وعضوا عليها بالنواجذ ، فعلى الرغم من أن ما وقع بين البلدين المسلمين . . أفغانستان وباكستان . . قد انتهى ، وعادت العلاقات بينهما إلى ما كانت عليه ، وبدأت البضائع الأفغانية فى المرور ، فى الأراضى الباكستانية ، بعد ثلاثة شهور فقط من منعها ، أقول على الرغم من ذلك إلا أن الاتحاد السوفييتى قبض على الفرصة ولم يضيِّعها ، وبدأ يتفق مع الأفغان على مرور بضائع أخرى من بضائعهم عبر أراضيه هو . . . !!

وأكثر من ذلك أن استطاع الروس أن يتوصلوا مع الأفغان إلى اتفاق يسمح لهم بالتنقيب عن البترول فى شمال البلاد ، بعد أن أزاحوا من الميدان شركة سويدية كانت تعمل هناك ، وكان ذلك فى حقبة الخمسينات .

وبدأ الدب السوفييتى يحشر أنفه فى شئون أفغانستان الداخلية والتى تتعلق بحقوق السيادة على أرضها ، فقد احتج الروس على وجود عدد من خبراء حلف الأطلسى NATO فى شمال البلاد (أفغانستان) ، وكانت الكارثة حين خضع الأفغان للضغط السوفييتى ومنعوا هؤلاء الخبراء من التواجد حيث كانوا . . وليست المشكلة هنا فى منع هؤلاء أو أولئك ، ولكن الكارثة هى فى وصول الروس إلى مركز القوة فى أفغانستان بحيث يحتجون فيقبل احتجاجهم . . ويأمرون فيطاعون . . !!

وفى فترة لاحقة طالب الأفغان الولايات المتحدة الأمريكية بالدعم السياسى ، ولكنهم لم يحصلوا عليه ، ثم طالبوها بالمعونة العسكرية ، فأخذت رأى الباكستان أولا ، بعد أن وعدتها بمضاعفة معونتها العسكرية لها ، إذا ماشعرت بأن ما يعطى للأفغان قد يخل بميزان القوى هناك ، ثم طلبت أمريكا من الأفغان بأن يدخلوا معها فى اتفاقية أمنية دفاعية ، وهنا طالب الأفغان الأمريكيين بأن يتعهدوا بحمايتهم من هجوم سوفييتى قد يأتيهم نتيجة اتفاقهم مع الأمريكيين ، وهنا ارتكب الأمريكيون

خطأ استراتيجيا خطيرا ، حين رفضوا الطلب الأفغانى بالحماية . . !! وفشلت المفاوضات ، ووجدت أفغانستان نفسها وهى تندفع فى طريق التعاون مع الروس الشيوعيين ، وهى التى كانت محتمية ـ قبل ذلك ـ خلف سياسة إغلاق أبوابها أمام المؤثرات العالمية الخارجية ، وخاصة من هؤلاء الجيران الذين لايؤتمنون . . **وسارت أفغانستان فى الطريق الشائك والصعب .**

وجاء «محمد داوود» إلى الحكم ، وكان قاسيا وحاسماً فى الوقت ذاته فألغى بعض مظاهر الديمرقراطية مثل البرلمان . . . وخلال الأربعة شهور الأولى من حكمه قدم له الروس مبلغ ٣,٥ مليون دولار لإنشاء صوامع للغلال ، ومطحن للدقيق ومخبز كذلك ، وقد قدم المبلغ على خمس دفعات ، وبربح ٣٪ فقط فى العام ، وذلك لطحن ٢٠ ألف طن من الغلال ، وقد تم البناء فى عامين ، وأصبحت هذه المبانى أعلى مبانى «كابول» العاصمة . . . وكانت رمزاً على ما وصلته العلاقات الأفغانية ـ الروسية .

وفى شهر يوليو عام ١٩٥٤م تم الاتفاق بين الجانبين على مد خط للجازولين عبر نهر «آموداريا» من روسيا ، وعلى إنشاء أربعة خزانات ضخمة للجاز وتخزينه ، بسعة مليون جالون ، وذلك فى مناطق مختلفة من أفغانستان . وبطبيعة الحال لسنا فى حاجة لأن ننوه بأن الروس قد أقنعوا الأفغان بأن مخازن الغلال هذه ، وكذا مخازن الوقود قد أنشئت كى تقيهم شر فعلة ثانية قد تأتيهم من الباكستان مستقبلا ، إذ قد أصبح لدى الأفغان مخزون من هذين المصدرين يقيهما شر الأعداء . . (!!) **وضرب الروس على الحديد وهو ساخن . . بين البلدين المسلمين .**

كذلك فإنه فى العام ذاته ، أى ١٩٥٤م اكتسب الروس سمعة طيبة حين نفذوا مشروعاً لسفلتة شوارع العاصمة كابول ، وهو مشروع كان قد رفض من جانب أحد البنوك الأمريكية فى عام سابق ، وكانت قيمة المشروع مليونين فقط من الدولارات . . . !! «وهذا مما يدل على الغباء الأمريكى فى معالجة بعض أمور السياسة الخارجية أحيانا . . » .

ومن جانب آخر تقدم التشيك(*) بقرض مقداره خمسة ملايين دولار لإنشاء مصانع للأسمنت فى أفغانستان ، بفائدة ٣٪ سنويا فقط ، على أن يسدد على ثمان سنوات ، وهو مشروع حاول الأفغان قبل ذلك أن يتفقوا عليه مع الألمان والأمريكيين ، على مدار حقبة كاملة من الزمان (١٠ سنوات) وفشلوا . **لقد غابت عن الأمريكيين خصوصا ، والغرب عموما . . الحكمة القائلة بأنه حيث لا أوجد أنا . . يوجد عدوى ، فلا مجال للفراغ إطلاقا فى العلاقات الدولية ، ولعل المسلمين يتعظون من هذه الأمور ويتفهمون أبعادها ، فيما يختص بالأفغان وبلاجئيهم وأطفالهم خاصة ، فحيث لايوجد المسلمون للاهتمام بهم . . . برعايتهم . . وتعليمهم . . . والمحافظة على دينهم الإسلامى الحنيف ، فسوف يوجد غيرهم . . من اليهود والنصارى والملحدين والبوذيين . . . الخ ، وساعتها لاينبغى أن نلوم إلا أنفسنا حينما نجد ـ والعياذ بالله ـ الإلحاد والكفر والتنصير وقد آتت أكلها المسمومة بينهم .**

كان كل هذا يتم بين الروس وأعوانهم من جانب ، وبين الأفغان من جانب آخر ، فى الوقت الذى كانت فيه الولايات المتحدة الأمريكية مهتمة جدا بتدعيم باكستان عسكريا ، حتى إنها أقرضتها من المعدات العسكرية ما قيمته ٢١ مليونا من الدولارات ، وضمتها إلى حلف جنوب شرق آسيا (South East Asia Treaty Organizaion (SEATO) كما ضمتها لحف بغداد Baghdad Pact وقد تم كل ذلك خلال عام ١٩٥٤م ، فى إبان الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربى ، وهى قمة محاولات أمريكا حصار روسيا داخل أراضيها ، وإحاطتها بشبكة من الأحلاف العسكرية .

ومما ذكر فى هذه الأيام ، وخاصة فى صحافة الغرب أن الأفغان قد حاولوا مراراً الحصول على معونة عسكرية من أمريكا خلال العامين ١٩٥٣/ ١٩٥٤م ، ولكن أمريكا رفضت إعطاءها هذه المعونة حتى لاتغضب الباكستان ، وحتى لا تستغل أفغانستان هذه المعونة العسكرية ضد بعض الأهداف الباكستانية .

* بطبيعة الحال ما كان التشيك أن يتقدموا بمثل هذا العرض دون دفع من الروس ، وهى وسيلة اتبعتها روسيا كثير من دول المعسكر الشرقي لتحسين صورة الشيوعية عند كثير من الدول المختلفة .

وبدأت المعونات الاقتصادية تؤتى أكلها . . . سياسيا :

ففى ربيع عام ١٩٥٥م انتشر الغوغاء فى شوارع العاصمة الأفغانية «كابول» وقادوا هجوماً قاسيا على السفارة الباكستانية ، كما هاجم أشياعهم القنصليتين الباكستانيتين فى كل من «جلال آباد» و«قندهار» ولم يكن ذلك بطبيعة الحال بعيدا عن تخطيط العناصر الشيوعية التى كان يهمها أن تتفاقم العلاقات إلى درجة الخطر ، بين البلدين المسلمين أفغانستان وباكستان ، فى الوقت الذى تزداد فيه أفغانستان اندفاعاً نحو الاتحاد السوفييتى ، وبعدا عن المعسكر الغربى ، وحتى بعدا عن طريق عدم الانحياز الذى ارتضته لنفسها سبيلا فى علاقاتها الدولية .

وكان رد الباكستان على ما حدث لرعاياها ومصالحها فى أفغانستان سريعا وحاميا حيث حدثت نفس التهجمات على السفارة الأفغانية وعلى بعض قنصلياتها فى الباكستان ، وأكثر من ذلك أن أقدمت الباكستان على إغلاق الحدود بينهما ، ولم تفتح هذه الحدود إلا بعد أن تدخل الأمريكيون ، والذين رفضوا فى الوقت ذاته طلبا من أفغانستان بإنشاء طريق طوله ١٠٠٠ ميل من أفغانستان إلى إيران بحيث يعبر الأخيرة إلى شاطىء البحر ، حيث تجد أفغانستان لنفسها مخرجاً إليه دون اللجوء إلى باكستان .

ولقد قال العالمون بخبايا السياسة الدولية آنذاك أن ما تم فى أفغانستان ضد المصالح الباكستانية كان موجهاً بالدرجة الأولى ضد الولايات المتحدة الأمريكية لمواقفها من أفغانستان ، بينما كانت أسهم الاتحاد السوفييتى آخذة فى الارتفاع هناك .

وفى ديسمبر عام ١٩٥٥م زار «خروشوف» «وبولجانين» العاصمة «كابول» وأعلن أثناء الزيارة عن قرض روسى مقداره ١٠٠ مليون دولار ، طويل الأجل ، كما جددت اتفاقية عدم الاعتداء بين البلدين لمدة عشر سنوات ، وقد وقعت هذه الاتفاقية فى يناير ١٩٥٦م . وكانت نسبة الأرباح على هذا القرض الضخم - بمقياس الفترة الزمنية التى تم فيها - ٢٪ فقط ، وعلى أن يتم السداد على ٢٢ قسط ، وبفترة سماح زمنها ٨ سنوات ، وعلى أن يكون السداد من البضائع الأفغانية . . . وبأسعار السوق العالمية عند التسليم .

وبـدت الصفقـة طيبة للغاية بالنسبة للأفغان ، خاصة وقد اكتسب السوفييت سمعـة عالمية مغرية آنـذاك نتيجة لتقديمهم عددا من اتفاقيات المعونة المشابهة ، لدول أخرى ضمن مجموعة دول عدم الإنحياز ، فلقد قدموا قرضا «للأرجنتين» قيمته ٤٠٠ مليون روبية عام ١٩٥٨م ، و«لكوبا» قدموا قرضا مقداره ١٠٠ مليون دولار عام ١٩٦٠م ، كما فعلوا الشيء نفسه مع كل من «إندونيسيا» و «إثيوبيا» .

ولا ننسى هنا الإشارة إلى أن هذه الفترة من التاريخ هى الفترة الحـرجة التى وضعت روسيا فيها أقدمها فى المنطقة العربية ، أو منطقة الشرق الأوسط ، من خلال حكومة مصر ، فى «عهد عبد الناصر» وكان ذلك فى أعقاب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م ، الذى اكتسب منه الروس ـ دون وجه حق ـ سمعة طيبة فى العالم العربى ، حين كتب فى صحف «القاهرة» عن إنذار «بولجانين» لإسرائيل والغرب ، بينما الواقع يقول بأن أمريكا بقيادة «أيزنهاور» هى التى أرغمت المعتدين الثلاثة : انجلترا وفرنسا وإسرائيل ، على الانسحاب من منطقة قناة السويس بمصر ، ولكن أجهزة الدعاية النـاصرية ، آنـذاك ـ صورت روسيا فى صورة البـطل المنقذ ، وكسب الشيوعيون خطوات خطيرة فى مصر والعالم العربى ، كان من نتائجها أن بدأوا يتوغلون فى المنطقة بشكل مطرد ، بل وكان من نتائجها أيضا أن بدأ الشيوعيون المحليون يعلنون عن أنفسهم بوضوح وصراحة . . دون خوف أووجل ، وهو مالم يكن يحدث من قبل . . . !!

ومن بين جميـع مشروعات المعونة السوفيتية لأفغانستان والقروض التى قدمت يهمنا مشروع خطير وهو محاولة ربط أفغانستان بروسيا بطرق برية عن طريق شبكة طرق للسيارات ، وكذا إنشاء مطارين ، وكل ذلك مما كانت أفغانستان تحرص على عدم إنشـائه ـ من قبل ـ خوفاً على استقلالها ، وقد أثبتت الأيام أن مخاوفها الأولى والمبكرة كانت فى محلها ، حيث استغلت هذه الطرق والمطارات فى ضرب أفغانستان واحتلالها من جانب (الأصدقاء) السوفييت ، ولم يعد ينفع الندم الذى جاء متأخرا ، بعد أن وقعت الفريسة بين أنياب الدب السوفييتى المفترس . . .

قـمــة الخطــرة :

وفى شهر مارس عام ١٩٥٦م وقعت أفغانستان مع روسيا اتفاقية استدعاء عدد من الخبراء الروس . . للإقامة فى أفغانستان وذلك لصيانة وإصلاح الأجهزة والأدوات والمعدات التى أتت مع المعونات السوفيتية ، ولتدريب الأفغان عليها . . .

وجـاء الاختراق العظيم والهائل للسوفييت إلى أفغانستان حين وقعت اتفاقية فى أغسـطس ١٩٥٦م لإعـادة تسليح القوات المسلحة الأفغانية ، بأسلحة سوفيتية ، كما تضمنت الاتفاقية تدريب الضباط الأفغان فى المدارس العسكرية الروسية ، وكذا **إقامة عدد من الخبراء العسكريين الروس فى أفغانستان بين عناصر القوات المسلحة الأفغانية وقواعدها العسكرية ، التى أصبحت أسرارها كلها ـ بعد فترة قصيرة ـ فى أيدى القيادة السوفيتية ، بكل نقاط قوتها وضعفها بالإضافة إلى أن الضباط الروس الخبراء لم يضيعوا وقتا فى تجنيد وتدريب كثير من العملاء لهم داخل القوات المسلحة السـوفيتيـة التى أشرفـوا على تدريبهـا** ، وهكذا كان الترتيب يأخذ مجراه . . رويدا رويدا . . . لإيقاع الفريسة كلها ضمن فك الدب الروسي الجشع .

ورغم أن بعض المحللين السياسيين يقـولون بأن أفغانستان قد كسبت شيئا فى المـدى القـريب أو القصـير ، نتيجـة للمعـونـات التى حصلت عليها من الروس والأمـريكيين ، وأنها كانت تحاول اللعب على الحبـل بين القوتين العظميين إلا أنه مما لاشك فيه أنها كانت على وشك السقوط فى فم الدب الروسى الرهيب ، أيام حكم «داوود» ، وذلك كما كان الحال تماما فى وضع مصر أيام «عبد الناصر» .

فلقد كان زعيما البلدين لايكفان عن الحديث عن عدم الانحياز ، وعن استقلال بلديهما فى اتخاذ القرار السياسى المستقل ، بينما كان الواقع المر عكس ذلك تماما ، فلقـد جاءت فترة على مصر سمعت فيها (نصيحة) الأصدقاء السوفييت بألا تقوم بالضربة الأولى ضد إسرائيل فى عام ١٩٦٧م وكانت النتيجة هزيمة عسكرية مروعة للقـوات المسلحــة المصرية التى فوجئت بقـرار القيادة السياسية بالانسحـاب فى السـاعات الأولى من المعركة ، وكانت هزيمة الخامس من يونيو من أقسى الهزائم

العسكرية فى تاريخ القوات المسلحة المصرية ، بل ومن أقسى الهزائم النفسية لها وللشعب المصرى والأمة العربية جميعا ، وذلك بسبب خيانة الروس للعرب والمسلمين بصفة عامة ، وليس بسبب ضعف أو تخاذل من الجنود والضباط المصريين .

كذلك يذكر المحللون السياسيون أنه فيما يبين عامى ١٩٥٠م ، ١٩٥٩م بلغت مساعدات الأمريكيين للأفغان ١٤٨,٣ مليون دولار ، بينما بلغت مساعدات الروس لهم ٢٤٦,٢ مليون دولار ، ولكن ـ وهذا هو المهم والخطر فى نفس الوقت ـ نجد أنه فى الفترة ذاتها بلغت نسبة اعتماد الأفغان على السلاح الروسى ١٠٠٪ ، وارتفعت من ١٠٪ إلى ٩٠٪ فيما يختص بمشتقات البترول ، ومن ١٧٪ إلى ٥٠٪ من جملة التجارة الخارجية ، وبذا أصبحت مقدرات أفغانستان ، فى معظمها فى أيدى الملحدين الروس ، وبدأوا يوجهون مسار الأحداث الوجهة التى تتفق مع مصالحهم هم ، بصرف النظر عن الشعب الأفغانى المسلم وعن مصالحه الداخلية أو الخارجية . . .

ورغم كل هذه المظاهر البادية للعيان من الارتماء فى أحضان الروس ، ظلت القيادة السياسية فى أفغانستان تتحدث عن وقوفها على الحياد ، وعن تمسكها بشعارات دول عدم الانحياز ، كما كان عبد الناصر يفعل فى مصر تماما ، ولكن الواقع كان يقول بغير ذلك ، ويكفى أن ندلل على ذلك من موقف عبد الناصر من قضية اجتياح القوات السوفيتية للحدود التشيكية للقضاء على ثورة الشعب هناك ، والتى أرادت أن تخرج من تحت نير الاستعباد الروسى لتشيكوسلوفاكيا . إن مصر عبد الناصر آنذاك لم تستطع أن تقول كلمة واحدة تشجب بها هذا العمل المريع ضد الشعب التشيكى ، ولكن كان كل مافعلته هو أنها أذاعت ـ من خلال صحيفة الأهرام ـ البيان الكامل الذى خرجت به وكالة تاس السوفيتية ونشرته جريدة إزفيستيا السوفيتية ، وكأن مصر قد أصبحت ـ والعياذ بالله ـ إحدى الجمهوريات التابعة للاتحاد السوفييتى . . !!

ولم يلاحظ أحد من ذوى الفهم العميق للأمور أن بناء الطرق فى أفغانستان كان يجرى وفق تخطيط عسكرى روسى بعيد الأمد ، فشبكات الطرق كانت تجرى بحيث

تربط ـ كما سبق القول ـ مناطق عسكرية معينة فى الاتحاد السوفييتى بمناطق ذات أهمية خاصة فى أفغانستان .

كذلك فإن بناء الكبارى الهامة ، وخاصة تلك التى ربطت الحدود الروسية بالعاصمة «كابول» ظهر ـ فيما بعد ـ أنها كانت تتم وفق أهداف عسكرية استراتيجية خطيرة بعيدة المدى ، **لقد لوحظ أنه عند إنشاء هذه الكبارى أنه كان يجرى تجربتها لتتحمل الشاحنات الأفغانية الضخمة ، والتى لاتقل فى وزنها عن الدبابات الروسية الضخمة** ، وذلك كما لاحظ الملحق العسكرى الأمريكى فى «كابول» آنذاك ، وكما كتب فى تقاريره إلى وزارة الدفاع الأمريكية فى واشنطن .

ولعلنا هنا نتوقف للحظات نوضح فيها للمسلمين جميعا أن هذه هى السياسة التوسعية الروسية ، ففى الوقت الذى كان فيه الروس يتحدثون عن الصداقة الأفغانية الروسية كانوا ينفذون هذه الاستراتيجية العسكرية الخطيرة على الأرض الأفغانية ، **فالحديث عن الصداقة . . . أما الفعل فهو ممتلىء بالغدر والخيانة** ، حيث كانوا يبيتون النية منذ هذا الوقت المبكر لضرب أفغانستان والاستيلاء عليها ، وكل ذلك ينسف حجتهم التى تعللوا بها عند اجتياحتهم للحدود الأفغانية ودخولهم إلى العاصمة الأفغانية ، والتى قالوا فيها إن الحكومة الأفغانية هى التى طلبت مساعدتهم للقضاء على نشاط المجاهدين الأفغان ضدها .

إن نوايا السوفييت (الاصدقاء) تحتاج لفهمها جيدا وبعمق ، فتجارب المسلمين معهم مريرة عبرالتاريخ ، فهم الذين ها دنوهم إبان هزيمتهم هم أمام القوات اليابانية عام ١٩٠٥م زمن القياصرة ، والشىء نفسه حدث خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية حين ضُربوا من قوات ألمانيا بعنف وبشدة فتساهلوا ـ تكتيكيا ـ مع المسلمين ، حتى إذا ما خرجوا ـ أى الروس ـ من أزمتهم عادوا إلى طبيعتهم الغادرة القذرة مع المسلمين فأذاقوهم الأمرين . وهاهم يتحدثون عن الصداقة الروسية الأفغانية ، وعن المعونة السوفيتية للشعب الأفغانى الصديق ، بينما مهندسوهم يبنون الطرق والكبارى الهائلة التى ستحمل عليها القوات الشيوعية الحمراء لذبح الشعب الأفغاني المسلم . . . (الصديق !!) . . . فهل نعتبر . . . ؟؟ خاصة وأن ذلك كان

يتم فى قمة التقارب الأفغانى الروسى ، وفى ظل دعاوى شتى من جانب الإعلام الروسى عن الصداقة المشتركة بين الشعبين ، وعن مناصرة الروس لقضايا شعوب العالم الثالث . . أو دول عدم الانحياز . . . !!!

قرب نهاية الفترة التى نتحدث عنها قام الرئيس الأمريكى «أيزينهاور» بزيارة العاصمة «كابول» فى ديسمبر ١٩٥٩م ، وتوجس الروس شرا على جهودهم التى كانوا يبذلونها لاحتواء أفغانستان وضمها إلى معسكرهم الشرقى الشيوعى ، ومن هنا رتبت زيارة سريعة لأفغانستان ، من جانب «خروشوف» فى بدايات عام ١٩٦٠م مباشرة وذلك كى يمحو أثر زيارة الرئيس الأمريكى .

وفى هذه الزيارة كرر «خروشوف» عروضه السابقة بتمويل الخطة الخمسية الأفغانية الثانية ، مع التأكيد على وجود الخبراء ، الروس . . . فى كل مجال من مجالات الحياة فى أفغانستان ، وقد شعر «داوود» بالحلقة الروسية تضيق حول عنق أفغانستان ، وشعر أكثر بأن ربط أفغانستان بروسيا من خلال خطة ضخمة للتنمية قد يصعب الفكاك منها ، ومن هنا رفض العرض الروسى الخاص بها .

فى ١٩٦١م وقعت حوادث مؤسفة على الحدود ، بين البلدين المسلمين أفغانستان وباكستان ، كما امتدت هذه الأحداث إلى السفارات والقنصليات الخاصة بهما ، ووصل الأمر إلى حد قطع العلاقات بين البلدين (العلاقات الدبلوماسية) فى شهر سبتمبر ٩٦١م وبطبيعة الحال أغلقت الحدود بين الدولتين .

وطار «سردار محمد نايم» Naim شقيق «داوود» إلى روسيا ، يطلب المساعدة الجوية لإزالة آثار إغلاق الحدود . وبطبيعة الحال شعر الروس الشيوعيون الذين لم يغب عن ذهنهم الهدف إطلاقا ، شعروا بأزمة أفغانستان ومحاصرتها داخل أراضيها المغلقة ، فانتهزوا الفرصة وعرضوا مرة ثانية . . وثالثة . . ورابعة ، عرضوا تمويل خطة التنمية الأفغانية الثانية . . . كاملة ، . بل وعرضوا تمويلها بمبلغ ٤٥٠ مليون دولار ، وكان هذا مبلغا ضخما . . . آنذاك .

ومن كثرة العروض . . . وشدة الضغط المصاحب لعرضها شعر الأفغان بالفخ

الذى ينصب لهم ، والذى يتهدد استقلالهم ، ورغم الإغراء الشديد الذى صاحب هذا العرض ، إلا أنهم امتلكوا القدرة على رفضه والهروب من منزلقه ، فى الوقت الذى كانت عملية إغلاق الحدود بينهم وبين باكستان تؤثر عليهم تأثيرا سلبيا شديدا .

وفى مارس **١٩٦٣**م طلب الملك «ظاهر شاه» من «داوود» أن يقدم استقالته من رئاسة الحكومة ، وبمجرد أن تم ذلك أعيد فتح الحدود بين البلدين المسلمين ، وأسقط فى يد الروس . . نهازى الفرص الذين شعروا بالخذلان الشديد ، حيث كانوا يريدون أن تظل أفغانستان معتمدة عليهم فى تصريف منتجاتها ، وفى تمويل قواتها . لقد تصور «داوود» مخطئا بطبيعة الحال ـ أن فتح الباب للتعامل مع الاتحاد السوفييتى يمكن أن يكون مغامرة محسوبة ، بحيث يأخذ منهم ما يريد ، فى الوقت الذى يظل فيه استقلال أفغانستان بعيدا عن المساس ، وتظل سياستها بعيدا عن الانزلاق فى مهاوى المنحدر الشيوعى الخطير .

كذلك فإنه كان يتصور أنه بالتقارب مع روسيا . . بعض الشيء . يمكن أن يدفع الأمريكيين لزيادة معوناتهم لأفغانستان بعض الشيء ، ولم يكن يدرى أنه إنما كان يلعب بالنار التى سوف تحرق أفغانستان كلها فيما بعد ، وسوف تتسبب فى ضياع استقلال بلاده ، وفى قتل أكثر من مليون من أبنائها ، وتشريد أكثر من خمسة ملايين منهم خارج حدودها .

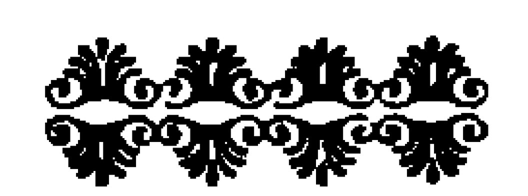
ولقد قال بعض الذين كانوا يفهمون سياسته أنه كان واعيا لخطورة المعونة الروسية وخاصة العسكرية منها والتدريب العسكرى ، إلا أنه كان يعتقد بأنه يستطيع أن يسيطر على ذلك ، بحكم قيادته للجيش ، وبحكم وطنية الأفراد الأفغان ، وأيضا بحكم فهم الناس لطبيعة السوفييت الطامعة فى أفغانستان .

إن مشكلة هذه النوعية من القيادات فى العالم الإسلامى أنها تحسب الحسابات الدولية على أسس فردية أو شخصية ، يتصور الواحد منها أنه يستطيع من خلال بعض الممارسات الوطنية الطيبة والمواقف العنترية أنه قادر على تسيير دفة العلاقات الدولية وفق حساباته هو . . الشخصية ، وينسى تماما أن الدول الكبرى بها أجهزة عملاقة للحسابات الدولية تحسب كل شيء ، ابتداء من ردود الأفعال الشخصية لدى

رؤساء الدول وزعمائها ، حسب المواقف المستجدة على الساحة الدولية ، وذلك بعد تجميعهم لكل عناصر شخصية ، كما ينسى هذا الصنف من القادة أن هناك عوامل أخرى سياسية واقتصادية بل واجتماعية أيضا ، تدخل فى هذه الحسابات يثار ذلك كله فى موقف معين ، وحينما يكون هو مشغولا بحسابات ساذجة بسيطة خاصة بتفكيره هو تكون أجهزة تلك الدول الكبرى مشغولة بإثارة الزوابع الهائلة من حوله . . . فى الميادين السياسية . . والاقتصادية . . والاجتماعية . . بل والعسكرية . . . بل وحتى التآمر على الوطن كله . . وليس على شخصه هو ـ بطبيعة الحال ـ حتى لا يصنعوا منه بطلا تتمسك الأمة بذكراه ، والذين لا يعرفون ذلك عليهم أن يسألوا أحداث الخامس من يونيو عام ١٩٦٧م فى مصر ، وسوف يعرفون كيف دفع الحاكم آنذاك ـ من خلال معرفتهم لمكونات شخصيته الدعائية ـ ثمنا باهظاً لإغلاق خليج العقبة ، وطرد قوات الطوارىء الدولية ، ثم استعراض القوات المسلحة المصرية بشكل دعائى تليفزيونى ، ثم كيف رتب الأمر بحيث يطلب منه السوفييت ألا يبدأ بإطلاق النار ، فينصاع لهم ،وتأتى طائرات أعداء الله من الصهاينة فتغتال الطيارين المصريين وطائراتهم على الأرض ، ويصبح الجيش المصرى بلا غطاء جوى . . فيذبح منه أكثر من عشرين ألف من شباب الأمة الإسلامية ، ويضيع تاريخ مصر والعرب معها ، تحت أحذية الصهانية الذين احتلوا القدس الشريف والضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء . .

وتدور الدورة الجهنمية من جديد ، وتعود مصر تطلب السلاح والتدريب من الشيوعيين الذين خذلوها ، وهى تتصور ، أقصد قياداتها ، تتصور أنه يمكن أن يكون هناك علاج من الصهيونية . . لدى الشيوعيين ، فكان شأنها شأن المستجير من الرمضاء بالنار ، **فمنذ متى كان يمكن للمسلم أن يستعين بالشيوعيين الملحدين ضد الصهاينة المجرمين . . ؟؟ إن مصر لم تعرف طعم النصر فى العصر الحديث إلا حين اعتمد أبناؤها ـ بعد الله ـ على أنفسهم ، وحين طردت الخبراء الروس ، وحين عبر ضباطها وجنودها خطوط النار حول قناة السويس وهم صائمون فى شهر رمضان ، وتحت شعار «الله أكبر» الذى رددوه تلقائيا . . . فتنزل عليهم نصر الله المبين .**

هذا وتبين التحليلات التى تمت لتلك الفترة من حياة «أفغانستان» أن خروج «داوود» من الحكم ، بناء على أمر من الملك «ظاهر شاه» ، كان له ردود شعبية فرحة بشكل لافت للنظر ، فى كل أفغانستان ، ولم يكن ذلك فرحاً فى خروج الرجل بشخصه هو من الحكم ، ولكن ذلك أخذ كمؤشر على رغبة الحكومة فى عدم الخضوع للشيوعيين السوفييت ، وفى عدم الرغبة فى ربط عجلة أفغانستان . . الدولة الإسلامية . . بروسيا . . . بلد الكفر والإلحاد والتآمر الخسيس على المسلمين، حيث لم ينسى مسلمو أفغانستان ما وقع لجيرانهم المسلمين من مذابح ومآسى على أيديهم من عهد قريب ، وما ينبغى لهم . . ولا للمسلمين أجمعين أين ينسوا ذلك ، فالشعوب التى تنسى التاريخ تدفع الثمن مضاعفا . . . من حريتها ، ومن دماء أبنائها . . ومن مستقبل أجيالها . . .



الفصــل الســادس :

الإطباق الروسى على أفغانستان

مما لاشـك فيه أن القارىء الكريـم يدرك الآن تماما خطورة التخطيط الشيوعى الـروسى للإيقـاع بأفغـانستـان . . الـوطن المسلم ، الذى ظل بعيدا عن متناول المستعمرين لمئات السنين ، ولاشك أيضا أنه يدرك الأساليب العديدة التى اتبعها الشيوعيون الروس مع الشعب الأفغانى ، بحيث يحاصرونه فى ركن لايمكنه الفرار منه ، تماما كما تحاصر الحيوانات المفترسة فرائسها ، ثم تنقض عليها لتمزقها إرباً إرباً بأنيابها وأظافرها ، ثم تبتعلها بعد تقطيعها بأنيابها وأسنانها . . وتطحنها تماما ، ومن بعد ذلك تأتى عملية الهضم الكامل ، وهذا هو الذى حدث للولايات الإسلامية الست من قبل ذلك .

لقد أغروا أفغانستان ـ فى مرحلة من المراحل ـ بشيء من المعونات الاقتصادية ، وفى مرحلة أخرى أظهروا لها الود بفتح طرقاتها لتسيير بضائعها عبرها ، حين تأزمت علاقتهـا مع جارتهـا المسلمة . . باكستان ، وبطبيعة الحال لم يكونوا هم ـ مطلقا ـ بعيدين عن تعكير صفو هذه العلاقات ، سواء من جانب عملائهم على الحدود بين البلدين لافتعــال بعض الأحـداث التى تسيىء لهذه العـلاقـات ، أو من جانب عملائهم الشيوعيين المنتشرين فى المدن ، فى البلدين ، والذين كانوا يقومون ببعض الاغتيالات لشخصيات هامة ، كما كانوا وراء قيادة بعض المظاهرات التى تعمل على كهربة الجو بين البلدين ، ومن ثم تتأزم العلاقات بينهما ، بل وتصل إلى حد قطع هذه العلاقات تماما ، ومن ثم تتدخل روسيا لتأخذ مظهر البطل المنقذ الذى جاء ليحتوى آثار إغلاق الحدود بين البلدين . . والدليل على ذلك هو أن قادة الاتحاد السوفييتى كانوا يبدون ضيقهم وتبرمهم حين تكون العلاقات بين هذين البلدين المسلمين على ما يرام . . .

المهم أنـه خلال فترة الستينـات نجد أن الروس قد تحركوا من مرحلة السيطرة السياسية على أفغانستان ، بعد أن كانوا قد سيطروا عليها اقتصاديا فى مرحلة سابقة ، تحركوا إلى التأثير السياسى الداخلى .

وخـلال هذه الفترة ـ فترة الستينات ـ وقعت مظاهرات طلابية عنيفة ، وبطبيعة الحال لم يكونوا بعيدين عنها ، ولا عن توجيهها والتأثير فى مجريات أمورها ، ومعروف أنـه يمكن لأعداد محدودة من الطلاب المدربين جيدا على هذه الأمور ، أن يقودوا جماهير طلابية أكثر عددا ، وأن يوجهوا المظاهرات الصاخبة الوجهة التى يريدون ، وبالفعل اندلعت هذه المظاهرات فى المدن الأفغانية ، وخاصة فى «كابول» العاصمة ، حيث الجامعة ، ووقع عدد من المصادمات بين السلطة والطلاب ، ونتج عن هذه الصـدامـات عدد من الاعتقـالات الكثـيرة ، ووصـل الأمر إلى حد فصل أعداد لايستهان بها من الطلاب من الجامعة .

ولما كانت الحكومة مترددة فى الضرب بيد من حديد ، وبالتالى لم تستطيع أن تحسم الأمـر حسـماً فوريا وقـاطعا ، ومن هنا ظهرت بعض مظاهر المعارضة التى لم تكن معـروفة قبل ذلك فى أفغانستان ، لقد خرجت إلى الوجود معارضة شيوعية صريحة للحكومة ، تمثلت فى جريدة حزب المعارضة ، وبدأ الشيوعيون يعلنون عن وجودهم بوضوح ودون خوف أو وجل ، وبدأ الطلاب والمثقفون الشيوعيون يتقدمون خطوة إلى الأمام . . فلم يعد التأثير السياسى وحده يكفيهم ، بدأوا يتحركون نحو قيادة الرأى العـام فى الجـامعـة وخارجها ، فطلابهم يشيعون الفوضى داخل الجامعة ويثيرون طلابها ، وكتابها يستثيرون الرأى العام ويوجهونه الوجهة التى يريدونها وكل ذلك كان واضحا خلال الفترة من ١٩٦٦م إلى ١٩٧٣م .

وحينما جاء «محمد داوود» للحكم ـ للمرة الثانية ـ بعد أن أنهى حكم عمه الملك «ظاهر شاه» ، بدون معارضة تقريبا ، حيث حسب حساباته بطريقة ذكية ، فلقد قدر أن هناك عددا كافيا من أسباب عدم معارضة الشعب له ، بالإضافة إلى أنـه كان متأكدا من ضعف الحكومة ، ومن عدم تدخل القوات المسلحة ، بل إنه كان متأكدا من أن هذه القوات المسلحة مالم تقف على الحياد . . فإنها ستؤيده . لقد كانت

هنـاك بعض مظاهر عدم الرضا فى الأوساط الشعبية ، وذلك بسبب بعض مظاهر الفسـاد . . مثـل انتشـار الرشوة ، وتعيين الأقارب والمحاسيب فى الوظائف العامة بصرف النظر عن تأهلهم لذلك .

المشكلة الجديدة هى أن أولئك الذين أحاطوا بداوود فى ذلك الوقت ، والذين خططوا له ، وسـاعـدوه فى انقـلابه ضد الملك كانوا على صلة وثيقة بالشيوعيين ، وبطبيعة الحال فإن ذلك كان مما أسعد الروس كثيرا ، فها هم ـ أخيرا ـ يقتربون خطوة واسعة من القبض على السلطة ، وها هم يكادون يحكمون قبضتهم حول أفغانستان المسلمة التى استعصت عليهم زمناً طويلا .

«محمـــد داوود» . . والشيوعيون :

على الـرغم من أن داوود قد استفاد من فكر الشيوعيين وتخطيطهم للانقلاب والاستيـلاء على الحكم ، إلا أنـه كان أبعـد ما يكـون عن الشيـوعية ، لقد كان يستخدمهم مرحليا ، وكان يظن أنه يستطيع أن يتخلص منهم بعد أن حقق غرضه منهم ، وبعد أن وصل للحكم على أكتافهم . ولقد تصور أنه يستطيع أن يتخلص منهم حينما يريد . ويبدو أن هذا التفكير ذاته كان يراود الطرف الآخر . . من جهة ثانية . . ! !

وبدأت المباراة الحامية بين الطرفين ، ولقد أخذ «داوود» زمام المبادرة بسرعة ، حين استطاع ببراعة شديدة أن يقنع هؤلاء الشيوعيين ، خاصة من حزب بارشام ، بأن ينـزلـوا إلى الـريف الأفغانى (لتطبيق نظرياتهم التى كانوا ينادون بها . . على الطبيعة) . . وحين تم له ذلك أصدر أوامره بعدم عودتهم للعاصمة . . لأى سبب من الأسباب ، وأولئك الذين تحدروا أوامره وجازفوا بالعودة . . فقدوا وظائفهم ، أو اعتقلوا ووضعوا خلف أسوار السجون والمعتقلات . . بدون تردد .

بعد ذلك استدار «داوود» إلى الأقوياء من أصدقائه المقربين الذين ساعدوه فى الانقلاب ، وأخذ يبعدهم . . واحداً وراء الآخر . . من المراكز الحساسة ، فالذى كان وزيرا للداخلية وجهه إلى وزارة التعليم مثلا ، والذى كان فى موقع حساس فى

الجيش . . فى أعلى قمة الهرم القيادى به . . طوح به سفيرا فى الأرجنتين . . . وهكذا . .

ولكن المشكلة الكبرى التى لم يستطع التنبه إليها ، أو التى قد يكون قد تنبه إليها ولكنه لم يستطع عمل شيء حيالها ، هى أنه كان هناك عدد كبير من ضباط الجيش ممن تأثروا بالفكر الشيوعى الماركسى ، وهذه هى النتيجة الخطيرة من نتائج الإتفاقات العسكرية بين . . روسيا وأفغانستان ، والتى على أثرها أرسل عدد كبير من ضباط الجيش الأفغانى لتلقى التدريب والعلوم العسكرية فى الاتحاد السوفييتى . إنهم بجانب هذه العلوم العسكرية يتلقون جانبا كبيرا من الفكر الماركسى الملحد ، كما أنهم يدربون على القيام بالانقلابات ، خاصة بعد أن يتلقوا الوعود الكثيرة بالتأييد من جانب الروس . إن وجود هذه العناصر من الضباط فى القوات المسلحة كان مصدر طمأنينة للاتحاد السوفييتى، وبالتالى لم يعترضوا كثيرا لدى « داوود » على إبعاده لأصدقائه السابقين من المراكز الحساسة .

ولكن «داوود» أزعجهم كثيرا وأثار أعصابهم حين بدأ يمارس سياسة خارجية مستقلة عن توجيههم ، فلقد بدأ سياسة للتقارب مع باكستان ، حيث تبادل الزيارات مع الرئيس الباكستانى على بوتو .

ومن ناحية أخرى فاجأهم بالاتصال والتقارب مع إيران عام ١٩٧٤م ، وكم كان مزعجا للروس أن يستمعوا للإذاعات وهى تذيع خبر توقيع اتفاقية بين أفغانستان وإيران بلغت قيمتها بليون دولار ، بل إن شاه إيران ـ قد وعد بأن يمد أفغانستان بمليارين من الدولارات لدعم وتسيير خطة التنمية الأفغانية المقبلة ، وكانت هذه المعونة أكبر ـ فى حجمها ـ من كل ما قدم لأفغانستان منذ الحرب العالمية الثانية .

ولم يكتف «داوود» بذلك . . . أى بالاتصال بالجارتين المباشرتين المسلمتين ، وإنما مد بصره إلى المملكة العربية السعودية ، حيث مركز الثقل الإسلامى الكبير ، ولو ترك الأمر هكذا فإنه يكون قد بدأ فى بناء ظهير إسلامى قوى ، كما أنه بدأ يتصل بالهند والصين ، وهذا نوع من الاستقلال السياسى وحسابات القوى لاتتحمله

روسيا الحاقدة ، خاصة وقد بدأ القادة فى الكرملين يشعرون بأن نفوذهم قد أخذ يتقلص فى العاصمة الأفغانية «كابول» .

ووصل الأمر إلى حد الانتقاد العلنى :

وعلى الرغم من حرص روسيا على ألا تنتقد «الجنرال داوود» علنا ، حتى لا يفلت الزمام من أيديها ، وحتى لاتجعل العالم يشعر بأنها غير موافقة على ما يقوم به حاكم أفغانستان ، إلا أن الموقف انفجر ذات يوم بشكل علنى وفجائى . . فى «موسكو» ففى أحد أيام شهر يناير عام ١٩٧٧م كان «داوود» فى رحلة إلى الاتحاد السوفييتى ، وفى أحد الاجتماعات تحداه «بريجينيف» بعبارات بدت بعيدة كل البعد عن تقاليد البروتوكول والدبلوماسية ، إذ صرخ فيه قائلا «إن عليك أن تتخلص من هؤلاء المستشارين الاستعماريين المتواجدين فى دولتك . . . Get rid of those imperialist advisors in your country وتكهرب الجو بين الجانبين ، وبهت الحضور ، ولكن «داوود» امتص الصدمة ، ورد عليه ببرود شديد قائلا «حينما تصبح أفغانستان غير محتاجة لخدمات الخبراء الأجانب جميعا . . فسوف تطلب منهم المغادرة فوراً» .

ومما لاشك فيه أن القارىء الكريم سوف يلحظ أن «داوود» لم يهتز أمام زعيم الشيوعيين وكبيرهم ، وأنه لم يخنع رغم أنه كان فى عاصمة الشيوعية الكبرى . . . موسكو ، وبطبيعة الحال فإن هذه الوجود فى حد ذاته يمثل قوة للضغط كبرى ، وأكثر من ذلك أنه حينما أجاب كان حديثه صفعة كبرى للشيوعيين حيث قال بأن أفغانستان حين تصبح غير محتاجة لخدمات الخبراء الأجانب . . «جميعا» . . سوف تطلب منهم المغادرة فوراً، ومعنى ذلك أنه أظهر للسوفييت نواياه الصريحة فى أنه ينوى التخلص من رجالهم الذين كانوا قد بدأوا يتكاثرون فى أفغانستان . . وكان كل ذلك أكبر من أن يتحمله السوفييت الذين كانوا يعملون جاهدين على أن يصلوا بالثمرة إلى أقرب نقطة حيث يقطفونها ناضجة ، ومما لاشك فيه الآن أنهم قد بدأوا يعيدون حساباتهم فى التعامل مع «الجنرال داوود» ، وربما يكونون قد أصدروا حكمهم بالقضاء عليه منذ

تلك اللحظات ، ولكنهم كانوا ينتظرون اللحظة المناسبة .

وقد يكون استنتاجنا السابق بالقضاء على الجنرال «داوود» وراء اتحاد حزبى «بارشام» ، «خلق» الشيوعيين . . بضغط من موسكو وتوجيه من قيادتها ، بحيث يستطيع الحزبان أن يواجها «داوود» مجتمعين . وكان داوود يستعين فى حكمه بعدد محدود من الوزراء والخبراء ، بدلا من أن يستعين بأعضاء اللجنة المركزية التى كانت مشايعة للسوفيت . وقد لاحظ المراقبون السياسيون أن العاصمة «كابول» قد بدأت تغطيها ، فى ذلك الوقت ، سحابة من الاغتيالات السياسية . . وأصبح عنصر الوقت هو الذى يحكم مدى صبر السوفييت على حكم «داوود» .

وتدافعت الأحداث بعنف :

حيث بدأ العد التنازلى لحكم «الجنرال داوود» من جانب الشيوعيين ، لقد استخدموه للأسف الشديد ، لتحقيق مآربهم ، فى مرحلة كانت تحتاج واحداً مثله . فهو ليس شيوعيا ، أو لم يكن هكذا ، على العكس كان من الأسرة الحاكمة ذات التأثير فى حياة أفغانستان وحين قام بالانقلاب على ابن عمه الملك ظاهر شاه أيده الشيوعيون ووقفوا وراءه ، ثم بدأوا يحققون بعض أغراضهم وأهدافهم من خلال حكمه ، وخاصة ضرب رجال الدين . .

إن الشيوعيين والماركسيين فى حاجة دائمة إلى أمثاله من الوطنيين البارزين ، ولاسيما فى البلاد المتمسكة بتقاليدها الوطنية وقيمها الروحية ، ليضعوهم على رأس الجبهات السياسية التى يؤلفونها ويتسترون خلفها ويعملون من ضمنها ومن ورائها لقلب الحكم والسيطرة عليه ، وسرعان ما يتبين لهؤلاء الوطنيين البارزين أنهم كانوا يمثلون دوراً هامشيا وواجهة مضللة ، وهم يتوهمون أن دورهم رئيسي وقيادى ، ثم يكونون هو أول ضحايا النظام الجديد .

وهذا ما حدث بالنسبة للجنرال «محمد داوود» فقد أيد اليساريون المتطرفون انقلابه وتسلمه زمام السلطة ، وساعدوه فى ذلك وشجعوه عليه ، حتى قال خصومه إنه جاء إلى الحكم تحت مظلة من طائرات الميج ، ثم اشتركوا فى الحكومات التى

ألفهـا ، وحملوه على توجيه الضربات المتوالية إلى خصومهم **واعتقال عدد كبير من رجال الدين** ، وعلى الرغم من أن نظام حكمه كان عسكريا متسلطا إلا أنهم اقنعوه بأن يكـون له جانب اجتماعى . . . إن اليساريين المتطرفين ـ رأوا أن أفضل حكم للسـير بأفغـانستـان فى هذا الـطريق هو الحكم العسكـرى . . . الذى ينفذ دون مناقشة ، ويتصرف دون موافقة مجلس ، ويبرم بالأمر دون النظر إلى دستور .

ولقد كرست الجهود لتسليط الأضواء على شخصية «داوود» فهو أحد أفراد الأسرة المالكة ، وابن عم الملك «محمد ظاهر شاه» وزوج شقيقته ، ولهذا أهمية بالنسبة إلى الأشخاص الذين ربطوا مصالحهم مع تلك الأسرة ، ثم هو من الذين يقفون موقفا مناوئا للاتجاه الدينى الذى يريدون القضاء عليه ، كما أنه من الذين عرفوا بتعاطفهم مع الروس ، ومن الذين لهم علم بقضايا السياسة والحكم ، فقد ظل يدير شئونها مدة عشر سنوات متواصلة ، وأكثر من هذا كله فقد كان أثناء حكمه غير متفاهم مع باكستـان فى قضـايا الحـدود والقبـائل التى تقيم فى تلك المواطن ، وهذا هو بيت القصيد . وبين الهند وأفغانستان معاهدة صداقة قديمة ونوع من الود ، وبهذا يتصل محور موسكو ـ دلهى بالحكم الأفغانى المرتقب .

وخـــلال أربـع سنـوات من الانـطلاق الشيوعى والتغلغـل السـوفييتى اللذين تما بمباركته وتحت بصره ، برزت على الساحة السياسية ثلاثة أحزاب يسارية : حزب خلق (الشعب) الذى أنشأه نور محمد تراقى ، وحزب بارتشام (العلم) الذى رأسه بابراك كارمال ، وحزب شولى جاويد (الشعلة الأبدية) ، وكان الحزبان الأول والثانى يتمتعان بتأييد الاتحاد السوفييتى فى حين يتمتع الحزب الثالث بتأييد الصين .

وعبثا كانت الجماعات الإسلامية تحذر من طغيان الأفكار الماركسية التى اعتبرتها نوعا من الاستعمار العقائدى ، ولقد نوه بهذا الطغيان العقائدى «غلام محمد نيازى» عميد كلية الشريعة بجامعة كابول بقوله «للاستعمار مظاهر متعددة ، منها مثلا : الفكرى ، السياسى ، الاقتصادى ، وأخطر أنواع الاستعمار هو الاستعمار العقائدى الذى يريد القضاء على الإسلام وأهله ، وهو مصدر إلينا من الخارج بعد تخطيط ودراسة وتنسيق وتركيز ، وكل ذلك من أجل القضاء على الإسلام . . وواجبنا نحن

المسلمين فى مواجهة هذه الموجة من الانحلال واجب كبير وخطير ، ويتمثل فى .

اولا - يجب البحث والتنقيب عن سر إقبال الشباب على هذه الموجة ، وكشف النقاب عنه ، ومواجهة الأمر بصراحة وشجاعة ، بل ومواجهة الشباب بذلك ، وجعل الأمور واضحة أمامه ، وشرح كل الطرق الاستعمارية له .

ثانيا : يجب ألا ننسى القدوة الصالحة ، القدوة الحسنة التى تعمل بما تقول ، والتى يجب أن تتأسى فى ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين ، رضى الله عنهم ، والسلف الصالح الذين كانوا خير قدوة .

ثالثا - يجب أن يتعاون فى هذا الميدان جميع وسائل الإعلام ، كل فى ميدانه ، وذلك بإظهار هذه الموجة على حقيقتها ، وشرح أغراضها وأهدافها ، وفى الوقت ذاته توضح مزايا الشباب المسلم الواعى ، وإننى فى هذا المجال أدعو الدول الإسلامية بأن تتعاون فى مكافحة هذا الوباء ، وإرشاد الشباب وتوجيهه الوجهة الإسلامية الصحيحة ، وإظهار أن تلك الموجة ما هى إلا استعمار فكرى يهدف إلى القضاء على الإسلام وأهله .

وحين لاحظ «داوود» أن المد اليسارى المتطرف بدأ يغمر جميع مظاهر الحياة الثقافية والسياسية ، ويتسلل منها إلى صفوف الجيش ، لاسيما وأن الخبراء السوفييت كانوا هم الذين يقومون بمهمة التوجيه والتنظيم ، وأن مائة ضابط أفغانى كانو يوفدون كل عام للتدرب فى الاتحاد السوفييتى ، **ويعودون منه وقد غسلت أدمغتهم** كما تقول الأوساط الأفغانية المحافظة ، حين لاحظ ذلك ، وأدرك أن بلاده باتت مهددة ، أخذ يحاول وقف المد المتعاظم بتجديد علاقات الصداقة مع العالم الإسلامى ، واستبعاد بعض الوزراء والموظفين الذين عرفوا بميولهم اليسارية المتطرفة ، بل وفكر فى إرسال الضباط الأفغانيين للتدرب فى انجلترا ، وفى تنويع الأسلحة بشرائها من مصادر أوروبية ، وجعل يماطل الروس فى إنهاء صفقة مناجم الحديد الكبرى ، فى حاجيفاك القريبة من الحدود . . . ولكن الوقت كان قد فات على كل ذلك .

المشكلة هنا التى يجب أن نتوقف عندها ، والعبرة التى ينبغى أن نأخذها ، هى

أن التيار الإسلامى ـ فى أفغانستان ـ قد ترك محمد داوود يواجه هذا المد الشيوعى العاتى وحده حتى خـر صريعاً هو وأسرته ، ثم عاد أصحاب هذا التيار يواجهون الشيوعيين وحدهم ، ويتحملون قسوة المعارك الوحشية دون سلطة الدولة ، حقيقة أن محمد داوود قد سار فى تيار الشيوعية والشيوعيين ، بل وقبض على كثير من رجال الدين وأودعهم السجون والمعتقلات ، ولكن المعركة أصبحت أكبر من هذا بكثير .

لقد أصبحت معركة الوطن الإسلامى كله ـ أفغانستان ـ وهو يوشك أن يقع فى أيدى الشيوعيين المحليين المـدعـومـين بالروس الذين يقفون على الحدود . ولو أن الإسـلاميين ـ فى ذلك الوقت ـ كانوا من ذوى التفكير الاستراتيجى البعيد المدى ـ لتناسوا ما فعله معهم «محمد داوود» ووقفوا خلفه يؤيدونه ، ويدفعون عن الوطن كله غائلة الشيوعية ، لو أنهم فعلوا ذلـك لربما كانوا قد اجتذبوا إليهم كثيرا من ضباط القوات المسلحة المعروفين باتجاهم الدينى ، خاصة وأن رئيس الدولة كان معهم ، بل إن كثيرا جدا من هؤلاء الضباط ، وخاصة الحرس الجمهورى قد دفعوا أرواحهم بعـد ذلـك . . . دون فائدة ، حيث وقف الإسلاميون بعيدا عن هذه المعركة بين «داوود» والشيوعيين ، على الـرغم من أنها كانت معركة تقرير المصير . . . بالنسبة لأفغانستان كلها .

إنهم لو كانـوا قد انضمـوا إلى داوود ورجـاله فلربما كانوا أنقذوا أفغانستان من الشيوعية . ومن المصير الرهيب الذى وصلت إليه بعد ذلك ، ولربما كانوا قد وفروا ملايين الأنفس من مسلمى أفغانستان ، تلك التى راحت ـ بعد ذلك ـ ما بين قتيل أو جريح أو مهجر ، ولكن هكذا قدر الله ـ سبحانه وتعالى ـ وما شاء فعل .

وتصاعدت الأحداث بعد ذلك بإيقاع سريع جدا ، فى العاصمة «كابول» ، فلقد انتهز الشيوعيون فرصة اغتيال واحد منهم ـ وربما كانوا هم وراء تدبير الحادث ـ وحولوا جنـازته إلى مناسبة للإعراب عن تحديهم لسلطات «داوود» وكان ذلك فى منتصف إبـريل ١٩٧٧م . لقـد اتهمـوا «داوود» بتـدبير عملية الاغتبال هذه ، وخرجوا فى مظاهرات صاخبة اتجهت بهتافاتها المعادية إلى السفارة الأمريكية .

ووصلت أخبار إلى الرئيس داوود تحذره بأن الشيوعيين يدبرون انقلابا للإطاحة

به ، فسارع بإصدار أومراه باعتقال سبعة من زعمائهم ، وكان فى طليعتهم «نور محمد تراقى» ، رئيس حزب خلق ، «بابراك كارمال» رئيس حزب بارتشام . ولسوء حظ داوود فإن الشخص الوحيد الذى تأخر اعتقاله كان هو المسئول عن تنظيم الحزب داخل الجيش ، وهو «حفيظ الله أمين» ، وقد أتاح له ذلك ـ بعد أن انكشفت له نوايا داوود ـ أن يضع مع العسكريين خطة الانقلاب ، وفى لحظة اعتقاله أرسل ورقة مع ابنه يحدد فيها إشارة البدء .

ويقول «أنتونى أرنولد» إن الأحداث التى وقعت فى هذه الأيام تثبت أن السفارة الروسية لم تكن بعيدة عن الأحداث ولا عن توجيهها والتأثير فيها ، وقد حدثت بعض التداخلات والارتباكات فى قوات «داوود» ذاتها حتى إن أوامره بإلقاء القبض على بعض الأفراد وحبسهم قد جرى تنفيذ عكسها تماما . كما أن البيانات التى وصلت إلى الضباط قد جرت طباعتها فى إحدى السفارات حيث يصعب الحصول على ماكينة طباعة أو تصوير Zerox فى كابول[*] .

وكان مجلس الوزراء ـ كما يقول قلعجى ـ قد قرر الاجتماع يوم الخميس ٢٧ إبريل ١٩٧٧م ، كى يقول كلمته فى مصير الزعماء المعتقلين ، وقد أشيع أنه سيصدر قراراً بإعدامهم ، ولعل هذه الاشاعة قد بولغ فيها لإثارة النقمة فى أوساط أنصارهم من المدنيين والعسكريين ، وبالفعل آتت هذه الإشاعة ثمارها وفعلت فعلها فى النفوس ، وخاصة بين العسكريين ، ووقع الانقلاب . . تماما كما رسم خيوطه «حفيظ الله أمين» .

الهجـــوم الأخـــير :

لقد بدأ الانقلاب بالهجوم على القصر الجمهورى ، فى وضح النهار قبل أن يصدر

* بطبيعـة الحال لايفوت القارىء الواعى خطورة أمر مثل هذا ، فى فترة من أخطر فترات تغيير مصير الوطن ، إذ مما لاشك فيه أن عملا مثل هذا لايقوم به إلا أفراد مدربون تدريبا عاليا ، بحيث يستطيعون التدخل ضـد رغبة رئيس الدولة ، ويقلبون أوامره الى ضباط جيشه ، بحيث ترتبك الأمور بينهم ، وبحيث يؤدون عكس المطلوب منهم ، وهذه كارثة تشير بأصابع الاتهام إلى التدريب فى روسيا ومخاطره .

مجلس الوزراء المنتظر قراره . وكان فى الجيش ضابط يدعى الكولونيل «عبد القادر» وكان من الذين أسهموامع «محمد داوود» فى الإطاحة بالحكم الملكى ، ولكن داوود غضب عليه وعينه مديرا «للمسلخ» . . !! تأديبا له ، ثم أعاده إلى الجيش بعد حين ، ولكن هذا عاد ونفسه تطفح بالحقد ، ولذلك فلما وقع الهجوم على القصر الجمهورى ، واشتد دفاع الحرس عنه لعدة ساعات ، بادر هذا الكولونيل ـ عبد القادر داغا روال ـ بالاستيلاء على طائرات الميج ، بعد أن أمر بقتل وزير الدفاع ، وأمر رجال هذه الطائرات بقصف القصر ، وقد حسم القصف الجوى هذه المعركة إذ ما لبث الحرس ـ أو من تبقى من رجاله بمعنى أصح ـ أن استسلم بعد تهدم القصر تماما .

ولقد دخل على الرئيس «محمد داوود» ضابط شاب فى السابعة والعشرين من عمره ، يدعى النقيب «إمام الدين» موجها إليه طلقات مدفعه الرشاش فقتله فوراً ، وقتل معه أيضا ٧٥ شخصا من أفراد أسرته . . . رجالا ونساء وأطفالا ، وقد دفنوا جميعا فى حفرة واحدة ، وعلى الرغم من أن الانقلابين قد واجهوا جيوبا عديدة للمقاومة فى عدد من ثكنات الجيش وفى العاصمة ذاتها ـ استمرت عدة أيام ـ إلا أنهم واجهوها بعنف بالغ ووحشية رهيبة رفعت القتلى إلى آلاف كثيرة .

وهكذا دوما شأن الشيوعيين حينما يصل الأمر بهم إلى حد القتل ، نجدهم لايتراجعون ، ولا يقيمون للعناصر الإنسانية وزنا ، فالدم الأحمر القانى لابد وأن يصبغ انقلاباتهم ، وذلك ربما لأنهم يكونون قد وصلوا إلى طريق اللا عودة من جانب ويريدون أن يحققوا مكاسبهم بضربة عنيفة وقاسية مرة واحدة ، أو لأنهم يعلمون ويتأكدون أنهم قلة مسيطرة مكروهة من باقى أفراد الشعب ، وأنهم لو لم ينتصروا فلن يكون أمامهم إلا أن يقتلوا بأيدى الآخرين ، ومن هنا نجدهم يصلون دوما إلى هذه النهاية . . . القتل . . ثم القتل . . دون توقف أو رحمة .

وقد لخص أحد الكتاب المسلمين هذه العمليات الرهيبة التى تبين عدم وفاء هؤلاء الشيوعيين إلا لتحقيق مآربهم فى الوصول إلى الحكم ، على الوجه التالى : عندما انحرف «أمان الله خان» وأراد أن يقلد «كمال أتاتورك» «ورضا بهلوى» أمر بإلغاء

الشريعة وإخراج المرأة سافرة ، وهاج المشايخ والعلماء . . بالمئات ، بل إنهم لجأوا إلى الجهاد ، فاضطر «أمان الله» لمغادرة البلاد ، وعندئذ أقام العلماء «نادر خان» حاكما لأفغانستان . . ملتزما بالشريعة ، ولما قتل تولى ابنه «محمد ظاهر شاه» الملك ، وكان عندئذ شابا حدثا ، سار على نهج أبيه الشهيد نادر خان فترة ثم أصابته لوثة التغريب .

وولى السردار «محمد داوود خان» الوزارة من عام ١٩٥٣ - ١٩٦٣م ، وقام بنشر العلمانية وتقريب الشيوعيين ، واضطر الملك محمد ظاهرة شاه إلى إقصاء ابن عمه من الوزارة عام ١٩٦٣م ، بعد أن عاث فى الأرض فساداً ، ولم يرعو الملك عن غيه ، ولم يلتزم بالشريعة وكان عاقبة أمره خسرا ، إذ تمالأ عليه ابن عمه وصهره «محمد داوود خان» وأطاح بعرشه حينما كان الملك فى رحلة إلى إيطاليا عام ١٩٧٣م .

وجاء «داوود» معتمدا على قائد انقلابه الجنرال «عبد القادر» وتعاونا مع الشيوعيين فى إخماد صوت الدين ، والزج بالعلماء فى السجون . ولم يتنبه «داوود» لخطر الشيوعيين على جمهوريته إلا بعد فوات الأوان ، وذلك عام ١٩٧٧م ، فلما أراد أن يبطش بهم بطشوا به . . وكال له «الجنرال عبد القادر» جزاء خيانته لابن عمه ، ودك قصره بمن فيه وذلك فى ٢٧ إبريل ١٩٧٨م .

وجاء «الجنرال عبد القادر» برفيق دربه الخائن الأكبر وعدو الله ورسوله «نور محمد تراقى» ، وأخرجه من السجن ، ووضعه على سدة الحكم فى ٣٠ إبريل ١٩٧٨م ، فما كان من «تراقى» رئيس حزب خلق الشيوعى إلا أن جازى «الجنرال عبد القادر» جزاء سنمار فأودعه السجن ، ثم أمر بأعدامه . . كما هى عادة الشيوعيين والكفرة والظالمين . قال تعالى ﴿**وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا**﴾ «الأنعام ١٢٩» .

ولم يطل الأمر بتراقى إذ تخلص منه رفيق الدرب (!!) «حفيظ الله أمين» ، بعد عام من وصوله إلى سدة الحكم ، فى سبتمبر ١٨٧٩ ، حيث كانت نهايته رصاصات أطلقها عليه رجال «حفيظ الله أمين» .

وما هى إلا أيام معدودات حتى جاء الخائن الأكبر «بابراك كارمال» من براغ تحمله

طائـرة روسية ، وذلك فى ٢٦ ديسمبر ١٩٧٩م . وعندئذ انضـم إلى المجاهدين عشرات الآلاف من أبناء أفغانستان ، حتى بلغ تعدادهم قرابة المليون(*).

وأعلنت إذاعة «كابول» أن الدستور قد ألغى ، والصحف عطلت ، والأحزاب منعت ، وأن القوانين التى تنظم أحوال البلاد ستصدر تباعا عن المجلس العسكرى الحاكم ، وأن جميع المنشآت العسكرية والمؤسسات الرسمية تحت سيطرته . **وقيل إن السفـير السوفييتى فى كابول قد حضر أولى جلسات ذلك المجلس ، كما أن بلاده كانت أول من اعترف بالنظام الجديد(**).**

وكان واضحا أن الفئات التى قامت بانقلاب ١٧ يوليو ١٩٧٣م ، وأعلنت «محمد داوود» زعيما ورئيسا للبلاد ، هى نفسها التى أطاحت به حين اختلف طريقها عن طريقه ، وحين اصطدمت أهدافها بأهدافه ، وهى الفئات الشابة التى درست فى الاتحاد السوفييتى وتلقت مبادئه الفلسفية إلى جانب علومه العسكرية . .

وقد أعلن المجلس العسكرى أن «نور محمد تراقى» رئيس حزب «خلق» قد اختير رئيسا للجمهورية ورئيسا للوزارة . وقد اختار «تراقى» نائبه فى الحزب «حفيظ الله أمين» وزيرا للخارجية ، و«بابراك كارمال» رئيس حزب «بارتشام» نائبا له ، كما عين «الكولونيل عبد القادر» وزيرا للدفاع .

الإصرار على الخداع :

لقـد حرص رجـال الانقـلاب على أن ينفـوا عن أنفسهم أنهم شيوعيون ، أوماركسيون . وقـد استهل النظام الجديد أول بياناته بإعلان حرصه على المبادىء الإسلامية . . !! ولكن هذا البيان ـ فى حقيقة الأمر ـ لم يقنع أحداً ، وذلك ببساطة

* محمـد على البـار : أفغـانستـان من الفتـح الإسلامى إلى الغزو الروسي ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

** قدرى قلعجي ، الجغرافيا تصارع التارخي فى كابول ، وكل القبائل تجيد صناعة الموت مجلة الحوادث ، بيروت ، ١٢/١٠/١٩٧٩م .

لصـدوره عن فئـات معـادية للإسـلام ، وكان من أبرز الأدلة على ذلك أن رجال الانقلاب **قد أفرجوا عن جميع المعتقلين السياسيين ، باستثناء المعتقلين من رجال الدين** ، فضـلا عن أن النظام الحاكم قد رفع شعارات الأحزاب الشيوعية الحاكمة ، وتبنى منـاهجهـا فى التنظيم والعمل السياسى الجماهيرى ، وتحويل الجيش وأجهزة الأمن إلى أجهزة أيديولوجية تابعة للحزب ، وكانت وظيفتها الأولى **حماية النظام تحت إشراف الخبراء السوفييت ، وفى ظل رقابة إعلامية صارمة .**

التبعية التى لا تخفى للسوفييت :

وخـلال الشهـور الستة الأولى ـ التى تلت الانقلاب عقدت الحكومة الأفغانية **ثلاثـين معـاهدة مع الكرملين** ، شملت مختلف نواحى الحياة الثقافية والاقتصادية ومـرافق الحياة العـامة ، وتوجت فى مطلع شهر ديسمبر ١٩٧٨م بمعاهدة صداقة وتعاون وحسن جوار ، وقعها فى موسكو «ليونيد بريجينيف» «ومحمد تراقى» فى أول زيارة للعاصمة السوفيتية ، وهى تنص على تعزيز التعاون العسكرى بين البلدين ، وعلى أن يضعا «إجراءات خاصة تؤمن الأمن والاستقلال ووحدة أراضى البلدين ، وتعطى الاتحاد السوفييتى تسهيلات طالما حلم بها فى منطقة آسيا الوسطى .

وأثر هذه المعاهدة زاد الوجود السوفييتى فى أفغانستان ، **وارتفع عدد المستشارين إلى خمسـة آلاف خبير يديرون شئون الجيش والشرطة والاقتصاد الوطنى والإدارة الحكومية** ، وكان النظام الجديد يحكم قبضته على البلاد بإرهاب لم تعرف له مثيلا ، واستمـرت الأحكـام العـرفية ومنـع التجـول ليلا ، وضـاقت السجـون من جراء الاعتقالات التعسفية ، ويكفى القول بأن سجن «بوليشاركى» فى ضاحية «كابول» والذى يتسع لخمسة آلاالف سجين ، قد زج فيه بأكثر من خمسة عشر ألفا ـ ووراء أسوار هذا السجن ـ التى تشبه أسوار القلاع ـ يعدم المعارضون الخطرون . . دون محاكمـة ، وقد بلغ عددهم ـ حسب رواية الصحف الغربية ـ ثلاثة آلاف . وكان الذين يحكم عليهم بالاعدام يساقون قسراً لحفر قبورهم ، فى ساحة غير بعيدة عن السجن ، قبل رميهم بالرصاص ، ويقال إن الاتحاد السوفييتى قد نقل ٣٠٠ من كبار

السجناء الأفغان إلى داخل روسيا ، وذلك لمبادلتهم بالأسرى السوفييت ، فى حالة سقوط النظام الاشتراكى .

بأسهم بينهم شديد :

ولم تقتصر إجراءات القمع على الأوساط الوطنية والدينية بل تعدتها إلى الأوساط اليسارية غير المنضوية تحت لواء حزب «خلق» فصفى أعضاء حزب «شولى جاويد» الموالى للصين وأبعد الوزيران اللذان ينتسبان إلى حزب «بار تشام» من الوزارة ، وهما «بابراك كارمال» والذى عين سفيرا فى براغ (تشيكو سلوفاكيا) ، «ونور محمد» الذى عين سفيرا فى واشنطن ، واعتقل الكولونيل عبد القادر» اغاروال» وزير الدفاع ، و«الجنرال شحبور» رئيس الأركان ، والدكتور ميرعلى رئيس مستشفى «جمهورية» وذلك أثناء محاولتهم القيام بانقلاب على الرئيس «تراقى» .

وفى ٣١ مارس ١٩٧٩م أجرى تعديل فى مناصب الدولة ، فتولى «نور محمد تراقى» رئاسة الجمهورية ، وتولى «حفيظ الله أمين» رئاسة الوزارة ، وبدأت السلطات تتجمع فى يدى «أمين» الذى أقنع «تراقى» بأن يكون الأب الروحى للثورة فى حين تتمثل فى «أمين» السلطة الحاكمة ، وأسندت إلى «الكولونيل اسلام وطنجار» وزارة الدفاع .

وبدأ جهاد الشعب الأفغانى المسلم :

لقد استطاع النظام خلق الرعب فى العاصمة كابول ، حيث خنق المقاومة المسلحة التى اشتعلت ضده ، وذلك بتصفية القيادات الوطنية والدينية التى قتل أفرادها أو اعتقلوا . . أوهربوا . ولكن الثورة اشتعلت فى القرى والجبال ، واضطرت السلطة إلى إرسال الألوف من القوات الإضافية إلى الأقاليم الملتهبة ، مغامرة بتعريض العاصمة نفسها لانقضاص الوطنيين ورجال الدين من التلال المحيطة بها[*].

* قدرى قلعجى ، مصدر سابق .

لقد بدأت الثورة فى «قندهار» ، عاصمة أفغانستان القديمة ، ومنها أخذت فى الانتشار فى سائر الأقاليم ، وسيطرت على النسبة الغالبة من أقاليم أفغانستان ، وحتى تلك الأقاليم التى تتضح فيها سيطرة القوات الحكومية نهاراً ، نجد أن قوات المجاهدين تحكمها ليلا ، وإزاء التهاب المشاعر الوطنية والدينية بين الجميع اضطرت الحكومة لسحب جميع المطبوعات التى يوصف فيها المسئولون بكلمة «رفيق» ، كما حظرت الحديث عن الماركسية والشيوعية ، وبدأ هؤلاء المسئولون فى خداع الناس حينما كانوا يفتتحون أحاديثهم بآيات من القرآن الكريم ، ولكن ذلك لم يخدع الشعب الأفغانى المسلم ، الذى شعر بحسه السليم أن هذا الأسلوب هو مجرد تكتيك مرحلى يستخدمه المسئولون لتهدئتهم ، ومن هنا ظلت الثورة مشتعلة ، وانضم تحت لوائها كثير من المجاهدين من جميع الاتجاهات الإسلامية ، ومن أساتذة الجامعة ، وطلاب العلم ، ومن التجار والفلاحين ، بل ومن الموظفين الذين هجروا دوائر عملهم والتحقوا بفصائلها يدافعون عن إسلامهم ومستقبل أبنائهم أن يتهدده الشيوعيون ،**وقد اتضح أن القوى الإسلامية هى صاحبة الباع الطويل فى قيادة حركة الجهاد ضد النظام الذى خضع للشيوعيين ، ووضع مقدرات أفغانستان تحت تصرف السوفييت ، وقد تألفت من التيارات الإسلامية المختلفة «الجبهة الوطنية لتحرير أفغانستان» حيث وجهت نداء للمواطنين للعمل على تخليص أفغانستان عن طريق الجهاد ضد «الامبرايالية الحمراء»** .

وكان لابد من أن تلقى الثورة الإسلامية فى أفغانستان تأييدا قويا ودعما مباشرا من كل من باكستان وإيران اللتين ترتبطان مع أفغانستان بروابط الدين والجوار والمصير ، ولا سيما بعد أن لجأ إليهما عشرات الألوف التى أخذت تتزايد ـ أخيرا ـ حتى وصلت إلى ما يقرب من خمسة ملايين من اللاجئين الذين أرغموا على ترك منازلهم ومزارعهم ومحلات عملهم ، فراراً من الإجرام الشيوعى الأحمر ، وممارساته التى لايمكن وصفها .

وبدأ الروس يشعرون بأن الحكم فى أفغانستان يكاد يكون عاجزاً عن السيطرة على الأمور ، حيث بدأت قوات المجاهدين تطبق على كثير من الطرق ، حتى تلك المؤدية

إلى «كـابـول» العاصمة ذاتها ، بالإضافة إلى ظاهرة خطيرة بدأ يعانى منها الجيش الحكومى ، وهى ظاهرة هروب أعداد كبيرة من أفراده وانضمامهم بكامل أسلحتهم ومعداتهم إلى قوات المجاهدين .

وعـلى أثـر ذلك زار كابول ـ كما يقول قلعجى ـ الجنرال الكسى ألكسيفيتش ، رئيس التـوجيه السياسى فى القـوات المسلحـة السـوفيتية ، حيث درس فى ابـريل ١٩٧٩م ، مع قادة الجيش الأفغـانى ، ولاسيما مع «الجنرال إقبال» رئيس الشئون السياسية فى هذا الجيش ، الطرق الكفيلة بالقضاء على ما أسموه بالثورة المضادة . ولقد أدت هذه الدراسة إلى توصيات وضعت موضع التنفيذ الفورى ، حيث بدأت القيادة السوفيتية فى إرسال أحدث ما فى الترسانة السوفييتية من سلاح إلى أفغانستان وإلى زيادة عدد الخبراء الروس فى الجيش الأفغانى .

وفى نطاق حملة التعبئة ضد «أعداء الداخل والخارج» كما قال المعبرون عن النظام ـ أعلنت حكومة كابول إنشاء «محاكم شعبية» هدفها إصدار الأحكام فى الجرائم المضادة للثورة ، وتأليف ميليشيات شعبية مسلحة من أعضاء حزب «خلق» .

وفى تلك الأثنـاء عبرت الصحف الغـربية عن الـوضع فى أفغانستان قائلة بأن المسـاعدات العسكرية السوفييتية لأفغانستان تكاد تتحول إلى تدخل مباشر ، وأن حرب النجمة الحمراء والهلال «قد تحمل القادة السوفييت على إرسال قوات سوفييتية مقاتلة إلى أفغانستان لمساندة نظام الحكم الشيوعى هناك .

ولم تستطيع كل تلك الجهود أن توقف حركة الجهاد الإسلامى ضد النظام الشيوعى العميل فى «كـابول» حيث أخذ المجاهدون يكيلون للنظام ضربات موجعة ومؤثرة شملت معظم الأقاليم الأفغانية .

أمثلة من الانتصارات التى تحققت آنذاك :

فى مدينـة «هـرات» العاصمة الإقليمية لغرب أفغانستان سيطر المجاهدون على المـدينـة ، وأقنعوا حاميتها بالانضمام إلى صفوفهم، وفى إقليم نورسكان الأعلى ، حاصر المجاهدون كتيبة من الجيش النظامى وكان يجرى إمدادها بالمؤن والعتاد عن

طريق الجو ، وفى بولى خومرى ـ أحد أبرز الأسواق الشعبية ـ هاجم سكان المدينة المبانى الرسمية ، ولم يستطع الجيش استعادتها إلا بعد معارك عنيفة ، وقد تبع ذلك قيام السلطات العميلة بحملة واسعة من الاعتقالات بين المواطنين .

وفى إقليم وادى بانشير ، على بعد ٦٠ كيلو مترا من العاصمة هدد المجاهدون بقطع الطريق الاستراتيجى الذى يربط شمال البلاد بالاتحاد السوفييتى ـ وفى مقاطعة باكتيا ، الواقعة على الحدود الباكستانية ، استسلم لواء مدرع كامل مؤلف من **٢٥٠٠ جندى . . . وانضم إلى المجاهدين . وفى قسم آخر من المقاطعة نفسها استسلم ٧٠٠ جندى . كان من بينهم وحدة هندسية ـ كذلك دارت معارك** عنيفة حول قاعدة «برغام» الجوية ، والتى لاتبعد أكثر من ٦٠ كيلو مترا فقط عن «كابول» العاصمة ، وقد انتهت هذه المعارك باحتلال المجاهدين لجزء من القاعدة ، ثم انسحبوا منها أمام ضراوة المقاومة التى قام بها المستشارون السوفييت ، حيث كانوا يعلمون أن مصيرهم سوف يكون القتل فيما لو هزموا أو استسلموا .

وفى مقاطعة «كونار» شمال شرقى كابول ، حوصرت حاميتان حكوميتان فى مدينة «باربكوت» ، ومدينة «تشيفاساراى» بينما استسلمت للثوار المجاهدين ـ فى شهر أغسطس **١٩٧٩**م ـ حامية ثالثة فى المقاطعة نفسها ، وقد انضم جنودها إلى المجاهدين ـ وتعتبر الأمثلة السابقة مجرد نماذج مما كان يجرى فى أفغانستان ، إذ الواقع أن هذا الوطن الإسلامى العظيم قد اشتعل كله بالثورة ضد النظام العميل المتمركز فى «كابول» العاصمة .

الوضع فى العاصمة :

وبينما كانت كل هذه الأحداث تقع فى أنحاء البلاد المختلفة ، وفى قراها ومزارعها ، وعلى سفوح الجبال ، وفى الوديان . . . بينما كان كل هذا يحدث ، والثورة تقترب بخطوات حثيثة لتطبق على العملاء فى «كابول» كان الحكام مشغولين بمقاومة معارضيهم بعمليات واسعة من الاعتقالات والسجن . . . بل والإعدامات ضد كل من يعارضهم من العسكريين أو المؤمنين ، وكانوا يحاولون التكتم على هذا الذى

يقومون به من خلال تعتيم إعلامى مكثف . ولم يكن لجوء السلطة العميلة إلى هذه الأساليب القمعية العنيفة دليلا أو مؤشرا على قوة النظام الحاكم الذى يمثلونه ، وإنما كان العكس هو الصحيح ، فلقد شعروا أنهم قد أصبحوا حبيسين فى داخل «كابول» ، حيث كانت تسمع طلقات المدافع والانفجارات التى تمر خارجها ، بل وأحيانا داخلها ، لدرجة أنهم - أى حكام كابول - قد خرجوا من العاصمة فى شهر أغسطس ولجأوا إلى ثكنة عسكرية يعيشون فيها في رعب وهلع ، رغم ثوب الأسود الذى كانو يوهمون أنفسهم أنهم يرتدونه ، بل إنهم من هذا الرعب والخوف من المجاهدين ، ونتيجة لتوقعهم لأحداث جسام ستجد طريقها إليهم بدأ عدد منهم يهرب زوجاته وأبنائه للعيش خارج البلاد كلها ، وغالبا ما كانوا يرسلونهم إلى الاتحاد السوفييتى ، أو إلى إحدى دول الكتلة الشيوعية .

وتصاعد إيقاع الأحداث أكثر وأكثر خلال شهر سبتمبر ١٩٧٩م ، حيث دخلت البلاد كلها مرحلة خطرة من عدم الانضباط والاضطرابات شبه اليومية ، ومن فقدان السلطة السيطرة على الأحداث ، وبدأ المجاهدون ينحدرون من الجبال متجهين إلى العاصمة وضواحيها على أساس تصفية النظام كله ، بعد أن قضوا على كثير من قواته خارجها ، ولما رأى المواطنون العاديون عجز النظام عن التصدى للقوات المعارضة له بدأوا يعلنون صراحة عن تحديهم له ، لدرجة أن كثيرا من تجار العاصمة بدأوا فى إنزال صور «تراقى» التى كانوا يعلقونها فى محلاتهم مجاراة للنظام ، وتجنبا لسفاهات أتباعه من الشباب المغرر بهم ، كذلك ألقوا بعيدا بالشعارات الماركسية المزيفة والمكتوبة على لافتات حمراء كان الحزب الحاكم يفرض توزيعها عليهم .

بل إن كوادر الحزب - كما يقول المصدر السابق - ويقصد به حزب «خلق» الذين كانوا يتميزون عن الآخرين بشواربهم الدقيقة . . . بدأوا يحلقون هذه الشوارب ، كما أن الأزرار الحزبية الحمراء التى كانت تشاهد على صدورهم قد اختفت . . . تجنبا لأعمال الانتقام التى كانت تمارس ضدهم بجرأة وجسارة . ولقد كان أفراد الحزب هؤلاء يعيشون - فى الواقع - فى رعب دائم ، حيث لم يكونوا يتحركون إلا وهم محاطون بحراسات شخصية تحيط بهم ، علاوة على ما كانوا يمتلكونه من

مسدسات . . . حتى داخل كليات الجامعة . . . !!

وبدأت كابول تعيش جوا غير عادى من التوتر والقلق . . . بل والتوجس ، خاصة بعـد أن علم الجميع أن العائلات الأمريكية قد أخذت تهجر المدينة ، بل وتسافر خارج البـلاد كلها ، وأخذت معنويات العسكريين تضعف ، ويفقدون الرغبة فى القتـال ، ويتسـاءلـون عن مصـير زمـلائهم الذى اختفوا عن الأنظار ـ بيد رجال المخابرات والبوليس السرى بطبيعة الحال ـ بينما كانوا لاشك يفكرون فى زملاء آخرين هم حسموا أمرهم وأتخذوا قرارهم ولجأوا إلى الثوار المجاهدين يساعدونهم ضد النظام الشيوعى ، وممـا لاشـك فيه أن كثيرين منهم كانوا فى لحظات تفكير وتأمل بحيث لم يكن أحد يعلم أين ولاؤهم ، هل هو مع حكام «كابول» العملاء الذين يختفون فى ثكنـة عسكـرية ، ويسـومـون الوطن سوء العذاب ، أم هو مع المجاهدين الذين يحاربون معركة الحق فى وضوح ودون تخفى . . !!

وفى منتصف سبتمبر نحـــى «حفيظ الله أمين» كلا من «الكولونيل إسلام وطنجار» والميجور ـ سرجان مزدورربار» و «الدكتور عبد القدوس قرباندى» وزير الاقتصاد ، نحاهم عن الحكم ، فى ظروف غامضة . ولقد قيل إن هذين الوزيرين العسكريين الوحيدين فى الوزارة قد قتلا فى ترتيب خفى . . . كما رددت أنباء غير موثوق بها أنهما التحقا بمعاقل الثورة الإسلامية ، أما «الدكتور قرباندى» فقد تأكد بالفعل انضمامه إلى الثورة .

حدث ذلك إثر عودة «نور محمد تراقى» من مؤتمر كتلة عدم الانحياز فى هافانا ، مرورا بمـوسكـو ، حيث قابـل بريجينيف ، وقيل إنـه سقط خلال هذه المقابلة فى الامتحـان ، أمام اللجنة الفاحصة المؤلفة من القيادة السوفيتية التى أقلقها تدهور الوضع فى أفغانستان ، حيث سأله أعضاؤها عن مخططه لقمع ثورة البلاد ، ولم تجد عنده إجابة مقنعة .

لقد عاد «تراقى» من موسكو ليجد الدبابات والمصفحات تملأ شوارع «كابول» ، وتحيط بقصر الرئاسة . وفى أول اجتماع عقده فى هذا القصر مع أعضاء «المجلس الثـورى» ، تحول الاجتماع إلى معركة مسلحة (!!!) قتل خلالها عدة أشخاص ،

بينهم حارس الرئيس الخاص ، وكذا رئيس الشرطة ، وقد أعلن بعدها أن «تراقى» قد طلب إعفاءه من مهماته كرئيس للبلاد ، نظرا لتدهور حالته الصحية والعصبية ، وأن «حفيظ الله أمـين» قد تولى رئاسة الجمهورية . . ورئاسة المجلس الثورى . . ورئاسة حزب خلق . . . !!

وقد طارت إشاعات تقول بمقتل «تراقى» ، ولكن «حفيظ الله أمين» كذب هذه الشائعات وقال بأنه يعالج ، ولكنه ألمح إلى أنه كان يدير البلاد بطريقة ديكتاتورية ، «وأن البـلاد قد وضعت تحت الحكم الجماعى لحزب الشعب الديمقراطى ومجلس الثورة ، ولن يحكمها بعد الآن رجل واحد» . . . !!

ولم تستطع أية وكالة للأنباء أن تعطى تفسيرا لما حدث ، أما وكالة الصين الرسمية فقالت «إن التطورات فى أفغانستان ، حيث يثير الموقف المتدهور قلق العالم ، مرتبطة بالتدخل السوفييتى ـ إن الاتحاد السوفييتى قد كثف عمليات التدخل والسيطرة فى هذا البلد ، منذ انقلاب ١٩٧٨م ، فى محاولة لتحويل أفغانستان إلى قاعدة تسند تقدمه نحو الجنوب .

وعـلى الـرغم من أن الـرئيس الجـديد قد استهل بيانه بعبارة «بسم الله الرحمن الـرحيم» ، ودعا الأفغانيين اللاجئين إلى باكستان وإيران ، والذين بلغ عددهم ـ آنـذاك ـ مائتى ألف لاجىء إلى العودة لبلادهم ، وأعلن عفوا عاما عن «الثائرين المضللين (!!!) إذا ألقوا أسلحتهم ، وتحرروا من ضلالهم ، ووعد بمعاملة رجال الدين معاملة حسنة ، إذا لم يتدخلوا بالعمل السياسى !! فإن أحد لم يأخذ كلامه مأخذ الجد ولم تزدد الثورة المسلحة التى يحمل لواءها المجاهدون إلا ضراوة واحتداما .

وخـلال تلك الفـترة كان المعتقـد أن «موسكو» أخذت تميل ـ وسط هذا الجرح النازف ـ إلى تغيير «تراقى» ، برجل أكثر اعتدالا وحيادا واصطباغاً باللون الأحمر ، تطمينا للثوار المجاهدين ، وتقرباً من المتمسكين بالإسلام عقيدة ومنهجا فى الحياة ، وحرصا على استقطاب تأييد أكثرية الأفغانيين ، وذلك لأن تغيير الحكم لايكفى لتغيير الشعب ، والدبابات وحدها لاتستطيع إقرار نظام مستورد جيء به من عالم آخر إلى

شعب يرفضه رفضا تاما ، ويتناقض مع درجة تطوره وبنيته الاقتصادية والاجتماعية . والحماية الأجنبية لاتقوى دعائم الحكم . . . بل تشوه صورته وتلطخ سمعته ، وتبعد الوطنيين الصادقين عنه .

هذا ما كان يعتقـده المراقبون الحياديون ، ولاسيما بعد أن بدأت الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفييتى تبدى عطفها على المجاهدين المسلمين الثائرين فى أفغانستان ، وبعد أن بدأ استنكارها واضحا لعمليات القمع الوحشى التى كانوا يتعرضون لها ، وقد تجلى ذلك واضحا فى الندوة الإسلامية الدولية التى عقدت فى منتصف سبتمبر فى دوشانبى-، عاصمة جمهورية طاجيكسان السوفيتية ، إذ وقف الـدكتور عبد الصبور مرزوق الأمين العام للمؤتمر الإسلامي يندد بما سماه «إبادة المسلمين فى أفغانستان» ، وقال «إن الوضع فى أفغانستان كان سيئا فى عهد الرئيس السابق محمد داوود ، لكن ذلك ليس مبرراً لقتل رجال الدين المسلمين وحين وصف المندوب الأفغانى زين الله ميثاق ـ عميل الحكومة الأفغانية بطبيعة الحال ـ المجاهدين المسلمين فى بلاده بأنهم «إخوة الشيطان» . . . صرخ فيه الدكتور مرزوق قائلا «بل إنهم لشهداء» .

ولكن الـذى حدث كان عكس ما توقع الناس من «موسكو ، لقد تم استبدال الرجل الأكثر اعتدالاً . . بالرجل الأشد عناداً وتطرفاً ، لقد كان «تراقى» لايعلن أنه ماركسى ، بل كان يقـول إن لهم فكرهم الخاص بهم فى تجربتهم فى أفغانستان ، وليس بالضرورة أن يكون هذا الفكر فكراً شيوعيا قادماً من موسكو أو من غيرها ـ أما «حفيظ الله أمين» فهو لم ينكر يوما أنه ماركسى ، كما أنه قد أيد استخدام الشدة والعنف لفرض مبادئه على المجتمع الكاره لها والمعارض لكل ما تمثله ، بل لقد بلغ **به التبجح ذات يوم أن أعلن فى إحدى خطبه «أن الثورة الأفغانية هى الاستمرار التاريخى لثورة أكتوبر البلشفية فى روسيا» !!**

وبجانب ذلك فإن «حفيظ الله أمين» هو الذى صفى حزب «شولى جاويد» الموالى للصين ، كما حل ـ كذلك ـ حزب بارتشام الذى ينافس حزب خلق الولاء للاتحاد السـوفييتى ، مما يدل على أنـه رجل لايؤمن بأى مشاركة فى الحكم ـ لا من جانب

الأفراد ، ولا من جانب الأحزاب الأخرى .

وكان «حفيظ الله أمين» يطمع منذ البدء إلى مكان «تراقى» . . رئيسه وصديقه (ورفيقه) فى الكفاح ـ كما كانوا يقولون ـ وقد خطا نحو هذا الهدف خطوة كبرى حين أقنعه بأن يكون «الأب الروحى للثورة» ، وأن يتكفل هو بمهامها ومسئولياتها التنفيذية . ولما تولى رئاسة الحكومة أخذ يخطو نحو هدفه الخطوات الباقية للإطاحة به فى الوقت المناسب ، وقد ساعده على ذلك أنه كان قبل الثورة المسئول فى حزب خلق عن التنظيم العسكرى للحزب ، كما ساعده أيضا تنظيمه للمخابرات الأفغانية ووضعها تحت إشرافه الشخصى .

هذا وقد قام «حفيظ الله» بإبعاد منافسيه ومؤيدى «تراقى» فى الحزب والإدارة والجيش ، من خلال سلسلة واسعة من حملات الاعتقال والاقصاء والتصفيات المتلاحقة ، وكذا من خلال المحاكمات العسكرية باسم التطهير تارة . . وبإسم الفساد تاره أخرى ، كذلك فإنه أمر باعتقال الآلاف من المعارضين والمشتبه فيهم بشعورهم الدينى . . . أوحتى فتورهم الثورى (!!) ، ولما أنشأ قوات الميليشيا الشعبية كى تتحول هذه القوات العقائدية إلى حامية للثورة والحزب والنظام . . حرص على أن يكون ارتباطها المباشر معه هو شخصيا ، وعلى أن يكون ولاؤها له هو وحده .

وهكذا جرد «حفيظ الله أمين» صديقه «تراقى» من جميع صلاحياته ، وأبعد عنه جميع أنصاره ، **وهكذا هم الشيوعيون دوما . . لا إخلاص عندهم ، ولا مبادىء ولاقيم** ، وكان آخر هؤلاء الأنصار الوزراء الثلاثة الكولونيل «إسلام وطنجار» و «الميجور سرجان مزدوريار» ، والدكتور عبد القدوس قرباندى» الذين أقصاهم أمين عن الوزارة ، وأدى ذلك إلى الاصطدام الذى أقصى «نور محمد تراقى» ذاته عن الحكم .

ورغم كل الجرائم التى ارتكبها «حفيظ الله أمين» ضد وطنه عامة ، وضد المجاهدين المسلمين بصفة خاصة ، فى محاولاته المستميته لوقف مد الثورة

الإسلامية ، وزحف المجاهدين باتجاه العاصمة ، إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل ، وبات واضحا أن هذه الثورة الشيوعية كانت شعلة من النيران على سطح الأحداث فى أفغانستان ، وربما فى «كابول» وحدها ، بمعنى أنها لم يكن لها جذور شعبية بين أفراد الشعب الأفغانى المسلم ، اللهم إلا بين بعض الفئات المحدودة من محبى السلطة والمتسلقين على أكتافها ، وهؤلاء موجودون فى كل المجتمعات تقريبا . ولم تكن المعارضة لهذه الثورة فقط بين الأفغان فى القرى والجبال الوديان . . وإنما كانت موجودة داخل العاصمة الأفغانية ذاتها .

فكم من مظاهرات وإضرابات داخل شوارعها ، وداخل الجامعة والمدارس هناك ، حتى إن قوات النظام العميل لم يكن أفرادها يأمنون على أنفسهم من إلقاء القنابل الحارقة أو الاغتيالات بكل الوسائل ، بل إنه حتى بعض الدوريات التى كان بها بعض المستشارين الروس كثيرا ما تعرضت للهجوم المباغت الذى كان يترك أفرادها بين قتيل وجريح .

ولم تقتصر هذه العمليات الفدائية على المدنيين من الأفغان ، بل إنه كثيرا ما حدث أن فتح بعض الحراس الأفغان ـ أنفسهم ـ النيران على مرءوسيهم الشيوعيين ، سواء كانوا من الروس ، أو من الأفغان . . المهم أنهم كانوا شيوعيين . . وحسب ، وكان هذا كافيا كى يناصبهم الشعب المسلم العداء ، وأن يتحول هذا العداء إلى فعل عسكرى مؤثربات له ضحايا . . . كل يوم ، مما جعل «موسكو» تتأكد أن النظام العميل فى «كابول» باتت أيامه معدودة فى الحكم ، وأنهم لو تأخروا عن نجدته . . أو حتى يحلوا محله مباشرة فلسوف يكون التيار الإسلامى كاسحاً بشكل خطير ، بحيث يصعب عليهم بعد ذلك أن يتدخلوا لإزالة حكومة إسلامية أمام سمع العالم وبصره . أما الآن فعلى الأقل لازالت هناك حكومة موالية لهم يمكنهم الادعاء بأنها طلبت منهم التدخل . . ويكون ذلك سببا ـ ولو واهيا ـ لهم ، يبرر تدخلهم أمام العالم . . وهكذا خططوا ورسموا وهذا هو موضوع الفصل التالى إن شاء الله .

الفصــل الســابــع :

الاجتياح السوفييتى المكشوف

ذات يوم أقدم «تراقى» شخصيا على رفع علم جديد لأفغانستان . . علم أحمر ، ، بلون الدم ، مثله ـ تماما ـ مثل نظيرة السوفييتى الشيوعى ، وقد خلا هذا العِلم تماماً من اللون الأخضر . . ولقد كان هذا الفعل الذى تم فى يوم ٩ أكتوبر ضد مشاعر الشعب الأفغانى المسلم . . كله ، بطبيعية الحال .

ولقد كان لهذه البادرة السيئة أثر غير طيب لدى القيادة السوفييتية ، فى «موسكو» وقد سربوا رأيهم للحاكم فى «كابول» بذلك . ولم يكن عدم رضاء السوفييت بطبيعة الحال لحرصهم على الإسلام ، ولا على مشاعر المسلمين ، فهم على العكس من ذلك تماما يودون لو استطاعوا سحق الجميع ، بحيث لايبقى لهم أثر ، ولكن الرسالة التى سربت كان فحواها أن الثمرة لم تنضج بعد ، وأنها تحتاج لشيء من الوقت ، وأنه ما هكذا تعالج الأمور ، **إذ لابد من شيء من الخداع ، فمثلا تسمى الشيوعية . . بالإشتراكية ، ويتحدث الرئيس فيفتتح خطبته بسم الله الرحمن الرحيم . . لامانع ، وذلك فى الوقت الذى يذبح فيه المسلمين ، ويزج بأئمتهم فى السجون والمعتقلات ، ولا بأس من أن يحضر الرئيس أو من ينوب عنه احتفالا دينيا ، يقبض بعده على من تحمسوا . . وتحدثوا . . وهكذا يكون الخداع الشيوعى . . أساليب غير أخلاقية ، ومكر ليس بعده مكر .**

وبـالفعـل فإن الثـورة الإسلامية ضد «تراقى» وحكمه لم تخمد . . بل ازدادت اشتعـالات كما سبق القول ، وامتدت إلى حكم من خلفه ، «حفيظ الله أمين» ، وبـدأت تطبق على العاصمة ، وارتفعت أعداد الجنود والضباط الفارين من جيش النـظام العميل بشكـل لم يسبق له مثيل فى أى جيش فى العـالم ، كما شهد بذلك الملحقون العسكريون الأجانب فى العاصمة «كابول» .

عنـد ذلك رأى قادة الاتحاد السوفييتى أن الوقت ليس فى صالحهم وأنهم إذا لم يتدخلوا لحسم قضية أفغانستان لصالحهم فإن الفرصة قد تضيع للأبد ، وهنا نزعوا لافتة الخداع التى كانوا يحاولون بها تهدئة المسسلمين . . . فى أفغانستان وخارجها ، وكشفوا عن حقيقة أطماعهم ، وكشروا عن أنيابهم ، وهجموا بكل الوحشية والغدر لافتراس الضحية التى كانوا إلى الأمس يتحدثون عن صداقتها وحسن الجوار معها . . .

وحتى لا ينسى المسلمون :

نورد هنا بعض الوقائع التى تدمغ الاتحاد السوفييتى بالتآمر والخداع وتبييت الأمر لاجتياح أفغانستان ، ولمحاولة ضمها إلى روسيا ، كما سبق وفعل أجدادهم من قبل ، مع أجدادنا المسلمين فى الولايات الإسلامية التى ابتلعوها فى جوفهم ، وقضوا على الملايين منهم . . ذبحا وتقتيلا . **لقد جرت بعض الأحداث التى لا ينبغى أن تغيب عن العقل الإسلامى ، ولا من وجدان الأمة الإسلامية ، إن التاريخ لا يكون ذا فائدة إلا إذا حفر فى عقول أصحابه بحروف من نار . . لاتنسى، ذلك إذا أردنا لأبنائنا وأحفادنا ألا يمر بهم ما حدث لأجدادهم من قتل وذبح وتشريد، وإلا فإننا معرضون فى عالم الذئاب الذى نعيش فيه لتكرار مآسى الأندلس . . وفلسطين . . وأفغانستان التى نعاصر أحداثها .**

١ ـ فى أواخـر شهـر مايو ١٩٧٩م ، وبعـد زيارة أحد المسئولين السوفييت الكبار ويدعى يبشيف Yepishev ، بدأت «موسكو» تشير فى إذاعاتها وصحافتها إلى أفغانستان على اعتبار أنها عضو فى المجتمع الاشتراكى (الشيوعى طبعا) ، هذا المجتمع الذى يشمل دول حلف وارسو بالإضافة إلى كوبا وفيتنام ومنغوليا . إن الذين فهموا الأمور فهما صحيحا ـ آنذاك ـ قد فسروا هذا الاتجاه على أنه مقدمة للتدخل السوفييتى الصريح فى أفغانستان ، وذلك لتطبيق مبدأ بريجينيف Brezhnev Doctrine... الـذى ينص على حماية الاشتراكية ، فى أى مكان على ظهـر الأرض ، وكـان قد صدر مثـل هذا الإعـلان قبل التدخل الروسى فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨م .

٢ ـ لايمكن لإنسان عاقل أن يتصور إتمام غزو كبير لدولة بأكملها ، مثل ذلك الذى تم ، دون الإعداد الكبير والدقيق الذى يسبقه ويتطلبه ، لقد كانت هناك مؤشرات واضحة على نشاطات عسكرية سوفيتية كبيرة على الحدود الروسية الأفغانية ، قبل ليلة ٢٢ ديسمبر ١٩٧٩م . **بل إن بعض الوحدات السوفيتية قد وصلت لأفغانستان فعلا ، وحلت محل بعض القوات الأفغانية فى حراسة المنشآت الحساسة ، خوفاً وتحسباً لعدم إطاعة بعض وحدات الجيش الأفغانى للأوامر** ، وكان ذلك خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر ، وكان التبرير الذى قيل يومها هو إطلاق حرية القوات المسلحة الأفغانية فى مقاومة المتمردين (المجاهدين) ، بينما كان الهدف الخفى والحقيقى هو حماية الطرق الهامة والمنشآت الحساسة ، عندما تطلق إشارة الغزو المجرم الذى رتب له بليل . . . خيانة وغدراً .

٣ ـ فى أواخر نوفمبر وضعت القوات السوفييتية فى حالة استعداد ، أو فى حالة طوارىء ، كذلك دعت القيادة السوفييتية الاحتياطى للالتحاق بالقوات المسلحة ، خاصة فى مناطق وسط آسيا .

٤ ـ شهدت الطرق الرئيسية فى الاتحاد السوفييتى حركة محمومة لنقل المعدات الثقيلة قرب الحدود الأفغانية .

٥ ـ الأمر الذى كان واضحا ، ولا يمكن إخفاؤه عى المراسلين الغربيين ، هو وضع قوات بلدان حلف وارسو كلها Worsaw Pact فى حالة الاستنفار أو الاستعداد التام للقتال . . !!

٦ ـ فى منتصف شهر ديسمبر تقريبا ـ وهو الشهر الذى تم الغزو الغاشم خلاله ـ نقل السوفييت كتيبتين كاملتين من السلاح الجوى السوفييتى ، بأسلحتهما الثقيلة إلى مطار «باجرام» Bagram الأفغانى والذى يقع ضمن قاعدة عسكرية ضخمة مليئة بالمستشارين السوفييت كانوا يديرونها لحسابهم ، ولا يملك قادة الجيش الأفغانى من أمرها شيئا ـ ويبدو أن خبر نقل هاتين الكتيبتين قد تسرب إلى

الخارج عن طريق بعض المستشارين أو الملحقين العسكريين الأجانب ، إلا أن «حفيظ الله أمين» كذب الخبر بنفسه (*).

٧ ـ بالتحديد . . فى يومى ١٧ ، ١٨ ديسمبر بدأت القوات الروسية تتدفق قرب الحدود الأفغانية . . بعشرات الألوف ، وخاصة القوة الميكانيكية ٣٥٧ ، كما وصلت قوات المظلات أيضا قرب هذه الحدود ، فى ٢١ ، ٢٢ ديسمبر .

٨ ـ فى يوم ٢٢ ديسمبر جرى شيء غير عادى ، حيث انتقل «حفيظ الله أمين» من قصر الرئاسة المتواجد فى وسط العاصمة كابول ، وذلك لضعف أو صعوبة الدفاع عنه ، إلى قصر آخرّ على أطراف المدينة . . فى إحدى ضواحيها .

٩ ـ فى نفس ذلك اليوم الذى انتقل فيه «أمين» من قصره لقصر آخر ، تكلمت الولايات المتحدة وخرجت عن صمتها ، معلنة عما يجرى هناك على الحدود الأفغانية الروسية . . . وحولها على الجانبين ، مخبرة العالم بالاستعدادات غير الطبيعية للقوات المسلحة الروسية ، ولاشك أن الصور التى التقطتها أقمار الاستخبارات الأمريكية قد بينت للجالسين فى وزارة الدفاع الأمريكية ، حجم القوات الروسية التى تدفقت على الحدود ، بل إن واشنطن تحدثت أكثر عن قوات مسلحة أخرى يجرى إرسالها على الطرقات داخل الاتحاد السوفييتى ، وعن نشاط غير عادى فى مختلف القواعد العسكرية السوفييتية .

وبدأ الهجوم الكبير

يقول بعض المحللين السياسيين أنه لو أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أنذرت الاتحاد السوفييتى ، بعدم التدخل فى أفغانستان ، خاصة حين علمت بما أذاعت على العالم . . . لكان قد تراجع عن فعلته الشنعاء هذه ، بينما الواقع الملموس والحقائق المعلنة تكذب هذه التحليل ، وذلك لأن عجلة الحرب كانت قد دارت بالفعل فى الاتحاد السوفييتى ، ولم يكن من الممكن إيقافها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر

* ارجع في هذا إلى كتاب أنتونى أرتولد ، السابق الذكر .

فإن أمـريكـا ما كانت تستطيع عمل شيء حقيقى ، من الناحية العسكرية ، هى أو حلفاؤها ، وبالتالى فإن السوفييت كانوا مطمئنين جدا من هذا الجانب .

وبـالتحـديد فى ليلة رأس السنة (الكريسماس) ، وحينما كان يحتفل بالعيد بدأ الهجوم السوفييتى الكبير ، ولقد بدأ هذا الهجوم بعملية إنزال جوية رهيبة فى مطار «كابول» الدولى ، **وكانت تصل المطار الكبير . . . طائرة روسية عسكرية . . . كل ثلاث دقـائق ، وعلى مدار ساعات طويلة** ، لقد كانت عملية عسكرية خطط لها جيدا . . ونفذت بإحكام . . . وخدعت الكثيرين ، وضاع فيها كثيرون . . . وليت المسلمـين يتعظون لأساليب هؤلاء الكافرين ، حتى لايظلون يهزمون . . . ثم تمر الدروس دون أن يعتبروا ، خاصة وأن حديث رسولنا ، صلى الله عليه وسلم ، يقول بأن المؤمن لايُلدغ من حجر مرتين ، ولننظر سويا فى الكم الهائل من الخدع التى أتقنها الشيوعيون ، وتعـاملوا بها مع الجيش الأفغـانى . . . **حتى الجيش الأفغانى . . . الموالى لهم ، لم ينجح أفراده المساكين من مذابحهم ومجازرهم** ، ولنقرأ :-

١ ـ خدع الخبراء الروس زملاءهم الضباط الأفغان ، حول مطار «كابول» الدولى ، ونجحـوا فى إبعـادهم بدبـابـاتهم من مجال حمايتـه ، حيث هبطت الطائرات العسكرية السوفييتية الضخمة . . . إنهم لايثقون بأحد ، حتى الجيش الذى تعـاون معهم ، لقد خشوا أن يستيقظ الضمير لدى بعض الضباط أو الجنود الأفغان الذين كانوا فى هذه الدبابات . إن يضع دبابات . . . فقط . . . كان يمكنها أن تغلق ممرات الهبوط فى المطار ، وبالتالى تعيق عملية الهبوط الروسى تماما وتفسدها على مخططيها .

٢ ـ **كان مجمع الاتصالات المركزى ، التابع للحكومة ، تحت إدارة القوات الجوية الأفغـانية ، وقد رتب الروس عملية قتل جميع ضباط هذا المجمع ، بصرف النـظر عن ولائهم للحكم العميل فى «كابول»** . لقد استولى عليه المجرمون الـروس بقيادة أحـد كبـار ضبـاطهم العـظام ، والـذى لايقل عن رتبة وزير سـوفييتـى ، بـل هــو وزيـر الــمواصـلات ذاتـه «نـيقـولاى فلاديميرو فيتش Nokolay Vladimirovich ، وحينما تم لهم الاستيلاء على هذا

المـركـز العصبى الحسـاس ، أصبحت الاتصالات مؤمنة تماما مع قيادتهم فى «روسيا» ، ومما يذكر أن هذا الشخص قد وصل إلى «كابول» صباح ٢٤ ديسمبر لزيارة صديقة (!!!) كما قالت الأنباء ، وكان معه عدد من الأشخاص الذين لايعـرف الابتسـام طريقه إلى وجوهم ، وقد فتحت لهم صالة كبار الزوار فى المطار ، ونفذوا إلى حيث أرادوا . . . !!

٣ ـ فى الـوقت ذاتـه . . . وصـل مع هذا الـوزيـر وزير مصادر المياه فى الاتحاد السوفييتى ، وفى ٢٧ ديسمبر أقيم حفل عشاء كبير ، على شرفى الوزيرين ، فى الفندق الدولى فى العاصمة الأفغانية ، وقد دعى إلى الحفل عدد كبير من أصحاب الحسب والجاه والمسئولين الكبار من الأفغان فى العاصمة . . . وفى نهاية الحفل . . قبض على الجميع . . !!

٤ ـ فى الليلة ذاتها . . . وتنبهوا يا مسلمون ولا تأمنوا إلا لمن تبع دينكم . . دعى ضباط القوات المسلحة العاملون حول العاصمة ، لحفل خاص كبير أقامه لهم زمـلاؤهم . . . الـرفـاق . . الخـبراء الـروس ، وفى تمام السـاعـة السادسة والنصـف مساء ، غادر معظم الضباط السوفييت مكان الاحتفال ، وبقى منهم عدد قليل للتأكد من إتمام الخيانة ، وحينما اندفع هؤلاء القلة خروجاً من أبواب المكان الخلفية تاركين أفراد القوات المسلحة الأفغانية غارقين فى زجاجات الخمر الكبيرة ، انهار عليهم المكان بفعل كم هائل من العبوات الناسفة شديدة الأنفجار . . !!

٥ ـ نتيجة لسيطرة الروس على مطار «كابول» الدولى ، استطاعوا أن ينقلوا فى ليلة واحــدة ، هى ليلة ٢٦ ديسمـبر ١٩٧٩م ، خمسـة آلاف جنـدى من جنـود البـاراشـوت أو القوات المظلية التى استخدمت بعد ذلك فى علميات خطيرة للسيطرة على الوضع فى العاصمة . ولقد هبط هؤلاء المظليون دون أدنى مقاومة تذكر ، نتيجة للترتيبات السابقة ، ونتيجة أكثر للخيانات التى تمت ، وعمليات الخـداع المحكمـة التى راح ضحيتهـا كثـير من ضبـاط الجيش الأفغـانى العميل . . . وبذلك خسروا الدنيا والآخرة . . !!

٦ ـ فى تمام الساعة ٧،١٥ مساء يوم ٢٧ ديسمبر قامت القوات السوفييتية الغازية بهجمات مكثفة على القوات المسلحة الأفغانية . . ولنتأمل ذلك جيدا ، فهذه هى القوات المسلحة الأفغانية التى وقفت مع الروس ضد أبناء وطنها ومكنت للكافرين كى يسيطروا على مقدرات وطنهم ، فكان جزاؤهم القتل بأيدى الذين خانوا بلدهم لأجلهم . . !! وقتلوا منهم أعدادا لا حصر لها . . .

٧ ـ فى نفس الموعد بالتحديد هجمت هذه القوات الروسية على الجالس فى القصر الجمهورى ، «حفيظ الله أمين» ذاته . . . !! الشيوعى الذى باع وطنه للروس ، والذى قتل من أبناء أمته الإسلامية بلا حساب ، يكون جزاؤه أن يقتل برصاص القوات المسلحة الشيوعية الروسية ذاتها وحتى إذا صدقنا ما قيل من أنه قاوم الروس ، وأنه لم يكن موافقا على الغزو السوفييتى فإن ذلك لايعفيه من المصائب التى جرها هو وزملاؤه الشيوعيون على وطنهم الذى لايزال يدفع ثمن خياناتهم وتآمرهم حتى اليوم .

٨ ـ فى اليوم التالى عبرت مجموعة كبرى من القوات الميكانيكية السوفييتية الحدود الأفغانية ، لمساعدة قوات المظليين السوفييت فى مهامهم التى نفذوها فى العاصمة المنكوبة . . وبحلول أول يناير ١٩٨٠م ، كان السوفييت قد نقلوا خمسين ألفا من جنودهم وضباطهم عبر الحدود ، كما تمكنوا ـ بيسر وسهولة ـ من نقل خمسين ألف آخرين .

٩ ـ حين جاءت ساعة الصفر للغزو الأحمر لأفغانستان ، كان تنفيذه سريعا ووحشيا ، وقد قصد الذين خططوا له أن يكون نهائيا ، وبدون تفكير فى التراجع ، تحت أى ظرف من الظروف ، ولذلك استخدم الذين نفذوا العملية أكبر قوة نيران أتيحت لهم وكانت تحت أيديهم ، فعلى سبيل المثال كان عدد الطائرات العسكرية المقاتلة التى غطت العمليات ووفرت لحمايتها ، كان ٤٠٠ طائرة ما بين ميج ٢١ ،ميج ٢٣ المتقدمة المقاتلات الروسية SU-17
وطائرات الهليوكبتر الضخمة MI-24.

١٠ ـ حين وقع الهجوم الإجرامى ، لم يحصر فقط فى العاصمة الأفغانية ، وإنما شمل مناطق أخرى عند الحدود ، وغرب أفغانستان ، كما اتجهت مجموعات من الطائرات إلى القاعدة الجوية فى «شيندوك Shindook على بعد ٧٠ ميلا إلى الجنوب من العاصمة ، وكذا فى «هيرات» .

١١ ـ لجأ الضباط الروس إلى خداع الضباط الذين كانوا يقودون الدبابات الأفغانية حيث طلبوا منهم نقل الديزل ـ وقود الدبابات ـ من دباباتهم القديمة إلى الدبابات الجديدة التى جاءت من روسيا مع الخبراء ، ولذلك فعندما وقعت الواقعة كانت الدبابات التى مع الضباط الوطنيين غير قادرة على الحركة إطلاقا(*).

١٢ ـ بالإضافة لعمليات الخداع السابقة نجد أن كثيرا من وحدات الجيش الأفغانى قد أحيطت بوحدات سوفيتية مقاتلة قامت بنزع السلاح منها وتجريدها من كل ما كان من شأنه أن تقاوم به . . ولذا كان وجودها شكليا ولا فائدة منه .

١٣ ـ ويقول أحد الكتاب الغربيين إن ما تم فى «مطار كابول الدولى» من غزو بالطائرات ، ونقل للعتاد والأسلحة والمؤن ، ليلة عيد رأس السنة الميلادية ، قد تم فى نفس الوقت فى قاعدة باجرام العسكرية فى الشمال ، وفى «جلال أباد» فى الشرق ، وفى قندهار فى الجنوب ، و«شينداد» فى الجنوب الغربى ، كما أن **الخبراء الروس ، الذين وافقت الحكومات العميلة على تواجدهم فى وسط الجيش الأفغانى ، قد قاموا بعمليات تخريب . . وخداع . . وتمويه . . بل وكذلك عمليات قتل رهيبة . . فى كل وحدة أفغانية وجدوا فيها**(**).

---

* يرجع هذا إلى كتاب :

David Pros : Afghanistan's Role in Soviet Strategy. The Institute For The Study Of Conflict, No. 118 May 1980.

** حول هذا إلى كتاب :ـ

Edward Girarde : Afghanistan The Soviet War , At Martin's Press, N, Y., 1985

١٤ ـ حينما خاف الروس من حالات الهرب الكثيرة ، التى كانت تقع بين وحدات الجيش الأفغانى ، قاموا بنزع سلاح كثير من الوحدات . . **وحينما شكوا فى ولاء بعض أفرادها ضربوا وحدات بكاملها بالمدافع الرشاشة وقضوا عليها جميعا ، كما فعلوا مع الكتيبة المظلية رقم ٢٦** . هذا وتذكر بعض إحصاءات الغرب أن الجيش الأفغانى قد هبط عدد أفراده من ٨٠ ألف جندى وضابط إلى ٣٠ ألف فقط ، كما تذكر هذه الإحصاءات ذاتها أن روسيا تخسر سنويا حوالى ثلاثة آلاف قتيل ، من بين قواتها التى تصل إلى حوالى ١٠٥ ألف جندى وضابط .

ولكن . . ما هو الثمن . . ؟ :ـ

يتساءل كثير من المحللين السياسيين ، وكذا صناع الاستراتيجية فى العالم ، عن أهداف الاتحاد السوفييتى من هذه العملية الكبرى فى أفغانستان ، خاصة بعد أن مرت سنوات وسنوات على دخول القوات المسلحة السوفييتية لهذا البلد الذى لاتقارن قوته ـ على الإطلاق ـ بقوة روسيا التى تعتبر الثانية فى العالم . . بعد الولايات المتحدة الأمريكية .

وبطبيعة الحال يستبعد الجميع ـ عند التحليل ـ السبب الذى أذاعه قادة الكرملين ، وقت الغزو مباشرة ، والذى قالوا فيه إن السلطات الأفغانية فى العاصمة «كابول» هى التى استنجدت بهم ، وذلك للمساعدة فى وقف تدفق تيار القوات الإسلامية التى كانت قد هددت العاصمة بالفعل .

إن العملية أكبر من ذلك بكثير . . . وأعمق . . . وأبعد ، إن مجرد حكومة بلد صغير . . . مثل أفغانستان ، تطلب من حكومة بلد كبير وضخم ، مثل الاتحاد السوفييتى ، أن تعينها فى أمر من أمورها الداخلية ، لايجعل هذه القوة العظمى تغامر بسمعتها السياسية والعسكرية بهذا الشكل الذى رآه العالم أجمع واستنكره بشكل لم يحدث من قبل . ثم إنه قد ثبت ـ وكما رأينا خلال الصفحات السابقة ـ أن روسيا كانت تعد لهذا الغزو قبل أن يقع بسنوات طويلة ، **وعلى ذلك فهناك أهداف**

استراتيجية بعيدة المدى وراء هذه الغزوة الإجرامية ، التى تعتبر الكبرى والفريدة من نوعها ، فى التاريخ الحديث والمعاصر .

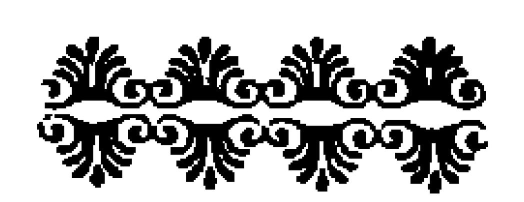
لقد نالت دول كثيرة فى العالم استقلالها ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، كما انضمت كل دول العالم إلى الأمم المتحدة التى أنشئت بعد انتهاء هذه الحرب الضروس وعلى ذلك فإن الغزو الروسى الإجرامى . . بل الوحشى لأفغانستان يمثل تراجعاً خطيرا لتيار الاستقلال والتحرر الذى شمل كل قارات العالم ، كما أنه يمثل تحديا خطرا لمقررات ومبادىء الأمم المتحدة فى حرية الشعوب أن تختار النظام السياسى الذى ترغب فيه ، ومن ناحية ثالثة فإنه ضد كل الدعايات ـ التى ثبت بما لايدع مجالا للشك أنها كاذبة وخادعة ـ والتى ينادى بها قادة الكرملين من أنهم أنصار السلام فى العالم ، وأنهم يقفون مع دول عدم الانحياز . . .

إن روسيا سواء القيصرية . . أو الشيوعية ـ لها تاريخها الأسود مع المسلمين والذى يمثل سلسلة من المذابح الجماعية الرهيبة ، والممارسات اللا إنسانية التى لاتوصف . **إن ضحايا المسلمين فى آسيا ، خلال القرن الماضى والقرن الذى يقترب من نهايته فى أيامنا هذه ، وصلت أعدادهم أكثر من عشرة ملايين مسلم** . وحين أقول أكثر من عشرة ملايين مسلم . فإن هذه أرقام متحفظة ، حيث يقول تاريخهم الأسود أنهم أزالوا مدنا بأكملها من الوجود ، ومحوا قرى كان سكانها يعيشون وهم يعبدون الله آمنين ، وليس لهم ذنب إلا أنهم يوحدون الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويتبعون سنة نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فإن الملحدين الروس أيام القياصرة ، والشيوعيين المجرمين . . بعد ثورتهم السوداء الحاقدة قد انتقموا منهم شر انتقام .

فإذا أضفنا أطماع الاتحاد السوفييتى ، بعد أن صار دولة كبرى ، فى التاريخ المعاصر ، فإن الصورة قد تكتمل بعض الشيء . لقد سبق ورأينا فى الفصل الثالث من هذا الكتاب ، كيف أن بلاد المسلمين فى آسيا ، والتى ضمها الاتحاد السوفييتى عنوة إلى داخل حدوده ، من أغنى البلاد فى آسيا ـ ومن أخصبها أرضا وإنتاجا ، فى جميع المجالات الزراعية والتعدينية ، بل ورأينا كيف أن هذه الجمهوريات الإسلامية

تمد الاتحاد السوفييتي بالكثير من مقومات الحياة ، التى يأكل منها الكفار والملحدون داخله ، بل ويفيض إنتاجها فتصدره روسيا للخارج فى قائمة سلعها التى تتبادلها مع دول العالم المختلفة . إننا إذن أمام أطماع دولة حاقدة على الإسلام والمسلمين ، وهى تخادع هؤلاء المسلمين . . وتخدع بالذات صنفاً منهم قليل الإيمان . . سطحى التفكير ، يتصور أن يكون هناك سلام بين الذئاب والحملان ، فيخدع . . . نفسه بتبنى شعارات جوفاء عن الاشتراكية وعن المساواة بين الطبقات ، ويستدعى هذا العدو الغاشم إلى بلاده غير واع لما يخبئه هذا الدب الروسى البشع له ولوطنه ، وحين يفيق ـ فى اللحظات غير المناسبة ـ لايشعر إلا وأنياب هذا الحيوان المفترس وقد أعملت فى رقبته ورقاب قومه ، ولا تكون هناك فرصة للتوبة أو التراجع . . . وذلك كما رأينا خلال العرض فى الفصل السابق ، حين أقدم الشيوعيون الحاقدون على قتل آلاف الأفراد من النظام الحاكم والجيش العميل الذى ساعدهم أولاً . . . فكانوا هم أول ضحاياه . . . لأنه لا يأمن إلا لبنى جنسه . . . وحتى هؤلاء لايأمنهم ساكنو الكرملين ، فكم قتل ستالين من أبناء جنسه فيما عرف باسم مذابح أو عمليات التطهير ، وكم أرسل إلى سيبيريا من مئات الألاف . . بل الملايين . . ليموتوا هناك وسط الثلوج . . . ! !

وخلال الفصل القادم لعلنا نتوقف سويا كى نستكشف أهداف الاتحاد السوفييتى من غزوه لأفغانستان ، ولعل فى هذا الاستكشاف أو الاستشراف مايفيد بلادنا الإسلامية التى لاتغيب عن أنظار الدب السوفييتى الرهيب . . ولعلنا نحن أن نفتح عيوننا على مايدور أمامنا ، وما يخطط لنا من جانبهم ، والله من وراء القصد .



الفصــل الثامــن :

أهداف الاتحاد السوفييتى من غزو أفغانستان

١ ـ يقـول أحـد كتاب الغرب المتخصصين فى دراسة سياسات الاتحاد السوفييتى(*) الخارجية **إن العدوان واحتلال الأراض ، جزء من سياسة روسيا الشيوعية . . أساسى** ، وذلك لأن قادتها الجالسين فى الكرملين يعتبرون أن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم ، وهم بتبنى هذا المبدأ ، يهاجمون السياسة العدوانية ـ من منظورهم طبعا ـ للدول الرأسمالية فى دول العالم الثالث . إنهم ـ وبناء على ذلـك ـ يفترسون الدول الصغرى التى تدفع ثمن عداوات لا دخل لها فيها ، بين من نسميهم بالكبار . . !!

٢ ـ يحاول الاتحاد السوفييتى أن يقدم أيديولوجيته الفاسدة المنحرفة . . والملحدة ، لدول العـالم الثالث . . بديلا لما لديها من عقائد ، وإذا كانت بعض شعوب العالم الثالث تتقبل هذا لوجود خواء دينى وفكرى عندها ، كما حدث فى حالات مثل كوبا والحبشة والكونغو ، فإن هذا التوجه يعتبر خطيرا بكل المعايير فى بلادنا الإسلامية التى لديها ما يكفيها ويزيد للتصدير فى هذا المجال ، بل ينبغى علينا فعلا أن ندعو إلى الله فى المجتمعات الأخرى ، ولكن بعضنا للأسف الشديد لايعـرفـون قيمة ما بين أيدينا من كنوز العقيدة الإسلامية الغراء ، فيذهبون ليستـوردوا لنـا مذهبيات هى على وجه اليقين مفسدة أكثر منها مصلحة لحال المجتمع والفرد .

---

* Leszek Buszunski, Soviet Foreign Policy In South East Asia, St. Martin's Press, N, Y., 1986.

٣ ـ إن تدخل الاتحاد السوفييتى فى دول العالم الثالث ، يكون ضمن أهدافه تدعيم الأحزاب الشيوعية ، فى البلاد المستهدفة ، وقد رأينا ذلك واضحا من سياساته وممارساته فى أفغانستان ، حيث أيد بشدة الحزبين الشيوعيين الروسيين هناك ، وهما حزبا «خلق» و«بارشام» ، ولم يعترض بطبيعة الحال على تصفيه الحزب الشيوعى التابع للصين ، بل إنه لم يعترض حين قام «حفيظ الله أمين» بتصفية حزب «بارشام» والعمل على أن ينفرد حزب «خلق» بالساحة الأفغانية ، وذلك لأن وجود حزب شيوعى واحد قوى ، خير فى نظر السوفييت ، من وجود حزبين يتنافسان ويتنافس أعضاؤهما، مما يضعفهما معا أمام المد الإسلامى الذى كان موجوداً . وهنا ينبغى أن نكون واعين لعدم اهتمام الروس بالقضاء على كثير من الناس . . . الأفراد . ولو حتى بالآلاف . . . وحتى أيضا ولو كانوا شيوعيين ، فى سبيل أن يبقى عنصر شيوعى قوى ينفذ لهم سياستهم واستراتيجيتهم فى الدولة التى يريدون الاستحواذ عليها والسيطرة على مقدراتها .

٤ ـ يتبع الاتحاد السوفييتى سياسة استخدام حماس بعض دول العالم الثالث ضد الدول الغربية ، وخاصة ما تعلق منها بعمليات التأميم التى تتم بين مؤسسات الغرب الكبرى فى هذه الدول ، وهو يشجع هذه الدول على السير فى هذا الاتجاه . . . بالدعاية على مستوى العالم تارة ، وبالإيحاء لعملائه فى هذه الدول الصغرى للكتابة فى الصحف والمجلات وفى استخدام وسائل وأجهزة الإعلام المختلفة تأييدا لوجهة نظر السياسة السوفيتية فى البلد المعنى أو الأقليم كله .

٥ ـ لايتورع الاتحاد السوفيتى عن الانغماس فى شؤون الدول الصغرى ، أنغماساً مباشرا ، بعد أن يكون قد مكن لنفسه ، من خلال مستشاريه السياسيين والاقتصاديين والعسكريين ، وحين يتمكن هؤلاء من مقدرات الوطن المعنى . . . يوجهونها بما يخدم مصالح روسيا بالدرجة الأولى بغض النظر عن مصالح الوطن الذى جاءوا للعمل به مستشارين وناصحين ، وقد رأينا ذلك واضحا فى حالة «أفغانستان» ، حيث استخدمت القروض السوفيتية ، أو جزء

منها ـ على الأقل ـ فى بناء طرق رئيسية تخدم أهداف روسيا البعيدة المدى . . وتخرب مستقبل أفغانستان ، بل وربما ـ والعياذ الله ـ تهدم استقلالها .

٦ ـ يلعب الاتحاد السوفييتى على وتر علاقات الدول الصغرى ، أو دول العالم الثالث ، ببعضها ، بل إنه يستغل الخلافات القائمة بين هذه الدول ، ولانبالغ إذا قلنا إنه ـ من خلال عملائه ـ يحاول اختلاق المواقف التى تسيء إلى علاقات هذه الدول بعضها البعض ، وقد تمثل ذلك فى حالة علاقات أفغانستان بالباكستان . . . وهما دولتان إسلاميتان ، ورغم ذلك استطاع الاتحاد السوفييتى ـ فى بعض الفترات التى ألمحنا إليها فى هذا الكتاب . أن يستفيد من هذه الخلافات ، وأن يضيف عليها ناراً من عنده ، حتى تظل الدولتان الإسلاميتان متباعدتين . . . كى يستفيد قادة الروس فى جذب أفغانستان ناحيتهم ، بحيث تصبح معتمدة على روسيا . كذلك فإننا قد قرأنا مدى ما كان يصيب الروس من فزع حينما كان قادة أفغانستان يتوجهون لطلب الدعم والتأييد من بعض بلاد العالم الإسلامى . لقد كانوا يريدون لأفغانستان أن تظل بعيدة عن شقيقاتها الإسلاميات ، كما كانوا يريدون تكريس عزلتها . . حتى إذا هجموا عليها لم تجد من يناصرها .

٧ ـ بعد انقلاب ١٩٧٨م الشيوعى ، والذى أوصل أفغانستان من خلال مجموعة من الخونة الشيوعيين ـ إلى عالم الدول الشيوعية ، أو أسرة الدول الشيوعية ، Among The Socialist family ، كما صرح ذلك وعبر عنه قادة الروس لم يهدأ المسلمون فى أنحاء أفغانستان ، وإنما انتفضوا فى ثورة جهادية عارمة ، لا تعرف الهوادة أو التوقف ، وكان هدفها الرئيسى هو مواجهة النظام الشيوعى العميل والقضاء عليه .

ولقد كاد هذا الهدف أن يتحقق حينما تغلبت قوات المجاهدين الأفغان على كثير من وحدات الجيش الأفغانى ، بل بدأت بعض هذه الوحدات نفر بأسلحتها من الخدمة الحكومية وتنضم إلى قوات المجاهدين . وحينما كادت القوات الإسلامية المجاهدة تطبق على النظام العميل فى «كابول» اندفعت روسيا بكل قوتها وجبروتها ،

وبأكثر من مائة ألف جندى وضابط مدججين بأحدث الأسلحة وأفتكها ، كى توقف هذا المد الإسلامى المجاهد .

إن السبب الرئيسى لهذه الخطوة ـ كما يفسره البعض ـ **هو منع نجاح «النموذج الإسلامى»** الجديد فى أفغانستان . إنه لو نجح فلا أحد يعلم ما يمكن أن يقوم به حوالى ستين مليون مسلم يعيشون فى الجمهوريات الإسلامية هناك . وإذا كانت روسيا قد غرقت لأذنيها فى دولة واحدة هى أفغانستان ، وها هى الحرب الضروس قد دخلت عامها التاسع ، ورغم أنها ترهق الأفغان بشدة إلا أنها ترهق روسيا الكافرة كثيرا . . ماديا ومعنويا ، كما أنها أثرت ولاشك على سمعة جيشها العسكرية .

أقول إذا كانت أفغانستان وحدها قد سببت كل هذا لروسيا ، **فما بالنا لو انتفض المسلمون الخاضعون للروس فى هذه الجمهوريات الإسلامية** : إنهم لو انتفضوا بالثورة الآن . . فى ظل تورط روسيا فى أفغانستان لكانت كارثة على الروس . . كارثة حقيقية دون أدنى مبالغة ، ولن يكفى الروس نصف مليون جندى . . . وربما أكثر لكى يخضعوا كل هذه المناطق الإسلامية الشاسعة بسكانها الذين يربون على الستين مليونا . . ولذلك فإن من أهداف الروس القضاء على الجهاد الإسلامى ، بأسرع ما يستطيعون حتى لاتمتد شرارة الثورة الإسلامية داخل روسيا ذاتها وتمسك بها فى أرضها التى اغتصبتها من المسلمين .

إن إفغانستان من هذا المنظور أخطر من أية دولة أخرى ـ بالنسبة لروسيا ـ داخل إطار الدول الإشتراكية كما يسمونها ، **إن «النموذج الأفغانى» أخطر كثيرا من النموذج البولندى أو التشيكى اللذين واجهتهما روسيا بالقمع** ، وذلك لأن هذين النموذجين الأوربيين ليس لهما **«ظهير عقائدى»** داخل الستار الحديدى ، بل داخل حدود الدولة الروسية ذاتها ، كما هو الحال بالنسبة للأفغان . . . والمسلمين الروس . **ثم إن النموذج العقائدى هو الذى يقلق الروس بشدة ، لأنهم ـ من تجاربهم ـ يعلمون مدى استعداد المسلمين للتضحية بأرواحهم فى سبيل عقيدتهم** ، وها هو المثل أمامهم واضح بيِّن ، فالقضاء على الثورة البولندية ، والثورة التشيكية لم يستغرق سوى أيام معدودة ، بينما محاولة القضاء على ثورة المسلمين فى أفغانستان بدأ منذ أكثر

من ثمان سنوات . . . ولا تبدو له نهاية ، مما يؤكد أن الإنسان المسلم الذى يحمل شعلة الجهاد ويمضى بها . . يختلف تماما عن غيره من البشر ، فى أى مكان على سطح الأرض ، إنه مؤيد من السماء . . . والله ناصره ومؤيده إن شاء جل وعلا .

٨ ـ تخريب البناء الاقتصادى للدولة التى يحاولون ضمها إليهم ، بحيث تبدو وهى فى أمس الحاجة لمساعدتهم ، سواء على مستوى المستشارين ، أوعلى مستوى المعونة المالية ، ولذلك فإنهم حين يدخلون هذه البلاد ، أوعلى الأقل يعقدون معها بعض الاتفاقيات تبدأ أجهزة الدعاية عندهم فى تصوير كل ما يقومون به على أنه بناء للاقتصاد فى هذا البلد ، أو إعادة بناء .

وعلى سبيل المثال فإنهم فى «أفغانستان» قد خربوا كل شيء ، دون تمييز ، سواء كان الشيء المضروب مدرسة أو مزرعة أو مؤسسة اقتصادية . . . لا يهم ، وكما تقول دوريس ليسينج Doris lessing لقد ضرب الروس كل شيء فى أفغانستان . . . من الأرض ذاتها . . . أى المزارع . . إلى نظم الرى . . . إلى الحدائق العامرة والجنان الرائعة ، فحولوها إلى خرائب وأطلال وصحارى فارغة تنعى أولئك الذين عاشوا فيها ذات يوم ، وملأوها بهجة ونشاطا(*) .

لقد كانت القنابل ذات الألف رطل تلقى من الطائرات على مصادر المياة فتنسفها نسفا ، وأكثر من ذلك كانت هذه القنابل لقوتها تحفر الأرض بعمق يصل إلى أكثر من ثلاثين قدما ، بحيث أن المياه كانت تتفجر من باطن الأرض فى أعقاب الغارات الوحشية التى كان يشنها الروس على قرى **الفلاحين الأفغان** .

٩ ـ من أهدافهم الإجرامية إشاعة الرعب أمامهم ومن حولهم ، بحيث يخشاهم الناس فى المجتمعات الصغيرة المسكينة ، ولا يقدمون على مقاومتهم ، وهم فى سبيل ذلك يستخدمون أقصى طاقات العنف والإجرام والوحشية المتاحة لهم أو عندهم ، فبجانب ضربهم للآلاف من المواطنين بلا تمييز ، نجد أنهم

---

* Doris Lessing : The Wind Plows Away Our Words And Other Doccuments Related to The Afghan Risstance, Pan Books LTD, London, 1987.

يستخدمون الأسلوب ذاته فى تعاملهم مع القيادات الكبيرة .

فمثلا نجد أن أحد التقارير الديبلوماسية يتحدث عن المجزرة الوحشية التى وقعت للرئيس «داوود» حين أراد الشيوعيون إزاحته ، فلقد كان معه ثلاثون شخصا من أفراد أسرته المقربين إليه ، ومئات من الموظفين المخلصين لحكمه ، وقد جرى رميهم بالرصاص . . . جميعا . . أمام عينيه . . ثم قتلوه هو بعدهم .

وفى تقرير لصحيفة الديلى تليجراف البريطانية ، فى ٢١ فبراير ١٩٨٠م ، قال فيه مراسلها فى العاصمة الأفغانية أن الرئيس «حفيظ الله أمين» . . . وزوجته . . . وسبعة أطفال لهما ، وابن أخته . . . وعشرات من مساعديه المخلصين له ، قد قتلوا - بنفس الطريقة - فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩م .

ولسنا هنا فى مجال العطف على هؤلاء الأفراد ، فهم قد خانوا وطنهم ، وكان حقا عليهم أن يذوقوا بعض ما قدموه لأبناء أمتهم . لأن «بابراك كارمال» ذاته يقول عن «حفيظ الله أمين» إنه أعدم وتخلص من آلاف من الأفغان ، وأنه كان سفاكا للدماء . . وليس «بابراك كارمال» ذاته بأفضل ممن وصفه . إنهم جميعا عبارة عصابة ممن أعمتهم السلطة وشهوة الحكم ، فقدموا أبناء وطنهم على مذبح الشيوعية الدولية البشعة التى استعملتهم - خدما حقراء . . ثم رمتهم - بعد أن حققت أغراضها منهم كالكلاب الميتة القذرة .

إننا حينما نورد هذه المذابح - أو نماذج منها - نريد فقط أن نرسم صورة قريبة من واقع هؤلاء الشيوعيين فى تخلصهم من أعدائهم المسلمين بل وحتى فى تخلصهم ممن ساعدوهم وفتحوا لهم الأبواب لدخول وطنهم ، وانظر إلى الصورة التالية . . البشعة التى أوردها أنتونى هايمان فى مؤلفه الهام «أفغانستان تحت السيطرة السوفييتية»(*) .

حينما وقف ثلاثة عشر طفلا يشهدون المذبحة التى جرت لآبائهم وأمهاتهم ، وبعد أن أحرق الروس قريتهم عن آخرها ، تقدم منهم بعض الجنود . . وفقأوا عيونهم

(*) Anthony Hyman : Afghanistan Under Soviet Domination, ST. Martin's Press, N. Y., 1982.

جميعا . . . بقطع من الصلب . . !!!

ربما رحمة بهم . . حتى لايروا مصارع آبائهم . . . !! ثم قتلوهم . . . خنقا . . . أمام آبائهم وأمهاتهم . . . الذين رموا بالرصاص بعد ذلك ، وأخيرا وضعوهم جميعا فى حفير . . . وأحرقوهم ، وجاءوا بعد ذلك بالبولدوزرات لتسوية المكان بالأرض ، وقد أزيلت القرية تماما من الوجود ، كما جاء فى تقرير لمجلة التايم فى ٢١ يناير ١٩٨٠م ، ولايزال البعض فى بلادنا يتحدثون عن الشيوعية أو الإشتراكية . . . ألا لعنة الله على الجميع .

كذلك فإنه حين تولى «حفَيظ الله أمين» السلطة ، بعد أن تغلب على منافسه « تراقى » أعلن فى شهر سبتمبر عام ١٩٧٩م قائمة بها أسماء ١٢ ألف شخص من المسجونين قيل وقتها أنهم قد أعدموا . . بناء على أوامر سلفه ، أما ما ارتكبه هو من مجازر لأبناء أمته فلم يعلن عنه بطبيعة الحال . . . وحينما جاء أسيادهما ، وأقصد بهم الروس المجرمين فقد نشروا الرعب والفزع والقتل والدمار والخراب والحرائق فى كل ركن من أركان أفغانستان المجاهدة ، حقدا على الإسلام والمسلمين ، وهذا هو دوماً دأب الشيوعيين وهم فى ذلك يذكروننا بالتتار والمغول بلا شك .

١٠ ـ حين زادت ممارسات الشيوعيين ومن والاهم ، فى أفغانستان ، تقتيلا وتعذيبا ، وحرقا وتدميرا ، تحركت منظمات دولية كثيرة ، بغرض معرفة الحقائق والوقوف على صحة الأخبار التى أخذت تتناقلها وكالات الأنباء العالمية ، خاصة وقد فرض الروس تعتيما إعلاميا كاملا على كل ما كانوا يقومون به هناك . . ولقد طلبت بعض هذه المنظمات السماح لأفرادها بالدخول إلى أفغانستان وإجراء دراسات على الطبيعة ، ولكن طلباتها جميعا رفضت ، بطبيعة الحال .

ولكن بعض أفراد هذه اللجان وصلوا إلى أفغانستان عبر الحدود الباكستانية الأفغانية ، وهى حدود مفتوحة . . أو شبه مفتوحة ، حيث لايمكن لقوات الحكومة العميلة أن تسيطر عليها ، نظرا لطبيعتها الجبلية ، وكذا نظرا للقبائل الشديدة المراسى التى تحكمها ، والتى تتعاطف كثيرا مع المجاهدين الأفغان . .

هذا ولقد سجلت تلك اللجان الضـرب بالقنابل . . على الطبيعة ، كما شاهدت آثـار المـذابـح الجـماعية الرهيبة التى ارتكبتها القوات السوفيتية الغازية ، والقتل العشوائى ، والألغام التى نشرت ضد الأفراد فقتلتهم ومزقتهم تمزيقا ، كما سجلت حالات الإعـدام الجـماعيـة ، والمصـادرة للأمـلاك والحـريـات السيـاسية للأفراد والمؤسسات ، والقبض الجماعى والحبس دون تهم ، والتعذيب اللا إنسانى خلف القضبـان ، وكـذا سجلت المحـاكمات الصورية التى ما كانت تستغرق إلا دقائق تصـدر بعدها أحكام الإعدام بالجملة . . . ودون تمييز ، وقد أثبتت هذه اللجان الدولية أن القوات السوفييتية كانت ـ دوما ـ تأخذ دور القيادة فى عمليات التقتيل والتخريب . . فى القرى والجبال والوديان والسهول .

إن هذه الأمـور قد أثبتت جميعهـا لدى منظمات دولية ، ولا يمكن أن تتهم بالتحيز للإسـلام ولا المسلمـين ، ولكن أفـرادهـا شاهـدوا على الطبيعة ، وسجلوا بعض ما استـطاعـوا ، والذين لم يستطيعوا الدخول عبر الحدود . . التقوا بالهاربين من الجحيم واللاجئين الذين كانت أجسامهم الممزقة تروى حجم الهول والمأساة ، دون حاجة للكلام أو للإفصاح ، حيث كانت تلاحقهم طائرات المجرمين الشيوعيين ، الطائرات العمودية المسلحة بالمدافع الرشاشة فتحصدهم حصدا . بل إن بعض الأفغان قد أحرقوا أحياء (! ! !) كما جاء فى تقرير لمنظمة العفو الدولية (لمن أراد أن يقـرأ وأن يعرف أخلاقيات (الرفاق) الشيوعيين ، عليه أن يرجع إلى هذا التقرير الذى يحوى حقائق رهيبة ، ما كان أحد يتصور أن ترتكب فى القرن العشرين . . . قرب نهايتة ، القرن الذى شهد ولادة منظمة الأمم المتحدة ، والإعلان العالمى عن حقوق الإنسان (Aspecial Report of The United Nations. Human Rights Com mission, Amnestyt International)

١١ ـ لايمكن أن يقبـل العقـل المقولة السوفييتية بخصوص ترك الجيش الرسمى للاتحاد السوفييتى ـ فقط ـ بقصد دعم الحكومة الأفغانية العميلة فى العاصمة «كابول» . إن هناك أهدافا استراتيجية بعيدة المدى ، خطط لها الروس ، من

عشرات السنين ، كما سبق ورأينا خلال صفحات هذا الكتاب ، إن روسيا باعتبارها دولة كبرى تميل إلى الغزو والاستعمار خصوصا بالنسبة لجاراتها الصغيرات والضعيفات ، وعلى ذلك فإن هدف فرض السيطرة العسكرية على أفغانستان هدف لايستطيع السوفييت أنفسهم أن ينكروه ، لقد كان فى أذهان الروس دوماً الاستيلاء على أفغانستان ، كما كان الهدف نفسه فى ذهن الاستعماريين الانجليز ، حين كانوا أمبراطورية ضخمة ـ لاتغرب عنها الشمس كما كان يقال ـ ولقد حاولت بريطانيا ـ حينما كانت تستعمر شبه القارة الهندية ـ أن تستولى على أفغانستان ، ولكنها هزمت أمام الشعب الأفغانى . . . ثلاث مرات متتاليات ، فى ١٨٣٩م ، وفى ١٨٧٨ ـ ١٨٨٠م ، وأخيرا فى ١٩٢١م(*) .

١٢ ـ الهدف الاقتصادى الاستراتيجى للاتحاد السوفييتى من غزو أفغانستان ، لم يعد خافيا على أحد ، فى الشرق أو الغرب ، وقد رأينا كيف مدَّت فور تثبيت الروس لأقدامهم فى «كابل» خطوط أنانيب الغاز الطبيعى ، وكيف بدأ البحث عن البترول وعن المعادن الأخرى التى تضمها جبال أفغانستان ووديانها وسهولها ، ولولا أن المجاهدين الأفغان لايتركون للروس فرصة لالتقاط أنفاسهم . . . عسكريا ، لكنا قد سمعنا وقرأنا الكثير عن الاستغلال الروسى الرهيب لموارد الثروة الاقتصادية ومصادرها فى أفغانستان .

١٣ ـ ويتبع الهدف السابق . . أى الاستراتيجية الاقتصادية للاتحاد السوفييتى ،

---

* فى هذه الحرب . . هزمت بريطانيا هزيمة يقال أنها لم تحدث لها فى تاريخها الاستعمارى الطويل ، حيث قتل لها أكثر من عشرة آلاف جندى من أصل انجليزى ، بالإضافة إلى عشرات الألوف من الجنود الهنود ، ارجع فى هذا الموضوع إلى كتاب د . محمد على البار : أفغانستان من الفتح الإسلامى إلى الغزو الروسى ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا المرجع من قبل .

وخلال هذه الحرب مرغت سمعة بريطانيا بشكل مهين ، رغم أنها كانت قد خرجت منتصرة من الحرب العالمية الأولى ، لدرجة أن القوات الأفغانية هزمت القوات البريطانية المعتدية . . داخل أفغانستان ، وطاردتها عبر الحدود الهندية . . داخل الهند ذاتها مما أضطرت بريطانيا إلى الاعتراف باستقلال أفغانستان استقلالا تاما . المصدر السابق .

أنهم فى روسيا لايستطيعون أن يمنعوا أنفسهم عن التفكير فى بترول الشرق الأوسط ، وخاصة حقول البترول الغنية ، حول الخليج العربى ، حيث يكمن أكبر احتياطى عالمى للبترول ، وحيث تصل إنتاجية البترول أعلاها بين دول العالم ، وحيث أيضا ـ أقل تكلفة . . . فى العالم . . . فى إنتاج ذلك البترول . إن تكلفة إنتاج برميل البترول فى منطقة الخليج لايكاد يصل إلى ثلث دولار واحد فقط (وربما ٣٠ سنتا أو ٢٥ سنتا فقط) ، بينما هذه التكلفة تصل فى الاتحاد السوفييتى إلى حوالى أكثر من ١٤ دولاراً . . . !! أى أنها هناك تتكلف أكثر من أربعين ضعفا عن منطقة الخليج . . الذى يسيل له لعاب الدب الروسى الجشع ، حقيقة هناك محاذير الصدام مع الولايات المتحدة الأمريكية . . فى الخليج ، ولكن من سياسة الروس أن يدفعوا بقواتهم إلى أعمق وأبعد ما يستطيعون . . . وهناك قد يستطيعون المفاوضة على شيء .

إن على أهل الخليج العربى أن يتنبهوا جيدا إلى أطماع ذلك الدب الروسي الخطير ، الذى يحبسه عنهم الآن ـ فى الجبال ـ جهاد الإخوان الأفغان ، إنه لو انطلق من هناك ، والعياذ بالله ـ فلن يوقفه أحد ، خاصة وأن إيران قد خربت جيشها واقتصادها فى حرب مع العراق . . . لايستفيد منها إلا أعداء الإسلام ، لقد بنى الروس قاعدة عسكرية رهيبة للطيران ، فى جنوب أفغانستان ، وهذه القاعدة لاتبعد عن الخليج العربى أكثر من ٣٠٠ ميلا . . . فقط ، وهذه مسافة لاتذكر بالنسبة للطيران العسكرى المتقدم(*) . . .

إن هؤلاء الروس لايتوقفون فى طمعهم وجشعهم ، إلا إذا أوقفتهم قوة عنيدة ، لا تسمح لهم بالتقدم، وحتى حينما يتوقفون مرغمين فانهم لا يكفون عن التفكير والإعداد للخطوة التالية ، كى يعودوا لدفع قواتهم إلى أبعد نقطة يستطيعون . . . هكذا **وصفهم لورد بالمرستون** Lord Palmerston وزير خارجية بريطانيا ، خلال الحرب

* يرجع فى هذا الموضوع إلى الكتاب الجيد الذى فحص استراتيجية الاتحاد السوفييتى فى الاقليم وقد سبقت الإشارة إليه من قبل وهو: Afghamistan's Role In Soviet Strategy. حيث يتحدث مؤلفه عن تخطيط الاتحاد السوفييتى وعلاقة غزوه لأغانستان ببترول الخليج العربي .

البريطانية الأفغانية الأولى ، وقد صدق الرجل فعلا .

١٣ ـ لعل الدليل على صدق فراسة «لورد بالمرستون» بالنسبة للروس ، هو ماكتبه بعض المؤلفين ، حين قالوا بأنه قبل افتتاح الخطوط الملاحية البحرية ، فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، كانت أفغانستان ذات أهمية خاصة لمرور التجارة بها ، بين الشرق والغرب . ولكن افتتاح هذه الخطوط ضرب الاقتصاد الأفغانى ، ولكن الأهمية العسكرية لأفغانستان بقيت كما هى .

وفى القرن ١٩ كان البريطانيون واعين لخطورة نظرة القياصرة الروس التوسعية فى وسط آسيا ، خاصة وقد كانوا يخشونها على الهند . . ولقد غزا البريطانيون أفغانستان بهدف التضييق على الروس وتهديدهم فى عقر دارهم ، ولكن الشعب الأفغانى أحال الهجوم البريطانى ـ عبر أراضيه ـ إلى كوارث رهيبة ، بالنسبة لجيش الامبراطورية البريطانية ، كما سبق القول .

ولقد شهد الروس ما حدث للإنجليز . . بفرح شديد ، بطبيعة الحال ، وتعلموا منه درسا هاما ، وهو عدم اقتحام هذا المعقل الإسلامى الخطير ، الذى يدفع الدين الإسلامى فيه رجاله إلى التضحية والفداء ، دون تردد ، كما أن الظروف الطبيعية تساعدهم كثيرا ، حيث يعرفون كل شبر فى بلادهم بجبالها ووديانها ، ويعرفون كيف يضربون ضربتهم لتكون قاتلة ومدمرة . وحتى لاتنسى عبارة اللورد البريطانى . . . لقد صبر الروس على أفغانستان نحو خمس وستين سنة ، اتفقوا خلالها مع الانجليز على أن تكون أفغانستان منطقة عازله بينهم Buffer State . ولكنهم لم ينسوا هدفهم الاستراتيجى البعيد أبدا ، خاصة وقد تغيرت الظروف ، حيث أن الطيران الحربى قد أصبح عنصرا لصالحهم ، بالإضافة إلى تربيتهم لمجموعة من الخونة . . على المبادىء الشيوعية ، فمكنوا لهم من دخول أفغانستان ، ولكن الله من ورائهم محيط ، فقد لايمكنهم المجاهدون من الخروج منها أحياء بإذن الله وحوله وقوته .

١٤ - يهدف السوفييت إلى خلق جيل جديد من أبناء الأفغان ، يؤمن أفراده بعقيدتهم الفاسدة ، لأنهم يعلمون أنهم من خلال التربية يستطيعون أن يقدموا للناشئة أموراً يحفظونها ويستوعبونها . . . دون أن يعوها جيدا ، ودون أن يعوا الأهداف البعيدة من تقديمها . لقد حولت المدارس التى تسيطر عليها الحكومة العميلة إلى نمط شيوعى يخالف عقيدة الإسلام بالفعل ، حيث فرضت فى مناهجها مقررات عن الاشتراكية (الشيوعية) كما أن الكتب التى بدأت تصل من الاتحاد السوفييتى كى يدرسها التلاميذ والتلميذات بها الكثير من الفكر الملحد والمنحرف . كذلك فإنهم أحلوا اللغة الروسية محل اللغة الإنجليزية ، كلغة أجنبية أولى .

وأكثر من هذا أن أعيدت كتابة التاريخ الأفغانى من جديد ، بحيث تهمل فترات التاريخ الإسلامى التى تبين جذور الإسلام فى أفغانستان ، وارتباط الشعب الأفغانى بأشقائه فى العالم الإسلامى ، بينما ركز على موضوعات الصداقة السوفييتية الأفغانية ، مع تركيز شديد على العداوة للامبريالية الغربية . هذا ولقد جرت عمليات تصفية بشعة للمدرسين الذين عارضوا هذه الإجراءات . . أو حتى بعضها ، حيث قتل كثير منهم . . أو سجنوا . . والسعداء هم الذين هربوا من البلاد .

١٥ - وتمشيا مع الأسلوب السابق ، فقد تدخل النظام فى توجيه الشباب الصغار فى المدارس نحو اتجاهات سياسية معينة تخدم الحزب الحاكم ، وتخضع للفكر الشيوعى الماركسى ، وذلك عن طريق ضم هؤلاء الشباب فى منظمات الحزب التى تلقنهم الكثير من المبادىء المنحرفة ، والتى تهدف أساسا إلى التجسس على أهلهم وذويهم ومدرسيهم . ويعتبر ذلك مطلبا أساسيا من مطالب النجاح . . بل هو يسبق كل المتطلبات العلمية الأخرى ، **فالعلم لا يهم . . . أما النظام الشيوعى فهو الأساس . . . !!** وليس ذلك غريبا على النظام الشيوعى السوفييتى ، الذى وضع فى كثير من مدارسه تمثالا للتلميذ المثالى . . الذى وشى بأبيه للسلطات ، لأنه كان يتحدث ضد الحزب ، كما أن هناك جائزة تمنح للمعلم . . الملحد . . المثالى . وفى هذا المجال يذكر تاريخنا

المعاصر أنه فى واحد من مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة منحت جائزة لفتاة وشت بأخيها لدى أصحاب النظام الاشتراكى (الشيوعى) لأنه تحدث ذات مرة ضد حكم الزعيم . . . وقد أقيم لها حفل حضره بعض الوزراء . . تشجيعا لها على ما فعلته من وشاية لاشك هدمت أسرتها ، وهكذا التنشئة الاشتراكية . . !!!

١٦ ـ من أخطر الممارسات التى تمت فى هذا المجال ، إجراء جديد ، ، رهيب وشيطانى ، حين أقدمت السلطات الروسية ، اعتباراً من عام ١٩٨٤م متعاونة مع النظام العميل فى كابول ، على تنفيذ برنامج شنيع يقضى بترحيل آلاف من الأطفال الأفغان الصغار (ما بين ٦ـ٩ سنوات) إلى الاتحاد السوفييتى . . . بل وإلى دول الكتلة الشرقية الشيوعية عموما ، وذلك يهدف إبقائهم هناك . . . بعيدين عن أهلهم . . ودينهم وثقافتهم . . وتقاليدهم . . . لمدة عشر سنوات ، بحيث يعودون وقد غسلت أمخاخهم تماما وذابت شخصياتهم فى الخضم الشيوعى الرهيب الذى يحيط بهم ويعيشون فيه .

ولقد تم ذلك رغم أنف أهليهم وذويهم ، حيث كان الأطفال يسحبون من المدارس . . وأحيانا يخطفون من الشوارع ، أوحتى ينتزعون من بين أيدى آبائهم وأمهاتهم ، ويجرى ترحيلهم إلى خارج الحدود . . !!

إن هذا الإجراء الشيطانى والجهنمى لم تقدم عليه أية دولة استعمارية من قبل ، وهو نتيجة تفكير رهيب يهدف إلى تغيير شخصيات هؤلاء الأطفال تغيبرا شاملا ، بحيث أنهم عندما يعودون يكونون عملاء للنظام الشيوعى تماما ، بل ويكونون عونا له ضد أهليهم وذويهم ، وهنا يمكن للروس أن يسحبوا جنودهم الذين يقتل منهم بالعشرات يوميا ، وهم مطمئنون أن هؤلاء العائدين سوف يقومون بالمهمة خير قيام .

إن التاريخ الحديث للروس . . مع المسلمين يذكر أنهم اتبعوا هذا الأسلوب مع واحد من أكبر المجاهدين المسلمين فى آسيا ، وهو «الشيخ شامل» الذى أخذوا واحدا

من أبنـائـه اسمـه «جمال» رهينة عندهم فى مقابل بعض جنرالات الجيش الروسى الكبار ، ولم يفطن الشيخ المجاهد الكبير للتفكير الجهنمى إلا حين عاد ابنه «جمال» هذا من روسيا لينقلب عليه . . . وليسلم وطنـه للشيوعيين طائعا مختاراً ، بعد أن غسل مخه وضاعت شخصيته . . . فباع دينه ووطنه . . . ووالده . . . !!!

كذلك فإن هذه الكارثة قد امتدت لتشمل الفتيات وليس الفتيان فقط ، ولنا أن نتصـور حال الفتاة الأفغانية العائدة فى المستقبل ، وكيف يمكن أن تربى أبناءها . . وهـذا النـظـام أو الـبرنـامـج الجهنمـى تشـرف عليـه جهتـان . . . جهـاز المخابرات الروسي أو الـ K.G.B ، وجهاز المخابرات الأفغانى العميل K. H. A. D وذلك كما جاء فى كتاب Afghanistan Under Soviet Occupation

١٧ ـ مما لاشـك فيه أن الأسلوب الـذى اتبعه الروس مع أفغانستان ، يمكن أن يجربوه مع كل من باكستان وإيران ، فيما يختص ببناء طرق سريعة High Ways تتحمـل الـدبـابـات والمـركبات المسلحة الثقيلة ، حتى يمكنهم عليها ـ فى المستقبل والعياذ بالله ـ أن ينقلوا إلى هذين البلدين كميات ضخمة من العتاد والسلاح ، وأعدادا ضخمة من أفراد القوات المسلحة الشيوعية . ولذا فإن هذين البلدين ينبغى أن يكونا حذرين جدا لكل المشروعات التى تبنيها روسيا فى البنية الأسـاسية . . . فى أفغـانستـان . . . إنهم صبـورون . . . وهم يخططون لعشرات من السنين قادمة ، **والمسلمون ينبغى أن يكونوا واعين جدا لتخـطيـطهم ، وأن يحللوا كل ما يجرى من جانب الـروس . . فى ضوء التجارب الرهيبة التى مر بها المسلمون من قبل فى وسط آسيا ، والتى يمر بها الأفغان اليوم ، والمسلمون ينبغى أن يتعلموا الدرس جيدا . . . وأن يكونوا كيسِّـين فطنـين ، وألا يلدغوا من الجحر . . . ثانية . . . وإلا فإن التاريخ لا يرحم أولئك الذين لايتعلمون من الدروس التى يمر بها غيرهم .**

١٨ ـ **على خبراء الاسـتراتيجيـة المسلمين أن يحاولوا تقدير الأمور جيدا ، بحيث يربـطون بين التـواجـد السوفييتى فى أفغانستان ـ وليتذكروا فى هذا المجال القـاعـدة العسكـريـة الجـويـة الرهيبة فى جنوب أفغانستان ـ وبين الوجود**

الشيوعى فى «عدن» و «الحبشة» . . وأثر كل ذلك على المواصلات البحرية العالمية فى البحر الأحمر ، بل على الخليج العربى ذاته ، لقد جاهدت عدن حتى خرج آخر جندى بريطانى من هناك ، الآن حل محله الجندى السوفييتى . . وهو أخطر وأخبث نظرا لما يمثله من معتقدات فاسدة وأطماع بشعة ، وتاريخ أسود مع المسلمين .

١٩ ـ تقول لنا تجربة الغزو الشيوعى لأفغانستان إن كثرة المساعدات التى تلقتها من روسيا كانت نذير سوء ، **فالروس لايعطون شيئا . . دون أن يكون لهم هدف خبيث وخطير من ورائه** ، إذ يحدثنا ديفيد روس ، فى كتابة **«دور أفغانستان فى** الاستراتيجية السوفييتية» عن أن أفغانستان كانت هى الدولة الأولى فى تلقى المساعدات الروسية . . قبل الغزو . ومنذ الأيام التى أعقبت حكم ستالين كانت هذه المساعدات مشروطة بأن توجه لمشروعات البنية الاستراتيجية الأساسية Strategic infra - structure Pojocts لأفغانستان (مثل الطرق الرئيسية التى تتحمل سير المركبات العسكرية الثقيلة عليها ، ، صيفا وشتاء ، وقد ربطت أركان البلاد الأربعة بالاتحاد السوفييتى ، كما ربطت هذه الطرق بنهر Oxus فى شطآنه الجنوبية ، فى مواجهة مدينة Termez خلال نفق سالانج Salang Tunnel الذى يوصل إلى «كابول» . . . ثم إلى «قندهار» ، ومن «قندهار» إلى «هيرات» فى الشمال إلى حيث حدود روسيا الجنوبية . كذلك ربطت البلاد بشبكة من المطارات والخطوط الجوية ، وقد صممت أيضا ممرات هذه المطارات بحيث تتحمل هبوط أضخم الطائرات الروسية الثقيلة . . . !!

ومن ناحية أخرى ـ وتحقيقا لأهداف الروس العسكرية الاستراتيجية البعيدة المدى ـ جرى تحسين وتوسيع وتعميق ميناء Termez الكائن على نهرOxus ،وذلك ابتداء من عام ١٩٦٧م (وتنبهوا . . . أى قبل الغزو الروسى الهمجى لأفغانستان بأكثر من عشرين سنة . . !!) وللعلم . . من هناك جرى شحن دبابات T-54, T-62 الرهيبة ، بالإضافة إلى معدات أخرى ذات طبيعة عسكرية . . . جرى

شحنها إلى داخل أفغانستان . . الجارة (الصديقة) . . !!! ولقد صدقت مسز ثاتشر رئيسة وزراء بريطانيا حين قالت فى جلسة لمجلس العموم البريطانى يوم ٢٨ يناير ١٩٨٠م «لقد عبرت الدبابات السوفييتية داخل أفغانستان على طرق بنيت بأموال سوفييتية ، كذلك فإن طائراتهم قد هبطت فى مطارات موّلت من نفس المصادر» . . وكانت هذه السيدة الذكية تلمح إلى أموال المعونة التى أعلن الاتحاد السوفييتى أنه كان يمنحها لأفغانستان ، وكيف كان قادة الكرملين يستغلون هذه المعونة . . . لا فى صالح شعب أفغانستان . . . ولكن لمصالح روسيا الاستعمارية .

هذا وإن دوائر الاستراتيجيات العسكرية فى الغرب لم تتنبه إلى ما بناه الاتحاد السوفييتى ، داخل أفغانستان من طرق ومطارات ، إلا بعد أن تم الغزو الروسى لأفغانستان ، وقد تنبهوا الآن بشدة لأهداف الاتحاد السوفييتى ، حيث لايستبعدون على الإطلاق أن يستخدم الروس ما بنوه داخل أفغانستان (وما قد يتمكنون من بنائه حاليا وفى المستقبل) . ضد باكستان . . وإيران(*) .

وبناء على كل ماسبق فإننا ننبه المسلمين ونحذرهم من نوايا الشيوعيين وأطماعهم فى بلادهم ، وعليهم أن يفتحوا عيونهم جيدا على كل ما يبنى فى تلك الدول التى تتبع أو تخضع . . أو حتى تتعاون مع الاتحاد السوفييتى ، مثل اليمن الجنوبى (عدن) ، وأفغانستان حاليا . . . وليست الحبشة بعيدة عنا ، حيث هناك نظام شيوعى واضح المعالم . . إن كل ما يبنى استراتيجيا فى هذه البلاد . . . سوف يستخدم ضد بلادنا الإسلامية من جانب الشيوعيين الملحدين الحاقدين على الاتحاد السوفييتى . . . دون تحفظ . . . أو تراجع . . . . أو مداراة .

٢٠ ـ جعل الاتحاد السوفييتى ضمن أهدافه الرئيسية أن يبنى له قاعدة عريضة . . قاعدة بشرية . . من الضباط الذين يجرى تدريبهم داخل أراضيه ، وهؤلاء الضباط يأتون عادة من دول العالم الثالث التى يفرح بعض المسئولين فيه بمنح التدريب التى يقدمها لهم الروس ، . وحينما يصل هؤلاء الضباط إلى الاتحاد

* سبق أن نبهنا إلى خطورة القاعدة الجوية العسكرية التى بناها الروس جنوب أفغانستان ، والتى لاتبعد عن الخليج العربي بأكثر من ٣٠٠ ميل وهى إلى إيران وباكستان . . أقرب .

السوفييتى تجرى لهم عمليات غسيل للمخ ، فى برامج عملية ثابتة ، روعى فيها إبراز عيوب الأنظمة السياسية فى بلادهم ، مع التركيز على محاسن الشيوعية ، ثم إنه يتم أثناء فترات التدريب هذه الكشف عن أكثر العناصر تحمسا ضد أنظمة بلادها ، وهؤلاء يجرى تدريبهم على أعمال خاصة مثل التآمر السياسى والاغتيال الخ . . ثم يجرى بذل الوعود لهم بالتأييد الكامل من جانب الروس ، كما يجرى تعريفهم بمعاوني الروس فى بلادهم من أعضاء الخلايا الشيوعية ، بل ومن أعضاء السفارة السوفييتية وملحقياتها . حتى تطمئن نفوسهم وحتى يشعروا أنهم ليسوا وحدهم فى الميدان .

إن كل ذلك يجرى على حساب التدريب العسكرى ، فتسييس الضباط أهم كثيرا عند الروس من مجرد تلقينهم العلوم العسكرية ، وفى تجربة الروس مع أفغستان رأينا كيف أن الضباط الذين دربوا فى روسيا كانوا هم الذين ساعدوا الشيوعيين على الوصول للحكم ، كما كانوا هم الذين فتحوا أبواب بلادهم ـ خيانة ـ للروس حتى احتلوها فى ظرف ساعات معدودات ، معرضين أبناء أمتهم لأقسى عمليات القتل الوحشية ولأفظع أنواع الاحتلال قاطبة .

ولعله لايفوتنا هنا أن نتوجه بالحديث لهؤلاء الضباط الذين ينخدعون بما يقوله الروس ، إنهم حين يستمعون إليهم وإلى مايقولون . . إنما يبيعون أنفسهم للشيطان نفسه . . وربما أسوا . . إن الشيطان يضل الأفراد من الناس ، أما الروس فيضلون أفراداً يجنون على أمتهم ومجتمعاتهم . والكارثة التى قد لايعيها هؤلاء الضباط وغيرهم ممن يتبعون الهوى الشيوعى ، هى أنهم لايعرفون أن الروس يستخدمونهم لتحقيق أغراضهم هم . . ضد مصالح مجتمعاتهم وأهلهم وذويهم . . . بل وضد أنفسهم ، فحينما يجد الجد ، لايثق الروس إلا بالروسى الذى هو من جنسه ، ومن هنا يجرى التخلص من هؤلاء المخدوعين . . دون رحمة . . أو تردد ، وقد رأينا ذلك فى الدرس الأفغانى الرهيب ، رأيناهم وهم يذبحون وحدات كاملة من أفراد الجيش الذى كان مواليالهم . . سواء حول قصر الرئاسة فى «كابول» ، أو حول المطار الدولى ، أو فى مركز الاتصالات الدولية . . . لقد ذبح آلاف الضباط والجنود بأيدى

(الأصدقاء) الروس . . فهل نعتبر . . ؟؟

٢١ ـ ويرتبط بالموضوع السابق موضوع قريب منه ، وهو موضوع إرسال الخبراء الروس لتدريب أبناء الدول النامية . . داخل بلادهم ، وربما قد يتصور البعض أن هذا أهون الشرين ، ولكنهم واهمون . إن هؤلاء الخبراء الروس شر خطير ووباء مستطير ، فهم أولا جواسيس لوطنهم . . الاتحاد السوفييتى ، قبل أى شيء آخر ، حيث تتاح لهم فرص معرفة أسرار الدولة التى يوجدون فيها بكل وقائعها ، وخاصة فى المجال العسكرى .

إنهم بمعرفتهم لهذه الأسرار العسكرية يعرفون كيف يستخدمون نقاط الضعف لدى هذه الدول حين يجد الجد ، ثم إنهم يعقدون صداقات مع عدد من الضباط الوطنيين الذين يجندونهم لحساب العمل مع روسيا ضد وطنهم ، ومن جهة ثالثة فإنهم لا يقدمون كل ما عندهم من علم وخبرة ومعرفة إن كان لديهم منها شيء إلى أولئك الذين أسلموا لهم قياد تدريبهم وتعليمهم(*)

وللعلم فلقد كان فى أفغانستان من هؤلاء الخبراء الروس ٣٥٠ منهم أثناء الانقلاب على الرئيس داوود ، فى شهر فبراير ١٩٧٨م وحين قتل داوود هو وأفراد أسرته وأصدقاؤه كان هؤلاء هناك . . بالإشراف والتوجيه ثم ارتفع عددهم ليصبح ألفا ، خاصة مع ازدياد المقاومة المسلحة ضد الانقلاب من جانب القبائل التى قادها المجاهدون المسلمون وبعد أن قتل عشرون من هؤلاء الخبراء الروس فى مدينة «هيرات» ضاعفت موسكو من إرسالها لهم ، وبحلول شهر يونيو ١٩٧٩م ارتفع عدد الخبراء الروس فى أفغانستان إلى ٢٠٠٠ خبير .

٢٢ ـ ينبغى أن يتنبه المسلمون عامة ، والعرب خاصة ، لما يجرى حولهم . . من تخطيط شيوعى بعيد المدى وألا تشغلهم الأحداث الصغرى بينهم عن تخطيط

---

* فى فترة حرب الاستنزاف ، على ضفتى قناة السويس ، بين مصر وإسرائيل ، كان هناك وجود مكثف للخبراء الروس فى مصر ، ولقد كتب فى الصحف المصرية ، فى أعقاب طرد هؤلاء قبيل حرب أكتوبر/ رمضان ، أن أجهزة التصنت قد التقطت محدثات بالعبرية ، بين هؤلاء الخبراء . . والصهاينة ، وطبعا لم تكن هذه المحادثات لصالح مصر . . !!!

الأعـداء الـرهيب من حولهم . فبعد أن طردت الصومال الخبراء السوفييت وأقصتهم عن أرضهـا ، بعد أن تبينت مخاطرهم ، بعد ذلك مباشرة قدرت قيادة السـوفييت فى الكـرملين والتى تضـع خريطة المنـطقة بكل تفصيلاتها السياسية والاقتصـادية والعسكـرية أمامها ، قدرت أن الحبشة بموقعها على البحر الأحمر يمكن أن تكون مهددة لشبة الجزيرة العربية كلها .

ولم يضيع المخـططون الروس الوقت ، فبسرعة تم الاتفاق مع النظام الشيوعى الحاكم هناك . . نظام مانجستو ـ وبسرعة أرسل الخبراء الروس ، مع الجنود الكوبيين والألمان الشرقيين (**لا حظوا ودققوا فى هذا التحالف الشيطانى . . بين أهل الكفر يا مسلمون ، فنحن الأحوج للتعاون والاتحاد في سبيل الخير . . ولعلنا لاننسى : ولا تفرقوا فتذهب ريحكم) ليجعلوا من نظام ما نجستو العميل قوة لا يستهان بها فى تهديـد الخليج العربى ، بل وفى تهديد الدول العربية فى افريقية . . . وأثر ذلك واضح فى إثارة القلاقل فى السودان ، وفى الاعتداءات المتكررة على الصومال .**

٢٣ ـ لعنا لم ننسى الدرس الذى تكرر أمامنا . . وعلى مقربة منا جدا . . فى اليمن الجنوبى ، فما حدث للرئيس «على سالم ربيع» كان صورة تكاد تكون طبق الأصل مما حدث للرئيس الأفغانى «داوود» ، حين أزيح من السلطة فى يونيو ١٩٧٨م . لقد تخلص الشيوعيون من «على سالم ربيع» فى انقلاب سريع .

ولقـد سارع الـروس بتـأييد الانقلاب . . بقوات طيران . . كوبية ، وبسفن حربيـة روسيـة ، ضربت قوات ربيع ، وظهر ـ لأول مرة ـ نظام شيوعى واضح صريح فى شبه الجزيرة العربية . . وعلى مقربة من حقول النفط الغنية فى الخليج ، وهو أكثر قربا من أقدس مكانين على وجه الأرض حيث بيت الله الأول ـ المسجد الحرام . . ومسجد الرسول الكريم محمد ، خاتم الأنبياء ، صلى الله عليه وسلم ، كما أن هذا النظام الشيوعى فى «عدن» قد أصبح تهديدا مباشرا لعمان التى تسيطر على مضيق هرمز الذى يشرف على المدخل الجنوبى للخليج العربى ، ولاينكر أحد خطورة روسيا الآن . . . وفى المستقبـل على الخليج العربى . بكل مايحتويه ذلك الخليج من ثروات بترولية غنية . . اللهم إلا أولئك الذين يحبون دفن رؤوسهم فى

الرمال ، والذين نرجو الله أن يفيقوا ، قبل أن تدهمهم الأحداث ، وتبغتهم قارعاته . . . والعياذ بالله .

ولاننسى هنا التسهيلات السوفييتية البحرية . . . فى المحيط الهندى ، ولقد ثبت خلال الغزو الروسى لأفغانستان أنه قد عبرت قناة السويس ، فى اتجاه الجنوب ، أربع سفن حربية ضخمة . . . ناقلة للجنود ، فى طريقها إلى «عدن» . . . **نقطة الوثوب الشيوعية الجديدة فى المنطقة** . كما أفادت الأنباء الموثوق بها بأن القائد الأعلى للقوات السوفييتية فى الشرق الأوسط قد تمركز فى «عدن» التى توسعت فيها القاعدة السوفيتية جدا ، من حيث أعداد الخبراء الروس والجنود والضباط الشيوعيين من المعسكر الشرقى ، بالإضافة إلى تجهيزها وتزويدها بأحدث الأجهزة الأليكترونية ، وبالصواريخ المضادة للطائرات وبالمدافع البعيدة المدى . . **التى يمكن أن تغلق مدخل البحر الأحمر الجنوبى عند اللزوم** ، كما أنها قد زودت بأكثر من ٣٠٠ دبابة ثقيلة تمثل تهديدا لايستهان به بالنسبة لسلطنة «عمان» . **ولعلنا لاننس هنا أن نشير إلى أنه فى الوقت الذى يتعاظم فيه الوجود السوفييتى فى الإقليم . . وحوله ، نجد أن الثورة الإيرانية قد عملت ـ للأسف الشديد ـ على تخريب القوة العسكرية الايرانية ، وكذا القوة العراقية ، مما أضعف الإقليم ـ بصفة عامة ـ أمام أى تحد كبير من خارج الإقليم** ، ولانتصور أن إيران يمكن أن تتحمل هجوما سوفييتيا كاسحا باتجاه الخليج ، فيما لو وقع ـ والعياذ بالله ـ **ولعله ينبغى تذكير الإيرانيين بأنهم أول الخاسرين فى هذه الحرب . . . آنيا . . ومستقبلا ، لو كانوا يعون أبعاد الاستراتيجيات العالمية التى تخطط على مستوى العالم كله . . وويل لهم لو كانوا لايعون** . إن قارعات الحوادث الكبرى لاتعطى الناس إنذاراً قبل وقوعها ، إنها مثل الزلازل تنقص فى لحظات ، فإذا كل شيء حطام . . وركام . . وأشلاء ، وساعتئذ لاينفع الندم ولا عض البنان . . . !!

ولعل فهم الولايات المتحدة الأمريكية ـ الآن ـ للأهداف الاستراتيجية الروسية ، فى منطقة الخليج العربى ، هو الذى جعل «الرئيس الأمريكى كارتر» ـ الذى كان رئيسا لأمريكا وقت الغزو السوفييتى لأفغانستان ، هو الذى جعله يصرح بمنتهى

الوضوح بأن موقف أمريكا ينبغى أن يكون واضحا تماماً أمام السوفييت فى «موسكو» ، بأن أية محاولة للسيطرة على إقليم الخليج سوف تنظر إليها الولايات المتحدة الأمريكية على أنها هجوم مباشر على مصالحها الحيوية Its vital interests ، وأنها لن تتردد فى استخدام كل الوسائل الممكنة للدفاع عن الإقليم . . . بما فى ذلك القوة المسلحة .

ولعلنا نتوقف هنا لنؤكد على معنى هام ، نعتقد فى خطورته ، وهو أن المسلمين ينبغى عليهم أن لا يركنوا إلى غيرهم . . فى قضية حيوية مثل هذه تمس حياتهم ومستقبل بلادهم وأبنائهم . حقيقة هناك مصالح بين الدول الكبرى ، ودوائر للتعامل والتماس . . وأخرى للاحتكاك المباشر أو غير المباشر بينهما . وقد تتفق مصالحنا مع بعض مصالح هذه الدول . . فى فترة من فترات التاريخ . . ولكنها أيضا قد تختلف .

ثم إن هناك معادلات للتغير بين هذه القوى لاينظر فيها إلينا إلا بقدر ما نمثل أمامهم على خريطة مصالحهم ، وقد نصبح نحن ـ دون وعى منا أو إرادة ـ طرفاً فى مبادلة ضمن هذه المعادلات ، وقد يضحى بنا إرضاء لطرف ، أو كسباً لموقف ، أو مبادلة لمصلحة أخرى فى منطقة من مناطق العالم الملتهبة . . فلماذا نترك أنفسنا لهذه الدوامة من الخلافات أو الاتفاقات بين هذه القوى الكبرى . . . ؟؟

وقد يسأل سائل ممن تلتبس عليهم الأمور . . وماذا نستطيع نحن أن نفعل وسط هذه الغابة من وحوش العالم الكبار والمتوسطين . . الخ ؟! وهل بقى لنا دور يمكن أن نقوم به وسط هذه المسبعة حتى فيما يختص بتقرير مصيرنا . . . . ؟ والإجابة لاتحتاج لكثير فلسفة أو إعمال فكر ـ إنها ماثلة أمام عيوننا بكل ألوانها الواضحة والمحددة ، وقد أهداها المجاهدون فى أفغانستان لكل ذى عينين . . أو حس سليم .

إن الإنسان حين يكون مؤيدا من السماء ، وحين يكون من المقاتلين فى سبيل قضية يؤمن بها ، وهو على استعداد لأن يضحى في سبيلها ، لايمكن لأية قوة على وجه الأرض أن تهزمه ، حقيقة قد تنال منه . . وقد يكون الثمن غاليا . . بل فادحاً . . . ولكن القرار الأخير فى المصير يبقى في يد هذا المجاهد الذى يبيع الدنيا ويطلب الآخرة . . بالشهادة ، وليس فى يد من يمتلك الكثير من السلاح والعتاد . .

ولقد مرت سنوات ثمان . . وبدأنا العام التاسع ، ولم تستطع روسيا . . ثانى أكبر قوة مسلحة رهيبة على وجه الأرض . . وبامتداد التاريخ أن تحسم معركة مع المجاهدين المسلمين على ذرى جبال أفغانستان ، رغم ترسانات الأسلحة الرهيبة التى أرقت معاهد الاستراتيجيات العالمية أنفسها فى حسابها وتقديرها . ولو أن المجاهد المسلم فى أفغانستان توقف للحظة ليسأل نفسه عن قدرته وقدرتهم . . . عن سلاحه وسلاحهم . . عن مصادر تمويله . . . ومصادرهم . . عن قوته وقواتهم . . . عن شهدائه . . وقتلاهم . . . عن مصير المعركة عنده . . . وعندهم . . . أقول لو أنه توقف للحظات ليسأل نفسه هذه الأسئلة . . كلها . . أو بعضها لكان الشيوعيون الروس قد قضوا عليه وهو جالس يفكر . . . ويحسب . . . . ! !

لقد حسم هذا المجاهد المسلم العظيم ، الذى أعاد للأذهان ريح صحابة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وهم يندفعون للقاء أعداء الله . . . ولايجد الواحد منهم صبرا يأكل خلاله تمرات معدودات فى يده ، فيلقيها قائلا إنها لحياة طويلة أن يقف ليأكل هذه التمرات ، ثم يندفع . . مقاتلا . . مجاهدا . . . صابرا . . . محتسبا حتى يلقى الله . . . شهيدا ، ينضم إلى مواكب النبيين والصديقين والشهداء ، حيث الجنان التى تحوى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، عند مليك مقتدر . . لقد حسم أمره . .

إن هذا الصنف من الرجال . . . لايمكن هزيمته ، بل تستحيل هزيمته . . . لأنه مؤيد من السماء ، وهيهات لمن كانت السماء تؤيده . . . أن يهزمه بشر ، ورضى الله عنهم أجمعين . . . شهداء . . . وجرحى . . . ومقاتلين . . . ومهاجرين .

سياسة المراحل الست

وقبل أن نختم هذا الفصل المتعلق بأهداف الاتحاد السوفييتى من غزو أفغانستان ، لعلنا نقرأ سويا ، ما كتبه Kamrany عن الخطوات الست التى يتبعها الروس حين يقررون ضم إحدى الدول إليهم . . . وابتلاعها فى جوفهم . . .

أخيرا . إن هذه الخطوات الست ينبغى أن نعيها جيدا نحن المسلمين . . . وأن نحاول عرض تجارب بعض بلادنا عليها ، حتى نرى أين هى من عملية الابتلاع النهائية ، فى جوف ذلك الدب الروسى الجشع . إننا إن فعلنا ذلك بوعى فلعنا نفيق لنرى أين يجرفنا التيار ، فى بعض بلادنا على الأقل ، فى اتجاه الظلام - والعياذ بالله - نحو قاع جوف ذلك الدب الرهيب(*) .

المرحلـة الأولــى :

وهى عبارة عن محاولات إقناع لايتوقف ، من جانب الاتحاد السوفييتى لدول العالم الثالث - التى نحن منها - بالوقوف معاً ضد قوى الاستعمار والامبريالية ، وهم هنا يضربون على نغمة الصراعات التى قامت بين هذه الدول الاستعمارية فى الماضى ، وكيف حاربت هذه الدول فى سبيل استقلالها ، ومن هنا فلقد استجابت بعض الدول بالفعل لهذه المحاولات ، وبدأت تستمع إلى السوفييت . . . فى براءة شديدة ، وكأنها تستمع لشعب عانى مثل معاناتها من القوى الاستعمارية ، وبدأت تقف معه فى صف واحد ضد المستعمرين ، وهذه المرحلة يطلق عليها «قمرانى» Anti-colonial Solidar-ity أى التماسك والتضامن ضد قوى الاستعمار .

المرحلة الثانية :

وهى مرحلة التغلغـل الاقتصـادى والثقافى ، حيث يبدأ الروس الشيوعيون فى تقديم عروض مغرية على شكل قروض اقتصادية ، ذات فوائد منخفضة جدا ١٪ أو ٢٪ فقط ، مع فترة سماح تجذب الكثيرين ، علاوة على آماد طويلة للسداد ، فى الـوقت الـذى لاتقـل فيه الفوائد التى تطلبها الدول الغربية على قروضها عن ٦٪ إلى ١٠٪ ، وفترات سماح أقل .

بعـد ذلك يدخل الروس إلى مشروعات الدولة الاقتصادية الكبرى ، فيقدمون

* The Six Stages In The Sovietization of Afghanistan. By Nake M.Kamrany. Econamic Institution For Research And Education. Boulder, Colorado.

عروضـاً سهلة وميسرة تجذب أنظار الدولة إليهم ، لأنها عادة تكون أقل العروض المقـدمة انخفاضا ، **ولكن بعد أن ترسى عليهم العطاءات ، وتعهد إليهم الدولة بالتنفيذ ، يبدأون فى طلب زيادات غير محسوسة فى البداية ، ثم يفرضون ما يشاءون بعد ذلك ، حيث لايمكن للدولة أن تتراجع بعد ذلك عن التعاون معهم ، لانهم يكونون قد بدأوا فى الجوانب التنفيذية لهذه المشروعات ، علاوة على أن القروض مقدمة من عندهم ، أى من روسيا ، وهنا يخجل المسئولون فى الدول النامية من الاعتراض على الزيادات المطلوبة ، وتسمى هذه المرحلة** Economic and cultural Penetration ، أى التغلغل الاقتصادى والثقافى .

ومما يذكر فى هذا المجال ، فى حالة «أفغانستان» ، أن السفير الأمريكى قد حذر الرئيس «داوود» من العروض الاقتصادية السوفييتية ، لأنها ستكون بداية التدخل السـوفييتى ومن ثم السيطرة وتشجيع بعض العنـاصر الأفغـانية على التحـول إلى الشيوعية . وبـطريقة أوبأخرى وصل التحذير الأمريكى إلى الروس . . . وعلموا بفحـواه ، فإذا خروشوف فى أول زيارة له لأفغانستان يقول للرئيس داوود . . لقد سمعت ما قيل لكم عنا . . ولكن نحن لا نريد أن يكون بينكم فى بلدكم أفغانستان أى فرد شيوعى . . ولا أى حزب شيوعى . . **وإذا وجدتم فرداً واحداً شيوعيا . . . فاشنقوه ، وأنا أؤيدكم . . . اشنقوه دون تردد . . . !!!**

والقارىء المسلم الواعى . . يعلم الأحداث التى تمت فى أفغانستان بعد ذلك ، وكيف سيطر عليها الشيوعيون وفعلوا بأهلها الأفاعيل . . ولايزالون . وضمن هذه المرحلة نجد الروس يوحون للمسئولين بمحاربة القطاع الخاص ويدفعونهم لإنشاء القـطاع العـام ، ويشـترون محاصيل البلدان النامية بأسعار مرتفعة مغرية ، حتى يتمكنوا تماما من الضحية وتقع فى حبائلهم ، ومن ثم يفرضون هم الأسعار التى تناسبهم .

المرحلـة الثالثـة :

وهى مرحلة المساعدات العسكرية والتدريب Military Aid and Training ، وفيها

يقدم الشيوعيون بعض المساعدات العسكرية المجانية ، على شكل هدايا من الشعب السوفييتى (الصديق) . . . بعض القطع العسكرية . . وشيء من الذخيرة ، تصاحبها دعايات ضخمة واسعة ، ويجرى استعراضها فى الميادين لدى الشعوب المسكينة التى يسعدها أن ترى عندها شيئا من الأسلحة المتقدمة ، خاصة إذا كانت مثل الصواريخ التى تشبع لدى الناس نوعاً معينا من الإحساس بالتقدم أو التفوق . . حتى ولو كان كاذبا . . . ! !

المشكلة أن هذه الأسلحة قد لاتكون فعالة على الإطلاق ، بل إنها قد تكون من نفايات الأسلحة الروسية ، أومن تلك التى طال عليها العهد فى مخازن الجيش السوفييتى ، ثم تقدم أسلحة بأسعار رخيصة جداً . . ومغرية ، ولكن بشرط واحد لايحيدون عنه ، وهو تدريب الضباط عليها . . فى روسيا ، قبل إحضارها ، وبطبيعة الحال تبتلع الدول الصغرى المسكينة . . الطعم ، وتقع الفريسة فى الشباك . . وقد سبق أن أشرنا فى موضع آخر من هذا الكتاب ، إلى ما يتم مع الضباط الوطنيين بعد وصولهم للتدريب فى روسيا .

ويكفى أن يعلم القارىء أنه حتى الستينيات من هذا القرن ، لم يكن هناك شيوعى واحد فى أفغانستان ، ولكن ما إن بدأت عمليات تدريب الضباط فى روسيا حتى ظهرت أعراض الشيوعية على بعضهم ، من فترات التدريب هذه ، وكانت هذه هى البداية التى أوصلت أفغانستان إلى ماهي فيه اليوم ، فلعل غيرها من دول العالم الإسلامى التى تسير في الطريق نفسه . . . لعلها تعتبر قبل أن يأتى يوم لاينفع فيه التراجع . . أو الندم .

المرحلة الرابعة :

وهى مرحلة تأسيس الحكومة الماركسية Establishment of Marxist Government ، وبطبيعة الحال يكون تأسيس هذه الحكومة على أكتاف الأفراد الذين وقع عليهم الاختيار ليقوموا بهذا العمل ، من جانب السوفييت طبعا ، من القيادات العسكرية التى دربت فى الاتحاد السوفييتى ، والذين توسم فيهم الروس أنهم طموحون ويحبون

السلطة وعلى استعداد لخيانة رؤسائهم وأوطانهم فى سبيل أن يجلسوا على مقعد الرئاسة(*) ، وفى أفغانستان وجدنا «داوود» وهو ابن عم الملك وصهره . . . هو الذى قام بالانقلاب عليه . . وتحويل البلد إلى جمهورية عام ١٩٧٣م .

وخلال مرحلة التمكين للشيوعية من مقدرات الوطن يكشف الشيوعيون (الروس) صراحة عن وجههم القبيح ، دون مداراة أو خجل ، ويبدأون فى فرض شروطهم على الدولة التى لاتستطيع رفض طلباتهم ، حتى ولو كانت على حساب السيادة الوطنية وطلب قواعد عسكرية لهم ، وإذا بدت بعض المقاومة لمطالب الروس ، خاصة من جانب أولئك الذين لايدينون بالشيوعية فإنهم يقتلونهم . . دون تردد ، ولنذكر أن ذلك هو الذى وقع للرئيس «داوود» نفسه . . حين اعترض على أساليبهم وسيطرتهم ، فكان أن دفع الثمن غاليا . . ! !

المرحلة الخامسة :

ويسميها Kamrany سفيتة البناء الاقتصادى والسياسى للدولة Socvietization of Economic and Political Strueture of the state وذلك مثل تغيير علم البلاد ونشيدها الوطنى ، ثم الكيد للجماعات الإسلاميين داخلها ، والسخرية من علماء الدين بصفة عامة ، لتقليل هيبتهم فى نظر مواطنيهم ، وكذلك العمل على إنشاء اتحادات أو نقابات للفئات المختلفة داخل الدولة بدعوى حرية العمال ودمجهم فى العمل السياسى (وللعلم فإن هذه الاتحادات أو النقابات تجرى انتخاباتها بحيث تكون العناصر الشيوعية هى المتحكمة فى تسيير أمورها وإقرار سياساتها ، ومن بعد ذلك سنرى أن أعضاءها سوف يشكلون قوى اجتماعية سياسية ضاغطة على المعارضين . . وذلك من خلال الإضرابات والتهديد بإحراق المصانع أو التوقف عن العمل . . الخ وهى وسائل قد تضغط حتى على الحاكم المسكين ذاته . . الذى يكون قد ورط نفسه وبلده باتباع هذا النموذج الشيوعى السيء . . ولايخفى أنهم يفرضون الانضمام إلى هذه المنظمات على

* لعل نموذج على صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف . . وغيرهم ، فى مصر ، يمثلون هذه الفئة تماما فى العالم الثالث .

المواطنين ، والذين يرفضون الانضمام إليها يجرى تلفيق التهم لهم بمعاداة النظام وقد يفصلون من أعمالهم . . بل قد يعتقلون ويسجنون . . ولا مانع من محاكمتهم . . . أو حتى قتلهم وحرمان ذويهم من أبسط حقوق المواطنة .

وضمن هذه المرحلة يجرى الاهتمام بالشباب بصفة خاصة . . في الجامعات والمدارس ، حيث يد خلونهم في منظمات للشباب ، ويعملون على تربيتهم تربية سياسية معينة في معسكرات خاصة ، يلقنون فيها الكثير من المفاهيم والشعارات التى لاتخدم إلا الفكر الشيوعى المنحرف ، ويضمنون لهم النجاح في دراستهم حتى ولو لم يستذكروا شيئا . . . فالمستوى العلمي لايهم ، المهم هو التحول . . الاشتراكى (!!!) ولا مانع من تدريبهم على التجسس على زملائهم وأساتذتهم بل وحتى على آبائهم ، كما يدربونهم على القيام بالمظاهرات ، وترديد الشعارات التى تؤيد الاتجاه الشيوعى ، وتهاجم الامبريالية . . . . والرجعية . . . !! ويكثر ترديد شعارات مثل «يا عمال العالم . . اتحدوا» ، «نضال الشعوب ضد الامبريالية» ، «حكم الطبقة العاملة» ، «حكم الشعب بالشعب . . الخ» .

المرحلة السادسة :

وتمثل التبعية الكاملة في النظام السوفييتى والدوران في فلكه Satellization and Integration into the Soviet System وفي هذه المرحلة تصبح الدولة الصغيرة تابعة للاتحاد السوفييتى بشكل كامل . . أو شبه كامل. فالتكامل يكون مثلما هو الحال في الجمهوريات الإسلامية الست ، السابق الحديث عنها ، والتى ألحقها الاتحاد السوفييتى بنظامه عنوة بحيث صارت جزءا من أرضه ، وفرض على شعوبها أن تلتحق بالنظام الشيوعى رغم أنفها .

أما التبعية الكاملة والدوران في فلك الاتحاد السوفييتى فتمثله دول أوروبا الشرقية والتى منها المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وألمانيا الشرقية . . الخ ، ومنها أيضا دول بعيدة عن حدود الاتحاد السوفييتى . . مثل كوبا والحبشة واليمن الجنوبى أو غيرها ، وهذه الدول جميعها تتبع روسيا تماما في سياستها الخارجية ، ولا تستطيع أن تتخذ قراراً

فيهـا لايوافق عليه أسيادهم الجـالسون خلف مقاعد الكرملين . . فى «موسكو» . والذى يريد أن يتحقق من ذلك عليه أن يتابع ـ مثلا ـ جلسات مجلس الأمن وعمليات التصويت فيه ، ليرى ما يفعله ممثلو هذه الدول التوابع ، وسوف يرى أنه لايمكن لواحدة منها أن تشذ عما يقوله مندوب روسيا هناك . .

هذه هى المراحل الست التى تمر بها حالة الدولة . . أو الدول ، التى يريد الاتحاد السوفييتى أن يستولى عليها ، وأن يلحقها بنظامه الشيوعى البغيض الذى يفرض على شعوبها فرضا . ونحن هنا نؤكد على هذا المعنى . . معنى الفرض على الشعوب . . ففى كثير من الأحيان ، إن لم يكن كلها ، تكون الشعوب مغلوبة على أمرها . . مخدوعة . . ومساقة إلى مصير لانرغب فيه ولا تبتغيه .

إن أصـل المصـائب يكمن فى قلة منحـرفـة . . تحكم شعـوبها ، وتتمكن من مقدراتها ، سواء فى الجيش أو الإعلام أو الاقتصاد أو غيرها ، ثم تفرض على شعوبها المسكينة هذه المسيرة الحمراء الدامية التى تدفع فيها الشعوب الآلاف . . بل الملايين من الضحـايـا . وحينما تريد هذه الشعوب أن تنتفض وأن تزيح عن كاهلها هذا الكـابـوس الشيوعى الـرهيب لاتـواجه إلا بالحديد والنار . . قتلا . . وتحريقا . . وتشريدا . . وحبسا . . فإما أن ترضخ وتستسلم لمصيرها المحتوم ، كما حدث فى دول أوروبـا الشرقية وخـاصـة (بـولنـدا ـ المجر ـ تشيكوسلوفاكيا) ، وإما أن تجاهد . . كما فعلت الشعوب الإسلامية فى وسط آسيا من قبل ، وكما يفعل الشعب الأفغانى العظيم الآن . . والذى إن استطاع ـ بإذن الله ـ أن يكسر شوكة السوفييت الباغين المعتدين ، لغيَّر وجه التاريخ ، وربما تسبب فى انتفاضة كبرى للشعوب الإسلامية فى داخل روسيا ، والتى قد تقلب موازين القوى فى القرن الحادى والعشرين . . دون مبالغة ، إن نجحت فى ثورة كبرى تقاتل جند الشيطان . . . وتخلص أنفسها من نيرها وعبـوديتهـا . . وما ذلك على الله بعزيز ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . وهو العزيز الحكيم .

الفصـــل التاســـع :

المجاهـــدون الأفغـــان

ونعنى بهم المجاهدين الذين يجاهدون ضد الشيوعيين ، فى هذه الغزوة السوفييتية الأخيرة ، التى بدأت منذ أكثر من ثمان سنوات ، ولانزال نعيش ملاحمها الإسلامية الرائعة . . يوميا ، فيما تأتينا به الأخبار ، وما تتناقله وكالات الأنباء .

والواقع أن الشعب الأفغانى المسلم . . العظيم ، يكاد يكون تاريخه كله جهاداً ، ضد كل قوى الشر والعدوان التى أرادت أن تحتل أرضه ، وأن تفرض عليه نوعاً من الاستعمار والخضوع ، ولكنه كسر شوكتهم . . بل وأذلهم ، وأعادهم إلى بلادهم صاغرين مهزومين ، وأعنى هنا بالتحديد . . الامبراطورية البريطانية ، التى كانت ـ حين غزت أوحاولت أن تغزو أفغانستان ـ لاتغرب عن مستعمراتها الشمس ، كما كان يقال آنذاك . ولكننا لانستطيع فى فصل واحد . . من كتاب ، أن نحيط علما بجهاد هؤلاء الرجال العظام ، ولذا سنقتصر على الإشارة . . فقط مجرد الإشارة ، الى بعض ملامح الجهاد للمسلمين فى أفغانستان خلال هذه الغزوة الروسية . . الشيوعية . . الإجرامية . .

وحتى هذا الجهاد الأفغانى العظيم ، الذى رفع رأس المسلمين عاليا فى العالم ، فى وقت نكست فيه أعلام معظمهم ، واستبيحت أراضيهم وحرماتهم ، وأصبحت معظم بلادهم فى حالة من التدنى والتأخر . . بل والذل ، تجعل الإنسان المسلم المخلص لأمته ، ، ولدينه قبلها . . ينكس الرأس حزينا متألما . .

أقول بأن هذا الجهاد الأفغانى المعاصر يستحق أن تؤلف فيه الكتب والمجلدات ، وأن يتفرغ له العلماء والباحثون ليكتبوا عن بطولة وفدائية هذا الشعب المسلم الرائع الذى أعاد للأذهان سيرة صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وسيرة التابعين وتابعى التابعين . . . أولئك الذين ملأوا الأرض . . جهاداً فى سبيل الله . . ونشرا

لدينه . . وحملا لراية الإسلام العظيم ، واندفاعاً بها . . فى كل الاتجاهات ، حتى أوصلوها إلى كل بقاع العالم المعروف آنذاك ، وأقاموا بذلك حضارة إسلامية رائعة اعترف بها العدو قبل الصديق ، وكانت حضارة غير الحضارات التى كانت سائدة فى العالم آنذاك . . فى كل شيء . . فى توجهاتها . . وقيمها . . فى معاملاتها وإنجازاتها . . فى إبداعاتها وإضافاتها .

ولو لم يكن الجهاد هناك . . ما كانت هذه الحضارة لتقوم أصلا ، فبواسطة المجاهدين المسلمين فتحت الأمصار ، وأمنت الحدود ، وتعاملت الدول والامبراطوريات مع الدين الجديد ومن يحملونه ويمثلونه معاملة الذين يخشون أولئك الذين لايعرف الخوف طريقه إلى قلوبهم ، إلا أن يكون خوفاً من الله . . الواحد القهار . .

وفى مثل هذا الجو . . . من الأمن والأمان . . . والهدوء والاستقرار ، فى ظل تطبيق الشريعة الغراء ، وإقامة حدود الله ، أنتج العلماء وأبدعوا ، فى كل مجال . . وفى كل فن وعلم ، وفى أقل من مائة سنة بزت الحضارة الإسلامية جميع الحضارات التى كانت سائدة قبلها ، بل وأصبحت بلاد المسلمين قبلة لمن يريد أن يدرس . . . وأن يستفيد ، ، وأن يتعلم ، خاصة بعد أن صارت اللغة العربية . . لغة القرآن الكريم . . وهى لغة العلم المتقدم آنذاك . . فى العلوم الإنسانية ، والعلوم التطبيقية ، حتى صار كبار القساوسة ـ فى أوروبا ـ يفخرون بأنهم يعرفون العربية(*) . .

هذا ولقد ركزت على الجهاد هنا ، وربطت بينه وبين الحضارة ، لأن الحضارة لايمكن أن تنمو وتزدهر فى مجتمع ضعيف خائف . . أو مهدد ، ولكن القوة التى تحمى الحق هى التى تمهد للحضارة أن تزدهر . . وللعلم أن ينمو ويتقدم ، ولذا فإن المسلمين حين كانوا أقوياء معتزين بالله وبدينهم . . . كانوا متقدمين . . . بل فى مقدمة المتقدمين .

---

* أرجع فى هذا لكتاب : ميسرات البحث العلمى عند المسلمين ، ضمن سلسلة من ينابيع الثقافة ، التى تصدرها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، للكاتب ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

وحين ابتعد المسلمون عن دينهم . . وتفرقوا شيعا وأحزابا ، وتركوا فريضة الجهاد ، سلطت عليهم قوى الشر والكفر والإلحاد . . فأخافتهم . . واستعمرتهم . . وأذلتهم ، مصداقا لحديث لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم «تركت فيكم ما إن تمسكتم به بعدى . . لن تضلوا أبدا . . كتاب الله وسنتى» . . .

ولن ينزع هذا الخوف من نفوس المسلمين حتى يعودوا إلى كتاب الله وسنته ، تطبيقا وتنفيذا . . لامجرد قراءة واجترار لكلمات ، وإنما إقامة لحدود الله . . وتنفيذا لتعاليمه . . . وأداء لفرائضه . . ومن بينها . . بل ، على رأسها . . الجهاد ، فهو ذروة العمل الإسلامى وقمته . . . وبغيره ليس هناك إلا الذل . . . وإلا الاستكانة والخضوع للكفار والملحدين . . والعياذ بالله .

لقد كانت صرخة امرأة مسلمة . . . واحدة . . . كافية لأن تتحرك كل قوى الدولة الإسلامية ، لتؤدب المعتدين ، ولتبين لأعداء الله أن المسلم للمسلم . . كالبنيان . . . يشد بعضه بعضا ، وأن إذلال فرد واحد من أبناء المسلمين . . لايقبله المسلمون جميعا . . بل ولايطيقونه ولا يتحملونه . . .

فكيف انقلب بنا الحال إلى أمم مشرذمة ، وجماعات مستضعفة متناحرة ، بأسها بينها شديد ، وعدوها من حولها يستذلها ويستضعفها ، وينتقص من أرضها كل يوم . . ويسوم أهلها الذل والمهانة . . ولانتحرك ؟؟ نقرأ وكأننا . . لانرى ، وتأتينا الأنباء . . وكأننا لانسمع ، وتمر أمام أعيننا الأحداث وكأننا . . . فقدنا الإحساس . . كأننا سلبنا إرادتنا وضاع منا الطريق . . بل هذا هو حالنا بالفعل . . ولا حول ولا قوة إلا بالله . . !!

رضينا بأن يتبادل من أبنائنا الآلاف . . . بآحاد الأفراد ، من أنجس أهل الأرض ، من اليهود الصهاينة ، فأصبح الفرد منهم بألف منا ، نحن الذين نزل القرآن على نبينا ، قائلاً **﴿يا أيها النبى حرِّض المؤمنين على القتال . . إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا**

بأنهم قوم لايفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين﴾ (الأنفال ٦٥ ، ٦٦) .

كان المسلم بعشرة أفراد من الكفار المشركين . . قوة فى القتال وشدة بأس ، ثم علم الله أن فى المسلمين ضعفا فخفف عنهم وأصبح المسلم الواحد بقدرته أن يغلب اثنين من أهل الكفر ، فهو ـ حتى وهو فى حالات ضعفه ـ يمكنه ـ بإذن الله ـ أن يغلب ضعف عدوه منهم . . فماذا دهانا . . إننا إذن بعيدون تماما عن هؤلاء الأجداد الأشاوس من حماة الدين ، ومن ناشرى الإسلام بين العالم . . . لماذا . . . ؟؟ لاشيء إلا لأننا تركنا الجهاد . . ورضينا بالحياة الدنيا . . فهنًا على الله . . . ثم هنًا على الناس . . ولاحول ولا قوة إلا بالله .

ولنستمع إلى معلم البشرية وهاديها إلى طريق النور والخير ، محمد بن عبدالله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول «والذى نفسى بيده لولا أن أشق على المسلمين ، ما قعدت خلاف سرية تخرج فى سبيل الله أبدا . ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة فيتبعون ولاتطيب أنفسهم فيتخلفون بعدى . . والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل «رواه أبو هريرة»(*) فهل بعد ذلك من فضل للجهاد ، ورسول الله ـ عليه أفضل الصلاة والسلام . يود لو أنه غزا فى سبيل الله فيقتل . . . ويكررها ثلاثا . . . ! !

وعن سهل بن سعد الساعدى قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : «غزوة أو روحة فى سبيل الله ، خير من الدنيا وما فيها» ، وعن أبى أمامة عن النبى ، صلى الله عليه وسلم قال «من لم يغز أو يجهز غازيا . . أو يخلف غازيا فى أهله بخير ، أصابه الله سبحانه بقارعة ، قبل يوم القيامة»(**).

---

* صحيح سنن ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألبانى ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، المجلد الثانى ، الرياض : ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م ، ص ١٢١ .

** المصدر السابق ، ص ص ١٣٢-١٣٣ .

لكـل هذا . . ولغـيره كثير ، انتفض المسلمون الأفغان ـ باركهم الله وحفظهم ونصرهم ـ كى يقـاوموا هذه الغزوة الإلحادية التى ما هدفت إلا لتحطيم الإسلام والمسلمـين . . فى بلادهم ، وفى بلاد كثـيرة من ورائهم . ولقـد أعـزهم الله . . فما ضعفوا وما استكانوا . . وما أعطوا الدنية فى دينهم ، على الرغم من الفارق الرهيب بينهم وبين أعداء الله من الشيوعيين الملحدين ، فى التمويل والتسليح ، وعلى الرغم من أنهم ليسوا دولة كبرى . . ولا حتى صغرى . . إنما هم جماعات . . فتية أمنوا بربهم . . فربط على قلوبهم . . وزادهم هدى وقـوة ، ولم يرهبـوا الطائرات النفاثة الحـربية المقـاتلة ، ولا الـطائـرات العمـودية المصفحـة أو المـدرعة ، ولا الدبابات الثقيلة ، ولا المدافع . . ولا . . ولا . . إلى آخر ما فى ترسانة الإجرام الشيوعى من سلاح . . عادى وغـير عادى . . استخـدمـه كله ضدهم ، فما ضعفـوا . . . وما استكـانـوا . . ومـا كان قولهم إلا أن قالـوا . . ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا . . وثبت أقدامنا . . . وانصرنا على القوم الكافرين﴾ . . وصدق الله العظيم . .

الغزو الروسى لأفغانستان . . . والجهاد :

منذ وضح اتجاه «داوود» نحو الاستعانة بالشيوعيين الأفغان ، وبدأ وجههم الملحد يتضـح فى الحياة العـامـة وفى المؤسسات الأفغانية التى أشرفوا عليها ، وخاصة فى الريف ، بدأ بعض العلماء الواعين يخشون هذا الاتجاه ، وبدأوا يحذرون منه الأمة فى خطب الجمعة ، بل ، وفى داخل الجامعة فى «كابول» ذاتها .

وعلى الرغم من أن هناك بعض الكتّاب الذين يقولون بأن «داوود» نفسه لم يكن شيوعيا ، لأنه من الأسرة المالكة ، ولكنه قضى على سلطة ابن عمه وصهره ، «الملك ظاهر شاه» ، إلا أن ذلك لايعفيه من المسئولية التاريخية الخطيرة ، حيث كان هو الذى استعان بالشيوعيين الذين سبقت الإشارة إليهم ، حيث مكنهم من مقدرات الوطن وأتـاح لهم فرصـة كانـوا يحلمـون بها ويترقبـونها ، وقـد أتاحها لهم . . غافلاً عن نواياهم . . أو لاهياً عنها . . أو مقللا من مخاطرها ، وتصور أنه سوف يستعملهم كيف شاء لتحقيق أغراضه ، ثم يتخلص منهم حينما يشاء .

ولم يكن يدرى أنهم هم الذين كانوا يستعملونه واجهة لهم ولنشاطاتهم المختلفة ، وأنهم وقد مكّن لهم من أقدار «أفغانستان» أصبحوا أقوى منه هو على الرغم من كرسى الرئاسة الذى كان يجلس عليه ، والقصر الذى كان يحتمى خلف جدرانه ، فعندما حانت الساعة التى رتبوا لها انقضوا عليه . . فقتلوه شر قتلة هو وأفراد أسرته وأصدقاؤه ، **وكشفوا عن وجههم الشيوعى الصريح والقبيح .**

فى هذه الفترة المبكرة . . في بدايات السبيعنات ، كان هناك بعض المجاهدين الأفغـان ، من ذوى النظر البعيد ، والذين رأوا الخطر القادم والمختفى خلف السحب ، فنادوا بالجهاد المسلح ضد نظام «داوود» فور قيامه بالانقلاب ضد «الملك ظاهر شاه» وهؤلاء المجاهدون الذين قاموا بالجهاد المسلح المبكر كانوا ينتمون إلى «الحزب الإسلامى» الذى يرأسه المهندس «غلب الدين حكمتيار» ، هذا الحزب الذى تأسس عام ١٩٧٣م بعد انقلاب «داوود» مباشرة . وكان مؤسسه «غلب الدين» ، كما يقول د . البار ، لايزال ـ آنذاك ـ طالبا فى كلية الهندسة . وقد تميز هذا الحزب بالصلابة والشدة ، وكان أول الأحزاب الإسلامية مناداة بالجهاد المسلح . . ويقدر عدد أعضائه بستين ألف وأغلبهم من قبائل البشتو . . بينما يقول د . عبد الله عزام أن عدد أعضائه مائة وعشرون ألفا(*) .

وبعد أن قتل «داوود» واستولى الشيوعيون العملاء على الحكم فى «كابول» ، وأعلنوا عن وجههم الشيوعى القبيح صراحة ، انتفضت باقى فصائل الجهاد الإسلامى ، وقد أحست بالخطر ، ووجدت أن الوطن كله معرض للخطر أكثر ، خاصة حينما فتح هؤلاء الشيوعيون الحدود أمام قوات الغزو الروسى ، ومن هنا فلقد أعلنت جميعها الجهاد ضد الروس الدخلاء والشيوعيين الأفغان على السواء .

ولقد التقى أعضاء الجماعات الإسلامية الجهادية فى أفغانستان على أمر أساسى ، لاخلاف عليه ، وهو الجهاد ضد الشيوعية والإلحاد ، وعدم إلقاء السلاح حتى يطهروا أرض بلادهم الإسلامية من رجس الشيوعية والشيوعيين ، وهؤلاء المجاهدون

---

* محمد على البار : أفغانستان من الفتح الإسلامى إلى الغزو الروسى ، مرجع سابق .

الـذين يقدرون بمئات الألوف من رجال القبائل الأفغانية الأشداء ، الذين هزموا الإمـبراطـورية البريطانية شر هزيمة ـ ينضوون تحت عدد من الأحزاب والرئاسات الإسلامية هى :ـ

١ ـ الحزب الإسلامى ، برئاسة المهندس غلب الدين حكمتيار .
٢ ـ الحزب الإسلامى ، بقيادة الشيخ محمد يونس خالص .
٣ ـ الجماعة الإسلامية برئاسة البروفيسور برهان الدين ربانى .
٤ ـ حركـة الانقـلاب الإسلامـى ويرأسهـا مولـوى محمـد نبـى ، أحـد علمـاء أفغـانستان ومن رجال الدين المعروفين ، ولقد انسحب محمد نبى من الاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان ، ولكن بقى مكانه نصر الله منصور ، ورفيع الله مؤذن .
٥ ـ الجبهة القومية لإنقاذ أفغانستان ، وكان يرأسها البروفسور صبغة الله مجددى ، ويرأسها حاليا الشيخ مير محمد ، الذى هو رئيس لجنة الإفتاء فى الاتحاد .
٦ ـ الاتحـاد الإسـلامى لتحـرير أفغـانستـان ويرأسـه بروفيسور عبد رب الرسول سياف ، وهـو خريج كلية الشريعـة . . وقـد اختير رئيساً للاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان .

ومن كل هذه الجماعات والأحزاب الأفغانية تألف «**الاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان**» وذلك لمجابهة الخطر الروس الشيوعى الزاحف ، وهذا الاتحاد يتألف من مجلس للشورى يتكون من سبعين عضوا ، ومن قيادة للاتحاد تتألف من رئيس ونائب للرئيس ومجموعة من اللجان السياسية والعسكرية والثقافية ، وقد وضع دستور مؤقت للاتحاد ، وتتميز بنود هذا الدستور كلها بالطابع الإسلامى الخالص ، وكما يقول «البار» يحدد الدستور أهداف الجهاد بما يلى :ـ

«إن هدف الجهاد الأفغانى هو إعلاء كلمة الله ، وإقامة حكم الله ، فى أرض الله تعالى ، كما ورد فى الحديث النبوى «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله» وجاء فى المادة الثانية . . من الدستور هدف التنظيم هو إعلاء كلمة الله . . وتحرير أفغانستان من سيطرة الكفر والشيوعية ، وإقامة نظام إسلامى كامل وشامل فى

أفغانستان ، والوقوف ضد كل أنواع الفتنة والفساد ، وضد إقامة التنظيمات غير الإسلامية .

ويكتب «طاهر أمين» من معهد دراسات السياسة بإسلام أباد - باكستان ، عن الجهـاد الأفغاني باعتباره المخرج الوحيد لأفغانستان من تحت نير الاستعمار السوفييتي ، حيث أن الروس الشيوعيين لاينفع معهم إلا هذا الأسلوب . . المواجهة الحاسمة . . بحيث يقتل منهم ويجرح ، حتى يشعروا بالخسائر البشرية بالذات بين صفوفهم ، وإلا فإنهم ماهـرون في المراوغة والخداع ، لو لجأت الشعوب الصغيرة لخداع المفاوضات(*) .

ويرجع هذا الكاتب بداية العمل الجهادي في أفغانستان إلى أكثر من ثلاثين عاما ، حين يكتب عن جذور الجهاد الأفغاني الحديث على أنه بدأ بداية نظرية فقط ، وكان قاصرا على بعض الأساتذة والمثقفين ، منذ عام ١٩٥٥م حين بدأ يتضح أن هناك تأثيرا روسيا أخذ يجد طريقه في البلد الإسلامي أفغانستان .

ولقد كانت النواة الأولى للحركة الإسلامية التي تكونت هناك مؤسسة على أكتاف عدد من القيادات الإسلامية ، بشكل واضح عام ١٩٥٧م ، وكان من بين هؤلاء العلماء : بروفيسور غلام نيازي ، بروفيسور عبد رب الرسول سياف ، د . سعيد موسى توانا ، بروفيسور برهان الدين رباني .

ومن الواضح أن هذه المجموعة من قيادات الجهاد المبكر كانت محدودة التأثير - آنذاك - بسبب أن نشاطها كان محصوراً فقط في الكلام والمناقشات النظرية ، ويقول المؤلف أن بعض هذه القيادات قد تأثرت بعمق بحركة «الإخوان المسلمين» في مصر ، وبالجماعة الإسلامية في باكستان .

ولقد اتخذت أولى الخطوات الجدية لتنظيم الجهاد ، بتكوين منظمة الشباب المسلم Muslim Youth تلك التي أوجدها «عبد الرحيم نيازي» عام ١٩٦٨م ، حين كان

---

* Tahir Amin: Afghanistan Grisis: Implicatains & Options For Muslim World, Iran & Pakistan. Institute of Policy Studies, Islamabad, 1982

طالبا فى «جامعة كابول» . وكان من بين اعضائها المهمين «المهندس حبيب الرحمن» ، «المهندس سيف الدين» مولوى ، (العالم) «حبيب الرحمن ، د . «محمد عمر» ، و «المهندس غلب الدين حكمتيار» ، «غلام ربَّانى» . وبجانب هذه المنظمة العديد من الجماعات أو المجموعات الإسلامية ، على المستوى المحلى ، وبدأت تمارس أنشطتها المختلفة .

ومن الملاحظ أن هذه المجموعات الإسلامية بدأ يزداد نشاطها ، وتتضح أهدافها ، مع ازدياد النفوذ الشيوعى داخل أفغانستان ، من جانب بعض الشباب الأفغانى المنحرف . وحينما بدأ تأثير الشيوعيين يتضح بشكل كبير ، خاصة فى العاصمة «كابول» ازداد نشاط هؤلاء الشباب الإسلاميين بالمثل وأكثر ، لدرجة أنه لما أجريت الانتخابات لاتحاد طلاب «جامعة كابول» جاء ثلثا الاعضاء لهذا الاتحاد من الشباب الإسلامى .

ويقول الكاتب أن السفير السوفييتى فى «أفغانستان» قد أصابته نتيجة هذه الانتخابات بالدهشة ، وأن تعبيره المباشر والمفاجىء كان فى عبارة ذات مغزى ، لقد قال «إنى أرى مستقبل هذه البلاد فى أيدى الإخوان» . . !! وما كانت هذه العبارة لتذهب هكذا أدراج الرياح ، إذ أنها نبهت الأذهان . . . أذهان الروس . . فى «موسكو» والشيوعيين المحليين . . فى أفغانستان . ولم يكن عجيبا بعد ذلك أن مارس «داوود» ضد الإسلاميين جانبا كبيرا من الضغط ، بل إنه بدأ ضدهم حرباً مباشرة ، لدرجة أنه خلال فترة حكمه التى امتدت ما بين ١٩٧٣م . قتل من أعضاء القيادات الإسلامية ـ حسب بعض التقديرات ٦٠٠ شخص . . !!

ويتبنى المؤلف فكرة أنه من الخطأ الاعتقاد بأن الجهاد الإسلامى فى أفغانستان لم يبدأ إلا مع الانقلاب الرسمى الشيوعى ، ضد «داوود» فى عام ١٩٧٨م ، ثم اشتد صريحا مع الغزو الروسى واجتياح القوات العسكرية الروسية لحدود أفغانستان ، وإنما بدأ الجهاد الإسلامى قبل ذلك ، وكان له جذوره الممتدة التى ترجع لأكثر من عشرين عاما ، قبل هذا التاريخ ، أى قبل ١٩٧٨م ، وكان متمثلا فى الفكر الإسلامى والجهاد بالكلمة . . فى مواجهة المذهبية الشيوعية التى كانت قد

بدأت تنتشر فى البلاد . وكان الهدف من الحركة الإسلامية المبكرة العودة بالمجتمع الأفغانى إلى جذوره الإسلامية العريقة ، وتنظيم أمور الحياة فيه على أساس الشريعة الغراء .

وفى الفترة من ١٩٦٨م (حين أسست منظمة الشباب المسلم) وحتى ١٩٧٨م (حين جاء الانقلاب الشيوعى) نمت الحركة الإسلامية واتسعت نشاطاتها بشكل لافت للنظر ، بينما كان الاتجاه الشيوعى ينمو أيضا ويقوى . . معتمدا على حكومة «داوود» وعلى التأييد الروسى بطبيعة الحال ، ولقد بدأت الحركة تقاوم فى الاتجاهين . . اتجاه الحكم الفاسد فى حكومة «داوود» واتجاه الشيوعيين المؤيدين من «موسكو» .

ولقد لاحظ عدد من مراسلى الغرب الذين نزلوا إلى ميدان الحرب فى أفغانستان ، وشاهدوا على الطبيعة قوة المجاهدين وتأثيرهم على المجتمع الأفغانى ، لاحظوا أن هؤلاء المجاهدين ـ بصفة عامة ـ لايقومون بواجب جهاد الكفار الشيوعيين فحسب ، وإنما هم يمارسون نوعا منظما من الحكم . . داخل المناطق المحررة التى يسيطرون عليها ، وأنهم يمتلكون مهارات إدارية عالية ، لدرجة أن المواطنين خصوصا فى المناطق الريفية ، يثقون فى إدارتهم . . ولدرجة ـ أيضا ـ أنهم يدفعون لهم «عشر» إنتاج أراضيهم الزراعية ، فى الوقت الذى لايدفعون فيه شيئا للنظام الحاكم فى «كابول»(*) . . !!

ويدلل الكاتب على صدق ما يقول من واقع بعض الإحصاءات ، فهو يقول بأن البعض يتشكك فى الأنباء التى تقول بأن المجاهدين يسيطرون على معظم أفغانستان ، رغم وجود أكثر من ١١٥ ألف جندى وضابط سوفييتى ، مدججين بأحدث ما فى الترسانة السوفيتية من سلاح وعتاد وذخيرة ، بالإضافة لعملائهم فى «كابول» . ومن هنا فهو يورد إحصائية ذات دلالة رصدها أحد الصحافيين الهنود المتعاطفين مع السوفييت ، تقول هذه الإحصائية أنه من بين ١٨٦ مقاطعة فى أفغانستان ، يسيطر المجاهدون على ٩٠ مقاطعة ، بينما لايسيطر الروس إلا على

* المرجع السابق ، ص ٩٨

٤٨ مقاطعة فقط ، أما المقاطعات الباقية وهى ٤٨ فيتعاقب عليها المجاهدون والروس ، فالمجاهدون يحكمونها ليلا ، بينما تبدو سيطرة الروس عليها نهارا . . ! !

ويمضى ذلك الصحفى الهندى ـ المشايع للسوفييت ـ قائلا إن الروس بدأوا يشعرون بمقاومة المجاهدين الأفغان باعتبارها شوكة مؤلمة فى جنبهم ، وأن البندقة التى تصوروا أنها يمكن تتفتت بمجرد ضغطهم عليها قد حطمت لهم بعض أسنانهم وضروسهم ، ثم يقول بأن الروس قد فقدوا ٣٥,٠٠٠ ضحية ما بين ٨٠٠٠ قتيل ، والباقى جرحى ، كما أن الجيش الأفغانى الرسمى قد هبط عدده من ١٠٠ ألف جندى وضابط . . إلى نحو ٣٠ ألف فقط .

كذلك أورد هذا الصحفى تقريرا لبعثة روسية طبية ، تجولت فى المناطق الآمنة بالنسبة للروس ، وأنها أحصت . . من خلال رؤيا العين ٣٠٠ دبابة روسية محطمة ومحترقة ، ولكن ما رأوه رأى العين يقولون بأنه لايمثل الحقيقة ، لأنهم لم يستطيعوا مشاهدة كل المناطق فى أفغانستان ، خاصة تلك المناطق التى يسيطر عليها المجاهدون ، وهم بناء على بعض الحسابات يعتقدون بأن الروس قد فقدوا على الأقل ألف دبابة بأطقمها كاملة .

ولقد رصدت هذه البعثة الطبية الروسية تحركات للمجاهدين ، على بعد اثنى عشر ميلا . فقط . . من «كابول» ، حيث كانوا يتحركون بحرية تامة ، ويسيطرون على ما حولهم ، كذلك أوردت إحدى الصحف فى مدينة «راوالبندى» خبرا مؤداه أن الروس قد تقدموا بطلب للصليب الأحمر الدولى ، كى يمكنهم من الإفراج عن أسراهم الذين قبض عليهم المجاهدون خلال بعض معاركهم الناجحة ، وأن اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدولى فى «جنيف» كانت تبحث فى كيفية توصيل رجائهم للمجاهدين .

أما مايثير الخيال حقا ، فيما لو صدق ، فهو أن هناك بعض التقارير التى تقول بأن عمليات الهروب من الجيش الروسى ، من جانب بعض الجنود المسلمين الذين ينتمون إلى أقاليم وسط آسيا ، بدأت تثير قلق قادة الروس نظرا لتكرر حدوثها ، حتى إن الروس قد سحبوا الجنود المسلمين من جيشهم العامل فى أفغانستان ، وهو

ما أذاعوه على العالم باعتباره انسحابا جزئيا من أفغانستان . . دون أن يشيروا ـ بطبيعة الحال ـ عن الأزمة الحقيقية التى يواجهونها هناك .

ولقد تحدث عدد من قادة المجاهدين الأفغان للمؤلف ـ طاهر أمين ـ بخصوص بعض الاتصالات التى تمت بينهم وبين بعض الجنود المسلمين من القوات الروسية الشيوعية ، والذين ينتمون إلى مسلمى وسط آسيا ، وكيف أنهم عرضوا عليهم أية مساعدات ممكنة يمكنهم أن يقدموها ، هذا بخلاف من هربوا فعلا من الجيش الروسى ، ولم يضيع المجاهدون الأفغان فرصة الاتصال بإخوانهم المسلمين فى وسط آسيا ، حيث أنشأوا بعض محطات الإذاعة المحلية التى أخذت تبث رسائلها إليهم .

وإذا أخذنا كلام المؤلف ، بخصوص الأرقام والإحصاءات ، باعتباره كلاما موثوقا به . . ولو إلى حد ما ، فينبغى علينا أن نأخذ فى اعتبارنا عامل الزمن ، فالكتاب الذى نحن بصدده طبع عام ١٩٨٢م ، أى أنه لم يكن قد مضى على الغزو الشيوعى السوفييتى لأفغانستان إلا عامان فقط . ومن هنا فإنه يمكننا أن نقول بأمانة واطمئنان ، ودون خوف من الوقوع فى محاذير المبالغة أن الروس قد فقدوا عشرات الآلاف من الجنود والضباط على أرض أفغانستان المجاهدة ، ونحن هنا نتحدث عن القتلى فقط . . لا عن الجرحى ، الذين ربما يكونون قد تعدوا هذا الرقم بكثير .

ويذكر الكاتب أنه قد شاهد أحد البرامج التليفزيونية ، والتى عرضتها واحدة من الشبكات الرئيسية فى الولايات المتحدة الأمريكية الـ A B C وقد سجلتها بعثة تليفزيونية أمريكية . . داخل الاتحاد السوفييتى ، حيث شوهدت كثير من النساء الروسيات وقد خرجن إلى الشوارع يطالبن بعودة أزواجهن من أفغانستان ، بينما كان بعضهن يصرخن لأنهن لايعلمن شيئا عن مصير أزواجهن ، كما تحدث مراسلو المحطة السابقة الذكر عن الطائرات الروسية التى تحط فى المطارات السوفييتية ما بين حين وآخر . . وهى لاتحمل إلا نعوشا لضباط وجنود سوفييت ، قتلوا على أرض أفغانستان(*) المجاهدة .

---

* كان ذلك عقب عودتى من رحلتى إلى الحدود الأفغانية ، خلال صيف ١٩٨٦م . «المؤلف» .

والذين يعرفون طبيعة الحكم السوفييتى ، وطبيعة سيطرة الحكومة الروسية على كل شيء خلف الستار الحديدى ، خاصة فيما يختص بالإعلام الذى يسمح بأن يشاهد عنهم فى الخارج ، يعرفون تماما أن الروس ، لم يسمحوا إلا بالنذر اليسير من الحقيقة التى قد لا تمثل إلا نسبة ضئيلة جدا مما يقع عندهم . . أو لهم ، ولكنهم - فى حقيقة الأمر - اضطروا للاعتراف بسقوط بعض الضحايا والخسائر ، بعد أن تحدثت كل وكالات الأنباء الغربية المعروفة عما شاهده أفرادها على الطبيعة من قتال ضار بين الروس والمجاهدين ، ومن هنا وجدوا أن الأنكار لايفيد وأنهم لابد أن يقدموا بعض الحقائق ، خاصة وأن طول الحرب بينهم وبين المجاهدين لهذه السنوات . . دليل حى وصارخ على أن الجيش الروسى . . بكل ما يمثله . . . لم يستطع أن يحسم الأمر مع المجاهدين الذين قالوا عنهم ذات يوم . . فقط يذوب الجليد . . وسوف نسحق لحومهم وندق عظامهم ، وكذبت نبوءتهم وارتد كيدهم إلى نحورهم ، ولم يستطيعوا تنفيذ ما هددوا به وتوعدوا . حقيقة دفع المجاهدون خاصة والشعب الأفغانى عامة ، ثمنا باهظا جدا على شكل أكثر من مليون شهيد ، وربما أكثر من ذلك جرحى ومشوهين ، وقرابة خمسة ملايين لاجىء تركوا بيوتهم وأراضيهم وأعمالهم ، ولكن ذلك كله ثمن النصر المرتقب إن شاء الله . **﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾** . . ؟؟ (آل عمران/١٤٢) .

ومما ينبغى ذكره هنا عن المجاهدين ، هو أنهم بمرور الأيام والشهور والسنين ، قد أصبحوا أكثر خبرة ودراية بفنون القتال الحديث ضد قوات تفوقهم عددا وعدة ، وتمتلك من الوسائل الشيء الكثير ، بل المهول ، كما أن هذه القوات السوفيتية تستخدم ضدهم أحدث أساليب القتال المعروفة ، والتى دربوا قواتهم عليها لسنوات طويلة ، أما قوات المجاهدين فكانت - بداية - تقاتل بطرق بدائية تقليدية ، ولذا كانت خسائرهم عالية .

ولكن بمرور الوقت - كما سبق القول - بدأوا يعرفون متى يندفعون فى القتال ، ومتى يحبسون نيرانهم ويختبئون فى كهوف الجبال ، بينما طائرات الميج ٢١ ، ٢٣ تنقض على معاقلهم بأطنان من الذخائر والمتفجرات لا آخر لها ، وما إن تنتهى غارات

الطيران ويتصور الروس أنهم دكوا معاقل المجاهدين وقضوا عليهم تماما ، حتى تتقدم دبـاباتهم ومصفحاتهم ومنجزراتهم ومدرعاتهم . . ولاتكاد تقترب من معاقل هؤلاء المسلمـين الموحدين ، حتى تنطلق بعض القذائف الدقيقة ، والتى توجه عادة إلى الدبابات الأولى المتقدمة فى الطابور المهاجم . . . وكذا على دبابات المؤخرة .

وما إن تصاب دبابة واحدة أو دبابتان حتى يقع الصيد الكبير كله فى المصيدة ، وما إن تنطلق صيحات «الله أكبر» من الرجال المؤمنين المجاهدين ، حتى يقفز من هذه الجـدر أو الحصـون . . من كانـوا فيهـا . . رافعى الأيـدى . . منكسي الرؤوس . . مذهولين . . مستسلمين ، سواء كانوا روسا كافرين ، أو من قوات الجيش الأفغانى العميل المخدوعين ، وكم فر من هؤلاء الأخيرين أناس والتجأوا إلى صفوف المجاهدين ، يقاتلون معهم معركة الحق المبين . . ويغنم المجاهدون الكثير من السلاح والعتاد . . . ويقاتلون من جديد أهل الكفر الملحدين(*) .

وقبل أن ننتهى من هذا الفصل الخاص بالجهاد الأفغانى ، ضد الحقد الشيوعى على الإسلام والمسلمين المتمثل فى هذه الهجمة الشيوعية الحاقدة ، شوف نورد بعض ما قال به كتاب لا صلة لهم بالإسلام ولا بالمسلمين ، فلن ننقل عن مجلة الجهاد التى تصدر عن المجاهدين أنفسهم ، بل ولن ننقل عن أى كاتب مسلم كتب يشيد بالجهاد الأفغانى ، فكتبهم معروفة لنا نحن المسلمين ، وهى قليلة للأسف الشديد فى هذا الميدان ، ولكنا سوف ننقل عن بعض الكتاب الغربيين الذين شدهم جهاد الأفغان ومثّل لهم قيمة عليا افتقدوها فى هذا الزمن فراحوا فى بلادهم ـ فى الغرب ـ يكتبون وينشرون ، ويحـدثـون قومهم بما رأوا . . وبـما أذهلهم ، وهؤلاء شهـادتهم غير مجروحـة ، حيث لا يمكن أن يتهموا بالتحيز أو التعصب ، ثم إن الفضـل ـ فى النهاية ـ ما شهدت به الأعداء .

* لمن أراد المزيد حول موضوع الجهاد فليرجع إلى بعض الكتب التى فصلت فى هذا . . ومنها : آيات الرحمن فى جهاد الأفغان ، للدكتور عبد الله عزام . وهو مجموعة خبرات مباشرة لمجاهد ، عاش بين المجاهدين ، وأيضا أيام مع المجاهدين الأفغان ، للكاتب عبدالله الرفاعى ، وهو زيارات صحفي لبعض مواقع المجاهدين ، القصة الدامية للغزو السوفيتى لأفغانستان للصحفى عصام دراز ، الكتاب عبارة عن تقرير عسكرى شامل من أرض المعركة .

ولنقــرأ لــ Doris Lessing * فى الكتـاب الـذى صـدر مـن عـام واحـد فقط، فى ١٩٨٧م ، لقـد ضـرب الـروس بطائـراتهـم ودبـابـاتهـم ومـدفعيتهم كل شيء في أفغـانستان . . من الأرض ذاتها . . إلى نظم الرى ، من الحدائق العامرة . . إلى الجنان الرائعة ، فحولوا كل ذلك إلى خرائب وأنقاض . . وأطلال وصحارى قاحلة تنعى من كانوا فيها ، ومن كانوا يعيشون آمنين فى وطنهم فروعوهم وأفزعوهم ، فتركوا بيوتهم وفـزعـوا هاربين . . وقضوا ما بين قتيل . . أوجريح . . أولاجىء فى غير أرضـه . . مسكين . . هؤلاء هم الروس الشيوعيون الذين يدعون بأنهم نصيرو حركات التحرر فى العالم . . . !!

ورغم قوتهم وجـبروتهم إلا أن الأفغـان المجـاهـدين لم يتركـوهـم هكذا يفعلون ما يشـاؤون بل مرغـوا سمعتهم العسكرية فى الوحل ، وأذاقوهـم من الكأس ذاتها جرعـات ستـظل عالقة بهم تحكى خيبة الجيش الروسى الكبير الذى غرق فى كل ما فعله فى أفغانستان ، ففى العام الماضى ، حينما أراد الروس أن يحتفلوا بيوم أول مايـو (١٩٨٦م) ، وهـو يوم عيـد العـمال - كما يقولون - قرر المجاهدون الأفغان مشـاركتهم الاحتفـال . . ولكن على طريقتهم الخاصة . . لقد اصطادوا للروس كتيبتـين كاملتـين . . خارج العـاصمـة كابول مباشرة ، وأذاقوا أفرادهما الويل ، واستولوا على ذخائرهم وعتادهم وأسلحتهم ، ثم أشعلوا النار فيما تركوا من معدات ثقيلة لم يستـطع المجاهدون حملها معهم . . أما أولئك الذين نفدوا بجلودهم من هجـوم المجـاهـدين فقـد وصلوا إلى معسكـراتهم وهم فى حالة يرثى لها . . رعبا وفزعا . . . مما قلب احتفال زملائهم إلى جو محزن كئيب خيم على الجميع .

ويقارن أحد الكتاب الغربيين جهاد الأفغان بغيرهم من الشعوب ، ويخرج من مقارنته بأنهم متفرِّدون يتميزون على غيرهم من الشعوب التى قاتلت من أجل حريتها عبر التاريخ ، يقول الكاتب Gerard Cheliand أنه فى كل البلاد التى قاتلت من أجل

* Doris Lessing : The Wind Blows AwayOur Words & Other Doccuments Related to the Afghan Resistance, Pan Books, LTO, London 1987.

حريتها . . كان على الرواد الأوائل من المقاتلين أن يبذلوا جهدا كبيرا فى إقناع وضم جماعات من أبناء وطنهم إلى حركتهم . . كى يقاتلوا الأعداء معهم .

هكـذا كان الحـال ـ يقـول الكـاتب ـ فى كل من الجـزائـر وفيتنام وكوبا وغينيا بيساو . . . الخ ولكن المثل الأفغانى يقف فريدا بين حركات التحرر كلها فى العالم ، لقد هب الشعب الأفغانى بكل أفراده . . دون استثناء . . بكل طوائفه . . . دون تفرقة . . . وذلك لمواجهة ذلك المد الشيوعى الخطير . . إن هؤلاء الأفغان الأفذاذ لم يقتدوا بأية حركات تحررية فدائية ، ولكنهم اتبعوا المثل الإسلامى الوحيد للباسماتش(*) والكاتب الغربى لايعرف طبعا أنهم جميعا أحفاد صحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأن المسلم ينبغى أن يكون هكذا . . لايقبل الضيم ولو دفع حياته **ثمنا لذلك** .

أما الكاتب Anthony Arnold الذى سبقـت الإشارة إلى اسمه عدة مرات فى هذا الكتاب ، فيرجح الفضل الحقيقى لأهله الحقيقيين فعلا . . للأفغان ، وذلك حين يكتب قائلا ـ عن بلده ـ **إن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تكون لها بعض الحسنات فى جعلها الاتحاد السوفييتى فى موقف حرج ، حين تفرض عليه أن يدفع ـ من قوتـه وسمعتـه ـ أكثـر مما توقع نتيجة لغزوه أفغانستان . . ولكن . . الفضل الأكبر . . . حقيقة . . يعود لمجاهدى الأفغان أنفسهم ، فيما يجرى للروس هناك .**

إن كراهيـة هؤلاء النـاس الأفغـان ـ للسيطرة الخارجية ، ورغبتهم الأكيدة فى القتـال ، وتضحيتهم بكل شيء . . . ظاهرة جديدة بالنسبة للجيش السوفييتى ، وذلك على عكس شعوب أوروبا التى هزمت من قوى كبرى فخنعت وخضعت ، أمـا الأفغـان فإنهم يعطون الروس درساً لن ينسوه فى حياتهم ، ولو أنهم كانوا قد ضعفوا واستكانوا للغزو الروس لكانوا قد أصبحوا الآن تاريخاً مضى وانتهى . . ولما كان أحد قد تذكرهم ـ الآن ، تماما مثل المجر وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ، إننا فى

---

* Gerard Cheliand: Report From Afghanistan, Translated by Tomar Joodly.

The Viking Press, N. Y. 1980

حقيقـة الأمـر لانكاد نرى نهاية لمتاعب الروس الشيوعيين فى أفغانستان ، وذلك عكس جميع التوقعات وضد كل قواعد الحساب المعروفة . . !!

ويمضى الكاتب قائلا إنه حتى فى الغرب كانت التقديرات بأن الروس سوف يسحقون المقاومة الأفغانية بعد دخولهم أفغانستان مباشرة فى نهاية العام ١٩٧٩م ، ومطلع العام ١٩٨٠م ، وفقط سوف ينتظرون ذوبان الجليد . . بضعة شهور ، ثم ينقضون على هؤلاء الأفراد المجانين الذين يحسبون أنفسهم قادرين على مجرد مناوشة الجيش الروسى الرهيب الذى أرسل إليهم خمس فرق كاملة السلاح والعتاد ، تزيد عن مائة ألف جندى وضابط .

وفشلت كل التوقعات . . . شرقية وغربية . . ومضى الجهاد . . . ورغم كثرة الخسائر ، وفداحة الثمن ، مضى المجاهدون لايلوون على شيء وكلما مضى الوقت كلما ازدادوا إصراراً على تحقيق النصر .

ويحذر الرجل ـ بحصافة ـ من الروس ، فهو يقول بأنه ينبغى ألا نخدع أنفسنا ، فالروس ليست لديهم نية للانسحاب ، ليس لأنهم لا يأبهون بالخسائر التى توقع بهم وبقواتهم كل يوم ، ولكن لأن قادتهم متأكدون أن ثمن الانسحاب يعتبر قاسيا جدا عليهم ، إذ أنه ، فيما لوا اتخذ قراره ، فلسوف يكون أكثر فداحة من ضريبة الدم التى يدفعونها الآن على أرض أفغانستان . إنهم سوف يدفعون ثمنا رهيبا من أرواح جنودهم وضباطهم فى مرحلة الانسحاب . . وهذا معروف عند العسكريين .

أما الثمن الأخطر فهو فقدان الهيبة الروسية . . تماما ، فهذه السمعة الكبيرة التى كان يحظى بها الجيش الروسى عند دخوله أفغانستان ، قد بدأت تتآكل شيئا فشيئا ، مع كل يوم تطلع شمسه ، ولايستطيع هذا الجيش الروسى الضخم أن يوقف هجمات المجاهدين الأفغان . هذا من جانب . ومن جانب آخر فإن خطورة هذا الإنسحاب تتمثـل فى أن التجـربـة الأفغـانية قد تنتقـل بعض مظاهرها المسلحة إلى الشعوب الإسـلامية التى احتلهـا الـروس فى وسط آسيا ، بالإضـافة إلى الشعوب الأوربية الشرقية ، التى تفرض عليها روسيا هيمنتها وسيطرتها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

وضمن هذا المجال الاستراتيجي أيضا ، يخشى الروس أن يؤدى انسحابهم من أفغانستان بهذا الشكل المهين . . . أى تحت ضغط المجاهدين الأفغان . . إلى زلزلة الأرض تحت أقدام أنصارهم وعملائهم ، فى بعض البلاد الإفريقية والأسيوية ، خاصة وأن هؤلاء العملاء ليست لهم قواعد شعبية عريضة تؤيدهم ، وإنما هم جاءوا فى حركات عسكرية مفاجئة أخذت بلادهم على غرة ، بينما تئن الشعوب من حكمهم ، وتترقب اليوم الذى تنقض فيه عليهم . . كى تثأر منهم ، وكى تخلص بلادها من حكمهم العميل التابع لموسكو .

وعلى الرغم من قلة الكتابات العربية عن أفغانستان ، إلا أن الغرب يرسل الكثير من رجاله ، وحتى نسائه للدراسة والاستطلاعات الصحفية المصورة ، خلف خطوط الروس ، وهؤلاء يعيشون بين المجاهدين . . يرصدون حركاتهم ، ويسجلون نشاطاتهم ، ثم يعرضونها على مجتمعاتهم . . أفلاماً حية عن معارك واقعية ، رأيت بعضها على شاشة التليفزيون الأمريكى ، مذاعة من بعض المحطات الرئيسية للتلفزيون . . هناك .

نمط من البطولات الإسلامية :

من بين الذين شدوا الانتباه إليهم ، فى ساحة الجهاد الأفغانى ، بخلاف الأسماء المشهورة التى نعرفها جميعا ، ظهر اسم الشاب المجاهد «أحمد شاه مسعود» وتأتى شهرته من كثرة الخسائر التى ألحقها بالقوات الروسية ، لدرجة أنه يعتبر الاسم الذى يثير الرعب ، ليس فقط بين جنودهم ، ولكن بين كبار ضباطهم ، حتى إنهم يطلبون رأسه بأى ثمن . . ويضعون . . لذلك مكافآت كبيرة .

ويقول أحد الذين زاروا أفغانستان وعاشوا فيها فترات ، خلف خطوط الروس ، وهو نيجيل رايان Nigel Ryan (*) . . . يقول إن «أحمد شاه مسعود» هذا يسبب لقادة الروس الكثير من القلق والصداع ، وقد اتخذوا قراراً على أعلى المستويات بالتخلص منه ، بأى ثمن ، ولكنهم لن يتمكنوا من ذلك ، فالرجل لايبيت فى مكان واحد لأكثر

* Nigel Ryadh:AHitch or Two in Afghanistan - Ajourney Behind Russian Lines. Weidenfld & Nicolsen,London,1983.

من ليلتين ، وحتى حينها يبيت فى هذا المكان أو ذلك لا يعلم ذلك إلا أقرب المقربين إليه والذين يثق فيهم . . كما يثق فى نفسه تماما ، كما أنه لايقف فى مكان أكثر من ساعة ، ولايعلن عن تحركاته مسبقا ، وإذا فعل غيَّرها ، وهم يعتبرونه أخطر فرد نجح فى تخطيطه ضدهم ، وبتعبير المؤلف The most succesful military leader in the field against the Red Army . أى أنه أخطر شخصية قيادية عسكرية فى الميدان . . ضد الجيش الأحمر . وهو يسيطر على ٨٠,٠٠٠ من المجاهدين الأفغان ، والذين يساندهم ظهير بشرى كبير يصل إلى نحو ٣/٥ مليون نسمة فى منطقة باتشير .

ورغم جهود البوليس السرى الأفغانى (خاد Khad) وعملائه ، ورغم كل الكمائن التى حاولوا نصبها له ، إلا أنه كان ينجو منها ، ويوقع هو بهم وبقواتهم . والروس لاينسون له عملية مرَّغت سمعتهم وكرامتهم فى الوحل ، فلقد أسر عدداً من ضباطهم ، وكان من بينهم ضابط عظيم حرص قادة السوفييت على افتدائه بأى ثمن ، إنقاذاً للسمعة العسكرية الروسية .

وأرسلوا من يتفاوض مع الشاب المجاهد المسلم ، «احمد شاه مسعود» وكان الرجل مسلما كيِّسا فطنا . . . كما ينبغى أن يكون عليه المسلم دائما ، خاصة مع أعداء الإسلام ، ولقد شك فى أن يكون الروس قد رتَّبوا شيئا من الخداع أثناء المفاوضات بالتحديد ، فنبه على رجاله بأن يكونوا متيقظين جدا ، وأن يضعوا أسراهم فى مكان بعيد لاتصل إليه أيدى الكفار الشيوعيين .

وبالفعل . . وفى أثناء المفاوضات هبطت بعض طائرات الهليوكبتر الروسية وبها مجموعات من الكوماندوز الروسى ، ورآهم المجاهدون وتيقنوا من عملية الخداع التى حذرهم منها قائدهم «أحمد شاه مسعود» وكان أول شيء فعلوه هو أن أفرغوا رصاص مدافعهم الرشاشة فى الرهائن فقضوا عليهم جميعا . . بما فيهم ذلك القائد الروسى الذى حرص الكرملين على استعادته ، ثم استداروا يواجهون المهاجمين فكبدوهم خسائر فادحة فى أرواحهم ، وانسحب الباقون مجللين بالهزيمة والعار ، بعد أن أضاف «أحمد شاه مسعود» المجاهد المسلم ومن معه نصرا جديدة لقائمة

انتصـارات المجـاهدين ، على أهل الكفر ، وفشل تخطيط الروس وعملائهم ، فى البوليس السرى الأفغانى الذين لم ينفعهم التدريب الذى تلقوه على أيدى المخابرات الألمانية الشرقية . . والروسية .

ولقـد تحدث «أحمـد شاه مسعود» للمؤلف السابق الذكر ، وأرجع الفضل فى الانتصارات التى حصل عليها ، ليس لتكتيكاته التى يتبعها ، ولا لإدارته الرائعة للمعـارك ، ولكن ـ كما قال ـ لأنهم على الحق ، وأن الله سبحانه وتعالى يقف إلى جوارهم ، لأنهم يدافعون عن دينه .



الفصل العاشر :

تقرير من على الحدود(*)

مقدمة

منذ أن اجتاحت القوات الروسية الشيوعية بلاد أفغانستان الإسلامية ، فى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، والشعب الأفغانى المسلم يعانى من هذا العدوان المسلح الغاشم الذى اجتاح أراضيه بدباباته ومدافعه وطائراته ، مستخدماً كل أنواع الأسلحة البشعة والفتاكة . . . المعروفة لنا وغير المعروفة ، المحرمة دوليا . . وغيرها ، كما يعانى المسلمون الأفغان من آثار أخرى جانبية ، نتجت عن الهجرة ، وترك بيوتهم ومزارعهم ، وكل ما يملكون خلفهم ، فهم يعانون من ضيق المخيمات التى يقيمون فيها ، ومن سوء الظروف التى يعيشون فيها .

ويكفى المرء - فى هذا المجال - أن يشير إلى أبسط متطلبات الحياة - من مأكل ومشرب، فطعامهم لايتعدى الدقيق والزيت . . وبكميات لاتكفى كبيرا أو صغيرا . . وإذا كان الكبير قد بنى جسمه فيما مضى من عمره ، فكارثة الشعب الأفغانى أن جيل الأطفال الحالى سوف ينشأ ضعيفا . . هزيلا ، ما لم تتداركه العناية الإلهية . كذلك فإن شرب المياه يمثل مشكلة كبرى لكثير من معسكرات الأفغان ، وذلك لأن المياه ، فى كثير من الأحيان ، تكون بعيدة من سطح الأرض ، وهم بذلك يحتاجون للحفر عشرات الأقدام حتى يصلوا إليها .

---

* هذا تقرير كتبه المؤلف ، بعد زيارة ميدانية ، قام بها فى صيف ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، بتكليف من معالى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركى ، وذلك لدراسة أوضاع التعليم ومشاكله واحتياجاته ، لدى أبناء المجاهدين والمهاجرين الأفغان . كجزء من اهتمام المملكة العربية السعودية بالعمل على مواجهة مشكلات الشعب الأفغانى المسلم والشقيق .

ولاينبغى أن ننسى الظروف الصحية السيئة التى يعيش فيها مئات الألوف من إخواننا الأفغان ، أولئك الذين أرغموا على ترك ديارهم وراءهم ، وعبروا الجبال جنوبا وشرقا إلى باكستان ، فوق سفوح الجبال ، فى مناطق تشتد فيها الحرارة صيفا ، لتصل إلى خمسين درجة مئوية ، مع نسبة عالية من الرطوبة ، مما يجعل الجو لايطاق ، ومما يتسبب أيضا فى كثير من الأمراض الفتاكة .

لقد قال لى أحد الإخوة الأطباء المسئولين من وكالة للإغاثة هنا (رئيس الوكالة الإسلامية للإغاثة) أنه يوجد فى المنطقة المحيطة بمدينة بيشاور وحدها ثلاثمائة مخيم ، وأنه كان يموت فى كل معسكر عشر أطفال يوميا فى المعدل . . !!! خلال شهور الصيف من شدة الحرارة ، ولضعف التوعية الصحية بين النساء .

ورغم كل هذه الظروف القاسية والمعاكسة ، بالنسبة للشعب الأفغانى المسلم ، إلا أن أفراده لم يستسلموا ولم ينهزموا وإنما أخذوا فى مقاومة هذه الهجمة الاستعمارية البشعة ، تلك الهجمة التى تستهدف دينهم الإسلامى . . قبل أى شيء آخر ، بحيث تجتث هذا المجتمع من رقعة العالم الإسلامى ، وبحيث تهضم المسلمين المؤمنين ، وتضمهم إلى مجتمع الكفر والفساد والإلحاد ، كما تضم أراضيهم بطبيعة الحال الى أراضى الاتحاد السوفييتى ، تلك التى تتوسع على حساب أراضى المسلمين . . ولعلنا هنا لم ننسى ما وقع للمسلمين فى أواسط آسيا ، منذ نهايات القرن الماضى ، وبدايات القرن الحاضر .

هذا وإنه لم يحدث فى تاريخ الشعوب أن وقف شعب أعزل ، يقاوم دولة باغية قوية عاتية ، بهذا الشكل الذى يشهده العالم الآن . . فى حالة مسلمى أفغانستان اللهم إلا حين هب مسلمو الجزائر يقاومون محاولات فرنسا المستعمرة ضمهم إليها ، والقضاء على لغة القرآن الكريم ، وبالتالى محو شخصية الشعب الجزائرى المسلم كله ، ذلك الشعب الذى لم يستسلم . . وقاوم مجاهدا . . . ودفع من دماء شهدائه الكثير . . الكثير . . حتى بلغ هؤلاء الشهداء أكثر من مليون شهيد ، وانتصر الحق ، وزالت دولة البغى والعدوان من فوق التراب الجزائرى المسلم .

ولكن ليكن فى أذهاننا أن الشعب الأفغانى المسلم يقاوم دولة أعتى بكثير من فرنسا ، وأنه قد دفع - حتى الآن - ما يزيد المليون شهيد بالفعل ، وأنه لايزال يدفع . . كل يوم . . بل كل ساعة ولحظة ، **فهو** يقاوم القوة الكبرى الثانية على وجه الأرض ، بكل ما تملك من أسلحة بشعة للدمار والتخريب .

وإذا كانت الجزائر قد تلقت - فى جهادها - الكثير من المعونات العسكرية من شقيقاتها العربيات المسلمات ، عبر الحدود الواسعة . . حينا ، وعبر شواطئها على البحر المتوسطة أحيانا أخرى ، إلا أن الشعب الأفغانى المسلم - فى الواقع - يعانى قلة الحدود المفتوحة أمامه ، إذ ليس لديه إلا جبهة واحدة مفتوحة فى الجنوب والشرق ، وهى جبهته مع الشعب المسلم شقيقه - فى الباكستان . وهذا مما يزيد الأمر صعوبة وقسوة ، وكثيرا ما تعرضت هذه الحدود للهجمات البربرية ، على شكل غارات للطيران ، سواء كان ذلك من سلاح الجو السوفييتى ذاته ، أومن طائرات الحكم العميل فى كابول .

ولو أن الأمر اقتصر على الصراع بين الإخوة الأفغان المجاهدين من جهة ، وبين السوفييت الملحدين . . من جهة أخرى ، لهان الأمر ، على الرغم من الفارق الرهيب بين القوتين ، فنحن أمام شعب مسلم . . أعزل إلا من الإيمان بالله ، سبحانة وتعالى ، وبرسوله الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، وبالجهاد فى سبيل الله ، ولايصل عدده إلى عشرين مليون نسمة ، وذلك فى مقابل قوة طاغية باغية ضخمة ، يزيد عددها على مائتين وخمسين مليونا من البشر ، وهى بعد مسلحة بكل أسلحة الفتك والدمار والتخريب .

أقول لو أن الأمر اقتصر على الحرب والصراع بين هذين الطرفين فقط ، إذن لكانت الضربات الموجعة التى يكيلها المجاهدون الأبطال لقوى الشر والعدوان كافية كى تشعر أفراد الشعب السوفييتى بالألم ، وبعدم الفائدة أو الجدوى من مواصلة الحرب ، ولكن المصيبة الجديدة فى ميدان القتال هى فى تكاتف العديد من الدول الكافرة الأعضاء فى حلف «وارسو» وغيره ، ضد الشعب الأفغانى ، وهذا لم يحدث بالنسبة لمجاهدى الجزائر ، علاوة على أن الشعب الجزائرى كان فى مجمله مع الجهاد

ضد الفرنسيين ، ولم تقم من بين أبنائه قلة منحرفة على شكل حكومة عميلة لها جيش مؤيد من المعتدين الخارجيين ضد أبناء وطنها المجاهدين ، كما هو الحال بالنسبة للأفغان .

لقد جاءت بعض التقارير ، من داخل أفغانستان ، لتقول بأن المجاهدين قد وجدوا بين من قتلوهم . . أو أسروهم أفراداً من غير السوفييت . . من بولندا أو المجر ، ومن تشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية ، بل ومن الهند وكوبا وأنجولا . . إلى حيث الكثير من العملاء ، وقد تكوّن الكارثة أخطر الكارثة أخطر . . إذا ثبت بالفعل ما تناولته بعض الأخبار من اشتراك بعض الشيوعيين . . . من البلاد العربية . . . فى حرب الأفغان المسلمين . . . ! !

ونتيجة للاجتياح السوفييتى الكاسح والغاشم لبلاد الأفغان الإسلامية ، ونتيجة لعمليات القصف المجرم ، ضد قرى الأفغان وتجمعاتهم . . بلا رحمة ولا هوادة ، قتل مئات الآلاف ، حتى فاقوا المليون شهيد ، واضطر أضعاف هذا الرقم للهروب بأطفالهم ، وكانت غالبيتهم من الشيوخ . . كبار السن ، ومن النساء ، هربوا جميعا عبر الحدود الوحيدة التى كانت مفتوحة أمامهم . . . حدود الباكستان (هربت نسبة أقل بكثير من ذلك إلى إيران) ، وتكون هناك مجتمع جديد . . من مخيمات المهاجرين المسلمين . . . وما أكثرهم على خريطة العالم . . ! !

وبسبب كثرة أعداد المهجَّرين التى وصلت إلى مناطق الهجرة (تقول بعض الإحصاءات أنهم يفوقون الأربعة ملايين) ، فإن الإغاثة والخدمات التى تقدم لهم لاتكاد تكفيهم ، سواء فى مطعم أو مشرب . . أو إيواء بحيث أن صحة أفراد هذا المجتمع المسكين أصبحت مهددة بالأمراض من كل الأنواع .

ويكفى أن يشار هنا . . فى عجالة خاطفة . . إلى أن بعض الزيارات الميدانية قد أثبتت حقيقة خطيرة ، لولا أن الكاتب سمعها من المهاجرين أنفسهم ما صدقها ، فلقد قال مدرس أفغانى ـ فى إحدى مدارس الأحزاب ـ أن مجتمعهم الصغير ، الذى يتكون من ٨٠٠ مهاجر فقط ، يدفعون شهريا مبلغ ستة آلاف وثلاثمائة روبية (٦٣٠٠) روبية) باكستانية . . . ثمنا لقطعة الأرض البسيطة التى يعيشون عليها .

ولما سألناه عن كيفية دفعها . . . ولمن . . ولماذا . . ؟؟ قال من خلال المترجم الباكستاني إنهم يدفعونها لأن المعسكر الأصلى الذى منحته لهم الحكومة الباكستانية ، لم يستوعبهم ، وذلك لكثرة ما فيه من الناس ، ومن هنا فلقد استأجروا هذه القطعة من الإقليم . أما كيف يدفعون هذا المبلغ الهائل والضخم ـ بالنسبة لهم ـ فقد اتفقوا مع أصحاب الأرض على أن يعطوهم ثلاثة وستين كيسا من الدقيق ، تلك الأكياس التى يتلقونها معونة لأكلهم من وكالات الغوث ـ غوث اللاجئين ـ فهم إذن يقتسمون مايتلقونه من غذاء على قلته . . ليدفعوه ثمنا لسكناهم . . !!!

وعلى الرغم من تدخل عدد من الوكالات الأجنبية ، التابعة للأمم المتحدة . . وغيرها ، وكذا بعض الوكالات الإسلامية (يوجد فى منطقة بيشاور إحدى وثلاثون وكالة للغوث . . . من بينها خمس وكالات إسلامية فقط(*)) ، إلا أن جهود هذه الوكالات يعيقه ويصعِّب من عمله كثرة أعداد المهاجرين ، واستمرار تدفقهم ـ بشدة ـ عبر الحدود . . . (تقول بعض الإحصاءات بتوافد قرابة العشرة آلاف مهاجر إلى هنا . . كل شهر) . . وصعوبة حالات الآلاف منهم ، كما أن المعونات المرصودة لهم ، أو التى تجمع من أهل الخير . . . لاتكفى لهذا السيل من المهاجرين .

وإذا كانت قضية غزو أفغانستان من جانب الشيوعيين الروس ، واحتلال أراضيها بقوة السلاح ، قد أثارت عددا بسيطا من الدول ، إلا أنه لم يصل إلى بؤرة الاهتمام العالمى .. . بحيث يصبح قضية ساخنة يعمل المجتمع الدولى على إيجاد حل عاجل سريع لها .

إن هذا الوضع ـ فى حد ذاته ـ فى منتهى الخطورة ، وينبغى على المسلمين أن يتنبهوا إليه ، والإشارة دوما إلى خطورته ، وذلك لأن السماح بمؤامرة الصمت هذه على قضية الشعب الأفغانى المسلم ، معناه أن المسألة أصبحت . . مسألة وقت فقط وقت يهضم خلاله الاتحاد السوفييتى ، الشعب المجاهد فى أفغانستان ، ضحية جديدة . . . يهضمها فى جوفه . . . تماما كما فعل قبل ذلك مع ضحايا إسلامية

* ربما تكون هذه الأعداد قد تغيرت الآن . . . وقت طباعة الكتاب . «المؤلف» .

أخرى (تلك التى فرض عليها أن تكون جمهوريات روسية . . داخل حدود الاتحاد السوفييتى) . . ثم . . . ثم يستعد الدب الروس مستديرا ناحية فريسة أخرى .

إنه يقترب هذه المرة . . من الخليج العربى . . حيث المياه الدافئة ، حلم الروس القـديم . . حلم القياصرة ، وحيث أغنى منـابع البترول فى العالم ، حلم الروس الشيوعيين . . فى عصرنا الذى نعيش فيه .

وطالما أن الأمر لايكلف الروس سوى الرد ببضع كلمات على منبر الأمم المتحدة ، فى نيويورك ، ذلك المنبر الذى جربه العرب والمسلمون ، كثيرا ، والذى لدغوا منه فى مقتل . . . فى موضوع قضية فلسطين ، طالما أن الأمر كذلك فإن المسلمين لا ينبغى عليهم أن يلدغـوا منـه مرة ثانية . . . عمـلا بحديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ويتحتم عليهم أن يبحثوا عن حل آخر ، حل يستنقذوا به أفغانستان من بين براثن ذلـك الدب السوفييتى الشرس ، ومن بين أسنانه ، **وليس أمامهم من حل سوى أن يمـدوا المجـاهـدين الأفغـان . . بالسـلاح . . وبـالمؤن . . وبكـل ما يحتاجونه ، حتى يقلموا أظافر ذلك الدب . . ويحطموا له أسنانه . . وما ذلك على الله ببعيد ، فيما لوا اعتمدوا على الله سبحانه وتعالى ، ثم من بعد ذلك على قوتهم الذاتية وها هم أبطال الأفغان . . . لم يرهبوا ذلك الدب الروسى المتوحش ، إذ أنهم ينازلونه كل يوم . . ويسيلون دمه غزيرا ، وما على المسلمين إلا أن يكونوا حصنا لهم وردءا من خلفهم ومددا ودعما لا ينقطع . . ولا يتوقف بإذن الله .**

وتبقى نقـطة أخيرة فى هذا المجال ، ينبغى على المسلمين أن يعوها تماما ، وأن يتنبهوا لها جيدا ، ألا وهى لعبة التوازنات الدولية إنهم يجب عليهم ألا يتركوا أنفسهم للخـدر يجرى فى أوصـالهم وعروقهم ، على أساس أن القوى الكبرى الأخرى فى العـالم ، وأقصـد بها . . القوة الأولى ، ، الولايات المتحدة الأمريكية ، سوف لن تسمح للاتحاد السوفييتى بأن يستمر فى احتلاله لأفغانستان ، وإذا سمحت له بذلـك لسبب أو لآخر فسوف لن تسمح له بعد ذلك بتخطى حدودها . . ومن ثم الاعتداء على غيرهـا . . . إن هذا وهم خطير . . ينبغى أن تفيق منـه الأمـة الإسلامية . . وفـوراً . . إن أفغانستان لاتعنى أمريكا . . . ولا أوروبا كذلك . . شيئا . . على

الإطـلاق . . !! كما أن بلاد المسلمين كلها . . فى شرق . . وفى غرب . . مطمع لهؤلاء جميعا . .

إن الحروب الصليبية فى الواقع ـ لم تنته بيننا وبينهم ـ حتى وإن اختفى الصليب من أعلامهم . !! إننا ينبغى علينا أن نفهم جيدا أنه لو أن أفغانستان كانت تعنى أمريكا حقا ، لكانت قد فعلت مع الاتحاد السوفييتى مافعلت حين وضعت روسيه أقـدامهـا فى جزيرة كوبا عام ١٩٦٢م ، (لقد فرضت على كوبا حصاراً محكما من البحر ، وهددت بضرب أية سفينة روسية تحاول أن تكسر ذلك الحصار ، بل إنها وضعت قواعدها الذرية وغيرها ، تلك المنتشرة فى جميع أنحاء العالم ، وضعتها فى حالة استنفار قصوى وأستعداد للقتال ، مما جعل الروس يتأكدون أن الأمريكيين جادون فى تهديدهم بالضرب ، فخضعوا فوراً . . . ونزلوا على إرادة القوة الكبرى الأولى فى العـالم . . وقـاموا بتفكيك صواريخهم التى كانوا قد ركبوها هناك . . . وسحبـوهـا إلى بلادهم . . متخـاذلين . . خانعين) ولو أن أفغانستان كانت تعنى أمريكا ـ مرة ثانية ـ إذن لكانت قد فعلت مع روسيا ما فعلته ، من بضع سنوات فقط فى جزيـرة جريـنادا (عام ١٩٨٥م) حين اجتاحتها القوات الأمريكية الخاصة ، فى سرعـة الـبرق ، وقضت على الشيوعيين فيها ، وكان من بينهم الكثير من الروس وقعوا ما بين قتيل وجريح وأسير . . !! .

إن أمريكا لاتنسى أن الاتحاد السوفييتى قد أمد الفيتناميين بدعم عسكرى كبير ، ومعه الصين آنذاك ، لدرجة أنهم مكَّنوا الجنود الفيتناميين من إصابة جنود أمريكا فى مقتـل ، بحيث لم يكن أمام حكومتهم إلا قرار الانسحاب المهين . . من فيتنام ، خاصـة بعـد أن صرخ الشعب الأمـريكى . . فى الشـوارع والمصـانـع . . والجـامعـات . . . مطالبا بالانسحاب ، وبعد أن اصطدم البوليس الأمريكى . . بالـطلبة الأمريكيين ، وقتل بعضهم . . لأول مرة . . !! ألا يمكن للمسلمين أن يكـونـوا للأفـغـان . . كما كان الـروس والصينيـون . . الشيـوعيـون . . للفيتناميين . . ؟؟ ألا يمكن أن يقف المسلمون . . خلف المجاهدين . . كما وقف الأمريكيون ضد الشيوعيين فى كل من كوبا . . وجرينادا . . ؟؟

وبعيدا عن الأمثلة . . من غير واقعنا . . ألا يمكن للمسلمين أن يفيقوا . . مرة واحدة فى تاريخهم الحديث . . . ؟؟ ألا يمكن أن يفيقوا وأن يتذكروا أن أجدادهم المسلمين كانت تحركهم وتوقظهم صرخة امرأة مسلمة . . واحدة . . فتتحرك جيوشهم (بأمر من خليفتهم . . ولاتعود هذه الجيوش حتى تؤدب المعتدين ، وترد الشرف السليب ، وحتى تثبت للجميع ـ باتساع العالم ـ أن المسلمين يد على من سواهم . . وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان . . يشد بعضه بعضا . .) . . ؟؟

هل يتصور المسلمون أن الروس الشيوعيين . . الملحدين ، أناس طيبون . . . يعاملون أخواتنا الأفغانيات بأدب . . . ؟؟ وأنهم لن يمسوهن بسوء . . . ؟؟ إن المسلمين ، إن لم يفيقوا اليوم ـ والعياذ بالله ـ فسوف يصبحون والروس يضربون فى كل ركن من أركان بلادهم . . . وسوف يسمعون صراخ نسائهم وأطفالهم . . . ولن يكون هناك مغيث . . حيث لامعتصم بالله . . بينهم . . !!

وعسى الله ـ جلت قدرته ألا يتركهم حتى يصلوا إلى هذا المصير التعس ، والأمل معقود اليوم ـ إن شاء الله ـ على صحوة إسلامية حقيقية ، تبين للمسلمين وضعهم بين دول العالم ، وتزيل الغشاوة عن أعينهم ، بحيث يعلمون علم اليقين أنه لن ينصلح حالهم إلا بشرط واحد . . تنفيذه واجب لا مناص منه ، ألا وهو الالتفاف ـ من جديد ـ حول راية الإسلام ، والعودة إلى كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ وسنة رسوله محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، وساعتها . . فقط ، سوف ينزع الخالق ـ جلت قدرته ـ الرعب من قلوبهم ، ويحل محل ذلك الرعب والخوف والهلع . . قوة الإيمان واليقين . . بحيث لايخشون أحداً . . . إلا الله . . ويومئذ يتنزل النصر من السماء . . على عباد الله المؤمنين . . . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . . وهو العزيز الحكيم . .



الفصـــل الحـــادى عشـــر :

كارثـة التربيـــة الأفغـانيـــة

واستخدام لفظ «كارثة» هنا ، ليس فيه أدنى صيغة من صيغ المبالغة أو التزيد ، إذ يكفى أن تنتزع إرادة المجتمع . . . أى مجتمع . . فى تربية أبنائه ، من بين يديه ، وأن تحل محل هذه الإرادة . . إرادة . . أو إرادات أخرى ، تفرض ثقافاتها ولغاتها وقيمهـا وعـاداتها ، وربما ـ والعياذ بالله ـ تفرض دينها ، على أبناء ذلك المجتمع ، أولئك الأبناء الذين يمثلون مستقبله ، ومن هنا تختفى شخصية ذلك المجتمع وهويته Identity وتمسخ قيمه الأصيلة ، وعاداته الطيبة . . النابعة من الإسلام . . وسماحته وبساطته ، كما هى حال المجتمع الأفغانى المسلم ، وتحل محلها قيم مرذولة وعادات قبيحة مستوردة ، ويختفى الإيمان بالله ـ والعياذ بالله ـ ليحل محله الكفر والإلحاد . . القادم من الشمال . . من بلاد السوفييت الشيوعيين الملحدين الذين لايعرفون دينا . .

وإذا كان السوفييت الغزاة المجرمون قد قتلوا مئات الألوف ، من أبناء الشعب الأفغانى المسلم ، وشردوا الملايين من بيوتهم ومزارعهم ، ومدنهم وقراهم ، إلا أنهم لم يكتفوا بذلك ، وإنما لجأوا إلى وسيلة خبيثة ، بل هى فى غاية الخبث والإجرام .

لقد دأبوا على جمع الآلاف من أطفال الشعب الأفغانى ، وترحيلهم إلى داخل بلادهم . . . أى بلاد الســوفييت ، كى ينشّئوهم . . هنـاك . . على مذهبيتهم الفـاسـدة ، وعلى إلحادهم وكفرهم . وبمرور السنين سوف ينسى هؤلاء الأطفال أصـولهم وجذورهم ، ومن ثم يصبحون ـ والعياذ بالله ـ حرباً على أهلهم وذويهم ، وذلك حين يعودون إلى وطنهم المبتلى . . أفغانستان . .

هذا فيما يختص بأطفال الأفغان . . فى داخل أفغانستان ذاتها ، أما أولئك الأطفال

المساكين الذين استطاعوا أن يعبروا الحدود إلى داخل الباكستان ، فقد تلقفتهم جماعات المبشرين (المنصرين) ومنظماتهم ، وذلك تحت شعارات خادعة وبراقة لخدمة الإنسانية ، وللتخفيف من معاناتهم ، ومداواة جروحهم ، وبدأت تقدم لهم الغذاء والدواء والملابس ، كما بدأت تقدم لهم بعض المواد التعليمية ، وتهتم بأمر تعليمهم . . . مستبقة بذلك جهود المسلمين ، الذين لم ينتبهوا لأمر تعليم أبناء الأفغان إلا مؤخرا جدا . .

ومع تقديم الغذاء والدواء . . . والملابس ، بدأت تلك المنظمات التنصيرية الغربية فى تقديم الأفكار والقيم ، فهو السم ـ إذن ـ مدسوس فى العسل ، ومقدم فى لحظات حاجة وفقر ومعاناة ومسغبة ، بحيث يصبح رفضه صعبا . . وربما مستحيلا على الضحايا المساكين . . !!

والذى يتابع نشاط المنظمات الأجنبية هنا ـ أى بين مخيمات اللاجئين ـ بعين فاحصة واعية ، يلحظ أن هناك تنسيقا معينا بينها ، وأن هناك خيوطا من التنظيم والتعاون تجرى بين برامجها ، فليس هناك منظمة منها أو مؤسسة يتعارض عملها مع منظمة أو مؤسسة أخرى ، كما أن خططهم لاتتصادم . . بل تتكامل وتتعاون . .

إن بعض دول غرب أوروبا ، وخاصة ركنها الشمالى القصى (السويد والدانيمارك) تعمل منظماتها فى مجال التعليم الابتدائى ومشكلاته ، خاصة داخل أفغانستان ، بينما تتلقف منظمات الولايات المتحدة الأمريكية الطلاب الأفغان فى مرحلة التعليم الثانوى ، ثم نجد أن ألمانيا الغربية قد وطدت نفسها فى إنشاء مركز متقدم للتدريب المهنى ، وكذا فعلت مثلها منظمة العمل الدولية المتمركزة فى إيطاليا ، وكل هؤلاء مدعومون بالمعونات من دولهم . . . ومن فرنسا وهولندا . . وغيرهما . .

إنه إذن تقسيم للنفوذ :

ولكن من نوع جديد . . !! لقد كان تقسيم النفوذ ، بين الدول الاستعمارية الكبرى فى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، يتم على الأرض . . وحول الحدود السياسية ، بكل ما يعنيه ذلك من مصادر طبيعية تشتمل عليها هذه الأرض .

أما الآن فإن الوضع الجديد عبارة عن عملية تقسيم للنفوذ . . تتم داخل . . . . عقول أبناء المجتمع الأفغانى الجريح .

وهـذه العملية البشعـة ، التى تنتهـز فرصـة كارثـة الشعب الأفغانى ، بسبب الاجتياح السـوفييتى المجرم لأراضيه ، كى تفرض على أبنائه دينها . . ومعتقداتها الفاسدة ، وكل هذه العلميات . . . أو معظمها . . تتم من الخارج ، أى أنه منظم لها من عواصم أوروبية ، لها سابق خبرة . . . وواسع تجربة ، فى عمليات التنصير (التبشير) ، تلـك الجهود التى استهدفت ـ ولازالت تستهدف ـ الكثير من المجتمعات الإسلامية ولاينبغى أن يغيب عن بالنا أن حالة الحرب التى يعيشها أفراد المجتمع الأفغانى المسلم ، قد نتجت عنها حالات كثيرة جدا من الإصابات القاسية .

إن ذلك لم يغب ـ بطبيعة الحال ـ عن أجهزة ومؤسسات الغرب . . . بل إنه كان ضمن أولويات اهتماماتها . . . فجاء أطباؤها . . . وممرضاتها . . بلا إبطاء يسعون ، **وقدموا العلاج . . . والدواء . . والغذاء . . ومع كل ذلك قدَّموا الأفكار والمعتقدات .**

وليس صدفـة أن التقيت بطبيب غربى يعمـل فى علاج أهـل إحـدى القـرى الباكستانية ، قرب مدينة «لاهور» بينها طفلاه (ولد في سن السادسة عشرة ، وبنت فى الحـاديـة عشرة) يعمـلان على إفهام السكان الطيبين . . المساكين ، أن الشفاء والنـظافـة أصلهـا الكتـاب المقـدس . . . الإنجيـل . . الـذى يقـدمانه (هدية) للسكان . . !! هكذا قـص علىّ الطفلان قصتهما ، فى صالة المطار ، بعد أن تركهما والدهما ليسافرا إلى عمهما الذى كان يعمل (أو يخرب . . بمعنى أصح) ، فى مدينة أخرى . . من بلاد المسلمين . . !!

هذا جانب من جوانب كارثة التربية الأفغانية ، وأعنى به جانب سقوط الكثيرين من أبناء المجتمع الأفغانى المسلم ، داخل «مفرمة» التبشير أو التضليل ، بعد أن سقط الكثيرون منهم تحت عجلات المصفحات وجنازير الدبابات الروسية .

أما الجانب الثانى ، من جوانب كارثة التربية الأفغانية ، فهو أن الجيل الحالى ،

من أبناء شعب أفغانستان الذين يتربون بعيدا عن وطنهم . . أى بعيدا عن قيم هذا المجتمع المسلم . . البسيط والأصيل . . سوف ينشأون تنشئة مختلفة عن الجيل الذى سبقهم ، لدرجة أنهم قد يصبحون فإذا هم يتحدثون لغة مختلفة عمن سبقهم ، ولا أعنى بذلك اللغة بمعناها الحرفى ، ولكنى أعنى جانب القيم والأخلاق والمعايير الدينية والاجتماعية التى يكتسبها النشء من مجرد كونهم يعيشون معاً فى مجتمع واحد ، يمارس على الجميع نوعاً من الضبط الاجتماعى لايخفى أثره .

هذا ولقد ركزت على هذا الجانب هنا ـ جانب التربية ـ قبل التعليم ، وذلك بطبيعة الحال ـ لأنه أعم وأشمل ، كما أنه أعمق خطراً وأبعد أثراً ، فى حياة الأفراد والمجتمع على السواء ، إذ أنه من المعروف أن التربية عملية أوسع وأشمل وأعم من التعليم ، لأنها تتم بواسطة المجتمع كله . . بأفراده ومؤسساته وجماعاته . . فالمسجد يسهم فيها ، وكذا يفعل البيت والأسرة والمدرسة والجامعة يضيفان إليها ، وكذا تفعل أجهزة الإعلام ووسائله . . بكل ما تشتمل عليه من صحف وكتب ومجلات ، وأندية ثقافية ، ومخيمات كشفية . . الخ ، ولاننسى ما تقوم به الإذاعة ، وما يقدمه التليفزيون . . الخ مما يعمل على تماسك المجتمع ، وشدة ترابط أفراده بعضهم ببعض .

وقد غاب كل ذلك . . بلاشك . . عن الجيل الحالى من أبناء المجتمع الأفغانى المجاهد ، نظرا للظروف الرهيبة التى يمرون بها . . فى الداخل . . والخارج على السواء ، فالذين فرضت عليهم الهجرة ، وترك بلادهم . . شردوا فى ظروف غير مواتية على الإطلاق لتنشئة أبنائهم ، كما أن أولئك الذين لم يستطيعوا مغادرة الوطن ، ومكثوا حيث هم ، فرض عليهم السوفييت الملحدون قيمهم ومعاييرهم ، من خلال ما فرضوه من إلحاد فى التعليم المدرسى ، ومن خلال مايذيعونه وينشرونه . . يوميا ، فى الراديو والتليفزيون . . والصحف والمجلات التى يشرف عليها النظام العميل . . فى «كابول» والتى لايضع فيها إلا العملاء الشيوعيين المعروفين بتوجهاتهم الإلحادية المعلنة . . وبطبيعة الحال يختلف كل ذلك عن التعليم الذى يقتصر أمره على ما تقدمه المدرسة من معارف ومهارات ومعلومات . .

إن أجيال الأفغان . . الشباب والصغار ، الذين يعيشون فى الخارج . . حاليا ، أى فى المخيمات ، قد ابتعدوا تماما عن مؤثرات مجتمعهم المسلم ، وعن وسائط التربية فيه ، اللهم إلا أقل القليل ، فالأسرة الأفغانية ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ قد مزقتها الحرب وشردت أفرادها ، فعائلها إما أنه يقاتل فى سبيل الله . . مع المجاهدين ، وإما أنه قد استشهد مع أولئك الذين اختارهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى جواره ، ومن هنا غاب تأثير الوالد على أبنائه وبناته . . . وهذا أمر خطير ، خاصة إذا تذكرنا البعد المهم لدور الأب فى تربية أبنائه ، حيث يعتبر بالنسبة لهم بمثابة النموذج الصالح الذى به يقتدون .

تقول بعض التقديرات إن نسبة أبناء الشهداء . . فى المدارس حالية تصل إلى ١٥٪ وربما تزيد عن ذلك فى الوقت الراهن ، بعد كتابة هذا التقرير بحوالى عامين .

وفى مجال الأسرة ـ لازلنا ـ نجد أن دور الأم ، وهو دور خطير الأهمية ، كما هو معروف ، خاصة فى تربية وتنشئة البنات ، قد تأثر بشكل حاد وخطير ، نتيجة للظروف القاسية وغير المواتية التى يعيشها المهاجرون فى مخيماتهم .

عن المخيمات :

إن مخيمات اللاجئين الأفغان التى يعيشون فيها ، على الحدود الباكستانية الأفغانية ، والتى زارها الكاتب ، لايمكن لمن لم يزرها أن يلمس حالة أهلها ، والظروف القاسية ـ بكل المعايير ـ التى يعيشون فيها .

إنها عبارة عن مجموعات ضخمة . . هائلة متراصة . . . على مدى البصر ، من الخيام المتجاورة ، تلهبها الشمس الحارقة فى الصيف ، كما شاهدناها وأحسسنا بها مرات عديدة ، حول مدينة «بيشاور» . . وقرب الحدود ، أوتكتسحها الرياح الثلجية القاسية الهابطة من الجبال ، كما قص علينا المهاجرون أنفسهم ، قرب مدينة «كويتا» الجبلية ، خاصة فى فصل الشتاء (حين طلبنا شيئا من ماءٍ نشربه ، جاء لنا بعض رجال الأفغان بماء مثلج . . وتعجبنا ، من أين لهم هذا الثلج الذى كانت قطعه لازالت لم تذب فى الماء ، فأشاروا إلى قمم جبال «جلال آباد» . . الشاهقة

الارتفاع ، وكان ذلك فى شهر يوليو ـ أشد شهور العام حرارة ـ فكيف بالبرد فى هذه المناطق . . خلال شهور الشتاء القارسة البرد . . ؟؟؟!!

أما المعسكرات أو المخيمات التى ليست من الخيام ، فهى من الطين والقش اللذين يشكلون منهما مساكن أقرب إلى أعشاش الدواجن أو الحيوان . . منها إلى سكن الإنسان ، بلا أدنى مبالغة ، وبطبيعة الحال فإن الحالة الصحية للمهاجرين الذين يعيشون فى هذه (المساكن) غاية فى السوء ، حيث لا شبكات للمياه . . أو المجارى . . الخ وهذا أمر خطير ، كما أنها بطبيعة الحال تخلو من الكهرباء . . . لأنها ترف لايمكن التفكير فيه . . . !!

وسط هذا الجو القاسى ، وفى ظل المأساة المحيطة بالأسرة الأفغانية المسلمة والتى تأخذ بتلابيبها من جميع النواحى ، نجد أن دور الأم الأفغانية ينحصر فى أمور الحياة الأولية القاسية والضاغطة ، مثل تضميد جراح بعض الأبناء أو البنات ، أو محاولة تدفئتهم قدر استعطاتها ، حيث أن نقل المرضى أو المصابين إلى المستشفيات أمر ليس متاحاً ، فى معظم الظروف ، كما أنها تقوم برتق ملابسهم الرثة المهلهة ، أو طهى شيء من الثريد . . . وما أقله . !!

ولازلت حتى هذه اللحظة أتذكر ذلك الطفل الأفغانى المسكين الذى التقينا به ، الأخ رئيس بعثة الهلال الأحمر السعودى فى «كويتا» والمترجم والكاتب ، وكان يجلس بجوار غدير من الماء ، تحت ظل بعض الأشجار . . يتقى بها حر اليوم الذى كان لافحا ، وحين رآنا حاول الابتعاد عنا ، وأخبرنا عدد من رفاقة عن إصابته الخطيرة التى كانت فى ساقه ، نتيجة انفجار لغم من تلك الألغام الشيطانية التى تلقيها طائرات السوفييت المجرمين ، على شكل لعب للأطفال تجذبهم إليها . . . ثم تقضى عليهم . . !!

وذهبنا نحن إليه . . ورأينا الهول يلف ساقه الصغيرة التى كانت متقيحة بشكل خطير ، وحاولنا حمله معنا فى السيارة إلى «مستشفى مكة المكرمة» ، فى مدينة «كويتا» ، ولكن المسكين الصغير بكى . . خوفاً وهلعاً ، وحاول أحد الشيوخ الكبار من الأفغان إقناعه بالذهاب إلى المستشفى ، ولكنه رفض . وبكت قلوبنا من أجله ،

ففقدانه لساقه كان شبهٌ مؤكد ، وغادرنا المكان والحزن يلفنا ، ودعاؤنا يتصاعد إلى السماء عند رب لا تغيب عنه شاردة ولا واردة ، وسوف يأتى اليوم الذى يدفع فيه هؤلاء المجرمون الثمن مضاعفا . . بإذن الله .

فى المساجد القليلة التى توجد فى المخيمات ، يغلب عليها . . أو على المصلين فيها ، أن يكونوا من الشيوخ الطاعنين فى السن ، أولئك الذين ضربتهم المأساة بعنف . . فى عمرهم المتقدم ، ومن الأطفال الصغار الذين فاجأتهم كارثة شعبهم ، وهم بعد فى عمر الزهور . . !! لقد كان من المستحيل . . . وليس من النادر . . أن نجد طفلا أفغانيا . . يبتسم . . . !!

الجميع هناك . . وبلا استثناء . . فى حالة من الحزن الذى يعتصر القلب ويدمى الفؤاد ، خاصة إذا علمنا أنهم تركوا وراءهم ـ فى وطنهم ـ مزارع وعيونا وأنهاراً وينابيع يحلمون بها . . . «**إنه ليس هناك أجمل من بلاد الأفغان**» . . . !! سمعناها مراراً من شباب المجاهدين المسلمين . . من غير الأفغان . . . فكيف هى بالنسبة لأهلها . . المساكين . . . ؟؟؟

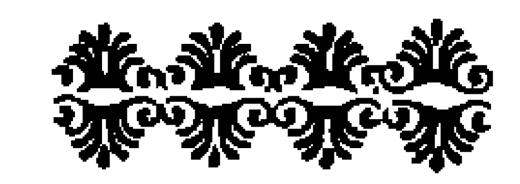
الجميع . . . الشيوخ والأطفال . . مهذبون جدا بشكل يلفت النظر والانتباه ، يسلمون على الوافد الجديد بأدب جم . . وينحنون ، عيونهم تقول الشيء الكثير ، تحكى الألم فى صمت ، وتقص أبعاد المأساة . . بلا كلمة ، يضرعون إلى الله القادر عقب كل صلاة ، أن ينصرهم على عدوهم ، وأن يعيدهم إلى أرضهم .

ليس هناك أرخم من صوت طفل أفغانى . . يرتل القرآن العظيم . . فى جوف الليـــل . . . فى مخيم من مخيـــمات المهجـــر . . . تلك التى تهتم وتعتنى بتحفيظ القرآن . . ، على ضوء المصابيح البدائية الخافتة .

غياب كثير من الأولاد والبنات عن الذهاب إلى المدرسة لعدم وجودها أصلا ، أو لبعدها ، وعدم توفر مصروفات الانتقال إليها ، يهدد ـ على وجه اليقين ـ بضياع مستقبلهم ، وقد يؤدى بهم ـ والعياذ بالله ـ إلى الانحراف ، فالفقر قاتل للمروءة ، والضياع . . بسبب عدم الانتماء للأسرة أو المجتمع أو الأرض . . احتماله وارد وخطير . .

إن الجيل من الأطفال ـ البنون والبنات ـ الذين ينشّأون فى مثل هذه الظروف ، مهددون بضياع قيم مجتمعهم الأصيلة . . وعاداته الطيبة . . ما لم تتداركهم رحمة الله ، ثم من بعد ذلك . . . عناية الغيورين من المسلمين المهتمين بأمور أمتهم .

هذا عن التربية . . بصفة عامة ، وهى . . أى التربية Education ـ وكما سبق القول ـ أعم وأشمل وأوسع من التعليم Teaching أو Schooling ، والذى له مشكلاته المحددة . . بالنسبة لأبناء الشعب الأفغانى المسلم ، وخاصة من المهاجرين ، والتى يمكن تلخيصها فى الفصل التالى .



الفصـــل الثانى عشــر :

بعض مشكلات التعليم الأفغانى

أولا : غياب التخطيط التعليمى من الميدان نهائيا :

وذلـك وضـع طبيعى ـ فى حقيقـة الأمر ـ لعدم وجود سلطة تعليمية مركزية ، تشرف على تعليم أبناء الشعب الأفغانى وتوجهه ، وهذا العامل أو العنصر ناتج ـ بطبيعــة الحــال ـ عن تبعثـر مخيـمات المهـاجـرين الأفغـان ، على امتـداد مئـات الكيلو مترات ، بامتـداد الحدود الأفغانية/ الباكستانية كما أنه ناتج عن عدم وجود سلطة أفغـانيـة تشرف على التعليم ، وتـوجـه منـاهجـه وبرامجه ، وتضع خططه الدراسية . والحديث هنا ـ بطبيعة الحال ـ عن التعليم فى الخارج . . . أى فى مخيمات اللاجئين .

أما تعليم الداخل فينقسم إلى قسمين :

١ ـ القسم الأولى :

وهو التعليم النظامى الذى يتبع سلطة الحكم الشيوعى العميل فى «كابول» ، وهو تعليم موجه ـ بحكم طبائع الأمور ـ لخدمة النظام الشيوعى فى أفغانستان ـ والمحكوم من الكرملين فى «موسكو» ، وعلى الرغم من عدم وجود معلومات متوفرة عنه ، إلا أن بعض الكتابات فى الغرب ، وخاصة فى سويسرا ، حيث المكتبة الأفغانية الشهيرة ، فتقـول بإدخــال اللغـة الـروسية لتحل محل اللغة الإنجليزية ، كما تقول بتدريس مقررات تهدف إلى زعزعة العقيدة الإسلامية فى نفوس الناشئة من أبناء الأفغان ، كما تقرر إدخال منظمات الطلاب . . فى المدارس . . والجامعة ، تلك المنظمات التى تعـرف أهـدافهـا ، من حيث خدمة النظام العميل ، ومن حيث تدريب الشباب الصغار من الناشئة على التجسس على أساتذتهم . . . وزملائهم ، بل وعلى أسرهم وذويهم .

٢ - القسم الثانى :

ويتمثل فى التعليم التابع للأحزاب والمولوية (العلماء الأفغان) فى داخل أفغانستان ، أى فى المناطق المحررة ، وهو يتبع الأحزاب السبعة المعروفة . وهذا النوع الأخير ـ للأسف الشديد ـ لم يحظ بالعناية الكافية والمطلوبة ، وذلك نظرا لأن الأحزاب السياسية الأفغانية ، فى بداية أمرها ، انشغلت بالجوانب العسكرية من الجهاد وركزت عليها بأبعادها الكثيرة والمتعددة . . من تأمين للمجاهدين أنفسهم . . وتدريبهم . . وإطعامهم . . وتسليحهم . . وعلاجهم . . وتأمين كل شيء يتعلق بهم وبالجهاد ، وهذا فى ذاته جهد خرافى تنوء به الدول . . فى حالات الحرب ، فما بالنا بهؤلاء المجاهدين الذين ليست لهم موارد مالية ثابتة ، والذين ليس لهم نظام إدارى موحد . . . ؟؟

لكل ذلك . . وهو كثير وخطير . . لم تلتفت الأحزاب إلى خطورة موضوع التعليم على مستقبل الشعب الأفغانى ، وخاصة ما يمثله بالنسبة للأجيال الصاعدة ، ولم تتعد الجهود ـ فى هذا المجال الحساس ـ بضع محاولات ، من جانب عدد من العلماء المثابرين ، الذين بذلوا جهوداً مضنية لإعادة الأطفال الأفغان إلى حظيرة العلم والتعليم ، وكانت هذه المحاولات تعترضها ، فى كثير من الأحيان ، . الغارات الهجمية والهجمات العسكرية البربرية ، التى اتخذت ـ بنذالة منقطعة النظير ـ من تجمعات الأطفال . . . هدفا لها ، وكم من مدرسة دمرت . . . وراح ضحيتها آلاف التلاميذ من أبناء الأفغان . . . !!

ولما أنشأت بعض الأحزاب مدارس خاصة بها ، فى محاولة لتعويض ما مضى ، ووجهت بنقص خطير فى التمويل ، وعجز لايوصف فى الكتب ، كما أنها ووجهت بعدم معرفة المناهج والخطط الدراسية والمقررات التى عليها أن تتبعها ، ومن هنا فإنها ـ فى معظم الأحيان ـ اكتفت ببعض الدراسات من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة . . وكانت هذه فرصة خطيرة . . لم يضيعها الغرب . . .

وغاب عنها المسلمون . . . . !!

لقد قيل لنا كثيرا إن بعض المنظمات الأجنبية قد تمكنت من كثير من المدارس ، وخاصة مدارس المرحلة الابتدائية ، والتى تنازلت عنها الأحزاب السياسية لها ، وذلك بسبب العجز فى المال اللازم لإدارة هذه المدارس ، وعدم القدرة على مداومة الإشراف التربوى على هذه المدارس .

وكانت البداية من اللجنة السويدية لشئون الأفغان Swedish Committee to Afghanistan (S.C.A) والتى يقول تقرير حديث خرج عنها «لقد جاءتنا طلبات كثيرة . . ورجاءات من الأحزاب (!!!) خاصة عندما كان أفرادها يأتوننا للعلاج ، كى نمد لهم العون فى مجال التعليم ، وأن نمدهم بما يحتاجون إليه فى مجاله ، وخاصة الكتب . . . وكانت البداية فى عام ١٩٨٣م(*) .

وحول هذه اللجنة السويدية ، يقول تقرير حديث صادر عن الوكالة الإسلامية للإغاثة إن هذه المنظمة بدأت العمل في أفغانستان، قبل أكثر من عامين ونصف، وبدأت أول ما بدأت بالعمل في المجال الطبي . . داخل أفغانستان، ثم أتبعت ذلك بالتعليم . . في الداخل أيضاً، وقد أنشأوا قسماً خاصاً بالتعليم ، يرأسه أستاذ سابق بجامعة كابول، وهو أفغاني الجنسية(**).

بدأ هذا الأستاذ الاهتمام بالتعليم ـ الحديث لا يزال لتقرير الوكالة الإسلامية للإغاثة في بيشاور ـ قبل خمس سنوات، وتعاون مع أحزاب سياسية، قبل أن تحتضنه «اللجنة السويدية»، وهو يشرف على التعليم في هذه اللجنة، وقد قام بوضع المناهج الجديدة، وأجرى تعديلاً في المناهج الأفغانية القديمة، بمساعدة عدد من المعلمين الأفغان، وعرض هذه المناهج على كل الأحزاب الأفغانية التي لم تبد أي اعتراض عليها.

وقد قام بروفيسور صافي هذا، خلال العامين الماضيين، بفتح ٤٤ مدرسة، داخل

---

* Afghanistan Education Committee, Annual Repeort, 1985, R.4.

** من تقرير اللجنة السويدية يتبين أنه هو الأستاذ باتينشاه صافى Professon Batinshah Safi .

أفغانستان . . في تسع محافظات، ويدرس فيها ٤٠٠٠ تلميذ . . من الصف الأول إلى الصف الثالث، وسوف يبدأ الصف الرابع في هذا الربيع»(*).

ويمضـي تقرير الوكالة الإسلامية للإغاثة ليقول بأن هناك طلبات مقدمة إلى هذه «اللجنـة السـويدية»، لافتتاح مائة وخمسين مدرسة جديدة، وبطبيعة الحال سوف تشرف عليها هذه اللجنة . . السويدية».

أما تقرير اللجنـة السويدية ذاتها (والتي ترأسها امرأة . . تدعى هانيك كودوينبرج Hanneke Kodwenburg ، وهي من أصـل هولنـدي . . . وقـد دأبت على زيـارة أفغـانسـتـان . . أربع مرات . . خلال الغزو السوفييتي، وقد عينت لترأس اللجنة السـويـديـة، محل شخص آخـر اسمه أندرسون Anderson ، في شهر أغسطس ١٩٨٥م) . فيقول إن اللجنة التربوية الأفغانية (.A. E. C) ، والتي انبثقت من الوكالة السويدية، قد أنشأت جذور التعليم الأفغاني الحالي، وذلك حين أقامت ـ بمساعدة ـ بروفيسور صافي ـ مائتين وخمسين (٢٥٠) مدرسة، لأطفال المهاجرين الأفغان، في المقـاطعـات الشـمالية الغـربية، وفي بلوشستان، بالإضافة لعدد من المشروعات التربوية، داخل الحدود الغربية».(**)

وفي أكتوبر ١٩٨٤م تلقت المشروعات الأولى المعونات على شكل كتب وأدوات دراسية، وكذا دفعت مرتبات المعلمين، بالإضافة إلى تكاليف نقل الأمور السابقة.

أمـا بالنسبـة للتكـاليف فيقـول تقـريـر الوكالة الإسلامية للإغاثة: إن اللجنة السويدية قد دفعت حتى الآن لهذا المشروع مبلغ مليون روبية باكستانية (في إبريل ١٩٨٥م)، كما دفعت لجنة الإغاثة النرويجية ـ أيضاً ـ مبلغ مليون روبية أخرى، لدعم التعليم في الداخل، كذلك دفعت مجموعات ومنظمات أخرى . . ألمانية . . وفرنسية . . وسويسرية.

---

* الوكالة الإسلامية للإغاثة ، تقرير عن التعليم ، ص ٣ ، ابريل ١٩٨٥م ، ويفترض أن هؤلاء التلاميذ يكونون قد أنهوا المرحلة الابتدائية الآن . «المؤلف» .

** Afghanisstan Education Committee, Op. cit, PA.

دفعت بعض المبالغ . . لصالح دعم التعليم ومشروعاته . . . في الداخل، وقد دفعت هذه المبالغ لجهة واحدة . . هي اللجنة السويدية.

إنه عمل هادفي ومنظم :

نحن إذن أمام عمل وجهد منظمين، من خمس دول . . . من دول أوروبا الغربية: السويد ـ النرويج ـ فرنسا ـ ألمانيا الغربية ـ سويسرا، وقد اتفقت كلها . . . فعلاً . . لا قولاً، على دعم اللجنة السويدية، وعلى تفويضها «للإمساك» بتعليم أطفال الأفغان في الداخل، وشكلوا لجنة لتعليم هؤلاء الأطفال، تخلو واجهتها ـ كما لا شك لاحظنا ـ من اسم أية دولة فيها، فهي فقط . . . اللجنة الأفغانية للتربية . . . وقد وضع واجهة لها . . أستاذ أفغاني . . سبق ذكر اسمه . . . !!

وبجانب توظيفهم له في تلك اللجنة، في بيشاور، نجد أنهم قد رتبوا له دعوات لزيارة أوروبا . . مرتين، زار خلالهما كلاً من فرنسا وألمانيا الغربية والسويد والدانيمارك، وبطبيعة الحال أحاطوه بهالة إعلامية، ركز الحديث خلالها عن تعليم الأفغان في زمن الحرب، بل وحضر مؤتمراً، دعي إليه، في فرنسا، وقد دارت موضوعات بحوثه عن «الثقافة الأفغانية المهددة Afghanistan A Threatened Culture والشيء نفسه تم في السويد، **وينبغي أن نلاحظ هنا أنهم في هذه البلاد لم يهتموا «بالدين الإسلامي» . . المهدد في أفغانستان، ولكن العملية كلها لم تتعد ـ من وجهة نظرهم ـ الثقافة الأفغانية . . المهددة!!.**

وإلى «بيشاور» بالباكستان، جاءت وفود كثيرة . . من الصحافيين . . والسياسيين . . والعاملين في برامج المساعدات، كما جاء ممثلون لجميع أنواع المنظمات الأوروبية الغربية المختلفة، بعد أن وعوا الدور الخطير الذي تقوم به «لجنة التربية الأفغانية»، وكل هذا لتلميع عملها . . وللإعلام عنها في الخارج . . ومن ثم تنهال عليها التبرعات والمساعدات، وكل ذلك كي تؤتي أكلها على مر الأيام . .

والآن . . تعلن «اللجنة السويدية»، بمنتهى الصراحة والوضوح أن «لجنة التربية

الأفغانية» ـ والتي هي ابنة شرعية لها ـ قد استقلت، اعتباراً من هذا العام (١٩٨٦م)، وأنها هي المسئولة القانونية الوحيدة عن تعليم الأفغان.. في الداخل، وأنه يأتيها.. كل يوم.. مندوبون عن الأحزاب الأفغانية.. طلباً للمعونة والدعم.

التعليم في المخيمات:

أما بالنسبة لهذا التعليم فإن الجهة الرئيسية العاملة في مجاله، هي «الحكومة الباكستانية» حيث تشرف على المدارس، في أماكن تجمع المهاجرين، وحيث لها إدارة تتبع المندوبية الخاصة برعاية اللاجئين، تلك التي تتلقى دعماً من أموال المندوبية السامية لرعاية اللاجئين الدولية، التابعة للأمم المتحدة، ولديهم مدارس يشرفون عليها، في كل المخيمات الموجودة في الباكستان.

هذا ويصل عدد مدارس إقليم الحدود الشمالي وحده ٥١٠ مدرسة، تضم حوالي ٨٠,٠٠٠ تلميذ، كما أنهم يدعمون ١١٢٠ مدرسة دينية، ولكن بعد ثلاث سنوات من العمل توقف هذا الدعم ـ بالتحديد ـ عن هذه المدارس الدينية... أي عام ١٩٨٦م، وذلك بسبب رفض مندوبية الأمم المتحدة الإنفاق على المدارس الدينية (!!!)، هكذا يقول تقرير الوكالة الإسلامية للإغاثة.

وعلى ذلك.. فإنه حتى على المستوى الدولي.. مستوى الأمم المتحدة.. تجري محاربة الدين الإسلامي... في أفغانستان، بدعوى أن الدراسة ينبغي أن تكون للجميع.. دون تفرقة بين دين وآخر...!!!

وهل في أفغانستان دين آخر غير الدين الإسلامي...؟؟ إن نسبة المسلمين في أفغانستان هي ١٠٠٪، وبالتالي فالادعاء بشمول جميع الأديان في المدارس ادعاء لا أساس له من الصحة، بحيث تحرم المدارس التي تركز على التعليم الديني من المعونات الدولية. إن الأمر واضح في غاية الوضوح، وهو دفع هذا المجتمع المسكين.. المحاط بالأعداء من جميع الجهات الدولية.. نحو العلمانية.. والبعد عن دينه الإسلامي الحنيف، في الوقت الذي يحاربه الروس في الداخل بأساليب وحشية لم تحدث في التاريخ من قبل..؟؟

وجاءت الكنيسة . . صريحة . . مسرعة :

بالإضافة إلى ما سبق . . هناك منظمة كنيسية صريحة، تسمى لجنة المساعدات الدولية، ويطلق عليها مصطلح Inter - Aid Committee ، وهي تتبع الكنيسة رسمياً في مدينة «نيويورك»، وتعمل بالتعاون مع المنظمة النرويجية . . . وكذا مع الكنيسة الباكستانية، وجميع الإداريين بها، والمشرفون عليها . . من النصارى الباكستانيين، ويرأسهم مسيحي . . أو نصراني . . . من إثيوبيا»(*).

ولا تكتفي هذه اللجنة بالعمل في حقل التعليم النظامي وحده، وإنما مدت نشاطها إلى مجال هام بالنسبة لمجتمع المهاجرين، حيث قدمت دورات تدريبية في مهن عديدة مثل: النجارة ـ الخياطة ـ التطريز والتريكو (للنساء)، وهي تشرف على بيع منتجاتهم في الغرب ـ كما أنهم يدعمون مركزاً لتعليم صناعة السجاد، بالإضافة إلى نشاط طبي وعلاجي واسع يقدمونه في بعض مخيمات اللاجئين.(**)

الأحزاب السياسية . . والتعليم :

بطبيعة الحال فإن الأحزاب السياسية الأفغانية لها إسهاماتها في مجال التعليم، وإن كانت إسهامات تحتاج إلى الكثير من الدعم المادي . . والمعونة الفنية . . والتنظيم. وسوف نورد إن شاء الله، في نهاية هذا التقرير، بياناً تفصيلياً بأعداد المدارس التي تشرف عليها الأحزاب السياسية . . داخل باكستان (في الخارج)، وداخل أفغانستان، في كل المستويات التعليمية الموجودة، وذلك كما جمعت من مسئولي التعليم، في مقار الأحزاب في مدينة «بيشاور».

---

* تقرير الوكالة الإسلامية للإغاثة ، مرجع سابق ، ص٣ .

** اليوم فقد (٢٧ شوال ١٤٠٦هـ ـ ٣ يونيو ١٩٨٦م) أخبرنا مسئول التعليم فى حزب الاتحاد الإسلامى الذى يرأسه بروفيسور سياف أن المشروعات المتعلقة بالنساء توقفت لأن المجتمع الغربي رفض الاستمرار فى شراء المصنوعات التى كانت تقوم بصنعها النساء الأفغانيات . . . المسلمات . . . !!!

المبادرات الفردية :

كذلك نجد أن هناك مبادرات فردية ، من بعض العلماء الأفغان (المولوية) ، لإقامة مدارس دينية شرعية ، كما يسهم أفراد من الشعب الباكستاني ـ الغيور على دينه ـ فى مدارس دينية مختلفة . وقد أسهمت «الجماعة الإسلامية الباكستانية» في هذا المجال بشكل واضح ، كذلك أسهم بعض الإخوة العرب في إنشاء معهد شرعي عالٍ ، وذلك بقصد إعداد المعلمين الأفغان ، وكذا لتنظيم دورات لتعلم اللغة العربية ، كما أن هناك جهات أمريكية وبلجيكية تقدم دورات في تعلم اللغة الإنجليزية .

الجهود الإسلامية فى التعليم :

حينما تنبه المسلمون لموضوع التعليم الأفغاني بدرت هناك عدة جهود ومحاولات طيبة في مجاله ، وقد تمثل ذلك في مبادرات الوكالة الإسلامية للإغاثة ، ومكتب رابطة العالم الإسلامي ، وكذا مكتب خدمات العرب . . .

وقد دخل الإخوة العاملون في هذه المكاتب ، مجال التعليم الأفغاني مدفوعين بغيرتهم الدينية ، وذلك بعد أن رأوا اندفاع المنظمات الغربية المسيحية نحو احتلال توجيه التعليم الأفغاني ، خاصة وقد أدركوا جميعاً خطورة التعليم على شخصية الشعب الأفغاني المسلم . . المجاهد .

وعلى الرغم من أن هؤلاء الإخوة المتحمسين في هذه المكاتب قد بدأوا متأخرين ، في مجال التعليم ، وعلى الرغم من غياب عنصر التخصص عندهم ، إلا أنه كانت لهم إسهامات طيبة ، في هذا المجال ، يذكر منها :

١ ـ أنهم دشنوا عملاً طيباً في مجال تدريب المعلم ، وذلك بالتعاون مع بعض الأساتذة المتخصصين ، من «جامعة بيشاور» ، والذين التقينا بهم ، وتدارسنا كثيراً في مجال إنشاء معهد للمعلمين الأفغان . . في بيشاور .

وقد أقام الإخوة هناك ، من مكتب رابطة العالم الإسلامي والوكالة الإسلامية

للإغاثة، دورة لتدريب المعلم الأفغاني مدتها شهر، وقد تخرج منها بالفعل دفعة اقترب عددها من مائة معلم، وهناك دورة حالية عددها ٥٤ دارس، وقد زرنا معهدهم، حيث يدربـون. هذا ويشتمل برنامج هذه الدورة التدريبية على مقررات في اللغة العربية، وطرق التدريس، القرآن الكريم، والإسلاميات. . إلخ.

٢ ـ ومن ناحية أخـرى فإن الوكالة الإسلامية للإغاثة (وهي للعلم أول من تنبه . . . ونبه لخطورة وضع التعليم الأفغانى ، ولتدخل الأجانب من النصارى فى توجيهه) قد بذلت جهداً طيبا فى توفير الإمكانات المالية لدعم ١٢٠ مدرسة دينية ، من بين المدارس التى تخلت عن دعمها المندوبية التابعة لرعاية اللاجئين الدولية، والتى سبقت الإشارة إليها من قبل.

كذلك أنشأت الوكالة خمس مدارس صغيرة للبنات ، تدرس بها ٢٠٠ تلميذة ، كما أسهمت الوكالة فى طباعة بعض الكتب ، ومدت عددا من المدارس بالأدوات المـدرسية، ثم إنها بذلت جهـداً طيبـا فى قضية توحيد منهـج التعليم الأفغـانى ، والعاملون فيها مشتركون حاليا (*) فى فكرة إنشاء معهد لتخريج معلم أفغانى من نوع جديد . ومـما تجدر الإشارة إليه هنا أن الوكالة لها جهد متميز فى مجال «كفالة اليتيم» وتشغيل الأرامل ، بالإضافة إلى أن العاملين فيها قد أنشأوا مركزا طيبا لتدريب التـلاميذ اليافعين على عدد من الحرف المهمة والمطلوبة لحياة المجتمع الأفغانى فى المهجر ، وقد جاهدوا حتى زودوا هذا المركز بعدد لا بأس به من العدد والآلات . . . مثل آلات الحدادة والبرادة والخراطة . . . الخ .

٣ ـ كذلك نجد أن مكتب رابطة العالم الإسلامى ، فى بيشاور، قد أسهم مع الإخوة فى الوكالة الإسلامية للإغاثة، فى عدد من إنجازاتها السابقة، مثل دورات تدريب المعلمـين ، وتقنـين المنهـج ، ومحاولة وضع منهج جديد ، كما أسهمت فى

* وقت كتابة التقرير ، فى صيف ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

الدراسات التى أجريت لإنشاء معهد للمعلمين ، والذى سبقت إليه الإشارة من قبل.(*)

ومن ناحية أخرى يذكر لمكتب رابطة العالم الإسلامى ، فى بيشاور، أنه مهتم بسد حاجات مدارس الأحزاب ، من الأدوات المدرسية كلها، مع دفع نفقات نقلها وتوصيلها إلى داخل أفغانستان ، كذلك فإن للرابطة ممثلا لها فى منطقة «كويتا» يهتم بشئون التعليم ، وهم يبنون هناك عددا من المدارس التى تبرع لها المحسنون ، وقد زرنا موقعا لمدرسة ثانوية كان العمل فى بنائها جاريا بهمة الشباب الإسلامى هناك وغيرتهم الدينية .

خلاصة

إن كل هذا التعدد السابق ، فى الجهات المسئولة عن التعليم الأفغانى ، يبين أن التخطيط الشامل لهذا التعليم غير موجود أصلا ، وأنه فى ظل الظروف الراهنة . . لا يمكن أن يوجد ، وذلك نظرا لتعارض المصالح ، وتعدد الخلفيات التى تدفع الجهات العاملة فى مجاله ، فالسويديون مهتمون بالتعليم الابتدائى - بالذات - فى الداخل ، وقد قطعوا فيه شوطا بعيداً ، وهم مدعومون فى هذا المجال بالأمريكيين والفرنسيين والبلجيكيين ، وكذا الهولنديين والدانيماركيين والألمان الغربيين - ثم إن الأمريكيين مهتمون بالتعليم الثانوى فى الخارج ، وهم يشرفون على سبع مدارس ثانوية تديرها الأحزاب ، بينما هم يخططون . . . بل خططوا بالفعل . . . لإنشاء مدرسة خاصة بهم ، وضعوا مناهجها ، وقاربوا على الانتهاء من طباعة كتبها ، وسوف تخرج إلى الوجود حالا . . . ربما فى مطلع العام الدراسى القادم.(**)

* سوف نورد إن شاء الله بيانا تفصيليا ، باقتراح علمي . . عملي لهذا المعهد ، حيث أسهم الكاتب مع بعض أساتذة جامعة بشاور والوكالتين السابقتين في فكرته ومقرراته ونظامه . . . الخ .

** إذا كانت الأمور قد سارت عادية ، وفى طريقها المرسوم فيفترض أنها تعمل الآن . . . وبها صفان دراسيان . . حالة طباعة هذا الكتاب .

والإسلاميون . . .

من خلف كل هؤلاء . . . يحاولون سد الثغرات ، ورأب الصدع ، يسمعون عن مشروع هنا . . . فيجيبون عليه بمشروع . . . هناك ، وعن لجنة هنا . . . فيشكلون لجنة هناك، وعذرهم فى ذلك أنهم دخلوا ميدانا جديدا عليهم تماما، كما أنهم دخلوا فيه متأخرين، فهم ـ للأسف الشديد ـ يدفعون ثمن هذا، وذاك ، ولكن حماسهم وإخلاصهم لدينهم ولأمتهم يعوضانهم الشيىء الكثير، كما أن ثقة قادة الأحزاب فيهم ـ بسبب أنهم مسلمون ـ توفر عليهم الكثير من الأمور، وتفتح لهم مغاليق الأبواب .

وتنبغى الإشارة هنا إلى نشاط الإخوة التابعين **لاتحاد المدارس العالمى** ، **ولجنة الدعوة الإسلامية** ، وذلك فى مجال تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، والقرآن الكريم، بل تدريب المعلمين وإعدادهم لخدمة الإسلام والمسلمين فى أفغانستان.

ثانيا :

التعدد الكبير فى المدارس :

وكان المفروض ألا تكون كثرة أعداد المدارس . . مشكلة تعليمية، وإنما كان المفروض أن يحدث العكس ، فيسعد بها الإنسان حين يجد كثرة فى المدارس . . هنا وهناك ، حيث أن كثرتها . . فى كل ركن من أركان العالم الإسلامى بشير خير على الوعى وعلى الأخذ بأحد أهم أسباب التقدم، فالعلم نور . . وهو مطلب إسلامى لا يخفى . . .

إن لكل حزب سياسى أفغانى . . مدارسه . . . بمبانيها . . ومدرسيها . . . وتلاميذها ، وفى أحيان كثيرة . . . بمناهجها وكتبها . . ! .

ومن الزيارات الميدانية العديدة فى المخيمات رأيت مدرسة ابتدائية . . لحزب أفغانى معين ، دخلناها . . فإذا هى لا تزيد على حوش صغير ٥ × ٨ أمتار، وجدار

من الطين . . لا يرتفع لأكثر من مترين اثنين ، وليس لها سقف يسترها فيها لو سقط شيء من المطر. كل ما فيها من أدوات التعليم سبورة هزيلة كالحة اللون ، يعمل بها مدرسان اثنان لا غير . . . وخادم ، وبها أربعون طفلا وطفلة . . . يجلسون جميعا على الأرض . . فوق التراب . . . وملابسهم المهلهلة لا تحتاج لتعليق . . ! .

وعلى بعد أقل من ستين أو سبعين متراً، وجدنا مدرسة أخرى . . . زرناها . . . وقالوا إنها تتبع لحزب آخر ، ودخلناها . . . فإذا الظروف السيئة السابقة . . تتكرر وكأنها صورة طبق الأصل ، اللهم إلا أن هذه الأخيرة كان بها ثلاثة معلمين وخادم . . وخمسة وستون طفلا وطفلة . . ! .

قلنا لمن معنا بصراحة ودون مداراة ، فالمؤمن مرآة أخيه ، يا إخوتنا هذه أعداد من التلاميذ لا تصلح لتكوين مدرسة، إنها مجرد فصول . . . لا أكثر ولا أقل، ثم إن في إنشائها ـ بهذا الشكل ـ هدراً للطاقات والأموال ، خاصة وأنتم تدفعون إيجاراً للمدرستين . . أو للمبنيين ، كما تقولون . . فلماذا . . ؟ وجاءتنا الإجابة . . إن هذا ليس من شأننا . . . ولكن شأن الأحزاب . . ! .

إن مدارس بهذا الشكل الهزيل، وبهذه الأعداد الكبيرة، تتوزع بين أحزاب سبعة كان من الممكن. . بل ومن الواجب أن تضم إلى بعضها، ففي ذلك تحسين للخدمات التعليمية فيها، وتوفير للأموال، وتوحيد للجهود الإدارية. وقد يكون هناك استثمار أفضل لطاقات المعلمين.

وينبغي أن ينبه الإخوة الأفغان إلى هذا الجانب. من جانب المخلصين من أبناء هذه الأمة الإسلامية، وخاصة من جانب أولئك الذين يدعمونهم في جهادهم، فالدين النصيحة. . . وهي للجميع. . . لأئمة المسلمين وعامتهم. وسوف نرى، عندما نأتي إلى الأرقام في نهاية التقرير إن شاء الله، أن الحديث عن أعداد المدارس

لدى الأحزاب. . . هي بالمئات، بينما أعداد التلاميذ والطلاب. . لا تتمشى مع هذه المئات من المدارس. . !!

ثالثاً :

سوء حال المباني المدرسية :

إن المباني المستخدمة في عمليات التدريس. . لا تصلح لهذا الغرض. . بحالٍ من الأحوال. . . دون أدنى مبالغة، أو تعد للحقيقة، فهي إما عبارة عن «خيمة» من قماش مهلهل قديم، أو مبني من الطين، أو هي قد تقام في الخلاء. . تماماً، حول جذع شجرة، أو في ظل صخرة. . . !!

وليس غريباً أن نقول أن تلك المدارس التي تقام في العراء أفضل حالاً بكثير، من تلك التي تقام في مبان من الطين، إذ أن الأخيرة ضيقة بشكل غير مقبول، وهي عبارة عن جدارٍ من الطين أو اللبن، لا يزيد في سعته عن بضعة أمتار مضروبة في مثلها، أو أكثر منها قليلاً، ويسمونها هناك «الطوق». ونادراً ما وجدنا فيها نوافذ للتهوية أو للإضاءة، وحينما وجدت فإنها كانت ضيقة جداً، وبالتالي فالإضاءة فيها والتهوية سيئان جداً، ولا يمكن أن يغفل أثر ذلك على التلاميذ، وعلى تحصيلهم.

في إحدى الزيارات الميدانية، في معسكر «بانج باي» في منطقة «كويتا»، قرب الحدود الأفغانية، شاهدنا الطلاب وهم ينحنون بشدة، كي يدخلوا من أبواب منخفضة جداً بشكل لافت للنظر، وكان دخولهم إلى ما يشبه أعشاش الدجاج، وسألنا عن هذه الأماكن التي يدخلونها. . فقالوا إنها. . الفصول الدراسية. . . !!

وفي الحق. . لقد ذهلت ـ دون مبالغة ـ وسألت عن السبب في انخفاض وقصر الباب إلى هذا الحد، فقالوا لأن تكلفة الباب الصغير. القصير ٩٠ روبية باكستانية، بينما الباب الكبير المرتفع تكلفته ١٥٠ روبية، والفرق هو ٦٠ روبية، أي حوالي ١٢ ريالاً سعودياً. وازداد ذهولي. . . ولم أسأل كيف يدخل المعلم. . . !!

حينما دخلنا ـ أنا ومن معي ـ لبعض الفصول، احتجنا لبعض الوقت حتى اعتادت عيوننا على الظلام المنتشر، (فالنوافذ) لا يمكن تخيل صغر حجمها، وهم معتادون ألا يفتحوها على الشوارع أو الحارات، وإنما تفتح ناحية المداخل.. فقط!!.. أي على فناء المدرسة.. إن كان بها فناء..!!

الأطفال يجلسون على الأرض.. فوق التراب مباشرة، أو قد تكون هناك بقايا كليم.. أو قطعة سجاد ممزقة، وهذه ليست مشكلة كبيرة، فما يرتديه هؤلاء الأطفال المساكين من أسمال بالية لن ينال تراب الأرض منه شيئاً... لأنه أيضاً.. قذر ممزق..

جانب خطر جداً في المباني المدرسية. إنهم يحفرون في بعضها آباراً يستخرجون منه الماء الذي يشربون. بعض هذه الآبار عميق جداً، قد يصل عمقه إلى نحو عشرين متراً، والأطفال الصغار هم الذين يقومون بسحب الدلو من البئر.. كي يشربوا، وفتحة البئر واسعة وغير مغطاة. وحينما شاهدنا بعض الأطفال وهم يستخرجون الماء من البئر فعلاً فزعنا حقاً.. إن بعض هؤلاء المساكين الصغار قد يسقطون في هذه الهوة السحيقة، دون أن يقيهم شيء، أو يحجزهم ـ عن الموت المحقق ـ حاجز..!!!

وناقشنا مسئوليهم في ذلك فوراً، وكانت الكارثة أنهم أمَّنوا على كلامنا، بل وقال مسئول التعليم في إقليم «كويتا»: إن بعض الأطفال قد سقطوا فعلاً.. ولاقوا حتفهم في هذه الآبار..!!

ولم نتركهم حتى أخذنا عليهم عهداً من الله وموثقاً بأن يضعوا حول فوهات هذه الآبار قطعاً من الخشب المتين التي يمكن أن تغطي فتحتها الضخمة، وفي الوقت نفسه يمكن أن يسحب منها الدلو بيسر وأمان. هكذا كان الحل بسيطاً.. لا يحتاج لإعمال فكر.. ولا لكثير مال..!!

رابعاً :

المنهج غير الموحد:

وهذه مشكلة أساسية من مشكلات التعليم الأفغاني . . في الداخل والخارج، إن ما يدرس في مدرسة أحد الأحزاب، تعارضه مدرسة حزب آخر، وما يدرس في هاتين المدرستين يعارضه مولوى من المولوية (العلماء)، أولئك الذين أنشأوا مدارسهم الخاصة بهم، والذين يتمتعون باحترام أفراد الشعب الأفغاني جداً . . !!

وهذه الأنواع الثلاثة السابقة . . لا يتمشى معها ما يدرس في المدارس التي تشرف عليها حكومة الباكستان . . متعاونة مع المندوبية السامية للأمم المتحدة. وعلى سبيل المثال فلقد أوقفت هذه المندوبية الدعم الذي كانت تقدمه لمدارس التعليم الديني، الذي كانت تقوم به بعض الأحزاب والهيئات والأفراد من العلماء، بينما تركز بعض مدارس الأحزاب عليه، وعلى مدارس تحفيظ القرآن والتي يطلقون عليها «دار الحفاظ»، وكذا هناك «دور الحديث»، والتي تعني - كما هو واضح من اسمها - بأحاديث النبي المصطفى، صلى الله عليه وسلم.

هذا وإن بعض المدارس تقدم القرآن الكريم . . وبعض العلوم الشرعية، وكذا الأحاديث النبوية الشريفة . . فحسب، بينما يقدم بعضها . . كل ما سبق . . بالإضافة إلى شيء من العلوم العصرية . . مثل العلوم والرياضيات والتاريخ والجغرافيا . . إلخ.

اللغة العربية :

ومدارس الأحزاب في معظمها تدرس اللغة العربية، بينما تهملها المدارس التابعة لحكومة الباكستان ومندوبية الأمم المتحدة المسئولة عن المعونة، وحينما سألت نائب المفوض لمنطقة المخيمات - حول بيشاور - قال الرجل بأن هذا المنهج متفق عليه، بين المندوبية وممثلي التربية والتعليم من حكومة الباكستان، وكذا ممثلي الأحزاب السبعة المسئولين عن التعليم.

وكان السؤال في حضور نحو عشرين معلماً باكستانياً وأفغانياً، فقلنا كيف يقدم لأبناء الأفغان اللغة الانجليزية، كمقرر إجباري، وكيف أن عليهم أن يختاروا بين الفارسية أو البشتو، وتهمل اللغة العربية. . . لغة القرآن الكريم، فقال الرجل مندوب القوميسير Commissioner أنه مجرد منفِّذ. . . ولا دخل له في وضع المناهج أو الخطط الدراسية، بينما أبدى جميع المدرسين الحاضرين استحسانهم وارتياحهم . . بل وحماسهم لتقديم اللغة العربية . . ضمن ما يدرسون.

بعض الأخطار الواضحة :

في تلك الجلسة، مع القوميسير الباكستاني وأولئك المدرسين الأفغان والباكستان، طلبنا رؤية عددٍ من الكتب التي تدرس في مدارس المخيمات، كما طلبنا أن نعرف ما يدرس للطلاب في المواد الاجتماعية. . بالتحديد، وذلك لنتبين هل يربط الطالب الأفغاني بعالمه الإسلامي. . أم لا. . وذلك حتى لا يعزل ـ من خلال المنهج ـ عن ذلك العالم، الذي يمثل الدعم الأساسي له. . مادياً في أزمته الراهنة، وأهم من ذلك وأبقى يمثل له دعماً روحياً. . لا ينقطع.

وأحضرت بعض الكتب، وعلى عجل تصفحتها، ولعدم معرفتنا للغة التي كتبت بها، كنا ننظر في الخرائط، ووجدنا ضمنها خرائط للمملكة العربية السعودية، وصوراً للمسجد الحرام، وخريطة لمصر، ولغيرهما من الدول العربية الإسلامية، ولكن المحتوى الموجود بتلك الكتب لم نعلم عنه شيئاً. . بطبيعة الحال، ولكن تاريخاً معيناً استوقفنا فيها كتب عن مصر، وكان هو العام الميلادي ١٩٥٤م، هنا طلبنا من نائب المفوض أن يشرح لنا ما كان مكتوباً حول ذلك التاريخ، فقرأ. . ثم أفادنا بأنه في ذلك العام أممت مصر قناة السويس، ووقع عليها العدوان الثلاثي المعروف. قلنا كان ذلك في العام ١٩٥٦م وليس ١٩٥٤م، وسألنا الرجل. . هل نحن متأكدون من ذلك. . ؟ وضحكنا . . وضحك الموجودون. . بعد الترجمة، وطالبنا بتصحيح المعلومة، فكتبها الرجل في الكتاب بخط يده. . مصححاً، ووعد بالتنفيذ. .

ولكن الخطأ هنا كان أمره بسيطاً، فهو خطأ في كتابة التاريخ فقط، أما معلومة التأميم والعدوان الثلاثي فكانت صحيحة، وأما باقي الكتاب . . وما فيه . . فلم ندر ما بداخله من أخطاء أخرى. . . في أي موضوعات، وبأي حجم. . . الله أعلم، ولكن في إحدى الزيارات الأخرى، وكانت لمدرسة ثانوية بمخيم «بانج باي» السابق الذكر، وجدنا في أيدي الطلاب كتاب «نور الظلام». . أو ما شابه ذلك، ولفت أحد الأخوة من بيننا . . نظر مدير المدرسة والمدرسين.

لقد كان هذا الكتاب من الكتب المدسوسة التي تشتمل على أمور ضد الدين، فهو يتحدث ـ من خلال مؤلفه ـ عن غيبيات ما أنزل الله بها من سلطان، مثل تلك الأنوار التي خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيها الرسول محمدا، صلى الله عليه وسلم، وأنه قد خلق قبل الكون، وأن الكون ذاته. . قد خلق من أجله. . إلخ. . !!

ولقد نُبهوا إلى ذلك ، وطلب من الأخ مسئول التعليم هناك أن يتابع الموضوع ، مع مسئول التعليم في الحزب، حتى يسحب هذا الكتاب من أيدي الطلاب. كذلك فإننا قد وجدنا عجباً في تدريس مادة «الحساب»، فهم كانوا ـ لايزالون ـ يقرأون من الكتب التي وضعت من مئات السنين. . تلك التي تدرس الحساب عن طريق الشعر. . !! في عصر الحاسبات الآلية والـ Calculators . . . !!!

خامساً :

عدم كفاية الكتب والأدوات المدرسية :

وهذا أمر في غاية الوضوح، يلحظه الزائر للمخيمات ومدارسها. . منذ الوهلة الأولى، حيث يشتكي منه المعلمون، وبصفة منتظمة، ففي مخيم «برادي» بمنطقة «جندل» ـ على سبيل المثال ـ وجدنا الأطفال في إحدى المدارس بدون كتب على الإطلاق، وسألنا المعلم . . فقال بأن بالمدرسة خمسة وأربعين تلميذاً وتلميذة، بينما عدد الكتب التي وصلتهم كانت ثمانية عشر كتاباً. . . فقط. وقلنا ماذا يعمل التلاميذ الباقون الذين ليست معهم كتب، فقال بأنهم يتبادلونها فيما بينهم، وفي معسكر آخر

وجدنا بعض الطلاب ينسخون الكتب الموجودة . . . كلها . . . باليد . . . !! بكل ما فيها من خرائط ورسومات، حتى لا يضطروا لاستعارتها ما بين حين وآخر . . !!

المنصرف للتلاميذ من الأدوات المدرسية أيضا . لا يكفي، والشكوى من هذا الوضع لا تنقطع، والمدرسة . . بأكملها، والتي يعمل بها معلمان . . ليس بها إلا سبورة واحدة . . هزيلة، ومن نوع رديء جداً، وسألنا مستغربين : وماذا يفعل المعلم الآخر . . أو الثاني . . حين يكون زميله محتلا للسبورة . . . ؟ قالوا عليه أن ينتظر . . . أو يعطي الطلاب درساً لا يحتاج لسبورة . . ؟؟!! .

سادساً :

عدم توفر وسائل المواصلات :

وهذه مشكلة خاصة بطلاب التعليم الثانوي فقط، وهي مشكلة أساسية خطيرة لأنه بسببها يحرم الآلاف من أبناء الشعب الأفغاني المسلم من مواصلة التعليم في المرحلة الثانوية، إن التعليم الابتدائي مدارسه متوفرة في المخيمات . . بشكل مقبول، حتى وإن اضطر بعض التلاميذ إلى السير بضعة كيلومترات، على أقدامهم . . ذهاباً وإياباً . . !!

ولكن نظراً لندرة المدارس الثانوية، سواء تلك التي أقامتها الأحزاب السياسية . . وهذه نادرة جداً، أو تلك التي تشرف عليها حكومة الباكستان مع مندوبية الأمم المتحدة، فان المسافات التي تفصل المخيمات عنها بعيدة جداً (تزيد في بعض الحالات عن ثلاثين . . . وربما أربعين كيلومتراً)، وبالتالي لا تخدم إلا المخيمات والتجمعات القريبة منها، بينما يتعذر على باقي الشباب الصغار الذين يعيشون في المخيمات الأخرى الإلتحاق بها .

وعلى سبيل المثال . . في منطقة باجور pajour وجدنا أن بها ٢٢ مخيما، تخدمها ثمان مدارس متوسطة، وأن خريجيها جميعاً لا يستطيعون الالتحاق بمدارس المرحلة الثانوية ـ فقط ـ لهذا السبب . . أي عدم وجود مدرسة ثانوية قريبة يمكنهم الوصول إليها .

وسألنا . . وماذا يفعل هؤلاء الأولاد الذين ينهون المرحلة الابتدائية، ولا يستطيعون الوصول لمرحلة الثانوية (في معظم الأحوال تشمل الثانوية . . المتوسطة معها)، فأجابوا ببساطة غريبة . . لا شيء . . يبقون هكذا بدون تعليم . . يهيمون في الطرقات . . أو حول المخيمات . . !!

أي أنهم يرتدون . . إلى الأمية . . ثانية، وربما يندفعون والعياذ بالله ، في طريق الانحراف، وهذا الأمر وارد بلا شك، حيث أنهم في سن المرحلة الخطرة . . مرحلة المراهقة . . كما أن غياب تأثير الأسرة وضبطها عنصر خطير هنا لا شك فيه .

سابعاً :

عدم تقديم وجبة غذائية للأطفال :

وهذا أمر خطير، قد لايقدر البعض خطورته . . أو عواقبه . . إن المدارس في البلاد المتقدمة . . وغيرها، من تلك التي تعيش ظروفا عادية, لا تظلها سحب الحرب والقنابل والمعارك اليومية . . وغيرها، تقدم لأبنائها وجبة غذاء . . يومياً، وأحياناً يقدم بعضها وجبتين، وليس هذا ترفاً . . أو إسرافاً . . . وإنما هو يتم بناء على دراسات علمية اهتمت ـ بالدرجة الأولى ـ بصحة الإنسان، وأثبتت أن الطفل في عمره الباكر يحتاج إلى عناصر غذائية معينة، قد لا يوفرها له منزله، حتى وإن كان ثرياً، ومن هنا ظهرت أهمية الوجبات الغذائية المدرسية .

ويكفي للتدليل على ذلك . . أي على هذه الأهمية أن « ونستون تشرشل » رئيس وزراء بريطانيا الأشهر، خلال سنوات الحرب العالمية الثانية، تلك التي طحنت بلاده، ودمرت عاصمتها، وقطعت عنها المؤن والأغذية التي كانت تأتيها من الدول الأخرى عبر البحار، وخاصة دول الكومنولث البريطاني . . في آسيا وأفريقيا، ونستون تشرشل هذا ضرب للناس مثلاً رائعاً في بلاده بالتقشف، حين شرب الشاي . . دون سكر، وحين طالبهم بالعمل التطوعي . . عدداً من الساعات . . مثله .

كذلك فإن الإنسان البريطاني، الذي أحس بحرج موقف دولته، قبل راضياً أن

يقف في الطابور، ليأخذ الكمية القليلة والمحددة من الغذاء الأسبوعي ، والذي اختفت منه أشياء كثيرة، كان أفراد الشعب البريطاني قد تعودوا عليها، بعد ثرائهم الطويل من المستعمرات الشاسعة التي استنزفوها كثيراً . . . وبشدة .

ولكن . . حينما جاء الأمر إلى الأطفال . . وجدنا تشرشل هذا . . يأمر بأن تصرف لهم وجبات غذائية كاملة . . في مدارسهم، تشتمل على البيض واللبن . . خاصة، وقال عبارته الشهيرة التي مؤداها أنه لا يستطيع أن يتحمل مسئولية أن يكون هو السبب في أن يخرج لبريطانيا جيل كامل . . معتل الصحة . . !! .

وعوداً إلى صحة أطفال المجتمع الأفغاني المهاجرين أو المهجرين . . بمعنى أصح ، والذين سبق أن قلنا إن الغذاء الذي يقدم لهم ولأهليهم وذويهم . . لا يكفي على الإطلاق . . . لا كماً . . ولا نوعاً . . بل إنهم ـ وكما سبق وعلمنا . . وعرضنا ـ كانوا مضطرين لتقديم جزء منه للسكان المحليين . . نظير سكنهم . . وفي أحيان أخرى . . نظير ملبسهم . . !!

إن هؤلاء الأطفال مهددون ـ يقيناً ـ في صحتهم، خاصة وهم في فترات بناء أجسامهم ، لأن ما يقدم لهم من طعام ليس فيه من مقومات الطعام المفيد لأجسامهم إلا النذر اليسير.

إن بعض الإحصاءات الحديثة تقول بوجود مليون ونصف من الأطفال في المخيمات الحدودية ، وإن كان المسئولون يتحفظون على هذه الأرقام ، ويقولون إنهم أكثر من ذلك بكثير، فعدد المهاجرين يقترب بسرعة من رقم الخمسة ملايين، ونسبة الأطفال بينهم هي ٤٧٪[*]، وعلى ذلك فنحن أمام رقم للأطفال الصغار الذين يحتاجون الغذاء والعناية والرعاية ، يقترب من مليونين ونصف المليون طفل .

* جمعية الهلال الأحمر السعودي، في بيشاور ـ باكستان : Afghan Refugees Registered Population In Pakistan : As On 15-2-1986.

إن معضلة الغـذاء، بالنسبة للطفل الأفغاني، واجب في عنق المسلمين عليهم البحث لها عن مخرج، وخاصة أولئك القادرون منهم. وهذه المعضلة ـ للعلم ـ سهلة الحل . . يسيرة، فيكفي ـ كما قال أحد الإخوة الأطباء المسلمين المتطوعين هنا ـ يكفي أن نقدم للطفل ـ في المدرسة ـ كوباً من اللبن، وقطعة من بسكوت معين . . يشتمل على الـبروتين المطلوب للجسم، ولا يجب أن ننسى ـ ونحن نعمل في مجال التربية والتعليم ـ أن . . العقل السليم . . . في الجسم السليم، وأن طفل اليوم . . هو مجاهد الغد.

لقد زرت إحدى المدارس الثانوية، في أحد مخيمات الحدود، وأقبل علينا المساء ونحن هناك، فعرض علينا المسئول أن نبقى للعشاء معهم . . وتمنعنا . . وأصر الرجل على أن نأكل معهم . . وسط التلاميذ، وبقينا. وطلبت أن أدخل إلى ما أطلقوا عليه لفظ . . «المطبخ» . . ودخلت . . وليتني ما فعلت . . !!

لقد شاهدت إناءً . . متوسط الحجم، موضوعاً على قطعتين من الحجارة، وقد أوقدوا تحته ناراً، وكشفوا الغطاء لأرى ماذا يطهون، ولم أتبين ما فيه . . فسألت، فقالوا شيء من خضروات . . وشيء من دهن قليل، مع كثير من الماء . . يطهى حتى ينضج . . ثم يقدم للجميع . . مع رغيف من خبز . . لكل فرد . . وحسب . . !!

لقـد كانت هذه المـدرسـة . . مدرسة ثانوية . . ليلية . . يبيت فيها الطلاب، يستـذكـرون وينـامـون، أمـا عددهم فكـان . . . مائة وثلاثين . . بالإضافة لمدير المدرسة . . ومعلميها . . وكلهم سوف يأكلون مما في هذا الإناء . . . وهم كرماء والله حقاً . . يدعوننا للعشاء . . . !!

واعتذرنا برفق . . ولكن بإصرار، ويعلم الله أن ذلك لم يكن تأففاً . . أو تمنعاً، ولكنا أشفقنا أن نأكل شيئاً يمكن أن يدخل معدة فتى من أبناء المجاهدين. ومن لي ـ هنا ـ بعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، ليحمل على كتفيه الدقيق والسمن، من بيت مال المسلمين، وليطعم الباكين من الأطفال، وليبكي هو ـ رحمه الله ـ خشية القوي القهار . . . إن أبناء الأفغان لا يستطيعون . . حتى البكاء اليوم . . لقد جفت دموعهم . . يقيناً . . ولا حول ولا قوة إلا بالله . . . !!

ثامنــاً:

سوء حال ملابس الأطفال :

وهذا أمر لا يحتاج لبيان، فأي زائر لمدارس المخيمات، سوف يصدم، بما يرى على الأطفال من ملابس رثة ممزقة، وهي بالشكل التي هي عليه لا تقيهم لفحة حر. . ولا لسعة برد، ولقد سبق القول بأن آلاف الأطفال من أبناء الأفغان . . يموتون من الحر في الباكستان، وذلك لأن بلادهم الأصلية ـ أفغانستان ـ معتدلة الحرارة عموماً. . بل وبـاردة في المناطق الجبلية المرتفعة، كذلك قيل لنا إنهم يموتون من البرد القارس، خاصة في إقليم «كويتا» . . تلك التي تحيطها سلاسل الجبال من جميع الجهات وحيث تهبط درجة الحرارة إلى ما دون خمس عشرة درجة مئوية ـ تحت الصفر ـ . . !!

إن مندوبية الأمم المتحدة. . لشئون المهاجرين The United Nations Higher Commission تصرف لكل طفل. . طقماً واحداً من الملابس. . مرة واحدة طوال العام. . ولست بحاجة لأن أقول بأن معظم أطفال الأفغان يسيرون وهم حافي الأقدام.

وما دمنا نتحدث عن غذاء الأطفال في المدارس، وأثره على بناء أجسامهم، ثم على تحصيلهم العلمي، فإننا لا يمكن أن نفصل الملابس. . عن الغذاء، فكيف يستطيع طفل صغير يرتجف من البرد، أو يتشقق منه جسمه ـ كما قيل هنا ـ كيف يستطيع أن يقرأ. . أو يكتب. . بله أن يعي ما يقرأ و يكتب. . . ؟؟ لقد قيل لنا في مدرسة تابعة لحزب الاتحاد الإسلامي، ومدرسة أخرى تابعة لأهل الحديث، قيل لنا. . إن أهالي المنطقة قد أعطوا أطفال الأفغان ملابس يسترون بها عوراتهم. . على أن تكون. . قرضاً يردونه. . . !!

تاســعاً :

عدم الاهتمام بالتربية الرياضية :

إن هذا العنصر الهام . . من عناصر التربية . . يغيب تماماً عن مدارس الأحزاب . . خاصة، وإن كان يوجد في المدارس الثانوية التي تشرف عليها حكومة الباكستان والمفـوضية التـابعة للأمم المتحدة، ولكنه لا يتعدى طابوراً صباحياً للأولاد، تحية منتظمة يؤدونها . . ثم ينصرفون إلى فصولهم . . كما قال لنا مندوب المفوضية . . . ! !

إن الغالبية العظمى ـ في عالمنا العربي . . وكذا في العالم الإسلامي ـ لا يدركون خطورة عدم وجود التربية الرياضية على حياة الإنسان المسلم . . بل وعلى حياة الأمة كلها، بل إن البعض قد يسخرون من مجرد التفكير فيها والتركيز عليها، وبعضهم ـ للأسف الشديد ـ يعتبرونها مضيعة للوقت . . . أو هي مجرد لعب . . . ! !

إن الـذي يدرس محتـوى منـاهـج التعليم، في جميع المـراحل . . الابتدائية . . والمتوسطة . . والثانوية، في الدول المتقدمة، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، يجد أن هناك تركيزاً شديداً على التربية البدنية Physical Education ، وذلك نظراً لانعكاساتها ونتائجها على الأفراد جميعاً، وبالتالي على صحة الأمة كلها . . .

ومن الخبرة العملية . . علمت . . وشاهدت المدارس الأمريكية وهي تقدم مادة التربية البدنية . . في أول ساعة من ساعات اليوم الدراسي . . صباحاً، وذلك ـ كما فلسفوا هم هذه العملية ـ حتى يدخل الأطفال أو التلاميذ والطلاب فصولهم . . وهم نشيطون . . متيقـظون . . منتبهون ـ وهم يركزون فيها ـ بعلم شديد ـ على أجزاء الجسم المختلفة، وذلك حتى يبنى هذا الجسم في تناسق سليم، ودرس التربية البدنية ـ للعلم ـ درس يومي . . لا يتنازل عنه . . ولا ينسى أو يتغاضى عنه لصالح مقرر آخر . . كما يحدث أحياناً في بعض بلادنا . . ! !

ومن الخـبرة العملية أيضاً ـ ولكن في بلادنا هذه المرة ـ أذكر أن «حصة» التربية

البدنية هذه كانت توضع ـ في العادة ـ ضمن جدول اليوم الدراسي. . . في نهايته تماماً، وهي مرة واحدة في الأسبوع (!!)، وعندما كان يحين وقتها كانوا يفتحون لنا باب المدرسة، حتى نخرج في هدوء ذاهبين إلى بيوتنا، وحتى لا نزعج زملاءنا الذين كانوا يدرسون في الفصول الأخرى. . . وذلك إذا لعبنا أو تصايحنا. . !!

وليس غريباً. . الآن ـ أنك تستطيع أن تميز الإنسان «الأجنبي». . إذا سار في شوارعنا نحن. . وذلك من قامته المعتدلة الرشيقة، ومشيته السريعة المستقيمة، وعلامات الصحة البادية عليه. . . ولا داعي لوصف أجسام أفراد مجتمعنا من حوله. . فنحن أدرى بها فينا. . !!

إن كل ذلك ـ ببساطة، مرجعه ـ عندنا وعندهم ـ إلى فعل التربية، وفعاليتها، فهي بالسالب عندنا. . وبالموجب عندهم. . إنها عقيمة عندنا . . . ومنتجة رائعة عندهم، وينبغي علينا أن نعلم أن ديننا الإسلامي الحنيف يحثنا على الصحة والقوة، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وآية القرآن الكريم. . نقرأها صباح مساء. . ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة. . ﴾ [الأنفال/ ٦٠] ـ وقوة الأجسام ـ لا شك ـ تدخل ضمن هذا الإعداد. . .

وإذا كان ذلك مطلباً مهماً، بالنسبة للتربية في كل مجتمعاتنا الإسلامية، بصفة عامة، فهو مطلب أساسي وأكثر أهمية في حالة التربية الأفغانية، نظراً لظروف الحرب والقتال اليومي، تلك التي يعيشها المجاهدون الأفغان. . . صباح مساء.

إن هؤلاء المجاهدين يستشهد منهم يومياً. . بالعشرات، إن لم يكن بالمئات، وواجب التربية ـ هنا ـ أن تعد أجيالاً أخرى، من أبناء هؤلاء المجاهدين. . . أبناء يتحملون أعباء الجهاد. . ومشاقه، ولا يمكن أن يتم هذا المطلب الملح إلا من خلال برامج تربوية متكاملة، تراعي التوازن المطلوب بين مطالب العقل. . مطالب الجسم، وينبغي أن تكون هذه البرامج . . جادة. . بل قاسية، قسوة المعارك الوحشية الدائرة هناك، وقسوة الشيوعيين الملحدين الذين يقتلون المسلمين يومياً. . دون

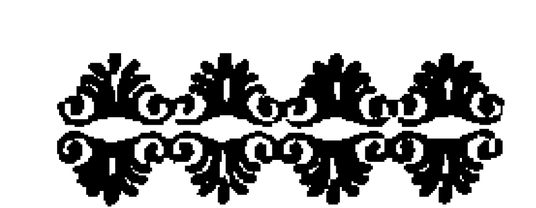
رحمة . . ودون وازع من ضمير أو خلق، وينبغي أن يفهم القائمون على أمر تنفيذها - تنفيذ تلك البرامج - الهدف السامي منها . . . للفرد . . وللمجتمع . . وللأمة . . . ومن قبل ومن بعد . . . للإسلام وحمايته . . . والدفاع عنه .

عاشــراً :

عدم الاهتمام بتعليم الفتاة :

من نافلة القول أن نتحدث هنا عن أهمية تعليم الفتاة، وكيف أنها ستصبح في المستقبل أماً . . . تربي أجيالاً من البنين والبنات، ومن هنا فإن إهمال تعليمها وتربيتها - خلال فترة الجهاد هذه، والتي لا يعلم إلا الله - سبحانه وتعالى - متى ستنتهي، سوف تكون له عواقب وخيمة على أفراد الشعب الأفغاني كله مستقبلاً .

هذا وحينما قمنا ببعض الزيارات الميدانية، وحصلنا من المسئولين على شيء من المعلومات الضرورية، وجدنا الآتي، والذي سوف نبقي التعليق عليه حتى نقرأه :



جدول رقم (٢)

أعداد الطلاب . . والطالبات، في بعض مدارس المخيمات

اسم المدرسة	عدد البنين	عدد البنات
Tour Camp ... No 1	١٠١٤	صفر
ثلاث مخيمات قريبة من المخيم السابق	١٠٤٥	٢١٨
Mayer Camps.	٦٣٧	٢٩٩
Perari Camp.	٦١١	صفر
Timer Camp.	٧١٥	٥٥
Barawal Camp.	٤٢٩	صفر
Sundrawal Camp.	٢٢٣	صفر
Dodpa Camp.	٤٥٢	صفر
Dir Camp.	١٢٨	صفر
Chakdarra Camp.	٩٧٠	١٠٨٨
المجمـوع	٦٢٢٤	١٦٦٠

إن الفرق بين أعداد البنين والبنات، في مدارس هذه المخيمات، والتي أمدّنا بها نائب المندوب السامي، في هذا الإقليم، من واقع الدفاتر الرسمية، لا يحتاج لتعليق، فالأرقـام تتحـدث عن نفسها، وتقول لنا إن البنت . . أم المستقبل . . في كثير من المخيمات . . لا مستقبل لها . . . لأنها . . ببساطة . . بدون تعليم.

إن معظم المدارس ـ هنا ـ تغيب عنها الفتاة الأفغانية، وهذه مدارس تتبع حكومة البـاكستـان . . المـدعـومة بمعونات الأمم المتحدة، وسوف نرى عينة من مدارس الأحـزاب فيها بعـد. ولكن لعل القارىء قد لاحظ أن المعسكر الأخير، أو المخيم

المسمى Chakdarra قد قفزت فيه أعداد البنات.. فجأة.. لتزيد عن أعداد البنين.

ولقد سألنا عن هذه الظاهرة.. وسببها، فقيل لنا إنه سبب وحيد فعلاً، وهو توفر المعلمة الأفغانية، فحيثما وجدت.. اندفع أفراد المجتمع في إرسال بناتهم للتعليم.. قلنا ولماذا لا تتعاقدون مع معلمات باكستانيات.. من أولئك القريبات من المخيمات التي لا توجد فيها معلمات أفغانيات..؟؟

قالوا نفكر.. هذا حل سليم..

بل إن واحداً من المجاهدين الباكستانيين، والذي كان حاضراً الاجتماع معنا قد أبدى استعداده الفوري لأن يرسل زوجته إلى المخيم القريب من منزله لتعليم الأفغانيات الصغيرات.

الوضع في مدارس الأحزاب :

أما مدارس الأحزاب، فالصورة فيها ـ صورة تعليم الفتاة ـ أكثر سوءاً، حيث يصل إهمال تعليم الفتاة الأفغانية.. حداً بشعاً، فعلى سبيل المثال أعطانا مسئول التعليم في حزب الاتحاد الإسلامي (حزب الشيخ سياف) بياناً خطيراً عن المدارس التي يشرف عليها الحزب.. في منطقة بيشاور، وقد اتضح من هذا البيان أن الحزب يشرف على ٢٠٤ مدرسة، ما بين ابتدائية وثانوية وغيرهما، وأن أعداد التلاميذ فيها تصل إلى ٢٧,٥١٦ تلميذاً وتلميذة، وأن البنات غير موجودات إلا في نحو عشرين مدرسة فقط.. وكلها مدارس ابتدائية، بل هي لا زالت لم تستكمل إلا الصفوف الثلاثة الأولى منها فقط، وعدد الطالبات فيها هو ما بين ٦٠٠ ـ ٧٠٠ فتاة... أي أن نسبتهن لا تزيد على ٣٪ فقط.. من أعداد الطلاب...!!

ولما سألنا مندوب الحزب عن السبب في هذا الوضع في تعليم الفتاة الأفغانية، قال إن بعض المولوية (العلماء الأفغان) يقولون بأن الفتاة إذا تعلمت.. انحرفت إلى الشيوعية..!! وهذا قول رد عليه أفراد المجتمع في مخيم أو معسكر Chakdarra ،

فحينما توفرت المعلمة الأفغانية . . أرسل بناته للتعليم . . دون تردد . وليتهم يعلمون أن الفرد . . المتعلم . . الفاهم لأحكام دينه . . . ولأمور الشريعة . . . والمستوعب لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو الحاجز ضد الشيوعية . . وضد انتشارها ، إن الجهل ـ على العكس من ذلك تماماً ـ قد يكون ميسراً لهذه الشيوعية . . كي تقتحم معاقل المسلمين ، حيث أن الجهلاء . . الذين يوجدون في الطبقات الفقيرة . . رجالاً . . ونساءً . . يكونون تربة صالحة . . بل وجاهزة . . لشياطين الشيوعيين . . كي يقدموا لهم أفكارهم المنحرفة . . وكي يؤثروا عليهم ويغوونهم بالمذهب الهدام .

حادي عشر :

عدم العناية بالتعليم الفني :

وأهمية التعليم الفني ـ في حياة الأمة ـ لا تحتاج لتأكيد ، خاصة في عصرنا هذا الذي كثر فيه واتسع اعتماد الإنسان على الآلة ، وعلى ما تنتجه المصانع ، فلا يخلو يوم في حياة الإنسان . . في أي مكان . . على وجه الأرض ، من التعامل مع الآلات والعدد . . بصورة . . أو بأخرى .

هذا وإن المجتمع الذي لا تنفر منه طائفة من أبنائه . . لتتفقه في أمور التكنولوجيا الحديثة ، وتتعمق فيها . . يصبح مجتمعاً أمامه طريقان . . لا ثالث لهما : الأول هو أن يحصل على هذه التكنولوجيا ويستفيد من نتائجها ، ولكن . . بواسطة أفرادٍ من غير أبنائه ، وهذا يضعه في موضع حرج مع مرور الأيام ، من حيث زيادة الاعتماد على الآخرين ، علاوة على أنه قد يعرض أبناءه لمؤثرات خارجية ، قد لا تحمد عقباها . . . في المدى الطويل ، وهي مؤثرات سياسية . . . وثقافية . . واجتماعية . . واقتصادية ، بل وفي مجال الدين والقيم والتقاليد والعادات . . . بسبب العمالة الوافدة التي تختلف عنه في كل شيء ، وهذه أمور لا ينبغي التقليل من خطورتها . أما الطريق الثاني . . فهو أن يدير المجتمع ظهره للتكنولوجيا ومنتجاتها . . وبالتالي يصبح . . مع المتخلفين .

وفي حالة المجتمع الأفغاني . . نجد أن عزلته عن العالم، خلف حدوده الجبلية غير المفتوحة على شعوب الأرض، قد باعدت بينه وبين ما يجري في العالم من متغيرات إلى حد بعيد .

أما وقد فرض على هذا الشعب المسلم . . المسكين، أن يتعامل مع التكنولوجيا من أصعب وأخطر أبوابها . . وأعني به باب السلاح وأجهزة الحرب المتقدمة كلها، فليس له أن يتخلف عن مواجهة التحدي، خاصة وأفراده يملكون شجاعة نادرة، اعترف بها الجميع . . . حتى الأعداء

هذا وإن بداية التعامل مع مفاتيح التكنولوجيا تكون في . . التعليم الفني . . . بكل أنواعه . . . بلا استثناء، حيث يتشرب الناشئة حس التعامل مع الآلة . . مع حدتها . . ومع دقتها . . مع خطورتها . . ومع سرعتها . . مع فائدتها . . ومع كوارثها . . . باختصار . . مع كل شيء فيها . ثم ينتقل ـ بعد ذلك ـ أثر هذا التدريب . . من المصنع . . إلى ميدان القتال، ومن المخيم . . إلى الجبل . . حيث ميدان الجهاد إن شاء الله .

وللأسف الشديد . . حينما جئنا للواقع لم نجد اهتماماً بالتعليم الفني . . أو الحرفي، من جانب المدارس التابعة لحكومة الباكستان والمفوضية التابعة للأمم المتحدة، ولا من جانب مدارس الأحزاب، وإن كان ذلك لم يفت جهات أخرى . . . بعينها . . ! !

لقد تقدم الأمريكيون . . ومعهم الألمان الغربيون . . وغيرهم، فقدموا للمجتمع الأفغاني في المخيمات عدداً من التجارب الناجحة في هذا المجال، ففي إحدى الزيارات الميدانية لمعسكر «بانج باي» الذي يصل عدد سكانه إلى قرابة الثلاث أرباع المليون نسمة، وجدنا مركزاً أقامته منظمة العمل الدولية International labor Organization ، وسألنا من قادنا إلى هناك : هل سبق لهم دخوله من قبل ومعرفة ما فيه . . . وجاءت الإجابة بالنفي .

وقلنا ندخل إن شاء الله، على الرغم من حرصهم على أن نسأل أولاً، لأنه قد تكون هناك موانع، أو قد تكون هناك تصريحات مطلوبة للزيارة، واعتمدنا على الله ودخلناه ولقد وجدنا شيئاً طيباً حقاً.. غاب عن المسلمين أيضاً.. وإلى حد كبير..!!

وجدنا مركزاً للتدريب.. طيب التشييد، حسن النظام، به ٧٢ طالباً، وثمانية من المدرسين، وهم يقدمون فيه تدريباً على أعمال: الكهرباء ـ السباكة ـ البناء ـ ميكانيكا المزارع. ومدة التدريب فيه هي ستة شهور، يحصل الطالب خلالها على ٤٠٠ روبية باكستانية، كمرتب شهري يسد حاجته للأكل والمواصلات.. إذا كان سكنه بعيداً عن المركز، وإذا كان قريباً تخفض إلى ٣٠٠ روبية.

الآلات والعدد يتعامل معها الطلاب بعلمية شديدة، حيث يسبق التدريب عليها دراسة نظرية.. في فصول أعدت لذلك، ورأينا إنتاج الطلاب.. فكان ممتازاً، وكان معلموهم من الأفغان، من الذين تخرجوا من الكلية التكنولوجية في «كابول». وكانت مرتبات المعلمين هي ٢٨٠٠ روبية لكل منهم.. شهرياً، أما مديرهم والمشرف على المركز فكان راتبه ٤٢٠٠ روبية.

وطفنا بكل أرجاء المكان، وسألنا عن الصلاة أين يؤدونها، فأشاروا إلى مكان صمموه بأنفسهم لهذا الغرض، ثم أدخلونا إلى مستودعاتهم، التي كانت في غاية النظام والدقة. وهنا همس في أذني أحد الإخوان المرافقين لي، والذين دخلوا خلف الحدود الأفغانية وقاتل مع المجاهدين.. مرات عديدة، قال الأخ المجاهد الكريم: لقد كان من مشكلات المجاهدين ذات يوم عدم معرفتهم كيفية تخزين الأسلحة والذخائر، بل إنهم احتاجوا ذات يوم لمن يخبز لهم خبزاً.. فلم يجدوا.. فأرسلوا يستنجدون بمن في «بيشاور»..!!!

وبعد هذا المركز وجدنا مركزاً آخر مثله، وكان يشرف عليه في هذه المرة الألمان الغربيون... وكان في نفس المعسكر السابق الذكر، وإن كان يزيد عن المركز السابق

في أنـه يقدم «لحام الأوكسجين» ضمن براجمه، وحين يتم الطالب تدريبه ويتخرج يمنحـونـه صنـدوقاً به مجموعة من الأدوات، كي يستعين بها في عمله الجديد. . كشخص مهم. . . يحتاج المجتمع خدماته بشدة.

ودون مجاملة. . ينبغي الاعتراف بأن المسلمين قد تأخروا كثيراً في طرق أبواب هذا الميدان، والأخـوة الـذين دخلوه بعـد ذلك ـ مشكورين مأجورين ـ يدفعون الآن «تكاليف الفرصة الضائعة»، Costs of the lost chance . . كما يقول الاقتصاديون، ولعل حماسهم وإخلاصهم يعوضانهم عن ذلك بإذن الله.

ثاني عشـر:

التعتيم الإعلامي على جهود العرب في مجال التعليم الأفغاني. . وأثره:

وقد يبدو ذلك ـ للوهلة الأولى ـ بعيداً عن المشكلات التي تواجه التعليم الأفغاني، ولكن الواقع يقول بغير ذلك، فمن المعروف لأي مراقب منصف أن العرب المسلمين متـواجـدون في الميدان الأفغاني، يدعمون إخوانهم المجاهدين ويمدونهم بالسلاح والمؤن والذخائر، كما أنهم من خلفهم يرعون أسرهم وأبناءهم في المخيمات.

كذلك فإن هناك علامات مضيئة أرسى أسسها عدد من الشباب المسلم، في مجال الخـدمـات الطبية، سواء في مستشفيات الدول التي تتلقى المجاهدين المصابين في الجبهة، أو تلك التي أقيمت بين المخيمات، تضمد فيها الجراح، وتجرى العمليات الخطيرة التي عجزت عنها بعض المنظمات الطبية. . الدولية. . . دون أية مبالغة. . وعلى سبيل التذكير فإن «الهلال الأحمر السعودي هناك»، ويقف بجانبه «الهلال الأحمر الكـويتي»، ولجنـة الـدعـوة، ومكتب خدمـات العـرب. . التـابـع لرابـطة العالم الإسلامي، والوكالة الإسلامية للاغاثة كلهم هناك في الميدان. . يعملون في صمت، شبـاب متـطوعون نذروا أنفسهم لله ثم لخدمة قضية الجهاد التي يرفع لواءها أبناء أفغانستان العظماء.

وفي مجال التعليم . . هم هناك أيضاً، غيرة وحماساً . . وعملاً مثمراً، حيث شكلوا اللجان، واتصلوا بالمختصين. . . من الأساتذة الباكستانيين. . يستفتونهم في أمور التربية والتعليم، كما أنهم أنشأوا عدداً لا يستهان به من المدارس، وهناك معهد أو أكثر أسهموا فيه، بالإضافة إلى الدعم المادي الذي يمدون به الأحزاب. . في الداخل والخارج، على السواء. . . سواءً على شكل كتب، وأدوات مدرسية، أو على شكل مرتبات ومصروفات نقل وغيرها.

ورغم كل ذلك فالذي يقرأ التقارير الغربية، عن المنظمات العاملة في مجال التعليم الأفغاني، لا يجد أية إشارة إلى جهود العرب المسلمين في هذا المجال، وهناك محاولة لجني ثمار ما يجري على الأرض الأفغانية . . في مجال التعليم بالتحديد، ونسبتها ـ فقط ـ إلى الغرب بمؤسساته المختلفة، وخاصة اللجنة السويدية، تلك التي ابتعدت عن الصورة، بتخطيط متقن، في الوقت الذي أبرزت فيه ما يعرف باسم «اللجنة الأفغانية للتعليم A. E. C. » والتي وضع على رأسها ـ بغرض الإعلام فقط ـ أستاذ أفغاني، سبقت الإشارة إليه، أما ما يجري من أعمال هذه اللجنة ـ فعلاً وواقعاً ـ فالذي تقوم به سيدة هولندية . . وظفها السويديون في مكتبهم في «بيشاور»، وذلك لطول خبرتها في أفغانستان، وإتقانها للغة الفارسية، ومعرفتها بأحوال المجتمع هناك. . !!

وفي كتابتها لتقريرها السنوي، هذا العام ـ ١٩٨٦م ـ أشارت فقط، إشارة عابرة إلى العرب، حين قالت عن الشيخ عبد رب الرسول سياف «إنه يفضل التعاون مع العرب. . على التعاون معنا». . . ولم تذكر في تقريرها المطول أي شيء عن جهود العرب المسلمين في مجال التعليم الأفغاني.

وفي تقديمها للحساب الختامي . . للعام الماضي . . خانها حذرها. . واضطرت للإشارة للعرب، وذلك حين قالت بالحرف الواحد، وأنا هنا أترجم عن تقريرها بأمانة قالت: «إن أسعار نقل الكتب والأدوات الدراسية لعام ١٩٨٦م لا بد سترتفع عن أسعار عام ١٩٨٥م. والسبب في ذلك هم. . . العرب . . !! (كيف؟؟) لأنهم يتفاوضون مع الأشخاص الذين ينقلون هذه الأشياء، وهؤلاء الناس يعتقدون أن العرب لديهم من المال الشيء الكثير. . . وهم كذلك على أية حال». . . !!!

إذن فالعـرب هنـاك.. في الميدان... ولكن جهـودهم يجري عليهـا تعتيم مقصـود.. وسبب ذلك ـ في تصوري ـ هو إبراز دور المنظمات الغربية، تلك التي تتكـاتف مع بعضها بوضوح شديد، لإفهام الرأي العام العالمي أنهم هم ـ فقط ـ الذين يعملون في مجال خدمة الإنسان الأفغاني المعذب، بل إنهم حريصون على دينه (!!!).. فهم يقـدمـون له المصحف.. ضـمن ما يقـدمون، بل... ويقيمون مسابقات في حفظ القرآن الكريم...!!!

بينما الواقع الحقيقي يقول ـ رسمياً ـ بأن الأمم المتحدة، ممثلة في مفوضها السامي، المتعـامـل مع حكـومة الباكستان، قد أوقف ـ بخطاب رسمي ـ هذا العام ـ دعم المـدارس الـدينية في الباكستان والتي كانت تعلم أبناء الأفغان.. القرآن والحديث والعلوم الشرعية.. فكيف يتم ذلـك رسمياً.. وعـلى أرض الـواقـع، بينـما.. إعـلامياً.. وأمام البسطاء.. من أبناء الشعب الأفغاني.. يقيمون مسابقة للقرآن الكريم.. أقصد في حفظه، ويبنون مسجداً.. في مركز للتدريب المهني..؟؟ أليس هذا أشبه بمسجد الضرار الذي نعرفه جميعاً في تاريخنا الإسلامي...؟؟

ثالـث عشر:
إشراف الأجانب على كثير من أمور التعليم، وحرصهم على ان يبدو الظاهر غير ذلك:

ولقد سبق أن لمسنا هذا البعد حين تحدثنا عن «لجنة التعليم الأفغانى .A. E. C»، والتى شكلتها «اللجنة السويدية» النشيطة جدا فى مجال التعليم الابتدائى، وخاصة فى داخل أفغانستان، وقد حرصت على أن تعطيها اسما أفغانيا خالصا.. بعيداً عن الشبهات.

لقد كان هذا استنتاجا منا، من واقع الحال.. ومن استقراء الأمور، عندما نقول إنهم هنا... خلف الستار، يوجهون.. ويشرفون.. ويخططون، بينما الواجهة أفغانية، متمثلة فى د. صافى الذى كان ـ ذات يوم ـ أستاذا فى جامعة «كابول»، قبل الغزو السوفييتى لأفغانستان.

ولقد قمنا اليوم ، بزيارة د. صافى فى مقر لجنته ، فى الـ A. E. C. ، وبدا الرجل طيبـا فعلا . . مخلصا لقضية أبناء شعبه ، وفى أثناء حديثنا معه قال بأنه لا يشعر بالارتياح . . لأنه - كما صرح - على خلاف مع بعض القائمين بالأمر . . . فى كل من «السويد» و«الدنيمارك»، لأنهم يرسلون . . أو يريدون أن يرسلوا له . . من هناك - من يحاسبه ومن يتتبع خطواته فى عمله، وتدعم استنتاجنا كذلك زرنا مقر الـ .

(International Resque Committe) أي لجنـة الإنقـاذ الـدولية، وهى ليست دولية . . كما يدل عليها اسمها، وإنما هى منظمة أمريكية.
وتحدثنا مع المسئول عنها، وطلبنا معرفة إسهاماتهم فى مجال التعليم الأفغانى، وأخبرنا الـرجـل أنهم مهتمـون بتـدريب المعلمـين، وخـاصة فى مجالات الطبيعة والأحياء والكيمياء . . . واللغة الإنجليزية .

ولما طلبنا منه أن يأتينا بأية بيانات مكتوبة عن نشاطاتهم قام ليغيب قليلا فى غرفة أخـرى ، غير غرفة المكتب التى استقبلنا فيها . . . وغاب لبضع دقائق ، ثم عاد ليعـطينـا ورقـة واحدة، تبين نشاطاتهم التعليمية، وأعداد الطلاب الذين التحقوا بالدورات عندهم، وكيف أنهم يزمعون أن يقوموا بتنفيذ برنامج فى الصحافة وشئون الإعلام [وبطبيعة الحال فإننا ندرك أن ذلك هام جدا . . حتى يتمكنوا من الإعلام من خلال بعض من سيتخرجون عندهم . . . عن أساليبهم وتربيتهم].

وليس هذا هو بيت القصيد - هنا - الآن . . . فبعد بضع دقائق أخرى قام الرجل ليحضر لى مشروعـاً أعدوه لإنشاء مدرسة ثانوية يكون التركيز فيها على «العلوم»، والتى سيكـون التدريس فيها باللغة الانجليزية، وكيف أنهم بدأوا يعدون الكتب الدراسية المقررة بالفعل .

كان هذا المشروع مكتـوبا فى أقل من نصف صفحة فقط، وانتهى لقاؤنا به ، وشكرناه على حسن تعاونه معنا، وجمعت أوراقى ، وعدت إلى مقر إقامتى ، وبدأت أراجع حصيلة اليوم من البيانات والمعلومات والزيارات التى قمت بها، كى أكتب بها ملخصا . لحين كتابة التقرير النهائى ، وبينما كنت أقوم باسترجاع وترتيب كل ما

حصلت عليه من أوراق . . . وأعلق عليها بسرعة حتى لا أنسى الآثار التى تركتها فى نفسى ، وكذا الانطباعات الأولية التى خرجت بها .

أقول بينما كنت أفعل ذلك . . فوجئت بورقة صغيرة . . . تقل عن ربع الصفحة . . . وليس عليها من الكتابة إلا بضعة أسطر . . . قرأتها . . . ودهشت ، وأعدت قراءتها متأكدا . . .

وأصبح الاستنتاج السابق . . . يقينا . . . مدعما . . . وبالدليل المادى ، لقد أعطانى الرجل ورقة ما كان يجب أن تقع تحت يدى ، ولا أن تصل لى . . أو لأمثالى . . . وسبحان الله العظيم . . . فيبدو أنها كانت معدة كى توجه لعدد من مسئوليهم الذين يخبرونهم عن نشاطاتهم ، تقول الورقة . . فى ثلاثة سطور . . ما نصه : والحديث عن المدرسة الثانوية المزمع إقامتها أو إنشاؤها هناك . . . تقول :

« إن تصميم البرنامج الأساسى ، والخطوات المبدئية لتطوير هذا البرنامج ، سوف تأتي من هـ D. C. A. E. (Development Center For Afghan Education) أى مركز تطوير التعليم الأفغانى) . . . ولكن . . . سوف يجرى التوضيح ـ بشكل قاطع ـ لكل من يهتم بهذا الموضوع ، بأن هذه عبارة عن مدرسة تجرى بجهود أفغانية موحدة » وباللغة الانجليزية بالنص . . تقول الورقة :

The basic program design, and initial stages of development will come from the D. C. A. E.,
but it will be made elear to all concerned that this is a unified Afghan-run school.

ولا يحتاج الأمر لشرح أو تعليق . . .

فقط أعود وأؤكد على التنسيق بين الأجانب فى عملهم ، وعلى ذلك فهناك مخططات يعملون على تنفيذها ، وعلينا . . . نحن المسلمين . . . أن نفتح أعيننا جيداً ، فى عالم لا تكن لنا فيه هذه الشعوب الغير إسلامية . . . أية محبة أو خير . . . فالذى يحمل الدواء ويأتى به . . من بلاده فى أقصى الشمال البارد من أوروبا وأمريكا . . . ليعيش هنا . . . فى هذا الحر اللافح . . . والتراب الكثير . . . لا يفعل ذلك من أجل عيون

أبناء الأفغان المسلمين ، وإنما هم وراء هدف خطير . . واضح وصريح ، وكذا يفعل غيرهم فى مجال التعليم . . . والله الحافظ من شرورهم . . . وهو على رد كيدهم فى نحورهم . . . لقدير . . . وسبحانه جلت عظمته

﴿ ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ﴾ .

رابع عشر :

نزول المبشرين . . أو المضللين . . إلى مجال التعليم . . مباشرة . . وبدون مواربة :

وهـذا عمـل يلمسـه كل من يزور هذا الإقليم ، ويبحث فى أمور التعليم . . بشيء من التعمق ، هذا ويتحـدث المسلمـون هنا عن واحد من هؤلاء المبشرين اسمه . . (كيلر) ، وكيف أنه جاء إلى «بيشاور»، وعاش فيها شهوراً، يعمل فى مكتبـة . . دون كلل أو ملل ، حتى استطاع أن يتسرب إلى بعض قادة الجهاد ، ويشترى منهم عددا من المدارس ، كى يشرف عليها ويديرها .

وإذا كانت بعض التقارير قد قالت بأنه استطاع أن يشترى ١٢٠ مدرسة، إلا أننا لم نستـطع أن نستـوثق من هذا الـرقم أو نوثقه ، ولكن الظاهرة ذاتها موجودة . . وبوضوح كامل، وهذا يبين لنا خطورة نظرة المبشرين (المضللين) إلى التعليم، وتبين أنهم يلقون خلفه بثقلهم بشكل كبير . . .

هذا فى منطقة «بيشاور» . . .

أمـا فى منطقة أو إقليم «كويتا»، فالوضع أخطر من ذلك وأمر، حيث يتحدث المجتمع هنا عن وصول المبشرين بالفعل ـ للأسف الشديد ـ إلى عقول بعض أبناء أفغانستان المقيمين هنا، وأنهم استطاعوا أن يخرجوا عددا منهم من دينهم ا لاسلامى الحنيف . . . والعياذ بالله

وإذا كان عدد الأسر التى خرجت عن الاسلام بسيطا جدا ـ فى حقيقة الأمر ـ إلا أن الـظاهـرة نفسها هناك . . . **وهى خطيرة بأى معيار من المعاير وبأى مقياس ،** وللعلم فإن منـطقة « كويتا » هذه . . . ومنطقة بلوشستان . . . بصفة عامة . . . إقليم حســاس جدا ، بل هو إقليم مرشح للكثير من القلاقل ، بسبب التركيبات

الغريبة فيه، فهنا يكثر الشيوعيون . . . والقاديانيون . . . والمبشرون (المضللون) . . . علاوة على أن المنطقة ذات طبيعة جبلية وعرة ، تقيم فيها القبائل التى تسيطر على كل شيىء ، بحيث أن سلطان الحكومة يكاد يتلاشى فيها تماما، والله هو الحافظ . . بالنسبة للوجود الأفغانى هنا .

وبمناسبة المبشرين ، فإن هناك منظمة بكَّرت فى العمل بين الأفغان المهاجرين ، وذلك منذ العام ١٩٨٠م ، ويطلق عليها مصطلح [S. E. R. V. E.] ، ويقول بيان نشاطاتها التى قرأناها بأنها وكالة مخصصة لحالات الإغاثة الطارئة ، وبعض المشروعات المهنية، إلا أننا أخبرنا من جانب واحد من الإنجليز المسلمين الغيورين على أمر دينهم، بأنهم قد دخلوا من باب التعليم . . دون أن يدرى أحد .

والخطورة فى عملهم الذى لا يتابعه أحد ولا يهتم به هو أنهم يحضرون كتبا من الهند . . يقومون بترجمتها إلى لغتى الأفغان . . البشتو والفارسية، ثم يوزعونها . . . كما هى . . . وبكل ما فيها . . دون النظر للمحتوى الخطير الذى يوجد فيها، والذى يتعارض ، بكل تأكيد . . مع تعاليم الإسلام . . . لانه قادم من بلاد الهندوس . . وعباد الأبقار، والمدارس التى تقبل التعاون معهم تأخذ منهم هذه الكتب . . دون تفكير أو تمحيص . . . وما ذلك إلا لأن مجال التعليم حمى بلا حراس . . . وبلا حدود . . . يقتحمه من يشاء . . . ويعبث به كل جسور . . بينما هو أخطر شيىء على أجيال الأمة . . ومستقبلها . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

خامس عشر :

وضع اللغة العربية . . فى التعليم الأفغانى :

إن كل من يزور مخيمات الأفغان ، وكل من يلتقى بهم وبالمسئولين فيهم ، يشعر بأنهم يكنون الكثير من الحب والإعزاز للعرب . . فعلا ، ولن أنسى منظر شيخ طاعن فى السن منهم ، وهو يلقانا . . وحين علم أننا مسلمون . . عرب ، اندفع نحونا يحتضننا واحداً واحداً ، وهو يبكى ، تأثرا . . لأننا من بلاد رسول الله ، صلى

الله عليه وسلم ، ولم تمكنه لغته التى خاطبنا بها إلا من قلائل الكلمات . . «عرب . . عرب . . يارسول الله . . !!.

ولقد كنا فى لقاءاتنا ، مع المسئولين عن التعليم ، نسأل دوماً عن وضع اللغة العربية فى مناهجهم ، لانها لغة القرآن الكريم ، وكانت الإجابات تأتينا دوما بأنهم يهتمون بها . . . ويدرسونها، كما أن منهج المرحلة الابتدائية . . الذى وافقت عليه الأحزاب السبعة ، قد اتفق فيه على تقديم اللغة العربية للتلاميذ .

ولقد سبق القول بأن «اللجنة السويدية» التى أنشأت «اللجنة الأفغانية» للتعليم ، هى المسئولة حاليا عن تعليم أبناء الأفغان . . داخل أفغانستان . . فى المرحلة الابتدائية بالتحديد . وعند التدقيق فى تقاريرهم ، أى تقارير اللجنة الأفغانية للتعليم .A. E. C وجدنا تقريرا ختاميا للعام الدراسى الماضى ٨٥/ ١٩٨٦م ، يبين الكميات التى صرفت للمدارس ـ فى الداخل ـ من الكتب . . والأدوات المدرسية ، وأسعارها وتكاليف نقلها ومجمل أثمان ذلك كله . . . الخ .

وكان اهتمامنا ـ بطبيعة الحال ـ على الكتب بالذات ، والتى فحصناها فى الكشوف وتتبعناها . . فى جميع السنوات ، فلم نجد فيها أية إشارة إلى كتب سلمت لمدارس الداخل . . . فى اللغة العربية . . . وإنما فقط لغتان اثنتان هما الفارسية والبشتو . .(*)! ولا ندرى ـ حقا ـ إذا كان مسئولو التعليم فى الأحزاب يعون هذه الحقيقة أم لا . . ؟.

سادس عشر :

إرسال عشرات الآلاف من أطفال الأفغان سنويا إلى روسيا وغيرها للتعليم :

وهذا بعد جديد وخطير على القضية التعليمية الأفغانية . . . وهو جد خطير ، ولا أتزيد إذا قلت إنه ربما يكون أخطر القضايا على مستقبل الشعب الأفغانى كله ، فالمجتمع الأفغانى الذى يواجه الاتحاد السوفييتى وجيوشه الجرارة المسلحة بأعتى

---

* Afghan Education Committee, List of Article AEL.

أسلحة الفتك والدمار ، فيصيب منها أحيانا . . . فى أفرادها الشوعيين ، ويصاب هو فى كثير من أفراده . . محتسبا صابرا . . .

هذا المجتمع ـ أعان الله أفراده ـ سوف يكون عليه غداً . . . بعد بضع سنين ، أن يواجه حرباً من أخطر الحروب التى تعرفها المجتمعات ، فهى حرب لن يكون ميدانها السهول والجبال ، ولن يكون النزال فيها بين الكلاشنكوف والدبابة ، أو المدفع والطائرة ، **وإنما سيكون ميدانها . . . العقول . . . والعقائد . . . وهذا أخطر شيىء . . بلا مبالغة .**

أخطر شيىء خاصة إذا جاء من أبناء الأمة ذاتها . . الذين يتكلمون لغتها . . . والذين يعيشون ثقافتها، ولكنهم حين أخذوا للخارج غسلت منهم العقول «عقولهم» . . . وضاعت شخصياتهم ، وعادوا . . ألسنة تتحدث عن سادتهم . . . هناك . . فى موسكو . . وبرلين . . وهافانا . . ولينينجراد . . وغيرها، وذلك لأنهم يوزعونهم على بلاد المعسكر الشرقى للتعليم، أو بمعنى أصح . . للتخريب .

هذا وإن للمسلمين تجربة قاسية فى هذا المجال ، فحينما أراد أجداد الروس الحاليين ضم بعض الولايات الإسلامية ، التى كانت موجودة فى وسط آسيا ، والتى سبقت الإشارة إليها فى بعض فصول هذا الكتاب ، حينما أراد الروس ذلك . . أوقفهم المسلمون بقوة العقيدة . . . وبالسلاح . . . وطالت الحرب بينهم لحوالى عشرين سنة ، وكان الشيخ شامل واحدا من أولئك المسلمين المؤمنين المجاهدين الذين لا يفرطون فى دينهم . . . ولا فى أرضهم .

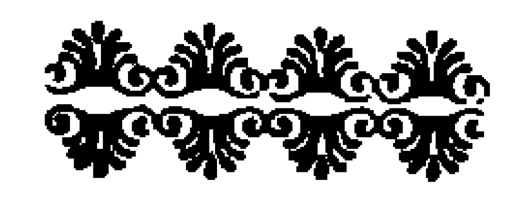
وأعيت الروس الحيل معه ، فلجأوا إلى المكر والدهاء ، حين تفاوضوا معه ، واقترحوا أمراً لإبداء حسن نيتهم نحوه (؟؟؟) اقترحوا أن يتبادلوا سويا الاحتفاظ ببعض الأفراد المهمين من كل جانب لدى الآخر ، حتى يضمن تنفيذ الاتفاق ، وعرضوا عليه أن يتركوا عنده عدداً من جنرالاتهم الكبار . . نظير أن يأخذوا ابنه . . . فقط . . وكان اسمه «جمال» . . . وربما كان . . . معه بعض الأطفال الآخرين . . . ربما.

ومرت السنون . . . وعاد «جمال» هذا . . . ومن معه من الأطفال الذين تربوا فى معاهد الأمراء وكلياتهم ، داخل روسيا القيصرية ، وأصبحوا ضباطا فى الجيش الروسى، عادوا ـ للأسف الشديد ـ حربا على أبيهم . . . وعلى مجتمعهم المسلم . . . وأمتهم الإسلامية . وكانوا هم الذين سلّموا وطنهم للروس الكافرين . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله . . . والآن هل يعيد التاريخ نفسه . . . ؟ . خاصة وأن الأطفال الذين يحملهم الروس لديهم ولدى معسكر الشيوعية والكفر والإلحاد . . بالآلاف . . . ويرفع المؤمنون أكفهم ضراعة إلى الله ألا تحدث الكارثة .

خلاصة :

هذه هى بعض مشكلات التعليم للأفغانى ، التى يعانى منها فى الوقت الراهن ، والتى قد تمتد أثارها لتعلق بمستقبل أبناء هذه الأمة المجاهدة العظيمة ، مالم يتداركها المخلصون من المسلمين الذين يضعون حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، «من لم يهتم بأمر المسلمين . . فليس منهم» . نصب أعينهم .

والآن لعلنا ننتقل إلى جانب خاص ببعض التحديات التى تواجه المخلصين ، من العالم الإسلامى، والذين يحاولون . . قدر استطاعتهم ـ مساعدة إخوانهم الأفغان . . هناك ، فى التغلب على المشكلات السابقة ، وهو موضوع الفصل التالى .



الفصل الثالث عشر :

بعض التحديات التى تواجه العاملين فى مجال التعليم الأفغانى

وتتلخص هذه التحديات فيما يلى :

أولا :

التأخر الذى دخل به المسلمون إلى مجال التعليم :

وهذا واقع يعترف به الجميع هناك ، فلقد كان التركيز الأول والأساسى على مد يد العون للمجاهدين فى جبهات القتال ودعمهم ، ثم فى محاولات التخفيف من جراحهم وآلامهم ، والعمل على دعم أسرهم التى تركوها من خلفهم ، ولذلك سبقت هذه الأولويات . . . ماعداها .

ولما أدرك بعض الغيورين خطورة وضع التربية والتعليم ، وتبينوا أن هذا الأمر لا يقل أهمية ولا خطورة عن الحرب والقتال ، وكان الغرب قد دخل ميدان التعليم بمؤسساته ، منظما نفسه ، موحدا بين منظماته ، محددا أهدافه ، ولا عجب فالغربيون لهم خبرة طويلة فى هذا المجال ، وحصيلة واسعة من التجارب ، علاوة على أفراد جاهزين متطوعين للعمل ، سبق لكثير منهم أن عاشوا فى المنطقة قبل ذلك بأعوام ، فتعلموا لغتها ، وخبروا ثقافة أهلها ، بل إن بعضهم قد اكتسب ثقتهم ، وهذا عنصر غاية فى الأهمية عند العمل مع المجتمعات .

ولقد كان هؤلاء الغربيون واعين جدا وحذرين . . فهم لم يلمسوا جانب التعليم بداية ، منذ بدأت أفواج المهاجرين الأفغان تندفع بالآلاف . . خارج حدود وطنهم ، وإنما سارعوا بتقديم الخدمات الطبية . . والمعونات الغذائية . . والملابس والأغطية والخيام . . . وغيرها . . . ثم . . . جاء التعليم . . . مدرسة هنا . . . وكتاب هناك . . . ومنهج يقدم لأناس يضيع أبناؤهم فى مجال التعليم أمام أعينهم ، فتلقفوا

ما قدم لهم بلهفة الغريق . . . وليس غريبا . . . بعد ذلك ـ أن نجد أن الأجانب لهم اليد العليا والطولى . . . فى مجال التعليم ، خاصة التعليم الابتدائى فى داخل أفغانستان .

ثانيا :

عدم وجود جهة مركزية موحدة للمسلمين فى مجال التعليم هنا :

فالميدان مفتوح للجميع ، والحماس يدفع الغيورين ـ على دينهم وأمتهم ـ ومن هنا يأتـون . . . ومعهم الأمـوال ، والأفكـار الـطيبة . . والحصول على الإذن بالعمل الإنسانى من سلطات الحكومة الباكستانية الكريمة لا يمثل مشكلة ، ومن ثم يبدأون العمل .

إن كل هذا طيب ، ولكنـه يبتعـد عن التنظيم والتنسيق الذى يوحد الجهود ، ويرسم الخـطط . . ويقـوم بالتنفيذ . . . ثم تأتى المتابعة والتقويم . إن المسيلات المائية البسيطة المندفعة من فوق الجبل . . لا تمثل قوة تذكر . . اللهم إلا إذا نزلت جميعها إلى مجرى واحد . . . «متحد» يشكل نهرا يجرف أمامه كل العوائق . . ويزيل الحواجز . . ثم يسقى الأرض . . بعد ذلك . . . لتصبح مخضرة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها . . سبحانه .

لقد وجدنا فى تقرير «اللجنة الأفغانية للتعليم» ، المنبثقة عن «اللجنة السويدية» ، أنها مدعـومـة من جهـات عدة . . مختلفة ، فى دول غربية متعددة . وحتى يكون الحـديث علميا موثقا . . . من واقع تقاريرهم . . هم ، نقدم إسهاماتهم . . . أو بمعنى أصح . . بعض إسهاماتهم لعام ١٩٨٦م ، كما جاءت فى تقرير الـ A. E. C. ، وذلك كى نرى كيف وقفوا جميعا خلف «اللجنة السويدية» ، وربيبتها . . «اللجنة الأفغانية» ، وذلك كما هو وارد فى الجدول التالى :

جدول رقم (٣)

مساهمات بعض اللجان الغربية فى مجال التعليم الأفغانى لعام ١٩٨٦م

المساهمون	المبلغ بالروبيات	بالدولارات
اللجنة السويدية لشئون أفغانستان	٩٥٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠
منظمات أمريكية	١,٢٠٠,٠٠٠	٧٥,٠٠٠
منظمات هولندية	٣١٢,٠٠٠	١٩,٠٠٠
منظمات فرنسية	١٨٢,٠٠٠	١١,٤٠٠
منظمات دانيماركية	١٤٦,٠٠٠	٩,١٠٠
منظمات نرويجية	١,٢٠٠,٠٠٠	٧٥,٠٠٠
المجموع	٣,٩٩٠,٠٠٠	٢٥٠,٠٠٠
الميزانية المطلوبة لعام ١٩٨٦م	١٠,٠٠٠,٠٠٠	٦٢٥,٠٠٠
المتبقى أو المطلوب	٦,٠١٠,٠٠٠	٣٧٥,٠٠٠
متوقع من الولايات المتحدة الأمريكية	٣,٢٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
يبحث عنها من مصادر أخرى	٢,٨١٠,٠٠٠	١٧٥,٠٠٠

ثالثا :

التصرف على أساس رد الفعل ، وليس على أساس تخطيط علمي سليم :

وقد يعزى هذا العنصر إلى دخول المسلمين ميدان التعليم الأفغانى متأخرين ، فهم يريدون أن يلحقوا بقطار وصلوا محطته متأخرين، وحينما استطاعوا فعلا أن يلحقوا به . . . ويقفزوا إلى عرباته ، كان عليهم أن يواجهوا العديد من المشكلات ،

بحلول غير جاهزة ولا معدة من قبل ، فلقد كان عليهم بداية أن ينبهوا أهل الخير . . إلى أهمية التعليم وخطورته فى الجهاد الإسلامى ، كذلك كان عليهم أن يشرحوا للناس ويبينوا لهم جهود غير المسلمين الذين سبقوهم إلى التعليم الأفغانى وأن يبيِّنوا نشاطاتهم المنفردة فى الميدان . . وخطورتها .

ومن ناحية أخرى كان عليهم أن يشرحوا لقادة الأحزاب الأفغان خطورة ترك التعليم ، تعليم الأجيال الناشئة من أبناء الأفغان المسلمين، فى أيدى غير المسلمين. ولم يكن الكلام وحده يكفى للإقناع، فالذى يريد أن يستمع الناس إليه . . . لا ينبغى عليه أن يكتفى بالنقد . . أو الانتقاد فقط . . . ولكن ينبغى عليه أن يكون جاهزاً بالبديل ، وإلا أصبح حديثه مجرد سفسطة وتثبيط لا طائل من ورائهما ولا فائدة .

والناس الطيبون . . غير متخصصين ، ومن هنا بدأوا يلجأون إلى بعض المسلمين المختصين . . خاصة من الباكستان ، فهم أقرب الناس إلى هنا ، وبدأوا يسابقون الأحداث . . .

فالأجانب يوزعون الكتب . . . فلنبحث عن وسيلة تجعلنا نوزع كتبا مثلهم ، وهم يقدمون لمدارس الأحزاب أدوات مدرسية، إذن دعونا نشترى أدوات مثلهم ونوزع ، وهم يقومون بتدريب أعدادٍ من المعلمين ، فلعلنا نسرع . . ونقدم مثل برامجهم . . !.

إن وضعهم هذا مثل رجل الإطفاء الذى هرع إلى غابة جافة . . . شاسعة . . . فى صيف حار ملتهب ، وقد اشتعلت النار فى كثير من أجزائها ، وهو يريد أن يطفئها كلها، ولكن وسائله وأساليبه لا تمكنه من ذلك ، وتقصر عن تحقيق الهدف الذى يبتغيه ، ولكن كلما شاهد منطقة مشتعلة جرى إليها وصب فوقها شيئا من قطرات الماء ، ثم رأى على البعد منطقة أخرى ارتفعت منها ألسنة اللهب وتصاعد الدخان ، فترك الأولى وجرى إليها . . . وهكذا . . !.

إن هذا العمل . . المبنى على رد الفعل . له مخاطره . . حتى وإن حسنت النوايا الطيبة ، إذ ليست هناك وقفات متأنية . . . علمية هادئة، تدرس أعماق ما تقوم به ، ويكفى ـ فى هذا المجال ـ أن أضرب مثلا واحداً . . لعله يبين المعنى الذى أقصده .

فالأحزاب كلها تأخذ حاجة مدارسها من الأدوات المدرسية (الكراسات والأقلام والمساطر والطباشير . . الخ .) من «مكتب رابطة العالم الإسلامى» فى «بيشاور»، هكذا حدثنى الأخ الكريم المسئول عن المكتب هنا، وبالفعل أطلعنى على الدفاتر التى تبين أعداد المدارس التابعة لكل حزب ، وأعداد الطلاب بها . . . وكذا الكميات المصروفة لهم .

ولما سألته عن . . . الكتب . . . هل يؤمّنونها لهم . . . قال لا . . . إنهم يأخذونها من «لجنة التربية الأفغانية» ، أو الـ A. E. C. ، وهى ـ كما علمنا من قبل ـ تابعة «للجنة السويدية» ، وقال إنه اعتباراً من العام القادم . . سوف يشترك المكتب فى صرف الكتب للأحزاب المختلفة .

وكان سؤالى التالى هو: هل لديكم تفصيلات للمناهج الدراسية التى تضمها هذه الكتب التى توزعها « اللجنة الأفغانية » (السويدية)، والتى تريدون المساهمة في توزيعها معهم . . ؟ وكانت الإجابة بالنفي . . . !!!

ثم أضاف الأخ المسئول بأن لديه عدداً من تلك الكتب للصفوف المختلفة، فقلت . . نراها . . لعلنا نعرف بعض ما يدرسون من خلالها، فقال إنها باللغة الفارسية أو البشتو، وأنه هو ذاته لا يعرف أيها . . . !!! وكان هذا هو وضعى أنا أيضاً . . . وظهرت أمامى علامة استفهام كبيرة جداً . . لم أجد لها إجابة . . هناك . . إذ كيف نتحمس لتوزيع كتب لم نشترك في وضع محتوياتها أو حتى على الأقل لم ندرس ذلك الذى بها . . ؟ ألا يحتمل أن تكون فيها أمور مخالفة للدين أو العقيدة . . . ؟؟ ألا يمكن أن نكون من الذين يقدمون سما زعافاً . . . لأبنائهم . . . وبأيديهم . . . ؟؟!!

وللعلم . . فإن الوضع داخل أفغانستان أخطر، «فالسويديون» يوزعون كتبهم على المدارس هناك . . . بعيدون عن أية رقابة من أية جهة، وليس هناك من يحاسبهم، أو يراجع أعمالهم فيما يقدمون. ولقد سبقت الإشارة إلى لجنة S.E.R.V.E. تلك اللجنة التى أحضر مسئولوها كتبا من الهند ، بكل ما فيها من دنس ورجس وشرك . . . ترجموها . . . وقدموها لبعض المدارس. ويكفى أن نقول إن بعض المبشرين (المضللين) هنا قد قدموا طبعة جديدة من الإنجيل . . . كتبوا عليها «إنجيل شريف» . . .

وللعلم . . . فإن الناس هنا يطلقون على المصحف «قرآن شريف» . .

والمعنى واضح . . ولا يحتاج لتفسير . . . !! فهم يريدون أن يلبسوا على الناس أمور دينهم، وهل هناك ما هو أخطر من ذلك . . . ؟؟ .

رابعاً : حاجة العمل في بعض المنظمات الإسلامية إلى الجانب التنظيمي . . الفنى والإداري :

وهذا ـ بلا شك ـ عنصر مهم . . من عناصر نجاح الأعمال الكبيرة الآن . . على مستوى العالم ، بل إنه أصبح فرعاً أساسيا من فروع العلم ، تمنح فيه درجات علمية رفيعة المستوى كالماجستير والدكتوراه ، وهو فرع « إدارة الأعمال» Business Administration.

وإذا كانت تطبيقات هذا العلم المتقدم يستفاد منها الآن . . في إدارة الشركات والمؤسسات والجامعات ومراكز البحوث، فلقد كان حريا بأن تطبق بعض أسسه في عمل يهتم بتعليم شعب بأكمله، كما كان ينبغي أن تكون هناك إدارات متخصصة تهتم بالتخطيط التربوي والتعليمي، وبالخطط الدراسية . . والمناهج . . وبالكتب الدراسية ـ وكذا بالمتابعة والتقويم . . . إلخ .

وبطبيعة الحال . . قبل كل هذا . . وبعده . . كان ينبغي أن يكون هناك المختصون . . أولئك الذين تعمقوا في دراسة التربية والتعليم، إذ لما نهتم بإحضار الطبيب المختص الذي يهتم بمعالجة الجسم، ونهمل المختص الذي يهتم بمعالجة العقل والنفس والوجدان . . ؟؟ .

وأنا ـ للعلم ـ لا أدعو إلى البيروقراطية وتعقيداتها في أعمال المسلمين هنا، ولكن أدعو وألح على استيعاب الأساليب العلمية في أعمالنا، وكذا تطبيق روح العصر الذي نعيشه وتواجهنا تحدياته، إن عدداً قليلاً من البشر المختصين.. الفاهمين.. الواعين.. لطبيعة عملهم، لا شك يؤدون أعمالاً قد يعجز عنها كثيرون غيرهم.

لقد زرت مقر الـ I. R. C. (International Resque Committee) وهو المركز الأمريكي في «بيشاور» المهتم بتعليم الطلاب في المرحلة الثانوية، وكذا بتدريب المعلمين، وجلست مع المسئول عن المركز، وكان رجلاً أمريكيا.. يحمل درجة الماجستير في التربية، ووجدت البساطة والتنظيم في مكتبة مع.. جهاز صغير للكمبيوتر.. تخزن فيه المعلومات عن كل شيء.. في المجال الذي يعمل فيه، بينما في بعض المؤسسات الإسلامية العاملة هنا كنا نسأل عن شيء وكثيراً ما يكون الرد ـ ببساطة ـ هو أننا لم نحتفظ بملف لهذا الموضوع.. أو ذاك..!!

إن خزن المعلومات.. والاحتفاظ بها.. واسترجاعها.. في كل مجال من مجالات عملنا، ليس مهما لنا نحن فقط ولا لعملنا، ولكنه مهم أيضا لمن سيأتون بعدنا، فالذاكرة الفردية لا تصلح الآن لإدارة الأعمال الكبرى، خاصة وأن الفرد معرض للاختفاء من العمل.. لسبب أو لآخر.. بل ربما من الوجود كله.. ومن هنا لا ينبغي الاعتماد على الذاكرة فقط، طالما أتيحت لنا الوسائل التكنولوجية المتنوعة، ويسِّرت السبل.

خلاصة :

هذه هى بعض التحديات التى تواجه المسلمين العاملين في مجال التعليم الأفغانى، وقد سبق وتحدثنا عن بعض مشكلات التعليم الأفغانى ذاتها، ويبقى بعد ذلك أن نستعرض سويا ـ إن شاء الله ـ بعض المقترحات العاجلة والملحة التى لا تحتمل التأجيل.. لعلاج بعض الأوضاع المعينة، ثم بعض الاقتراحات الأخرى التى تحتاج لإعمال الفكر وحسن الإعداد، حتى تؤتى أكلها.. إن شاء الله، وذلك هو موضوع الفصل القادم.. بإذن الله.

الفصل الرابع عشر :

بعض المقترحات العامة . . العاجلة

هذه بعض مقترحات عامة، لا ترتبط بالضرورة بالتعليم الأفغاني، ولكن المجتمع هنا . . في أمس الحاجة إليها، فهي تتعلق بحياة الناس اليومية، بل وتحيلها - إذا لم تتوفر - في كثير من الأحيان . . إلى عذاب ومعاناة شديدين . وتأمينها من جانب بعض الإخوة الكرام من فاعلي الخير، سوف يترك أثراً كبيراً في نفوس الأفغان . . من ناحية، وسوف يكون ثوابه عند الله عظيماً . . . بإذنه تعالى، والمقترحات هي :

أولاً :

العمل على مد المستشفيات الحدودية - بالذات - بطائرتين عموديتين (هليوكبتر) وذلك لنقل المصابين من المجاهدين والمهاجرين، خاصة ذوى الإصابات الخطيرة منهم، إلى المستشفيات الداخلية - أي داخل باكستان . والبعيدة عن القصف الجوى والمدفعي، وذلك لأن نقل هؤلاء الجرحى في السيارات، على الطرق السيئة الموجودة هنا . . . عذاب رهيب، لا يتصوره ولا يحس به إلا من سار عليها، وقد قضى عدد من هؤلاء المساكين نحبهم فوق هذه الطرق . . قبل أن يصلوا إلى المستشفيات.

ثانيـــاً:

مدهم بحفارين أو أكثر، من حفارات الآبار الكبيرة، تلك التى يمكنها أن تحفر بئر الماء في يومين اثنين فقط، وذلك بدلاً من عملية الحفر البدائية التى يقومون بها هنـا، والتى تستغـرق شهـرين أو أكثـر. ولست في حاجـة كى أبين حاجة هؤلاء المسـاكـين . . للماء . . في ذلـك الجو الحار . . بل الملتهب . . هنا . . خلال شهور الصيـف خاصـة ، هذا ولعلي أضيف بأن هذين الحفارين ينبغى أن يكونا من النـــوع المتنقل على سيارات حتى يسهل تنقلهما من مخيم لآخر، وأن يرسل أحدهما إلى إقليم « كويتا »، والآخر إلى إقليم « بيشاور ».

ثالثـــاً :

أقترح أن تتبنى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عقد ندوة علمية موسعة، تدور بحوثهـا عن القضية الأفغـانية. . بكـل أبعـادها، وأن يركز فيها على البعد الإسلامي المستهدف من جانب الروس والمبشرين (المضللين)، وأن تنشر البحوث التى تقدم فيها، والمناقشات التى تدور أثناءها، فى كتاب. . يركز على توزيعه. . باتسـاع العـالم الإسـلامي، حتى تظل القضية حية في قلوب المسلمـين وعقـولهم وأحـاسيسهم، وحتى لا تتحـول أفغـانستان إلى أندلسٍ أخرى. . نعود بعد ذلك نبكيهـا ونتحسر عليهـا، ولا يعقـل أن تعقد جامعات من الغرب. . في فرنسا. . وانجلترا. . وأمريكا، والسويد. . إلخ مؤتمرات عن أفغانستان. . بينما لم تقم جامعة إسلامية واحدة بجهد من هذا النوع.

رابعـــاً :

إن جامعة الدعوة والجهاد التى أنشئت هناك ـ وقد زرتها، واجتمعت بأساتذتها، على أساس أنهم يسهمون في تعليم أبناء الشعب الأفغانى ـ تحتاج كل العون، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، التى ينظر إليها الجميع باعتبارها الأخت أو الشقيقـة الكـبرى، ذات الأيادى البيضاء، في مجال العمل الإسلامي. . العلمى الرصين، وهم يحتاجون إلى العون. . في كل مجال. . بلا استثناء.

خامساً :

اقترح أن يخرج تعميم من مكاتب مدراء الجامعات الإسلامية، إلى جميع الأقسام العلمية. . في كل الكليات أو معـظمهـا، يكون مؤداه توجيه الأساتذة ـ كلهم أو بعضهم ـ لبحث قضية أفغانستان. . من جميع جوانبها، كما أتصور. . وآمل. . أن توجه بعض بحوث طلاب الدراسات العليا. . الوجهة ذاتها.

وأنا في بيشاور ـ في مكتب رابطة العالم الإسلامي ـ جاءنى شاب إيراني الجنسية، يحضر لرسـالـة الـدكتـوراه، في إحـدى جامعـات كاليفورنيا. . بالولايات المتحدة

الأمريكية، وقد سجل موضوعا لرسالته كان عنوانه «التعليم الأفغاني»، وقد التقطته مؤسسة «فولبرايت» الأمريكية المعروفة، حيث أغدقت عليه منحة سخية لاستكمال دراسته للموضوع، مستفيدة ـ بطبيعة الحال ـ من أصله الإيراني، ومن لغته.. وخلفيته الثقافية في فهم المنطقة، وأرسلته يستوفى الجانب الميداني على الطبيعة هنا..

وهم بطبيعة الحال ـ نتيجة لمنحتهم ـ سوف يكون من حقهم الحصول على نتائج الدراسة، قبل غيرهم، وسوف يساعدهم ذلك في رسم سياساتهم التى يهدفون إليها، بناء على دراسة علمية موثقة. ألسنا نحن في العالم الإسلامي.. أولى بهذا.. ألا يعتبر ذلك من واجباتنا..؟؟.. بل من ألزم تلك الواجبات..؟؟

مقترحات محددة بشأن تعليم الأفغان

لقد لمسنا بعض المشكلات التى تواجه التعليم الأفغانى، ولعله يكون من المفيد أن تقترح بعض الحلول.. العلمية.. العملية.. لمواجهة هذه المشكلات، وينبغي القول هنا بأن هذه المقترحات، مثلها تماما مثل المشكلات، لا تعكس أية أولويات معينة، فكلها هامة.. وكلها ملحة، ومواجهة مشكلة منها بالحل.. شيىء طيب، ومواجهة أكثر من مشكلة ـ بطبيعة الحال ـ شيىء أطيب. ولقد حرصنا على أن تكون المقترحات من صميم المشكلات التى سبق عرضها:

أولاً : في مجال غياب التخطيط التعليمي:

في هذا المجال يمكن الدعوة إلى لقاءات عمل محددة.. لوضع خطط قصيرة المدى، وأخرى للمدى البعيد، وذلك بقصد التخطيط لتعليم أبناء الشعب الأفغاني المجاهد، في داخل أفغانستان.. وخارجها.

أما من ينبغي دعوتهم إلى هذه اللقاءات فهم ممثلون عن الأحزاب، وممثلو الجهات والهيئات الإسلامية العاملون في مجال التعليم الأفغاني.. على أرض المخيمات، وعدد من أساتذة جامعة الدعوة والجهاد، وعدد من أساتذة جامعات الباكستان المهتمين بتعليم أبناء الأفغان، وعدد من أساتذة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

بحكم اهتمامها بمشكلات أبناء العالم الإسلامي، وجامعة الأزهر بحكم موقعها واهتماماتها كذلك.

ومن بين كل هؤلاء تشكل لجان علمية متخصصة.. للمناهج.. وللخطط الدراسية، وللكتب ومحتوياتها.. وتأليفها.. ومراجعة كل ما يتعلق بها. وينبغى أن تكون هذه اللجان على مستوى المسئولية الإسلامية الخطيرة التى أمامها، والأحداث التى تجرى على أرض أفغانستان من قتال ومعارك، فليست هناك فرص لتأجيل الاجتماعات.. أو أى شيء من هذا القبيل.. إنما ينبغي أن يتمثل العاملون فيها المسئولية الملقاة عليهم، والأحداث التى تجرى من حولهم، فيضعون لعملهم جداول زمنية محددة بحد السيف، يعملون على أساسها، على أن يكون التقويم لأعمال هذه اللجان مستمراً، وأن تكون هناك أهداف مرحلية يسعون نحو تحقيقها.

ثانيا : في مجال التعدد الكبير في المدارس:

ينصح بأن تكون المدارس التى سيجرى إنشاؤها، من الآن فصاعدا.. من المدارس الكبيرة العدد، والتى لا تفرق بين تلاميذ أو طلاب يتبعون حزب هذا أو ذاك، وأن تكثف المعونات ـ من أهل الخير ـ لمثل هذه المدارس، بحيث يكون التعليم فيها متميزا، وذلك حتى تكون جاذبة للأطفال والشباب الصغار أكثر من المدارس الأخرى.. دون أن يعلن ذلك، وبهذا الأسلوب نضرب عصفورين كبيرين بحجر واحد، الأول هو التوفير في النفقات، والثانى هو الاقتراب ـ بهذا الأسلوب ـ من إذابة الفرقة بين أبناء الشعب الأفغانى المجاهد الذى لا يحتمل، في ظل ظروفه الحالية، أية فرقة أو اختلاف.

ثالثاً : في مجال سوء حال المباني المدرسية:

وهذا العنصر ناتج عن العنصر السابق، بالإضافة إلى ضعف الموارد المالية، ومن هنا يقترح على الجهات الإسلامية، والمتطوعة للخدمة في مجال تعليم أبناء الأفغان، أن تتبنى نمطاً واحداً معيناً.. يتفق عليه، من المبانى المدرسية، بحيث يتوفر فيه الحد الأدنى من الأمور الأساسية اللازمة للبناء المدرسي، وأن يكون هذا الإلتزام بين هذه

الجماعات. . متفقا عليه. . وملزما لهم جميعاً. . ولكل من يدخل هذا المجال الخيِّر من بعدهم.

رابعاً : في مجال المنهج غير الموحد:

وهنا يقترح الاستعانة بأهل الخبرة، من الأساتذة الأفغان، خاصة من العاملين في جامعة «الدعوة والجهاد»، وبالتحديد في مجال العلوم الشرعية، ومن أساتذة جامعات الباكستان المهتمين بالتعليم الأفغاني، ومن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ومن جامعة الأزهر، بالإضافة إلى عدد من الأساتذة الغيورين على دينهم الإسلامي. . من أساتذة الجامعات العربية والإسلامية، وأن تشكل منهم «لجان متخصصة» تقوم ببحث المناهج المقدمة حاليا لأبناء الأفغان. . لجميع المراحل. . وعلى كل المستويات الدراسية، في داخل أفغانستان. . وخارجها، وأن تقر ما هو صالح. . وترفض ما هو طالح. . فوراً، وأن يجرى الإعلان على ذلك للجميع. . بحيث يلتزمون به.

إن موضوع المناهج والخطط الدراسية المقدمة لأبناء الأفغان، من أكثر الموضوعات التربوية حساسية وخطورة، خاصة وقد سبق أن بيَّنا أن الجانب الغربي. . النصراني. . يعمل فيه بهمة ونشاط عجيبين، ويتحتم ألا تتخلف جهود المسلمين في هذا المجال.

خامساً : في مجال عدم كفاية الكتب والأدوات المدرسية:

وهذا أمر تدبيره يعتمد على كفاية الأموال اللازمة لطباعة الكتب، وشراء الأدوات المدرسية، ثم دفع نفقات نقلها إلى المخيمات في الخارج، وإلى المدارس. . في الداخل. أمر آخر في هذا المجال، وهو الاهتمام بالمكتبات المدرسية إذ أنها مهملة تماماً في مدارس أبناء الشعب الأفغاني، وقد أنساني الشيطان أن أكتبها ضمن المشكلات، ولست بحاجة ـ هنا ـ لتوضيح أهمية الكتب المدرسية في حياة التلميذ عامة، وهي في حياة الطالب الأفغاني أهم، وذلك لأنه لاشيء هناك بشغل وقته. . بعد المدرسة.

إن المـدرسـة الـوحيدة التى وجدنا بها مكتبة. . كانت مدرسة ثانوية، في أحد المخيمات، وقد أحزننا ما رأينا، إذ أنه لا يوصف. . دون أية مبالغة، ويكفى أن نقول أن جامعة «الدعوة والجهاد» ليس بمكتبتها سوى ٦٠٠ كتاب، فقط ستمائة كتاب. . . وهذه جامعة. . . بل هى الجامعة الأفغانية الوحيدة. . للأفغان. . في الخارج، أما «جـامعـة كابـول» في الداخل فقد هجرها علماء المسلمين. . بعد أن سيطر عليها الشيوعيون العملاء.

إن الوكالة الأمريكية .I. R. C تنوى تزويد خمسين مكتبة مدرسية بالكتب، بل إنها سوف تنشىء هذه المكتبات أصلاً. . ومن ثم تزودها بالكتب.

إننـا ينبغى علينا أن ننبه هنا إلى خطورة هذه العملية، إذ أن هذه الكتب التى ستحضرهـا هذه الـوكالة الأمريكية لن تكون خاضعة لأية سلطة. . أو لأى منهج دراسي معين، حتى إذا وجد المنهج الذي يخضع له الجميع، ثم إن هذه الكتب لن تراجـع من قبل أية سلطة تعليمية. . أو أى مسئول تربوى مسلم غيور. ومن هنا يمكننا أن نتصور مدى خطورة ما سوف يوضع في أيدى أبناء الأفغان. . !!

هذا وهنـاك عدد من الاقتراحات في هذا المجال، فيمكن أن يخاطب أصحاب المكتبات الخاصة. . من أهل الخير، كى يتبرعوا ببعض، ما عندهم من كتب وأدوات مدرسية لأبناء الأفغال.

كذلك فإن الجامعات الإسلامية القادرة يمكنها أن تسهم في جانب الكتب التى تزود بها المكتبـات، ويمكن ـ كذلك ـ مخاطبة الرئاسة العامة للإفتاء بالمملكة وكذا رابـطة العـالم الإسلامي. . وغيرهما من المؤسسات الخيرية الطيبة للإسهام في ذلك المجال الخير.

وتبقى فكرة أخيرة، وهى أن يشرح الأمر للإخوة المسئولين في وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية والرئاسة العامة للبنات وكذا في بلدان الخليج التى أفاء الله عليها خيرات من عنده، بحيث يعمم خطاب منهم إلى جميع المدارس، ينص فيه على جمع الكتب التى لا يحتاجها الطلاب والطالبات، في نهاية كل عام، ثم يرسل كل ذلك إلى مكتبات المدارس الأفغانية.

إن هذا الأمـر هام، وهـو يخدم هدفين. . الأول هو أن لا يترك أطفال وشباب الأفغان من البنين والبنات ضحية للفراغ الخطير يعبث بأفكارهم ويضيع مستقبلهم، والثـانى هو العمـل على نشر العـربية. . لغة القرآن الكريم. . وخاصة من كتب مصادرها الدينية معروفة وموثوق بها.

سادساً : في مجال عدم توفر وسائل المواصلات:

والأمر لا يتعدى توفير بضع أوتوبيسات مدرسية لنقل طلاب المدارس الثانوية. . بالتحديد. . من مخيماتهم إلى حيث تتوفر المدرسة الثانوية. فقط ما أريد أن أؤكد عليه هنا. . هو ضرورة هذا الموضوع، وذلك لأن عليه يتوقف مستقبل الآلاف من أبناء الأفغان الذين انتهوا من المرحلة قبل الثانوية، والذين لا يجدون، وسيلة للوصول إلى تلك المدرسة الثانوية، ونحن نتحدث هنا عن مسافات بالأربعين كيلومترا. . وأكثر، فليست العملية ترفاً نوصى به لهؤلاء الأبناء، حتى توفر نصف ساعة. . أو ساعة من السير على الأقدام، ولكنه من المستحيل عليهم أن يقطعوا هذه المسافات. . جيئة وذهاباً. . كل يوم.

هذا ولقد يقول قائل ـ ومعه بعض الحق ـ وهل من المحتم أو الضرورى أن يذهب جميع أبنـاء الأفغـان إلى المدرسة الثانوية، إذ يكفى بعضهم الحصول على الشهادة الإبتدائية (المتوسطة جزء من الثانوية هناك)، والرد بسيط للغاية إذ أن هؤلاء الأطفال الذين ينتهون من المرحلة الإبتدائية. . ليس لهم أى عمل يؤدونه. . في المخيمات التى يعيشـون فيها، ومن هنا فإن تركهم للفراغ. . يعنى الإرتداد إلى الأمية ثانية، كما يعنى ـ وهذا هو الأخطر ـ تركهم لبوادر الانحراف. . . والعياذ بالله. . حيث لا رقابة أسرية. . ولا اجتماعية. .

سابعاً : في مجال الوجبات الغذائية للأطفال:

وهنا نقترح أن يوفر ـ على الأقل ـ لكل طفل وطفلة كوب من اللبن، ومعه قطعة من البسكويت المحتوى على البروتين، والذى يمكن البحث عنه في الأسواق المحلية أو العالمية. والمهم هو أن يكون هناك التزام واستمرارية. . على مدار العام الدراسى،

حفـظاً لصحة هذا الجيل المنكوب من أبناء الشعب الأفغاني . . من ناحية، وجذباً لهم ـ لأبناء هذا الجيل ـ إلى المدارس . . فالتعليم . . من ناحية أخرى.

ثامناً : في مجال سوء حالة ملابس الأطفال:

وقد سبق بيان صعوبة المناخ الذى يعيش فيه أبناء الأفغان، وتقلبات الطقس هنا على الحـدود البـاكستانية ـ الأفغانية، ما بين صيف شديد الحرارة والرطوبة، حيث ترتفع حرارة الجو إلى أكثر من خمسين درجة مئوية، مع نسبة من الرطوبة عالية جداً . . تصل أحياناً إلى ٩٠٪، ثم في الشتاء تهبط درجة الحرارة إلى حوالى ١٥ درجة مئوية . . تحت الصفر، بحيث أنه يمكن أن يؤدى هذا البرد الشديد . . إلى بتر أعضاء بعض هؤلاء المساكين بسبب ذلك، وقد رأينا حالات مثل هذه بالفعل.

فإذا أضفنـا لذلـك وضع المخيمات . . والزحام الشديد فيها . . وعدم وجود أية وسيلة لتخفيف الحـرارة أو اتقـاء الـبرودة [طبعـا لا مراوح . . ولا مكيفات هنا . . فالكهرباء أصلاً غير موجودة في المخيمات . . !!] وأضيف إلى ذلك أيضا عدم كفاية الملابس بأية حال، وعدم وجود الأحذية . . فإذا ما أضيف كل ذلك إلى بعضه . . . أصبح الناتج كارثة . . بأى معيار من المعايير.

والحـل الـذى نقـترحه ليس مجرد إرسال كميات من الملابس والأحذية، ولكننا **نتصور حلاً عملياً تربويا مفيداً إن شاء الله، وهو أن يبحث في كل مخيم من المخيمات عن أرامل الشهداء وفتياتهم اللائى يستطعن العمل في الخياطة أو الحياكة، أو حتى اللاتى يمكن تدريبهن عليها، ثم يقوم أهل الخير ـ عن طريق جهة منظمة للعمل ـ بمـدهن بعـدد من ماكينات الخياطة، وبكميات من الأقمشة . . والخيط، ويتفق معهن على المحاسبة . . على أساس القطعة . . ثم يوزع الإنتاج على مستحقيه.**

وهـذا الاقـتراح، لو نفذ بإذن الله ـ يمكنه أن يؤمن الملابس للجميع، وهو في الـوقت ذاته يوفر عملا شريفاً للكثيرات من أولئك الأرامل اللاتى تركهم رجالهم وذهبوا للجهاد . . أو للأرامل ، ويمكن بطبيعة الحال أن ينسحب هذا الاقتراع على صناعة الأحذية . . والجوارب . . إذا وجد من يصنعها.

تاسعاً : في مجال عدم الاهتمام بالتربية الرياضية :

وقد سبق بيان ذلك، أثناء مناقشة المشكلات التى تواجه التعليم الأفغانى ، هكذا بدا لنا الحال في المخيمات التى زرناها على الحدود، بين أفغانستان وباكستان، ولا تدرى شيئاً عن ما يدور في مدارس الداخل، تلك التى تشرف عليها اللجنة الأفغانية للتعليم .A. E. C ، وإن كنا نتصور أن الوضع لن يختلف . . فى الداخل . . عنه في الخارج .

أما ما يمكن عمله في هذا المجال . . فهو أن ينبه على الإخوة المسئولين عن التعليم، والذين يتولون توزيع الكتب والأدوات المدرسية، والذين يزورون المدارس . . ما بين فترة وأخرى، ينبه عليهم بأن يلفتوا أنظار المعلمين إلى أهمية هذا الجانب .

وإذا كانت المبانى المدرسية ـ بحالتها الراهنة ـ لا تصلح لمزاولةِ التربية الرياضية، فلا أقل من أن يكون هناك وقت محدد، خلال اليوم الدراسي، يخرج فيه الجميع إلى الهواء الطلق، وإلى المناظر الطبيعية الجميلة، وهى هنا . . في بعض المناطق جميلة وغنية بما حباها الله به فعلا . . وأن يعوِّدوا الأطفال على الإنطلاق . . اللعب . . والمرح . . لوقت محدود .

وليس الأمر هنا قاصراً على الرياضة البدنية فقط، وإنما على بعض الألعاب المسلية . . والجماعية، تلك التى تزيل عن نفوسهم الكثير من الكآبة التى يعيشون فيها وتعتصرهم . **إننا أمام جيل مصاب بكارثة رهيبة . . في المال . . والأهل . . والوطن** . . وأعتقد أنه من واجبنا ـ كتربويين ـ أن نحاول التخفيف عنهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً وذلك في حدود الالتزام بقيم ديننا وتعاليمه .

أما عن المدارس التى قد تبنى جديدة، فينبغى أن يكون في عقود تصميمها اهتمام بإيجاد أماكن للجرى واللعب، بل وأن تقام فيها بعض المباريات البسيطة التى لا تتكلف شيئاً يذكر، مثل كرة السلة . . أو الكرة الطائرة . . أو غيرهما .

عاشراً : جانب عدم الاهتمام بتعليم الفتاة :

وهذا حديث عن نصف أبناء الشعب الأفغاني، وقد أهمل هذا النصف تماماً. . أو كاد. . ولعلنا لازلنا نذكر الأرقام التى سقناها من قبل عن أعداد الفتيات في بعض مدارس المخيمات. أما الاقتراح بشأنه فهو ذو شقين : أولهما يتعلق بالفتيات الصغيرات اللاتى في سن التعليم الابتدائي، وهؤلاء ينبغى الاهتمام بتعليمهن، وتشجيع المدارس الجديدة على افتتاح فصول خاصة لهن، وذلك حتى لا يتعرضن لضياع مستقبلهن، كما حدث لمن سبقنهن.

أما الفتيات اللاتى مضى عليهن خمس أو ست سنوات بدون تعليم، بسبب الهجرة. . وبسبب ظروفهن الخاصة. . المتمثلة في فقدان الوالد أو الوالدة. . أو كليهما، فلا ينبغى أن يستمر وضعهن على ما هو عليه.

إن التعليم لا يتم في المدارس فقط، حيث أن المدرسة مؤسسة واحدة من عديد من المؤسسات التى تهتم بالتربية عموماً، ومن هنا فينبغي التفكير في إنشاء مراكز تدريب مصغرة. . داخل المخيمات. . يتعلمن فيها بعض الأمور العملية المفيدة. . مثل الحياكة والتطريز. . أو الضرب على الآلة الكاتبة. كذلك ـ ونظراً لظروف الحرب التى يعيشها المجتمع الأفغانى ـ فإنه ينبغى العناية بتعليمهن مبادىء « الرعاية الصحية »، بجانب تدريبهن على الإسعافات الأولية. . . في المستشفيات المجاورة، كى يمكنهن الإسهام في العناية بالجريحات والمريضات من أبناء جلدتهن، وكذا كى يتمكن من معرفة العادات الصحية السليمة التى تسهم في إبعاد الأمراض عن مخيماتهن، خاصة بظروفها الصعبة التى سبق شرحها.

ولا ينبغى أن ننسى هنا أن العدو السوفييتى الحاقد على الإسلام والمسلمين، أصبح في الفترة الأخيرة يستهدف مخيمات اللاجئين، ببعض غاراته الجوية الوحشية، أو يرسل بعض عملائه ليقوموا ببعض التفجيرات داخلها، مما ينتج عنه كثير من الإصابات، وذلك يحتم الاقتراح السابق، حتى تستطيع الفتاة الأفغانية أن تقوم بعمل شىء بالنسبة للجرحى. . حتى تصل النجدات من الخارج.

حادى عشر : في مجال عدم العناية بالتعليم الفني :

وهذا جانب ينبغى أن يؤخذ بعين الاعتبار في مسيرة التعليم الأفغانى في الظروف الحالية . إن نسبة الأمية مخيفة بين أبناء الشعب الأفغانى في المخيمات ، ولكن جزءاً من أبنائه يذهبون إلى المدارس الإبتدائية والثانوية ، وبعد ذلك يتوقف بهم قطار التعليم ، باستثناء نسبة لا تكاد تذكر، وهى التى يذهب أفرادها إلى «جامعة الدعوة والجهاد» . تلك المؤسسة العلمية الوليدة التى أكملت عامين فقط من عمرها (*) .

وإذا كان الشباب من خريجي المدارس الثانوية لا طريق أمامهم ، بعد حصولهم على شهادتها فأين يذهبون . . ؟؟ والسؤال نفسه موجود وقائم بالنسبة لخريجي الإبتدائية أولئك الذين لا يستطيعون الالتحاق بالتعليم الثانوى، لأسباب سبق وأن وضحت فى موضوع قبل هذا . . .

ولا يبقى أمامنا إلا حل واحد مناسب، وهو الاهتمام بالتعليم الفنى (المهنى)، خاصة وأن أفراد المجتمع في حاجة لكثير من الأمور التى لا يتقنون مهاراتها والتى لم يدربوا عليها . إن أى زائر للمخيمات الأفغانية سوف يحزنه كثيراً أن يجد مئات من الأولاد يقفون بلا عمل . . ولا هدف، وهذه بداية خطيرة لتغيرات اجتماعية غير محمودة ، وقد تنبت بذرتها السيئة في المخيمات . . لا قدر الله .

ومن هنا فإن الإهتمام بمراكز التدريب . . والمدارس الفنية أمر تحتمه هذه الأوضاع ، ومن هنا مبعث أهميته ، وبالتالى فلا ينبغى أن يخلو مخيم من مخيمات الأفغان من مثل هذه المراكز والمدارس ، وعلى الذين يفكرون في تعليم أبناء الأفغان ، ويهتمون بمستقبلهم أن يضعوا هذا البعد نصب أعينهم .

هذا وهناك محاولات جادة من بعض الإسلاميين هنا ، تعتبر علامات مضيئة على الطريق ، مثل جمعية الدعوة ، الوكالة الإسلامية للإغاثة ، حيث هناك مشروعات جادة بدأت تأخذ طريقها إلى التنفيذ فعلاً ، وخاصة فيما يتعلق بيتامى

(*) وقت كتابة التقرير .

الأطفـال الأفغـان ، وإن كانت المؤسسـات الغربيـة قد سبقتنا في هذا ، وخاصـة المنظمـة المعروفـة باسم S E R V.E .

ثاني عشر : حول التعتيم الإعلامى على جهود العرب في مجال التعليم الأفغانى :

وليس لنـا أن نعيب على جهـود أعـدائنـا، ولكن ـ بصراحـة ـ علينا أن نعترف بتقصيرنا، وأقصد هنا عدم الاهتمام من جانب القائمين على العمل، فى مجال التعليم الأفغانى، بإعداد نشرات دورية، وتقارير سنوية، تبين جهودهم فيما يقومون به.

هذا جانب. . أما الجانب الثانى فهو دعوة أجهزة الإعلام ووسائله . . المختلفة. . جميعـا، وبـلا استثناء، للاطلاع على هذه الجهود، وتصويرها. . والكتابة عنها. . وعرضها. . ونشرها بين المواطنين المسلمين، بصفة خاصة، وعلى العالم كله. . إن استطاعت. . بصفة عامة.

وقد يقول البعض إننا نحب أن نحتسب أعمالنا عند الله . . فحسب، ومن هنا فلا داعى للدعـاية والإعـلام عنها. . بهذا الشكل. وهذا صحيح في جانب واحد. . فقط، وهو أن يكون العمل خالصاً لوجه الله . . سبحانه وتعالى، ولكنى أتصور أن في الإعلام عن هذه الأعمال عدة فوائد طيبة منها:

١ - إشعار المواطن المسلم. . في كل مكان. . بما يجرى في أفغانستان، وضرورة الاستمرار في ذلك والتأكيد عليه. . إحياء للقضية في نفوس الناس وعقولهم.
٢ - تعريف العالم كله أن المسلمين ليسوا سلبيين، وأنهم لا يقفون مكتوفى الأيدى، في الـوقت الـذي تنشط فيه الكنيسـة والمؤسسات الغربية. . في خدمة أبناء المسلمين. . ويعلنون عن ذلك في كل وسائلهم التى تغطى العالم.
٣ - إشعـار السـوفييت بأن الإخـوة الأفغـان ليسوا وحدهم، وأن وراءهم الأمة الإسلامية. . بأكملها. . تسندهم وتدعمهم. .
٤ - إن الاستمرار في هذا الإعلام سوف يضمن استمرار قنوات الدعم المالى التى يبعث بها أهل الخير.

ثالث عشر : في مجال إشراف الأجانب على كثير من أمور التعليم الأفغاني :

ومرة ثانية . . لا ينبغي أن يكون رد فعلنا هو أن نجلس في أماكننا، وننتقد تدخلهم في شئون إخواننا الأفغان .

لقد نشطوا هم وتحركوا . . منذ البداية، متنبهين لخطورة قضية التعليم على مستقبل الأمة الأفغانية، وكان الأفغان مشغولين في أمور الجهاد ومتطلباته ومشكلاته، من أسلحة وذخائر . . ومؤونة . . وتموين . . إلى إسعافات وتطبيب . . إلخ، فلم ينتبهوا - هم أيضاً - لخطورة توقف التعليم وضياع مستقبل جيل بأكمله . . أو احتمال ذلك على الأقل .

ثم وجدوا من يأتيهم من أقصى الأرض . . يحمل إليهم الغذاء . . والكتاب . . ويقدم لهم العلاج . . والدواء . . والأدوات المدرسية، بل ويحاول مساعدتهم في مشكلات الحياة اليومية التى تعترضهم في المخيمات . . فهل نلوم الأفغان بعد ذلك . . .؟ أو حتى . . هل ينبغى أن نلوم الأجانب . .؟؟ .

لقد وجدوا ميدانا خصبا . . . في أمة إسلامية . . . مشغولة . . . وجدوا فراغاً هائلاً . . فلم يترددوا في الدخول إليه واحتلاله . . والتربع فيه . . دون منازع، وحين جاء المسلمون من بعدهم . . . كان عليهم أن يحاولوا اللحاق بالركب الذى سار في الطريق الطويل . . واندفع .

والعمل المطلوب الآن . . . هو أن تتحرك الجهات الإسلامية . . المسئولة عن التعليم . . تتحرك بوعي . . وحذر . . وهدوء . . لتدخل الميدان، ولن يكون الأمر بالبساطة التى يتصورها البعض، حيث أن كثيراً من الجهات الأجنبية كسبت ثقة الأفغان . . وبالفعل .

إن من يأتى هنا من المسلمين عليه أن يكون حكيماً في التعامل مع الأفغان، ومع الأجانب . . فى الوقت ذاته . والأفغان تربطنا بهم العقيدة الغراء، وهم يحملون لنا الكثير من الحب، وهم لذلك مستعدون لتقبل جهودنا . . . إذا جاءتهم بالأسلوب الصحيح والمناسب، ذلك الأسلوب الذى لا يجرح مشاعرهم، ولا يجعلهم يشعرون

أننا جئنا إليهم . . متفضلين، أو أننا جئنا نمارس دور الأخ الأكبر، الذي من حقه أن يأمر وأن ينهى . . ويوجه ويرشد . . من موقع القوة . . والغنى . . والعلم . . !! .

أما بالنسبة للتعامل مع الأجانب . . في ميدان التعليم . . وهذا لا مفر منه . . فلا ينبغي أن يتسم . . بالعصبية . . أو العفوية . وهذان المعنيان الأخيران . . أعنيهما تماما ، فالعصبية قد تأتي نتيجة للشعور بأن هؤلاء الأجانب يعملون في مساحة خطيرة تتعلق بديننا ، حيث فيها . . التوجيه والتعليم . . ومن ثم التأثير على الناس . . وعلى مجريات حياتهم في المستقبل ، ولكن ليست العصبية هى السبيل .

إن هدوء الأعصاب مطلوب جداً في التعامل معهم ، بل وأكاد أقول برودها . . وذلك حتى نفهم تماما ما يقومون به ، ثم نخطط لما نريد أن نقدمه ، حتى لا يكون دون عملهم ، كما أن العفوية والانفعال في العمل نتائجهما غير محمودة أيضا . . **إن الذين ينفعلون يفقدون الرؤية السليمة للأمور** ، ونحن نحتاج لرؤية الميدان الذي نحن عليه مقبلون . إننا يجب أن نبحث كيف خططوا هم لعملهم ، وكيف وصلوا إلى أوضاعهم فيه . . وكيف يعملون . . ما يعملون .

إن الإخوة الواعين هنا ـ في بيشاور ـ يتحدثون عن قسيس اسمه كيلر Keller عاش شهوراً هنا . . في مكتبه (الذي كان يسكن أعلاه مباشرة في نفس البيت) يتعامل مع الإخوة الأفغان ، بمنتهى الحكمة والوعى . . والحنكة والدراية . . حتى إن معلمى الأفغان الذين كانوا يزورونه ، كانوا يخرجون من عنده . . وهم مبهورون بشخصيته . . وكانوا يتقبلون كل ما يقوله لهم . . مرتاحين . . . لقد عرف كيف يكتسب ثقتهم . . أولا . . ونحن المسلمين أولى بهذا .

رابع عشر : في مجال نزول المبشرين (المضللين) إلى مجال التعليم مباشرة . . دون مداراة :

وليس هناك ما يمكن أن يقال في هذا المجال . . أكثر مما قيل في النقطة السابقة ، وفقط أحب أن أقول بأن الصورة طيبة فهنا ـ ولله الحمد ـ بعض الإخوة الكرام ، ولا نزكى على الله أحداً ، الذين يعملون مجتهدين . . مخلصين . . محتسبين . . عملهم

من النـوع المتميز والهادىء، فقط كل ما نريده منهم هو أن تتوحد جهودهم، وأن تتكامل خططهم، وأن يعينهم ويقف من ورائهم كثيرون من عالمنا الإسلامي . . بكل ما يستطيعون، وهم فاعلون. بإذن الله .

خامس عشر : وضع اللغة العربية في التعليم الأفغاني :

والاهتمام باللغة العربية ناتج ـ بطبيعة الحال ـ من كونها لغة القرآن الكريم، والتى ينبغي أن يتمكن منها أكبر عدد من أبناء المسلمين. وعلينا أن نتتهز فرصة حب الأفغان للعرب، ذلك الحب النابع من العقيدة الواحدة، وأن نقدم من البرامج ما يمكن أن يستوعبوه. وهناك ثلاثة اقتراحات يمكن دراستها في هذا المجال، وهى :

١ ـ العمل على أن تقدم اللغة العربية ضمن مناهج جميع المستويات، في مدارس الأفغـان، في الداخل والخارج، وأن ندفع في هذا المجال. . برفق وإقناع، والناس مستعدون إن شاء الله .

٢ ـ العمل على أن يقدم للطلاب آيات أو سور من القرآن الكريم، مترجمة إلى اللغة التى يتحدث بها الأفغان (الفارسية ـ البتشو ـ الأوردية)، وأن يكون الشرح بلغاتهم. . وبالعربية. . في نفس الوقت.

٣ ـ تصميم برامج تدريبية، ذات مستويات مختلفة. . في اللغة العربية للكبار، كتلك البرامج التى تقدمها اللجنة الأمريكية .I. R. E في اللغة الإنجليزية، والتى يقبل عليها كثير من الأفغان. وإذا كانت اللغة الإنجليزية جاذبة لهم بالشكل الذى أخبرنا به هنا، لدرجة أنه كانت هناك قائمة لكثيرين ينتظرون دورهم حتى يلتحقـوا بها. . إذا كان الأمـر كذلك. . فلنقدم برنامجاً قوياً في اللغة الإنجليزية. . ومعه برنامج قوى كذلك. . في اللغة العربية، ولن يضيرنا أن يتعلم الأفغـان اللغـة الإنجليزية. . . بل على العكس. . سيكون في ذلك مكسب كبـير لقضية الأفغـان المسلمـين، ضمن « من تعلم لغـة قوم أمن شرهم »، كما جاء في الأثر.

سادس عشر : إرسال عشرات الألوف من أطفال الأفغان لموسكو وغيرها للتعليم :

وهـذه قضية سبق الحـديث عنهـا، وهى بالفعل تمثل خطراً داهما على الشعب الأفغانى، وقد لا تظهر آثاره في المدى القريب، ولكن آثار هذه العملية السيئة.. محققـة ـ والعياذ بالله ـ في المستقبـل القـريب، حينـما يعود هؤلاء الأطفال.. وهم شباب.. بوجوه أفغانية.. وعقول وشخصيات وأفكار.. شيوعية.. كما سبق ووقع هذا من قبل.

وإذا كان الـروس.. ومعسكـرهم الشرقي كله، لا يعبـأون بما يكتب عنهم في الصحف العـالمية، ومـا ينشر بشـأن خططهم.. في مجال جعل أفغانستان شيوعية إلا أننا لا ينبغي أن نضيع وقتنا وجهودنا وأموالنا في هذا المجال... وإنما ينبغى أن تكون هناك خطة محكمة لمواجهة هذا الوضع.. إذ أنه من المعروف والمؤكد يقينا أنه.. لا يفل الحديد.. إلا الحديد.

والأمر الأول في هذا المجال هو العمل ـ دون إبطاء أو توان ـ على جعل التعليم الأفغانى ذا صبغة إسلامية.. خالصة.. صريحة وواضحة، وأن نعمل بإصرار.. أيضا.. على مواجهة المد الجديد من التبشير الذي بدأ يتضح على الشاطىء الأفغانى.

إننا إن فعلنا ذلك.. فإن نتاجه سيكون بإذن الله تخريج أجيال من أبناء الأفغان يستطيع أفرادها ـ في المستقبل القريب والبعيد ـ أن يواجهوا هؤلاء الشيوعيين الذين يتعلمون الآن في دول العسكر الشرقي.

إن معركة المواجهة بين الإسلام والشيوعية.. والتى تحتدم الآن على الحدود.. بقوة السلاح، بين المجاهدين الأفغان المسلمين.. من جهة، وبين الروس الشيوعيين الكافرين.. ومن تبعهم من العملاء الأفغان.. من جهة أخرى، سوف تنقل بعد ذلك إلى داخل أفغانستان.. ولكن بسلاح آخر.

وهــذا السـلاح سوف يكـون سلاح الفكـر.. والعقيدة.. والكلمـة المقـروءة والمسموعة.. وسيكون طرفاها هم الأفغان الذين تعلموا تعليماً إسلاميا.. وأولئك

الـذين تربـوا في أحضـان الشيوعية. وبقدر نجاح التربية والتعليم اللذين نقدمهما لأطفال الأفغان. . اليوم. . بقدر رسوخ القيم الإسلامية التى تقدم لهم، سيكون نجاحهم وصمودهم في مواجهة أصحاب التربية الشيوعية المنحرفة. . . والعكس صحيح.

وفي هذا المجال لعلى أنبه إلى أنى قد علمت من المنشورات الخاصة التى تنشرها المنـظمات الأجنبية هنـا، أن لجنـة الـ .I.R.C الأمـريكية تعـد برنـامجـاً متقـدمـا في الصحافة. . . بجانب برنامج اللغة الإنجليزية الذى يقدمونه.

ولست في حاجة الآن كى أبينِّ ذكاء الذين فكروا في تقديم هذا البرنامج، فهم سوف يربـون عدداً من أبنـاء الأفغـان، كى يتعـاملوا مع الـرأى العام من خلال الصحافة. . وهؤلاء سوف يتلقون تعليمهم وتدريبهم. . باللغة الإنجليزية أولا. . كما سيكون تعليمهم وتدريبهم على أساس المفهوم الغربي المادى للإعلام. . بصفة عامة.

وإذا كان أحد من القائمين على أمر التعليم من المسلمين هنا. . لم يعلم بذلك الموضوع، فإنى أطرحه على جامعتنا، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وبها ولله الحمد كلية للدعوة والإعلام. . ذات خط إسلامي واضح، بحيث تتولى وضع برنـامـج لدورات تدريبية لأبناء الأفغان، ليس فقط في الصحافة، ولكن أيضا في الراديو والتليفزيون، بحيث تخرج عدداً من أبناء الأفغان يستطيعون التعامل في هذه المجالات من خلفية إسلامية متينة.

إنه لا أحد يعلم ـ إلا الله سبحانه وتعالى ـ ما تخبئه الأيام، لأهل أفغانستان، فلقد نفاجأ غداً بصدور صحيفة. . أو أكثر، تنشر. . وتوزع بالمجان ـ في مخيماتهم. . ولو على شكل منشورات يسهل تداولها ببساطة، ولا ندرى ما بها. . فلماذا ننتظر؟؟ حتى إذا وقعت الواقعة عدنا نجرى ونلهث. . برد الفعل. . كما هى العادة. . !!

كذلـك فإنـه ينبغى أن نشجع الأفغان على أن تكون لهم محطة راديو صغيرة أو محطات، على الحدود. . تبث نداءاتها للمجاهدين، وتبث برامجها لأفراد المجتمع. .

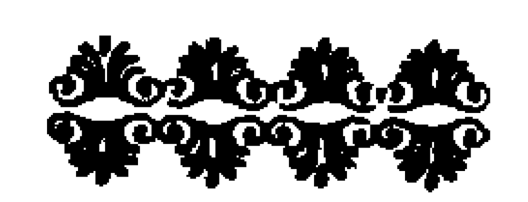
تحثهم على التماسك والصبر، وتبعد عنهم المؤثرات الشيوعية أو العقائدية المنحرفة ذات الخطر الكبير عليهم، **بل وتبث للمسلمين الواقعين تحت المطرقة الشيوعية.. في الجمهوريات الإسلامية الست..**

إن ذلك واجب أساس، ولن يستطيع القيام بذلك إلا طائفة من أبناء الأفغان الذين حسن تدريبهم وتعليمهم في كل هذه المجالات، وسوف يكونون هم الرد على محاولات الروس بناء قاعدة بشرية عقائدية، تدين لهم بالولاء، بين أبناء الأفغان من خلال أولئك الأطفال الذين حملوهم إلى روسيا وغيرها.

سابع عشر : مشكلة المعلم الأفغاني:

وهذه مشكلة لم نمسها في حينها.. مع مشكلات التعليم الأفغاني، وقد آثرنا ذلك عن عمد، حتى نفرد لها جزءاً خاصاً بها، وذلك نظراً لأنها تقع من مشكلات التعليم.. في الصميم... بل إنها تمثل حجر الزاوية من هذا التعليم أو الـ Corner Stone ـ كما يقال ـ في أي نظام تعليمي، وما ذلك إلا لأن دور المعلم يعتبر أخطر الأدوار فى العملية التربوية كلها، فبدونه يستحيل للتعليم أن يتقدم، كما أن المعلم السيىء يمكنه أن يتلف أى نظام تعليمى طيب، وبالتالى يضيِّع أجيالاً بأكملها.. والعياذ بالله.

ولسوف يتم إبراز المشكلة.. والاقتراحات الخاصة بشأنها.. خلال الفصل التالى إن شاء الله.



الفصل الخامس عشر :

المعلم الأفغاني . . وضعه الحالى . . وما ينبغى أن يكون عليه

إن الحديث عن المعلم الأفغانى، أو غيره من المعلمين، هو حديث ـ بالدرجة الأولى ـ عن أهم عناصر العملية التربوية، فالمعلم هو حجر الزاوية . . والركن الركين في كل نظام تعليمى . إننا مهما أنفقنا على التعليم من أموال، ومهما جهزنا له من مناهج وخطط دراسية متقنة محكمة، ومهما طبعنا له من كتب قيمة . . مهما فعلنا كل ذلك فإن النتيجة . . نتيجته كله مرهونة ـ دون أدنى شك ـ بمعلم جيد الإعداد، جيد التدريب، مخلص في عمله . . كى تؤتى العملية التربوية في النهاية ثمارها المرجوة .

والعكس صحيح بطبيعة الحال، فإن معلماً سيئا . . أقصد سيىء الإعداد . . معدوم التدريب، غير مخلص في عمله، وغير أمين فيه، قد يفسد . . بل هو بالقطع سوف يفسد . . كل ذلك، ومن ثم يخرج طلابا لم يتعلموا منه قيمة، ولم يغرس فيهم فضيلة . .

ومعلمو الأفغان ـ بصفة عامة ـ مسلمون ملتزمون، يؤمنون برسالتهم، وهم يحاولون أداءها جهد طاقتهم، رغم الظروف الصعبة وغير المواتية التى يعملون في ظلها، ولكن المشكلة التى تتضح للباحث في هذا المجال هى أنهم غير موحدى الكفاءات، ولا التخصصات، فقد نجد في المدرسة الواحدة . . معلمين يحملون شهادات الكفاءة . . أو أقل، وبعضهم يحمل شهادات جامعية، بل أحياناً درجات للماجستير . . . !!

هكذا التقينا بهم . . في المدارس . . وفي الدورة التدريبية التى أعدها الإخوة في « مكتب رابطة العالم الإسلامي »، بالتعاون مع «الوكالة الإسلامية للإغاثة» . . .

ان من آثار هذا الاختلاف في الإعداد . . بلا شك . . اختلاف ما ينتج عنه . .

أى اختلاف مخرجات التعليم، كما يقول التربويون، فالطلاب الذين يتلقون العلم على يد أستاذ متمكن. . لا شك سيختلفون فهما واستيعاباً. . وتطبيقاً، عن أولئك الذين يتلقون العلم على من هم أقل من ذلك.

جانب آخر هام في مشكلة المعلم الأفغاني، وهو نقص الإعداد التربوى. ومعروف أن المعلم إذا أريد له أن يكون معلماً جيداً، ينبغى أن يمر في فترة إعداده في مسارين. . المسار الأكاديمي، وهو الذي يعتنى بإعطائه كمًّا مناسبا من المعلومات والحقائق العلمية، بحيث يتقن المادة. . أو المواد التى سيقوم بتدريسها.

كما أن هناك الجانب التربوى، وهو الذى يحدد هوية الشخص، ويجعل منه معلماً يمتهن مهنة التعليم، وفي هذا الجانب. . أو المسار يدرس كمًّا من المعارف التربوية والنفسية تؤهله لفهم فلسفة العملية التربوية التى يقوم بها، وفهم الأهداف التربوية التى يسعى المجتمع لتحقيقها. . في أجيال المستقبل، كما أنه يحصل على قدر مناسب من طرق التدريس المختلفة التى تمكنه من توصيل المعارف والمعلومات التى يضطلع بتدريسها لطلابه.

وبالإضافة إلى ما سبق. . يدرس لهذا المعلم قدر مناسب من مبادىء علم النفس، ونظرياته. . ونظريات التعلم، وذلك حتى يفهم النفس البشرية التى سيتعامل معها، كما أنه يدرس علم نفس الطفولة وعلم نفس المراهقة. . كى يفهم مراحل التغير النفسى التى يمر بها طلابه، وعمليات التوازن التى يحتاجونها.

كل ذلك. . مضافٌ إليه بعض المعلومات الثقافية العامة، تلك التى ينبغى على كل شخص مثقف. . يعيش العصر. . أن يلم بها. وكل ذلك يكوِّن إطاراً علمياً ثقافياً مقبولاً يعد المعلم من خلاله.

وفي حدود معلوماتنا التى جمعناها من هنا. . من الميدان. . وجدنا أن النسبة الغالبة من معلمى الأفغان الحاليين لم يمروا من خلال هذا الإعداد التربوى السليم والمناسب. . ومن هنا أيضاً ظهرت فكرة الدورات الصيفية التنشيطية التى تقوم بها بعض الجهات هنا. . . إسلامية. . وأجنبية.

ولكن الأمانة العلمية تقتضى القول بأن دورة تنشيطية. . أو تدريبية. . مدتها شهر. . لا يمكن أن تكون ذات فائدة علمية وعملية ملموسة بالنسبة للمعلمين هنا. حقيقة هى تعطى لهم قدراً من المعرفة التربوية، ومن المهارات التدريسية، ولكنها أقرب إلى مجرد الإشارات إلى المعلم. . من بعيد، أو بتعبير آخر. . هى مجرد رؤوس أقلام. . أخذا في الحسبان عدد المقررات التى يدرسونها.

ولا ننسى هنا ـ بطبيعة الحال ـ أن نشير إلى أن المعلم الجيد الإعداد لابد وأن يمر في مراحل منفصلة. . ومتصلة من التربية العملية، تلك التربية التى تضعه أمام المحك الحقيقى لعملية التعليم، حيث يطبق ما تعلمه في الكلية أو المعهد من نظريات تربوية مختلفة، وطرق تدريس متنوعة، وأن يحاول المواءمة بينها وبين واقع طلابه الذين يلتقى بهم.

ولغياب ذلك كله. . أو معظمه، فلقد ظهرت قناعة مؤداها أنه لابد من معهد متخصص في إعداد المعلمين، ينشأ بين مخيمات الأفغان، ويجتذب العناصر الشابة منهم. . من خريجى المدارس الثانوية. . كى يعدهم ليصبحوا معلمى المستقبل، بعد عام كامل من الدراسة المكثفة. . والتدريب المستمر. . وفي الصفحات القليلة التالية سوف نحاول ـ إن شاء الله ـ أن نفصِّل في ذلك بعض الشيء. . نظراً لأهميته لأفراد المجتمع الأفغانى المطحونين. . في المخيمات، والذين يحتاج أبناؤهم لقيادات تربوية واعية تحاول أن تنتشل مئات الألوف من أبنائهم. . قبل أن تبتلعهم الكوارث المحيطة بهم، وقبل أن يتلقفهم غلاة المنصرين. . أو يؤثر فيهم الشيوعيون. . والله من وراء القصد.

أهمية وفلسفة فكرة معهد المعلمين المقترح

يمكن إجمال النقاط الهامة التى جعلتنا نقترح فكرة إنشاء هذا المعهد فيما يلى:

١ ـ إذا كان الأجانب قد سبقونا إلى التعليم الأفغانى، وقطعوا فيه ـ بلا شك ـ مراحل واسعة لا يمكن إنكارها، فإننا بإنشاء ذلك المعهد سوف نقطع عليهم الطريق، بحيث يكون المعلمون. . خريجو معهدنا هذا. . هم المنفذون للمناهج

التربوية المختلفة، ومنها المناهج التى ينفذها الأجانب.

وبما أن برامج المعهد ـ كما صممت. . وكما سيرد بعد ـ قد روعي فيها الاهتمام بالجوانب الإسلامية، فإنه ينتظر أن يكون هؤلاء المعلمون مصفاة دقيقة لا تسمح بنفاذ إلا كل ما هو طيب إن شاء الله.

سوف يمنع هذا المعلم ـ بعد إعداده إن شاء الله. . فى هذا المعهد. . نفاذ شيء من المناهج الأجنبية السيئة التى تدرس لأبناء الأفغان الآن. . من الغرب. . ومن الهند. . ومن جهات كثيرة تستهدف عقول أبناء الأفغان، كما أن هذا المعلم سوف يكون عيناً فاحصة. . واعية للكتب التى توزعها بعض الجهات على مدارس أبناء الأفغان، تلك التى قد تحتوى على أمور منافية للعقيدة الإسلامية، أو على أمور مدسوسة على الإسلام والمسلمين.

٢ ـ ضمن فلسفة ونظام إنشاء هذا المعهد المقترح. . افترضنا أن الطلاب الذين سيقبلون للدراسة فيه سوف تكون دراستهم داخلية، بمعنى أنهم سوف يقيمون فيه سويا، وقد تمسكنا ـ بل أصررنا في واقع الأمر ـ أثناء وضع برامجه، على أن يخلو من الخدم الذين كان الإخوة من جامعة « بيشاور » و« لاهور » قد أصروا على وضعهم والإتيان بهم. . لخدمة الطلاب.

ولقد كانت الفلسفة التربوية لنا وراء ذلك. . هو أن يخدم الطلاب أنفسهم بأنفسهم، وأن يتعودوا على هذا. . بحيث يصير ذلك جزءاً من سلوك حياتهم اليومية، وبحيث ينتقل ذلك منهم إلى تلاميذهم فيقتدون بهم. هكذا علمنا ديننا الإسلامي الحنيف، فصاحب الشيء أولى بحمله ـ كما قالها الصحابي الجليل أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه ـ ولعلى أذكر هنا بأن من مميزات التربية اليابانية الحديثة أنها لا تسمح بوجود من نسميهم خدماً. . في جميع المدارس، وأن التلاميذ هم الذين يقومون بتنظيف فصولهم، وتوزيع الغذاء اليومى على أنفسهم. . بشكل دوري منتظم*.

---

* يرجع في هذا إلى كتاب « التربية في اليابان المعاصرة »، تأليف إدوارد ر. بوشامب، ترجمة المؤلف، ومن إصدارات مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

وفي حقيقة الأمر لم يكن هدفنا هو توفير عدد من الوظائف، وبالتالى توفير شيء من الأموال. . فهذا أمر بسيط لا ينبغى أن نتوقف عنده، ولكن الهدف البعيد كان هو أن ينقل معلمو المستقبل هذا الاتجاه والسلوك إلى تلاميذهم الصغار، بحيث يشبون وهم معتمدون على أنفسهم، بعد الله، وبحيث يكونون مجتمعاً عاملاً. . نشيطاً. لقد كان من غرائب الأمور في جولتنا الميدانية، أن نرى في المدارس الصغيرة جداً. . في المخيمات، تلك المدارس التى ما كانت تزيد عن حجرة واحدة. . نرى فيها خادماً معيناً بمرتب. . والرجل جالس لا يفعل شيئاً. . !! فلم يكن هناك ما يفعل. . !! ولقد اقتنع الإخوة الأساتذة الباكستانيون من جامعة بيشاور بفكرتنا، وذلك حين وضحنا لهم وجهة النظر هذه. . بعد أن كانوا يعارضونها، بحكم الخوف من بعض الحساسيات. . كما قالوا في البداية.

٣ ـ ومن بين الميادين الهامة التى وضعت ضمن برنامج هذا المعهد. . ميدان خاص بتعلم بعض الحرف العامة، تلك التى لا يخلو أى مجتمع من الحاجة إليها. إن تعليم أبناء الأفغان. . فى هذا الظرف الخطير الذى يمر به مجتمعهم. . والظروف المحزنة التى يعيشونها. . ينبغى أن يكون تعليما متفرداً. . . يتميز ببعض المميزات التى يحتاجها المجتمع في حياته اليومية القاسية. . ولعل التدريب على الإسعافات الأولية ـ كمثال واحد ـ يوضح هذا المعنى بالنسبة للشعب الأفغانى المسلم. . المجاهد.

وليس هدفاً عظيماً نسعى لتحقيقه أن يحصل مئات أو آلاف من أبناء الأفغان في المخيمات، على شهادة إتمام الدراسة في المرحلة الإبتدائية. . أو الثانوية، ولكنهم إذا حصلوا على هذه الشهادات. . وتعلموا بجانبها عدداً بسيطاً من الحرف البسيطة التى تحل بعض المشكلات حياتهم اليومية، فقد خرَّجنا تلميذاً يحتاجه المجتمع. . ويتكيف هو مع واقع مجتمعه، وذلك بدلاً من أن نخرج تلميذاً. . يحصل على شهادة. . ثم يكون مصيره الوقوف في الطرقات. . أو التسكع بين الخيام. . !!.

٤ ـ ضمن المقررات. . مقررات المعهد المقترح. . طلبنا إدخال مقرر عنوانه «التربية ومشكلات المجتمع الأفغانى الجديد». . وهو مقرر تصورنا أنه مطلوب في

ظروف المجتمع الأفغانى المهاجر، فمما لا شك فيه أن هذا المجتمع ليس مجتمعاً عادياً . . بحكم أن أفراده يعيشون ظروفاً غير عادية، ويواجهون تحديات تنوء أضخم المجتمعات بحملها . . دون مبالغة.

ومن هنا فهم مواجهون، فى حياتهم اليومية، بمشكلات فردية واجتماعية، نفسية واقتصادية، عقائدية وسياسية . . إلخ. وإذا سلمنا بأن دور المعلم في مجتمعه . . هو **دور القائد والموجه والناصح والمرشد، فإن هذا المعلم لا يمكن أن يدير ظهره لهذه المشكلات . . ولا ينبغى أن يفعل ذلك، خاصة وهذه المشكلات تمسه هو شخصياً . . كما تمس أفراد أسرته . . ومجتمعه المحيط كله.**

وبطبيعة الحال فإن هذا المقرر سوف يكون ـ عند تنفيذه بإذن الله ـ مقررا ذا صبغة عملية . . أكثر منها نظرية.

إنه باستثناء المقدمة النظرية عن المشكلات الاجتماعية . . وتعريفها . . ونظرياتها . . وكيفية مواجهتها، سوف ينحو المعلم في هذا المنهج نحو معرفة المشكلات من واقع التلاميذ، ثم يناقشهم فيها، مبينا أبعاد كل مشكلة . . وآثارها . . ثم يحاول ـ معهم أيضاً ـ إيجاد حلول لها . . حلول مباشرة . . وحلول بديلة، حتى يعوِّد طلابه على المرونة وحسن التفكير عند مواجهة المشكلات.

٥ ـ من شروط هذا المعهد أنه سوف ينشأ أو يقام ـ إن شاء الله ـ خارج مدينة « بيشاور »، وكذا خارج مدينة « كويتا »، على مساحة أرضية واسعة (ما بين ١٥ـ٢٠ فداناً لكل منهما)، والسبب في ذلك هو أن الأرض خارج المدن تكون أرخص بكثير جداً من داخلها، ذلك معروف في الظروف العادية، وهو فى ظروف هاتين المدينتين أكثر انطباقاً . . في ظل ظروف الحرب الحالية هناك، خاصة وقد ارتفعت أسعار الأرض والمبانى والإيجارات هنا بشكل أذهل الكثيرين.

هذا عن السبب في إنشاء المعهد خارج المدن. أما لماذا اقترحنا مساحات واسعة بالشكل السابق، فالسبب هو أن هؤلاء المعلمين الذين سوف يقبلون للدراسة في المعهد، عليهم خلال دراستهم التى ستستمر لمدة عام كامل إن شاء الله أن يتعلموا

كيف يزرعون الأرض. . وكيف يرعونها. . وكيف يحصدونها. . **عليهم أن يأكلوا. . مما يزرعون. .** باختصار.

وليس الهدف هنا ـ مرة ثانية ـ هو توفير ثمن شيء من الخضروات أو الفواكه، ولكن الفلسفة التربوية وراء هذا الغرض هو أن يتعلم معلم المستقبل ـ الأفغانى ـ هذه القيمة الإسلامية الغالية. . . **قيمة العمل. . وكذا قيمة الاعتماد على النفس. .** التى هى عبادة فى حد ذاتها. . يبيت الإنسان بسببها مغفوراً له. . . إذا بات كالا من عمل يده، حسب حديث رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، وإذا ما رسخت هذه القيمة العظمى في سلوك المعلم. . وتعود عليها، فلسوف ينقلها متحمساً إلى تلاميذه. . أبناء الأفغان المهاجرين.

إن هذا المعنى التربوى في غاية الأهمية بالنسبة لحياة الشعب الأفغاني في مستقبل أيامه، وينبغى علينا نحن المسلمين أن نؤكد على هذا المعنى كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

إن هذا الشعب العظيم الذى يدفع يوميا من دم أبنائه وأرواحهم. . بتضحيات مذهلة. . وعزيمة لا تكل ولا تتراجع. . **هذا الشعب المعتز بإسلامه إلى هذا الحد المذهل علينا أن نحول بينه وبين أن يصبح شعباً من اللاجئين يحنى أفراده رؤوسهم طلباً للمعونة. . من الأمم المتحدة. . أو غيرها.**

إن طلب المعونة. . أو انتظارها. . هو بداية الخضوع. . أو الخنوع السياسى، وعلينا نحن المسلمين أن نؤدى واجبنا كاملاً دون حدوث ذلك، إنهم. . الأفغان. . لم يدخروا وسعاً في بذل كل ما يستطيعون وأكثر، بينما بعضنا لا يزال بشكك في قيمة جهاد هذا المجتمع في الوقت الذى تسيل دماؤهم أنهاراً. . يومياً. . بل وتتسرب الحياة ذاتها من بين أيديهم.

إن علينا واجباً ألا نتركهم يذلوا لأية أمة على وجه الأرض. . وطلب المعونة. . والحاجة الشديدة. . والجوع والعطش. . بداية الدخول في متاهة اللجوء التى لا تنتهى. . لا قدر الله. . وليس هناك كالتربية معين في هذا المجال، فهى التى

تغرس العزة والكرامة في نفوس النشء.. في الفصول الدراسية.. وتترجمه عملاً.. على الأرض.. في المزرعة.. والورشة.. والمصنع.. وفي كل مكان.

إن الطبيعة هنا.. في منطقتى «بيشاور وكويتا».. وما حولها غنية جداً، وهى تشجع على تنفيذ ما نقترح.. وذلك بفضل الله أولاً وأخيراً، من حيث التربة الخصبة.. والمياه المتوفرة.. والمناخ الملائم، ولو عودنا أطفالنا أن يزرعوا.. شجيرات صغيرات.. حول مخيماتهم.. شجيرات مثمرة بالتحديد.. فإن ذلك سوف يزرع في نفوسهم الأمل.. كما يزرع حب العمل... والكرامة.. وليس ذلك من قبيل الإنشاء، أو الخيال.. كما أنه ليس شيئاً سهلاً.. أو بسيطاً.

إننا لا ينبغى ـ هنا ـ أن نكون أقل من «جون ديوى» الفيلسوف التربوى الأمريكى الذى خرج بطلابه إلى الغابات.. يزرعون.. ويصطادون.. ويتعلمون.. ولماذا أذهب بعيداً لأضرب مثلاً من أمريكا..؟؟ إن في جذور تربية الرسول صلى الله عليه وسلم، معلم البشرية الأول، ما يغنينا عن هذا النموذج وغيره، وكلنا بلا شك نعرف ما قاله للفقير المسكين الذى جاءه يطلب الصدقة، ونعرف كيف وجهه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجمع الحطب من الجبل.. فإن ذلك كان خيراً له من أن يتكفف الناس... أعطوه.. أو منعوه.

٦ ـ ضمن برنامج معهد المستقبل هذا، وجدنا أن الإخوة الأساتذة الباكستانيين المتطوعين للعمل التربوي.. مع الأفغان، وجدناهم قد وضعوا نظاماً لدراسة اللغات، شبيها بنظام التعليم في وطنهم.. الباكستان، حيث وضعوا اللغة الإنجليزية... لغة أساسية إجبارية، ثم يختار الطالب بعد ذلك لغة واحدة من لغات إختيارية ثلاث هى (العربية ـ الفارسية ـ البشتو).

ولما سألناهم في أحد الاجتماعات التى تمت بيننا.. وكان هذا الاجتماع هو آخرها وكنا قد أصبحنا قاب قوسين أو أدنى من الانتهاء من مشروع المعهد المقترح، أقول لما سألناهم عن سبب وضع اللغة الإنجليزية.. لغة إجبارية.. قالوا بأن هذا هو النظام في الباكستان، ويبدو أنهم متأثرون فى ذلك بالنظام الإنجليزى الذى كان سائداً فى الهند والباكستان منذ أيام الاستعمار البريطانى للإقليم.

واستـطعنا ـ بفضل الله ـ أن نقنعهم بوضع الشعب الأفغانى المختلف، والذى يتطلب أن يكون تعليمه . . مختلفا . . تبعاً لذلك. إن هذا المجتمع المسلم المجاهد تتسابق قوى الشر العالمية الرهيبة على اجتثاث جذوره الإسلامية ـ كما سبق ورأينا من أفعال الروس من الداخل . . والمنصرون في الخارج يحاولون والعياذ بالله الإجهاز على المهـاجـرين، ويجب علينا نحن أن يكون لنا أسلوب آخر للمواجهة، واستراتيجية تربوية . . بعيدة المدى . .

وأولى خطوات هذه الاســتراتـيجية هو تثبيت وتــرسيخ كل ما يتعلق بالــدين الإســلامي الحنيف، والعقيدة الغراء . . في عقول ونفوس الناشئة الأفغان، واللغة العربية . . لغة القرآن الكريم . . ويتحتم أن يتقنها المعلم الأفغانى، ثم ينقلها بعد ذلك إلى تلاميذه.

ومن هنا فلقد طالبت بأن تكون اللغة العربية هى اللغة الإجبارية الأولى في برنامج المعهد . . وقد وافق الجميع على ذلك . . ولله الحمد.

ثم جاءت نقطة استراتيجية أخرى اقترحناها . . **وهى تدريس اللغة الروسية** . . كلغة اختيارية لمن يريدها . . وحينما سئلنا عن السبب في ذلك، قلنا إن الصراع مع العدو السوفييتى الكافر . . سوف يستمر لسنوات لا يعلم مداها إلا الله . . ومن هنا فإن إتقان لغة هؤلاء الأعداء مطلب تربوى ملح، حتى نقرأ عنهم . . . وحتى نكتشف ما يمكن أن نعرفه عن مجتمعهم . . وتفكيرهم . . وأهدافهم . . وكلما تم ذلك . . . كلما اقترب النصر إن شاء الله، فمن تعلم لغة قوم أمن شرهم، كما جاء في الأثر.

جانب تربوى آخر في موضوع تدريس اللغة الروسية هذا، وهو أن الآلاف من أبنـاء الأفغـان الـذين حملهم الشيوعيون للدراسـة في الخارج، أى في روسيا ودول المعسكر الشرقي الملحد، هؤلاء الشباب سوف يعودون . . بعد عدد من السنين، وهم متقنون لهذه اللغة الروسية . . ولكن بتفكير منحرف . . فماذا أعددنا . . أو نعد . . لهذا . . ؟؟ إن واجب التعليم الأفغانى . . . الإسلامي . . أن يكون جاهزاً لمقابلة هذا التحدى الثقافى الجديد . . . ذلك القادم من بلاد الكفار . . . وليس لنا عذر ـ وقد

عرفنا ـ في أن نتخلف عن مواجهة ذلك . . . والتربية هى المنوطة بهذه المهمة .

ونتيجة لكل ما سبق ـ في مجال اللغة ـ وضعت اللغة العربية . . لغة إجبارية ، ثم يترك للطالب ـ معلم المستقبل ـ اختيار لغة واحدة من بين لغات ثلاث هى : الإنجليزية ـ الروسية ـ الأردية .

٧ ـ إذا استقر الرأى بالفعل، على إنشاء هذا المعهد، واقتنع به الإخوة الكرام المهتمون بأمر تعليم أبناء الأفغان، فى المملكة العربية السعودية، فإننا نتصور ألا يكون المعهد . . مجرد معهد قائم بذاته، ولكننا نتصور أن يكون هناك مجمع تعليمى . . عملى . . في مكان واحد . . وذلك كما هو مشروح في الفصل التالى :



الفصل السادس عشر :

فكرة المجمع التعليمي . . العملى الجديد

فلسفة الفكرة وأهدافها :

إن الذى يزور المخيمات الأفغانية . . على الحدود الباكستانية ، والذى يتعمق فهم الظروف القاسية التى يمر بها مجتمع الأفغان المسلم ، يعرف كيف يقاسى أفراد هذا المجتمـع ، والذى يدرس أوضاع التعليم الذى يقدم لأبنائهم ، يعرف القوى التى وراءه ، والتى تسعى لأهداف شتى ، قد يكون بعضها فى صالح أبناء الأفغان ، ولكن على وجه اليقين هناك أهدافاً رسمت لهذا المجتمع كى تبتعد به عن منابع دينه الخالص .

والذى يريد أن ينزل إلى هذا الميدان وهدفه الإسهام في تعليم أبناء الأفغان ، عليه أن يكون واعياً للقوى المحلية . . والإسلامية . . والدولية ، الفاعلة والمؤثرة فيه . إن الذين جاءوا من بلادهم البعيدة ، للاشتراك في تعليم أبناء الشعب الأفغانى . . لهم خطط مؤقتـة . . وخـطط بعيدة المدى . . يبغون تحقيقها ، وهم ليسوا على استعداد للتخلى عن أهدافهم بسهولة . ومن هنا فإن الحذر مطلوب . . في بداية العمل ، كما أنـه مطلوب . . أثناءه ، إننا ينبغى علينا أن نفهم القوى المحلية الفاعلة في ميدان التعليم الأفغـانى ، وهـذه القـوى تتمثل في الأحزاب السياسية . . القائمة حالياً ، بالإضافة إلى تأثير المولوية (العلماء) على أفراد الشعب الأفغانى . . خاصة في الداخل .

كذلـك ينبغى دراسـة وفهم القـوى الإسـلامية الفـاعلة في ميدان التعليم بين المهاجرين الأفغان ، وأول هذه القوى . . حكومة الباكستان ، والتى نتعامل مع هذه القضية بالتعاون مع الأمم المتحدة . . من خلال مفوضها . . أو مندوبها السامى . . كما يطلقـون عليه ، وذلك بالإضافة للجهات الإسلامية الأخرى . . مثل : «رابطة

العالم الإسلامي»، «مكتب خدمات العرب»، «الوكالة الإسلامية للإغاثة»، «المدارس الإسلامية العالمية»، «منظمة الدعوة الإسلامية». . إلخ ولكل هذه الجهات نشاطاتها وإسهاماتها. . وأهدافها.

أخيراً هناك المنظمات الأجنبية المدعومة بحكوماتها. . وبالكنيسة من ورائها، فهناك «اللجنة السويدية»، «اللجنة الأفغانية للتعليم»، وهناك «لجنة الإغاثة الأمريكية»، كما أن هناك اللجنة الدولية الكنسية (نيويورك) ، وهناك منظمة "S.E.R.V.E" ، كما أن هناك جهوداً دانيماركية وهولندية وفرنسية وألمانية غربية. . ونمساوية. . بل. . واسترالية. . وانجليزية بطبيعة الحال. وينبغى أن نكون واعين فاهمين أن كل أولئك ما تركوا بلادهم. . وقطعوا آلاف الأميال، وجاءوا ليعيشوا في ظروف تختلف تماماً عن ظروف بلادهم، إلا ليحققوا أهدافاً معينة. . تحت غطاء الإغاثة. . والإنقاذ. . ومساعدة الشعب الأفغانى الجريح. . !!

ويقيناً فإن الداخل إلى هذا الميدان، سوف يلقى عنتا ومقاومة، من معظم هذه الهيئات والمنظمات العالمية، فالعملية ـ للأسف الشديد ـ مقصود بها السيطرة على عقول أفراد الجيل الجديد من أبناء الشعب الأفغانى، وبالتالى. . السيطرة على مستقبله. . وتوجيهه الوجهة التى يريدون.

وإذا كنا نريد ـ في جامعتنا الإسلامية خاصة ـ وفي المملكة العربية السعودية. . بصفة عامة، أن نشترك في تعليم أبناء الأفغان، كى نوجههم وجهة إسلامية سديدة وصائبة، فإنى أقترح أن ننزل إلى الميدان برفق. . حتى نسبر أبعاده وأغواره. . أولا.

إننا ينبغى ألا نندفع، بحسن نوايانا. . ونقول لهم إننا على استعداد لتحمل تبعات ومسئوليات التعليم الأفغانى كله، أو أن نفعل كما فعلت بعض المنظمات حين قامت بشراء عددٍ من المدارس. . ثم تسييرها والإنفاق عليها.

إن الناس هنا قد ينفرون من الإقبال المندفع. . حتى وإن حسنت النوايا، وعلينا أن نتأكد من أن القوى السابق الإشارة إليها في هذا الميدان سوف لن تتردد في الإساءة إلى جهودنا، بل إنهم سوف يستغلون أبسط الأشياء ليجعلوا منها قضايا كبيرة تخيف الأفغان.

ومن هنا فإنى أقترح ما يلى :

أن ندخـل إلى ميدان التعليم من خلال نموذج طيب ، لم يطرقه أحد من قبل ، نمـوذج محكم التخطيط، مبنى على أساس علمى متين، يحظى بموافقة الأحزاب السياسية أولا ، ثم القوى الباكستانية ، ولا يعترض عليه أحد .

وهذا النموذج يتمثل في معهد المعلمين، الذى سبق الحديث عنه وعن مزاياه، ومـا يتـوقـع منه، وهو ـ للعلم ـ يحظى بتأييد القوى الباكستانية، وقد قدم بالفعل كمشروع للمسئولين عن التعليم ، فى مكتب المفوض أو المندوب الباكستانى ، وقال إنكم تقومون بعمل كان ينبغى علينا نحن أن نقوم به .

وبجانب هذا فإن القوى الأفغانية الحزبية لن تعترض عليه، بدليل أنها ـ جميعاً ـ سمحت لمدرسيها بالإلتحاق بالدورات التنشيطية التدريبية للمعلمين . وللحق فإن هذه الـدورات التنشيطية كانت هى الفكرة الأولى التى أوحت بفكرة إنشاء معهد للمعلمين . . يمنح دبلوما في التربية .

وبجانب المعهد نقترح أن تنشأ مدرسة ثانوية ، ذات مستوى طيب ، وأن تكون من النوع الشامل أو المطوّر، بحيث تختلف عن الثانويات الموجودة، وبحيث تخدم أبناء الأفغـان، فى ظروفهم الجـديدة القاسية، وبجانب ذلك فإنها سوف تكون مصدراً يستمد منه معهد المعلمين قواه البشرية .

ثم مع المعهد والمدرسة الثانوية . . تقام مدرسة ابتدائية كبيرة(*) ، تستوعب أعداداً كبيرة من أبناء الأفغان، بصرف النظر عن انتماءاتهم الحزبية، فلن نقيم مدرسة لحزب أو لآخر، وإنما هى لأبناء الأفغان جميعاً . . وبلا استثناء .

وكما قلنا إن المدرسة الثانوية سوف تكون رافداً بشريا لمعهد المعلمين، فإن المدرسة الابتـدائية سوف تكـون رافداً للمدرسة الثانوية ، وكلاهما سوف يكون حقلاً طيباً للتـدريب العمـلى . . لطلاب معهد المعلمين . . وعلى مقربة منه، فتصبح العملية تجربة تربوية عملية . . متكاملة إن شاء الله .

---

* المدرسة الإبتدائية تشتمل على المتوسطة في العادة .

هذا عن الطلاب الذين يسيرون فى دراساتهم حالياً، والذين يمكنهم أن يدخلوا إلى أى من هذه المؤسسات التعليمية بيسر وسهولة. أما الطلاب الذين قطعوا بعض المراحل التعليمية، ثم توقفوا لسبب أو لآخر، فسوف ينشأ لهم مركز تدريبى يستوعبهم، ويقدم لهم أنواعاً من المهارات الفنية المطلوبة مثل الكهرباء أو الخراطة أو الميكانيكا أو النجارة.. أو غيرها.

ويمكننا أن نضم إلى كل أولئك مدرسة فنية (تجارية - صناعية - زراعية) تقدم العلم.. والتجربة.. والتدريب للشباب الصغار، الذين لا يريدون الإلتحاق بالتعليم الثانوى العادى، وبالتالى يتخرج للمجتمع الأفغانى الشاب الفنى، بجانب الحرفي السابق الحديث عنه، ذلك الذى سيتخرج من مركز التدريب.

إن هذا الشكل المتكامل لمشروع « المجمع التعليمى العملى ».. قد يكون حلماً اليوم... ولكن الأعمال الكبيرة التى تمت على الأرض، بدأت بأحلام محلقة في سماء الخيال..!! وحولتها عزيمة الرجال إلى واقع يعيشه الناس.

وأتصور أن الدخول إلى ميدان التعليم الأفغانى، بهذا المجمع التعليمى العلمى، سوف يكون مناسباً لقدرة الجامعة العلمية إن شاء الله، ولمكانتها التى تحتلها بين الجامعات الإسلامية، كما أنى أتصور أنه سوف يجتذب الكثيرين من أبناء الأفغان، خاصة إذا كان العاملون فيه من المسلمين الواعين، الذين يحتسبون أعمالهم خالصة لوجه الله تعالى، والذين يتقنون عملهم، ويعرفون الهدف منه. ولقد سبق أن قلت بأنه إذا حظيت هذه الفكرة بالقبول، فإننا ينبغى علينا أن نقيم مجمعين اثنين، أحدهما في منطقة « بيشاور »، والآخر في منطقة « كويتا »، كى يخدما التجمعات الضخمة لأبناء المهاجرين الأفغان.. هناك.

وكل ما سبق لا يمنع أن نقيم عدداً محدوداً من المدارس الثانوية والإبتدائية، للبنين والبنات، منفصلة بطبيعة الحال، شريطة أن تكون مدارس نموذجية، تختلف عن المدارس الحالية الموجودة في الميدان.

التمويـل :

إن مشروعاً بهذا الوضع وهذه الضخامة سوف يتكلف أموالاً طائلة، خاصة في فترة الإنشاءات الأولى، والتى قد تستغرق عاماً بأكمله. وللعلم فإن مشروع معهد المعلمين ـ وحده ـ والذى ناقشناه مفصلاً مع الأساتذة الباكستانيين، وممثلى « رابطة العالم الإسلامي » و« الوكالة الإسلامية للإغاثة »، بلغت التقديرات الأولية له نحو خمسة ملايين روبية باكستانية.. فى العام الواحد، علماً بأنه سيكون مبنى مؤجراً، لا أرضاً مشتراة، ولا مبانٍ مقامة، وخمسة ملايين روبية باكستانية تزيد قليلاً عن مليون ريال سعودى.. وذلك للعام الواحد.

ونحن الآن نتحدث عن «مجمع علمى عملى» كبير، يبنى على مساحة كبيرة من الأرض، وفى الوقت نفسه تستورد له عدد ومكائن للمدرسة الفنية ومركز التدريب المنتظر (وإن كان يمكن التفكير في جعل إحداها تستفيد من إمكانيات الأخرى)، مدرسة ثانوية.. وأخرى ابتدائية.

وفى نفس الوقت نتحدث عن سكن للطلاب في معهد المعلمين، فهو سيكون معهداً داخياً Residential، حتى يتشرب الطلاب القيم والعادات المرغوبة سويا، في جو اجتماعى أخوى.. إسلامى طيب.

ولابـد لمشروع ضخم كهذا من عدد من الأوتوبيسات التى تخدم الطلاب، فى تنقلاتهم وزياراتهم الميدانية، كما أنه سوف يشترى له مجموعة من التجهيزات، لكى يعمل عليها الطلاب بأيديهم، مثل الغسالات الكهربائية، خاصة وأننا قد ألغينا فكرة الخدم، وذلك بالإضافة لمطبخ كامل وحديث.

هذا عن التجهيزات المادية للمشروع.. أما العناصر البشرية المطلوبة له، فلسوف يكون هناك مدير للمعهد، وهيئة تدريس مناسبة للمقررات المطلوبة، كذلك سيكون هناك فنيون للتدريب على الحرف والصناعات التى ذكرت، سواء في المعهد، أو فى مركز التدريب، أو المدرسة الفنية المرتقبة.

وفي هذا المجال لعلى أشير إلى أن هناك عناصر طيبة من بين الأفغان يمكنهم أن

يسدوا في هذا المجال، وقد رأينا بعضهم يعمل في مركزى التدريب، في مخيم « بانج باى » قرب مدينـة « كويتا ». وقد سألناهم عن مؤهلاتهم، فكانوا خريجى المعاهد الفنية العليا في « كابول »، وحين علموا بتفكيرنا في إنشاء مركز تدريب مثل الذى يعملون فيه، أبدوا استعدادهم للانتقال للعمل معنا، حينما نحتاجهم، وقالوا بأنهم يفضلون العمل مع المسلمين على غيرهم.

كذلك ينبغى أن يكون هناك مشرفون اجتماعيون للإقامة الدائمة في المعهد حتى يرعوا شئوون الطلاب النفسية والاجتماعية، وحتى يواجهوا المشكلات التى قد تظهر في مؤسسة كبيرة مثل هذه.

وبطبيعة الحال سيكون هناك مدير للمدرسة الثانوية، وآخر للابتدائية، وكذا للمدرسة الفنية ومركز التدريب. وإذا ظهر المشروع بصورته المتكاملة المنتظرة، فإنه قد يكون من المناسب تشكيل مجلس إدارة للجميع، تمثل فيه كل وحدة بعضو من الإدارة وعضـو من هيئـة التـدريس، ويكون للجميع مسئول واحد. . . أو رئيس لمجلس إدارة المجمع بأكمله، يرعى شئوونه العامة. . ويوجه سياسته، ويشرف على التنفيذ.

والمشروع بهذا الشكل المبدئى، الذى نفكر فيه، يحتاج لمبلغ كبير من المال، خاصة والاقتراح يقول بإنشاء مجمعين. . لا مجمع واحد، ولا يمكننا الآن، ونحن في بداية التفكير فيه، أن نحدد ميزانية حقيقية له. ولكن إذا كان المشروع مقبولاً، أو إذا ووفق على الفكرة، فإنه قد يجرى البحث الجدى عن أماكن إقامته. . ثم يستفسر عن سعر الأرض المطلوبة، وكذلك قد تجرى بعض الدراسات المبدئية، أو دراسات الجدوى Visibility studies . . كما يقول بذلك رجال إدارة الأعمال، ثم نجرى بعض المقارنات على المبانى والتجهيزات والورش والمعدات، ثم تحسب التكاليف الثابتة. . والأخرى الجارية على هذا الأساس.

والله الموفق والمعين.

وهو الهادى إلى سواء السبيل. . سبحانه.

الفصل السابع عشر :

جهود المملكة العربية السعودية
في
دعم الجهاد الأفغانى

في بداية هذا الكتاب تحدثت عن معنى حاولت التأكيد عليه، وهو أن أفغانستان الإسلامية المجاهدة أمانة في أعناق المسلمين جميعاً، وأنها لا ينبغي أن تغيب للحظة واحدة عن حس المسلمين ووعيهم، وأن يكونوا ـ جميعاً ـ من خلف مجاهديها. . سنداً ودعماً وفئة. . ينصرونهم. . ويعينونهم. . بالمال والسلاح والعلاج والدواء ، وبالعلم والرأى. . يصدون عنهم عاديات الزمان، وغوائل الأيام التى تمثلت في عدو شيوعي كافر ملحد يدفعه حقده الأسود للقتل والتدمير والحرق والإبادة، كما تمثلت في أعداء آخرين حاقدين شامتين، لا يريدون أن تقوم للمسلمين قائمة، خاصة من خلال هذا المظهر الإسلامي الذي أعز الله به دينه ونصر عباده، منذ جاء محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم، بالرسالة، وأعنى به مظهر «الجهاد المسلح»، ذلك الذى حاولت قوى باغية خارجية كثيرة، وقوى داخلية متخاذلة عميلة، أن تنسينا إياه، وأن تهيل عليه التراب، بل وحتى أن تمحوه من تاريخنا. . لو استطاعت.

ولقد أكدت في الفصل الأول على عدد من شروط تأدية الأمانة التى في أعناقنا تجاه الجهاد الأفغانى الإسلامي، وكان من بين هذه الشروط عدد منها، ربما يكون من المفيد أن نذكّر بها الإخوة القراء وهى :

- ضرورة حضور القضية الأفغانية في حياتنا. . واستمرار ذلك الحضور.
- حماية المجاهدين الأفغان في أوطاننا الإسلامية.
- ضرورة الإحساس بالمجاهدين الأفغان في حياتنا العامة.

وعلى الرغم من أنى قد عددت شروطاً عشراً، تصورتها لازمة لتأدية تلك الأمانة، إلا أنى سوف أركز على هذه الشروط الثلاثة في هذا الفصل، لأنى أراها ذات صلة وثيقة به، خاصة ونحن نتحدث عن جهود بلاد العالم الإسلامي عامة في دعم وتأييد القضية الأفغـانية، ودعم وتأييد شعب وحكومة المملكة العربية السعودية خاصة، ذلك الدعم الذى كان ـ ولا يزال ـ قويا. . وكثيفا. . ومستمراً بشكل اعترف به العالم أجمع. . في شرق وفي غرب.

جهود الأفراد:

وبصفـة عامة يستطيع الإنسانُ المسلم الذي يزور منطقة الحدود بين الباكستان وأفغـانستـان والمدن الواقعة في نطاقها، وخاصة مدينة بيشاور وكويتا، يستطيع أن يلمس النشاط الإسلامي هناك، بعد أن تنبه المسلمون لنشاط النصارى في مجالات الطب والتعليم والتدريب والخدمات.

إن هذا النشـاط لا يقتصر، في حقيقة الأمر، على الأشخاص الموفدين في مهام رسمية في مجال الإغـاثة والخدمات، من قبل حكوماتهم ومؤسساتها المهتمة بالجهاد الأفغـانى، ولكنـه ينسحب ليشمـل الكثـيرين من أهـل الخير، من منطقة الخليج العربى، خاصة من المملكة العربية السعودية. إن كثيرين من هؤلاء الخيرين أرادوا أن يصل دعمهم سريعاً. . ومباشراً إلى المجالات التى أرادوها له. . هناك. ويشهد الكاتب شهادة خالصة لله، سبحانه وتعالى، بأنه التقى بأعداد من هؤلاء الموسرين الذين دعموا الجهاد الأفغانى بمبالغ ضخمة. التقى بهم في كثير من الأماكن هناك، ابتـداء من بيت السفـير السعـودي في إسـلام أباد، إلى مكتب الملحق العسكرى السعودى هناك أيضاً، وفى مكتب الهلال الأحمر السعودى في بيشاور وكويتا وكذا في مستشفى مكة المكرمة، في مدينة كويتا، على الحدود الباكستانية ـ الأفغانية، إلى كثير من المواقع الأخرى، وكان العنصر المشترك الذى يدفعهم جميعاً لما يقومون به هو نصرة المجاهدين المسلمين وتجهيزهم، سواء كان ذلك في مجال مد المجاهدين بما يحتاجون إليه من سلاح أو نقـل للذخـيرة والمؤن، أو في مجال رعاية أسر هؤلاء المجاهدين،

وخاصة الأطفال الأيتام الذين استشهد آباؤهم في الجهاد، أو الذين استشهد عائلوهم بسبب الغارات السوفيتية الإجرامية على قراهم، أو عند عبورهم لنقاط الحدود إلى الباكستان.

كذلك فإن كثيرين من هؤلاء المحسنين الذين فضلوا ألا تذكر أسماؤهم، لأنهم ما قصدوا إلا وجه الله، بما كانوا يقومون به، كانوا ينفقون كثيرا من الأموال شراء للأدوية اللازمة لعلاج الجرحى والمشوهين، كما كانوا يدفعون بسخاء في مجال التعليم، شراء للكتب أو طباعة لها، ولغير ذلك من الأدوات المدرسية المطلوبة للأجيال الشابة من أبناء الأفغان حتى لا يقعوا فريسة في يد الجهات الأخرى المعادية للإسلام والمسلمين، والتى سبقت الإشارة إليها، كما أن نقل هذه الأشياء كلها من حدود باكستان إلى داخل أفغانستان، فوق سلاسل الجبال الشاهقة هناك، وفي بطون الأودية يمثل عمليات مكلفة جداً، خاصة إذا أخذنا في الحسبان تعرض القوافل التى تنقل تلك المواد لغارات الطيران الوحشية الإجرامية، أو لانفجارات الألغام المنتشرة هناك التى زرعها الروس وعملاؤهم من الشيوعيين في طرق الإمدادات هذه.

هيئات إسلامية :

كذلك فإنه بجانب جهود الأفراد نجد أنه قد تأسست أعداد من الهيئات والمنظمات الإسلامية التى أخذت تزاول نشاطها في مجال العمل الإسلامي، دعما للجهاد الأفغانى، وسدا للثغرات من خلفه، وهناك عدد من الهيئات والمنظمات التى شاهد الكاتب ـ على الطبيعة مباشرة ـ أعمالها، ورتبت له زيارات لمواقع العمل فيها على طول الحدود الباكستانية الأفغانية، على مدار قرابة شهر ونصف، كما أن هناك هيئات سمع عنها، ولم يرها. للأمانة العلمية، كما أنه قد زار مكاتب الأحزاب الأفغانية كلها في مدينة بيشاور، وهى التى تتعامل مع الجهات الإسلامية في تلقى دعمها ومعوناتها.

ومن بين الجهات التى زارها الكاتب وعاش مع العاملين فيها أياما، ورأى جهودهم المحمودة يذكر بكل تقدير وإعزاز جهود العاملين فيها ونشاطهم في مجال خدمة الأفغان يرصد للتاريخ أعمال الجهات الآتية :

الهلال الأحمر السعودى في بيشاور، ومستشفى مكة المكرمة في مدينة كويتا، ولا ينس حماس العاملين فيه في مجال علاج الجرحى والمشوهين، الهلال الأحمر السعودى في مدينة كويتا ذاتها وجهود العاملين فيه في توزيع المعونات على المهاجرين الأفغان. كذلك فإن الوكالة الإسلامية للإغاثة تقوم بأعمال طيبة للغاية هناك، من خلال مكتبها في بشاور والذى يعمل به مجموعة من الشباب الإسلاميين الذين باعوا أنفسهم لله، خاصة وقد كانوا هم الذين تنبهوا لأول مرة لخطورة إهمال تعليم أبناء الأفغان، وهم مشرفون على عدد من المدارس.. تعليماً وإمداداً بالأدوات، كما أنهم قد أقاموا مدرسة فنية أو معهداً فنياً متقدماً لتدريب أبناء الأفغان الأيتام بعد حصولهم على الشهادة الإبتدائية، كما أنهم يسهمون بجهود مشكورة في مجال تدريب المعلمين ومجال كفالة الأيتام الأفغان، وقد عايشهم الكاتب فترة طويلة وتنقل بين مجالات عملهم ورأى حماسهم.. وتحويلهم لهذا الحماس إلى أعمال رائدة فعلا.

كذلك فإن الكاتب قد زار مكتب خدمات العرب، والذى تجمع فيه مجموعات من شباب المسلمين، من كثير من بلاد العالم الإسلامي، يجمعهم هدف واحد، هو نصرة إخوانهم المجاهدين في سبيل الله، والوقوف في وجه الموجة الإلحادية الشيوعية الكافرة، حتى لا تتغلب على مسلمى أفغانستان.. ثم تنساح بعد ذلك فى بلاد المسلمين.. والعياذ بالله.

وفى هذا المكتب.. سواء في بيشاور أو كويتا رأى المؤلف شباباً نحيلة أجسادهم من كثرة الصيام، ومن طول السهر وقوفاً بين يدى الرحمن.. ركعا سجداً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ورأى إيثارهم لغيرهم على أنفسهم.. في كثير من الأمور والمواقف، ورأى كيف كانوا يتسابقون لتلبية داعى الجهاد، وكيف كانوا يبيتون حراسة ورباطاً في سبيل الله، يقرأون القرآن ويتمنّون الشهادة في سبيل الله، ولن أنس ما حييت ذلك الشاب المسلم المجاهد ذى الثمانية عشر ربيعا، ذلك الذى حسبته من الأفغان.. من شكله وهيئته، والذى حدثنى بكثير من الفرح والسعادة حين أتيحت له الفرصة كى يعبر بلاد الأفغان كلها من الجنوب إلى الشمال، وكيف عبر الحدود الأفغانية الروسية، بل وكيف قضى ثلاث ليال داخل روسيا ذاتها بعد أن مر هو

وإخوانه في سلاسل لا تنتهى من أعمال القتال، وكان من مدينة الرسول المصطفى، صلى الله عليه وسلم، سيد المجاهدين، ومعلم البشرية وهاديها إلى طريق النور والعزة.

وبالنسبة لمكتب رابطة العالم الإسلامي، هناك في بيشاور، زار الكاتب ذلك المكتب عدة مرات، وهو من المكاتب النشيطة بالفعل، حيث يسهم في كثير من أوجه النشاط الفعال الذى يخدم المجاهدين الأفغان، ويخدم تجمعات اللاجئين على الحدود، وخاصة في مجال التعليم، وإمداد تلاميذ المدارس هناك بالكثير من الأدوات المدرسية، بالإضافة لقضية إعداد المعلم الأفغانى، وتطوير البرامج التدريسية في مدارس الأفغان، وقد اشترك معنا الأخ مندوب هذا المكتب في اللجنة التى تكونت من بعض الأساتذة الباكستانيين، من جامعة بيشاور، ومن مندوب من الوكالة الإسلامية للإغاثة، ومن المؤلف.

كذلك فإن مكتب الرابطة في بيشاور كان هو همزة الوصل بينى وبين مكاتب المجاهدين.. أى مكاتب الأحزاب الأفغانية هناك والمسؤولة عن التعليم، كذلك فإن المركز العالمى للمدارس الإسلامية هناك حيث يبذل عدد من المخلصين فيه جهوداً وفيرة في تعليم الأفغان لغة القرآن الكريم وعلوما أخرى كثيرة. ولولا أنى أعلم أن هؤلاء الإخوة الكرام العاملين في هذا المجال.. مجال خدمة الجهاد الأفغانى.. لا يريدون أن تذكر أسماؤهم، لا لشيء إلا لأنهم يريدون أن تكون أعمالهم احتسابا عند الله، لولا ذلك لذكرتها.. تسجيلاً أمينا لما رأيت ولمست بالفعل.

بالإضافة لذلك هناك العديد الآن من الهيئات والمكاتب الأخرى التى أنشىء بعضها في فترة ما بعد زيارتى الميدانية للإقليم، كما أن هناك البعض الذى لم أسعد بزيارته، إما لضيق الوقت أو لعدم معرفتى ـ خلال فترة إقامتى هناك ـ بنشاطهم، ومن هذه المكاتب والهيئات نذكر ما يلى:

- إدارة إحياء العلوم.
- الهلال الأحمر الكويتى.

- هيئة الإغاثة الإنسانية العالمية.
- لجنة الدعوة الإسلامية.
- العون الإسلامي.
- هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.
- مؤسسة المدينة المنورة الخيرية.
- مؤسسة الإمام أبي حنيفة التعليمية.
- مؤسسة الدعوة الإسلامية.

لقد كنت أود حقاً أن أكتب فصلا كاملا عن دعم العالم الإسلامي لقضية الشعب الأفغانى لعدة أسباب من بينها:

١ - أن هذا الدعم موجود بالفعل،، وعلى نطاق واسع، وبالتالى فإن تسجيله يصبح واجباً على من يتصدى لهذه القضية، ومن حق التاريخ علينا أن نسجل فيه هذه الصفحات الناصعة، حتى لا يكتب ذات يوم أن هذه الأمة قد تقاعست عن مديد العون لإخوان لهم كانوا يذبحون على مرأى ومسمع منهم.

٢ - إذا كان أعداؤنا يسجلون كل صغيرة وكبيرة يقدمونها للأفغان فإنهم يعلنون ذلك في مجتمعاتهم، وهم يضخمون فيما يكتبون وينشرون، ويتحدثون عن أهدافهم (الإنسانية) في خدمة اللاجئين والجرحى والأطفال والمشردين، بل ويقيمون مؤتمرات علمية يدعون فيها الأساتذة من كل مكان لإلقاء بحوثهم ولمناقشة آرائهم، وأجهزة الإعلام تصور وتكتب وتنقل وتملأ العالم نشاطاً، بينما نحن المسلمين نغيب عن هذا الجانب الإعلامى الهام..!!

٣ - أعلم أن كثيرين من المخلصين سوف يقولون بأننا نريد أن تكون أعمالنا خالصة لوجه الله، ومن هنا فلا يعنينا ولا يهمنا أن نسجل لأنفسنا أو أن يكتب وينشر عنا، وهم محقون في ذلك ويمكن أن يتقبل هذا حين يكون الكلام أو الوضع متعلقا بالأفراد.

أما حين يكون الأمر أمر دولٍ ومؤسسات فإنه ينبغى التسجيل والكتابة والإعلام، ذلك أن الذين يكتبون عن أنفسهم ويسجلون - طالما أنها حقائق -

يكون لهم وزن عند الكلام عن القضية .

٤ ـ من ناحية أخرى فإن تسجيل المعونات التى ترسل للمجاهدين ونشرها على الناس يشجع الكثيرين غيرهم كي يتبرعوا وكى يبذلوا وينفقوا في سبيل الله ، ثم إنه يجعل الشباب المسلم معتزاً بأمته التى تقف خلف من باعوا أرواحهم في سبيل الله .

إن اليهود حين ينشرون عن حجم المساعدات التى يرسلونها للصهاينة في دولتهم الغاصبة لأرض فلسطين يبينون للعالم أجمع أنهم يد واحدة، سواء كانوا في الولايات المتحدة، أو في غرب أوروبا ، أو في أى مكان من العالم، مما يجعل الدول التى يعيشون فيها تعمل لهم حساب. . وأى حساب، فكيف يغيب ذلك عنا نحن المسلمين. . ؟؟!!

لقد زرت مكتب رابطة العالم الإسلامي . . فى الرياض، ولمست حماس الأخ الكريم المسئول عن هذا المكتب، وأراد أن يرينى شيئا على الطبيعة فسألنى هل أنا مستعد للذهاب معه إلى المخازن المعدة لاستقبال تبرعات الأهالى هنا في الرياض وما حولها ، فقلت بأننى سوف أسعد بذلك يقيناً. وخرجنا في سيارتينا لمسافات بعيدة وجدت نفسى في نهايتها أمام مخازن هائلة الحجم، وأمامها سيارات نقل عملاقة (Trucks) من ذوات الثمانى عشرة عجلة ، كما يطلقون عليها ، وأصر على أن أصعد إلى بعض هذه السيارات المرتفعة جدا لأرى أطنانا من البلح الذى أحضره أفراد من هذا الشعب السعودى الكريم كى يرسل لإخوانهم فى أفغانستان ، وكانت كميات تعز على الوصف أو الحصر . . وهذا قليل من كثير.

وطلبت من الأخ المسئول أن يمدنى ببيانات أرصدها في كتابى فقال بأنهم لا يحتفظون بسجلات لما يرسلونه لأفغانستان، وتعجبت، فهذا هو الواقع أمامى يشهد بسخاء إسلامي رائع، وروح أخوة مثالية، ولكن ذلك لا يسجل ولا يدوَّن، ولما قلت بأنه لابد وأن يكون لديهم شيء من التسجيل وعدنى بأن يبحث لى عن شيء وبعد عدة أيام تسلمت ورقة أنقل منها ما دوِّن فيها بالنص:

٦٥	طرد مصاحب
٢٣٩٢٥٠	طرد بطانية
٦٦٢٤	طن كيس تمر (!!)
٢٢٢٨	طرود مختلفة تشتمل ملابس وأطعمة ومعلبات وشاهى
٦٩١	كرتون أحذية
٣	أجهزة كمبيوتر
٣٥	أدوية ومعدات طبية (طرود فيها أعتقد)
٢٨	اسطوانة أكسجين طبى

هذا هو كل ما أعطيته من مكتب الرابطة بالرياض، فهل هذا بالفعل هو ما خرج من هذا المكتب الكائن في قلب المملكة العربية السعودية، على مدار سنوات الجهاد الطويلة. .؟؟ لا يمكن، فمن واقع الأمور على الطبيعة يفهم الإنسان أن ما أرسل من جانب المواطنين السعوديين أكثر من ذلك بمئات المرات دون أدنى مبالغة. .

لقد قرأت تقرير السيدة المسئولة عن التعليم الإبتدائي الأفغانى من الداخل، والتابعة للجنة السويدية في بيشاور فإذا بها تثبت كل صغيرة وكبيرة، بدقة متناهية. . حتى أقلام الرصاص التى أرسلت لأبناء المسلمين أثبتتها. . !!

الدعم السعودي

وبعد هذه الكلمة التى كان لابد منها، لعلنا نمر معاً على الدور الإيجابى والمثل المشرف الذى ضربته المملكة العربية السعودية فى دعم المجاهدين الأفغان ، ولندع الحقائق تتحدث عن نفسها، فليس أقنع لفكر الإنسان من الحقائق والأرقام والأفعال. ومنذ اللحظة الأولى التى أعلن فيها عن الاجتياح السوفييتى الشيوعى المجرم لحدود أفغانستان، ووضوح الصورة البشعة والمفزعة للممارسات الاستعمارية الرهيبة لهم هناك بادرت المملكة العربية السعودية بالوقوف أمام هذا الاجتياح الكافر، من خلال تقديم العون للأفغان على صور مختلفة.

بدايات مبكرة :

لقد وقع الاجتياح الشيوعى لأفغانستان في الأيام الأخيرة من عام ١٩٧٩م، ومع بدايات الأيام الأولى لعام ١٩٨٠م، وبالتحديد في أثناء احتفال دول الغرب ببداية العام الجديد، وفى نفس العام، أى ١٩٨٠م والذى يقابل ١٤٠٠هـ كانت استجابة المملكة العربية السعودية حكومة وشعباً، استجابة سريعة غير متأخرة، فلقد «شكلت الهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان عام ١٤٠٠هـ، وواصلت أعمالها في ذلك المجال.

وفي عام ١٤٠٣هـ رأت الهيئة أن تكوِّن لجنة سعودية ميدانية تعمل في الباكستان، ويتم اختيار أعضائها من ذوى الأمانة والإخلاص لإيصال التبرعات، وتفقد أحوال المجاهدين والمهاجرين عن كثب فتكونت «لجنة الإغاثة السعودية»، وباشرت أعمالها منذ ذلك التاريخ بين أوساط المجاهدين والمهاجرين، تؤمن لهم مواد الإغاثة من الخيام والبطانيات والمواد الغذائية والملابس والأحذية واللحف والأدوية ولوازم المجاهدين، وترعى الأرامل والمعوقين، وتكفل الأيتام، وتساهم في التعليم وإقامة المدارس والمستشفيات والمساجد وحفر الآبار، وبناء الغرف للمهاجرين إلى غير ذلك.

وإذا أردنا أن نعدد أوجه النشاط التى قامت ـ ولازالت تقوم بها ـ هذه اللجنة التى تعمل بواسطة أشخاص سعوديين، وبتوجيه من الهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان في المملكة، لوجدنا أنها تساهم فيما يلى:

* تجهيز الغزاة وخلافتهم في أهلهم، عملاً بقول الله، سبحانه وتعالى:
﴿ انفروا خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾.
ويقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا».
* كفالة الأيتام وإيواؤهم وتعليمهم، وتحمل كامل نفقاتهم وعلاجهم ومساعدة أسرهم بما يكفى لإعاشتهم.
* كفالة الأرامل والمعوقين، تمثلاً بحديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم:

الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر.

* تعليم الأطفال الأفغان، وخاصة في مجال حفظ القرآن وتعلم العلوم الشرعية، امتثالاً لقول خير الأنام، صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».
* في مجال تأمين الخيام وبناء الغرف للمهاجرين.
* في مجال بناء المساجد والمدارس.
* في مجال حفر الآبار في مخيمات المهاجرين.
* في مجال شراء مكائن خياطة ومكائن نسيج.
* في مجال الخدمات الصحية.
* وأخيراً في مجال التبرعات العامة التى ينفق منها على بنود كثيرة من بينها:

شراء المواد الغذائية ـ شراء البطانيات ـ شراء الملابس والأحذية ـ شراء الأدوية أو الدم المطلوب للعمليات الجراحية والأطراف الصناعية ـ تقديم مبالغ نقدية للمنومين في المستشفيات لينفقوها على أسرهم ـ شراء الكتب والمصاحف ـ ترجمة وطبع بعض الكتب الضرورية ـ كما أن هناك مجالاً للتبرعات المفتوحة دون تقيد بشيء معين أو تحديد لمجال بعينه.

وإذا تركنا هذا الجانب التعريفى بما تقوم به اللجنة، وركزنا قليلاً على ما قامت به بالفعل وأنجزته نجد أنها قد انتهت بالفعل من عدد طيب من الأعمال نذكر من بينها:

١ ـ مركز تأهيل المعوقين والأرامل والأيتام والذى يضم في داخله أعداداً كثيرة من الأشخاص بين يتيم ومعوق، وهم يعملون في مختلف المهن، ويستفيد من هذا المركز في المخيمات آلاف الأرامل ممن يعملن في خياطة اللحف والملابس، ويقع قرب مدينة بيشاور.

٢ ـ مركز مماثل ابتدأ بشكل مصغر في «كويتا» ويضم عدداً كبيراً من الأيتام والمعوقين.

٣ ـ مستشفى مكة المكرمة الجراحى، والذى يتسع لمائة وعشرين سريراً، ويقع في

مدينة «كويتا» ويعتبر أفضل المراكز الصحية التى تعالج المجاهدين، ويديره طبيب سعودى.

٤ - مدرسة خبيب الشهيد، وهى إحدى دور الأيتام التى أنشأتها اللجنة، وهى مدرسة داخلية تضم مئات من الأيتام الذين يتلقون التعليم وكامل النفقة والعلاج، ويعطى لأسرة كل واحد منهم ما يكفى لإعاشتها شهريا.

٥ - المدرسة المهنية للأيتام، في مخيم «ناصر باغ»، وهى تسير على نفس خطوات مدرسة «خبيب»، إلا أن الأيتام هنا يتعلمون المهن المفيدة، بالإضافة إلى العلوم الأخرى.

٦ - دار القرآن الكريم للأيتام، وهذه تركز على تحفيظ القرآن الكريم وتجويده، بالإضافة إلى بعض الدروس الشرعية.

٧ - عيادة العلاج الطبيعي التى تقدم العلاج الخاص الطبيعى للمجاهدين بعد إجراء العمليات الجراحية لهم.

٨ - بناء عدد من المدارس والمساجد في المخيمات.

٩ - حفر عدد من الآبار العادية في المخيمات.

١٠- بناء آلاف الغرف للمهاجرين.

ولعل في قراءة نبذة صغيرة موجزة عن نشاط الهيئة العامة لاستقبال التبرعات ولجنة الإغاثة، ما يفيد، بحيث يقف القارىء على بدايات هذا العمل الإسلامي الكريم، فمنذ بدأ الجهاد الأفغانى، قبل تسع سنين، صدرت الأوامر السامية بتشكيل الهيئة برئاسة الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض، وينوب عنه الأمير سطام بن عبدالعزيز، وعضوية كل من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وفضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيان، ورئيس جمعية الهلال الأحمر السعودى، وكيل وزارة العدل، ووكيل وزارة العمل والشئون الاجتماعية، ثم انضم للهيئة الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد نصت التعليمات السامية على أن تكون هذه هى الهيئة الرئيسية ويتفرع عنها هيئات في كل منطقة. وفور تشكيل الهيئة فتحت لها حسابات لدى فروع كل من

شركة الراجحى للصرافة والتجارة والبنك الأهلى التجاري وبنك الرياض ومصرف السبيعى في جميع أنحاء المملكة.

وبعد ذلك رأت الهيئة أن تكون هناك في الباكستان لجنة ميدانية، تابعة للهيئة لتعمل على إيصال التبرعات للمجاهدين والمهاجرين هناك، ولكى تتفهم أوضاعهم وتتفقد أحوالهم عن قرب، خشية أن توضع التبرعات في غير محلها(*). وفعلا باشرت اللجنة التى تضم عدداً من الموثوقين والمعروفين بالأمانة، وذلك منذ أكثر من خمس سنوات، وصارت تحول التبرعات إليها نقداً، ثم تشترى مواد الإغاثة من باكستان، وذلك مثل الخيام والبطانيات والملابس والأحذية واللحف والجوارب والمواد الغذائية والأدوية والأجهزة الطبية، وجميع ضروريات المجاهدين والمهاجرين.

وقد سميت هذه اللجنة «**لجنة الإغاثة السعودية**»، كما تقوم بحفر الآبار، وبناء المساجد والمدارس في المخيمات، وتساهم في تعليم الأطفال، وتقوم بكفالة الأيتام كفالة تشمل إيواءهم وكسوتهم وإطعامهم وتعليمهم وعلاجهم، وكافة نفقاتهم، وترعى أسرة كل يتيم مسجل لديها بإعطائها مبلغاً شهريا يكفى لإعاشتهم.

كما تقوم اللجنة برعاية المعوقين وعلاجهم وكذا الأرامل، كما توجد لهم فرص العمل ليتعودوا على الكسب، ومن ذلك تشغيلهم في خياطة الملابس واللحف ونسيج البطانيات، وعمل الأحذية والخيام وغير ذلك. ويأخذ كل معوق وكل أرملة أجره حسب إنتاجه. كما قامت اللجنة بتوزيع أعدادٍ كبيرة من مكائن الخياطة على الأرامل والمعوقين ليعملوا في بيوتهم، كما قامت لجنة الإغاثة ببناء آلاف الغرف الطينية للمهاجرين.. بدلاً من الخيام.

انجازات :

ونظراً لأن اللجنة مقيمة هناك بصفة مستمرة فقد أنشأت بعض المشاريع النافعة بالإضافة إلى ما تقوم به من أعمال إغاثية، ومن هذه المشاريع ما يلى:

---

* أخذت هذه المعلومات من نبذة مختصرة سلمت لنا من المكتب التنفيذي للهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان بالرياض.

١ ـ أنشـأت مستشفى جراحياً يتسـع لمائـة وعشرين سريراً، وذلك في مدينة (كويتا) قاعدة بلوشستان، وهو مخصص لجرحى المعارك، وقد تم افتتاحه قبل أربع سنـوات ويعتـبر من أفضـل المرافق الصحية التى تقدم الخدمة للمجاهدين، وقد صدرت موافقـة المسئولين على أن يتولى إدارته طبيب سعودى، وفعلاً كلفت وزارة الصحـة مشكورة أحد الأطباء، وباشر عمله منذ سنة تقريباً، بعد أن تعاقب على المستشفى عدد من الإخوة العرب والباكستانيين، ويضم المستشفى دورة لتخريج المسعفين.

٢ ـ عيادة العلاج الطبيعى في (بيشاور) وتعتبر أفضل مركز متخصص في هذا المجال في باكستان، وهذا المركز يعالج الحالات التى تحتاج إلى علاج طبيعي بعد إجراء العمليات الجراحية التى تتأثر بعدها الأطراف والأعصاب، وقد استفاد منه الكثير من المجاهدين ولله الحمد.

٣ ـ أنشـأت لجنـة الإغـاثـة السعـودية مركزاً كبيراً لتشغيل الأرامل والمعوقين والأيتام، ويعمل فيه عدد كبير من المعوقين والأيتام، كما يستفيد منه ما يقارب آلاف الأرامل، ويأخذ كل من اليتيم والمعوق والأرملة أجرة كل قطعة، ثم يوزع الإنتاج على المهـاجـرين.. مجاناً، وهذا المركز موجود في أحد المخيمات الكبيرة قرب مدينة بيشاور، وينتج فيه الأشياء التالية:

اللحف والملابس بأنواعها، والأحذية والبطانيات والخيام، ودراجات المعوقين، والسرر الحديدية لدور الأيتام، والطاولات والسبورات للمدارس، ويشتمل المركز على مهاجع للمعوقين الذين ليس لهم عوائل، ودار مهنية للأيتام، ومسجد كبير، ومطعم ومخبز ومطبخ لتقديم الوجبات للأيتام والمعوقين.

٤ ـ أنشأت اللجنة داراً للأيتام تحت اسم «مدرسة خبيب الشهيد»، تضم مئاتٍ منهـم، يتم إيواؤهم وإطعـامهم وكسـوتهم وعـلاجهم ونفقتهم الشـاملة وتعليمهم، ويعـطى لأسرة كل يتيم ما يكفى لإغـاثتهم أيضا. وهذه خطة اللجنة في كفالة الأيتام، لأن إعطاء اليتيم مبلغاً من المال وهو في المخيم قد

يعرضه للانحراف، مع بقائه دون تعليم، كما أن في ذلك تأكداً من يتمه، لأنه يقيم في الدار ولا يخرج إلا يوم الجمعة لزيارة ذويه.

ولنجاح هذه الخطة التى تشمل الكفالة الحقيقية، وتضمن الرعاية الكاملة بالتعليم والتربية والعلاج، وكافة النفقات فإن اللجنة تقوم الآن بإنشاء دور مماثلة لمدرسة «خبيب» والمدرسة المهنية التى هى داخل المركز.

٥ ـ بدأت اللجنة في إنشاء مركز لتشغيل المعوقين والأيتام أيضاً في إقليم بلوشستان.

٦ ـ أنشأت اللجنة «دار القرآن الكريم» في بيشاور، لتحفيظ القرآن وتعليم التجويد وبعض الدروس الدينية، وقد خرَّجت عدداً من الحفاظ وتنوى التوسع في ذلك أيضاً إن شاء الله.

٧ ـ تقوم اللجنة بمساعدة المدارس الداخلية التابعة للمنظمات بتقديم الفرش والملابس والمواد الغذائية.

٨ ـ تقوم اللجنة بتأمين بعض لوازم المجاهدين، ودفع المبالغ النقدية للمنظمات لترحيل المؤن والمواد والمساعدات، كل منظمة بحسب حجمها ونشاطها في الداخل.

ومن واقع هذه الأعمال، ونتيجة لبقاء اللجنة في أوساط المجاهدين والمهاجرين فقد تكونت لديها خبرة تامة بأحوال المجاهدين والمهاجرين، مما جعل عملها مركزاً وشاملاً لجميع فئات المجاهدين. وكل من يزور باكستان ويتصل بلجنة الإغاثة السعودية يطلع على ذلك.

هذا ولسوف نورد فيما يلى عدداً من الجداول الرسمية التى تبين نوعية الإنفاق من جانب الشعب السعودي وحجم ذلك الإنفاق، علماً بأن هذه السجلات لم تبدأ إلا اعتباراً من عام ١٤٠٣هـ، على الرغم من أن اللجنة قد بدأت أعمالها قبل ذلك، كما سبق التوضيح، ومرة ثانية نؤكد على أن هذا الجانب الرسمى المسجل هو أقل بكثير جداً عن المعونات التى ترسل من جانب أفراد الشعب السعودي.. رجالاً ونساء، والذين يرفضون بإصرار أن تذكر أسماؤهم، ويحتسبون ذلك عند الله، ويرجون قبوله، وخلال شهر رمضان بالتحديد يمكن لأى إنسان أن يشاهد حركة التبرعات في

المساجد، من جانب التجار وغيرهم من المواطنين، والتى ينتج عنها عشرات الملايين من الريالات كل ليلة من مساجد الرياض والمدينة ومكة وجدة وغيرها من مدن المملكة وقراها، وكل ذلك مما يصعب حصره وتقصى عدده، ومن هنا وجبت الإشارة.

جدول رقم (٤)
إجمالى ماتم صرفه للأحزاب الأفغانية من مبالغ نقدية مقابل الكراية (*)
خلال الفترة من ١٤٠٣هـ إلى ١٤٠٨/١٢/٣٠هـ

مسلسل	اسم الحزب	المبلغ
١	الاتحاد الإسلامي لمجاهدى أفغانستان	٢٧٧,٥٠٠,٠٠٠ روبية
٢	الحزب الإسلامي (حكمتيار)	١١٤,٧٩٦,٨٥٨ »
٣	الجمعية الإسلامية (ربانى)	٩٨,٣٤٨,٧٠٠ »
٤	الحزب الإسلامي (خالص)	٧٥,٠٧٥,٨٠٠ »
٥	اتحاد إسلامي (سياف)	٨٣,٦٩٣,٤٦٩ »
٦	حركة انقلاب إسلامي (محمد نبى)	٤٥,٧٦٠,٧٣٦ »
٧	محاذ ملى (جيلانى)	١٤,٤٩٧,٨٦٤ »
٨	نجاة ملى (مجددى)	٥,٣٧٣,٩٠٠ »
٩	جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة (جميل الرحمن)	٣٤,٤١٩,٨٠٠ »
١٠	احمد شاه مسعود (الجبهة الإسلامية)	٢,٠٠٠,٠٠٠ »
١١	جلال الدين حقانى (الحزب الإسلامي)	٨,٧٨٥,٩٠٠ »
	الجملة	٧٦٠,٢٥٣,٠٢٧ »

* الكراية مصطلح يستخدم لوصف نقل المؤن ولوازم الجهاد للمجاهدين الأفغان.

جدول رقم (٥)

كشف إجمالي بالمواد الغذائية المؤمنة عن طريق لجنة الإغاثة السعودية بالباكستان اعتباراً من ١٩٨٣م ـ ١٢/ ٨/ ١٩٨٨م الموافق ٣٠/ ١٢/ ١٤٠٨هـ(*)

مسلسل	الصنف	الكمية	العبوة	ملاحظات
١	أرز	١١٣,٠٢٧	كيس ٩٨ كجم	
			» ٢٠ »	
٢	دقيق	٧١,٥١٤	» ٧٢ »	القيمة الإجمالية
			» ٢٠ »	
٣	سكر	٦٥,٥٣٣	» ١٠٠ »	٨٣,٥٩٥,١٠٧
			» ١٠ »	
٤	عدس	٥٧,١٢٩	» ٩٨ »	روبية
			» ١٠ »	
٥	زيت	١٣٢,٣٥٠	علبة ٥ »	
			» ٢,٥ »	
٦	شاى	١٠٠,٨٦١	كيس ٥ »	
			» ١ »	
٧	لوبيا	١,١٠٨	كيس ٩٨ »	
٨	حليب	٧٥	علبة ٥ ٢٢,٥ »	
٩	مصالح ؟	١٠	كرتون ١ »	
١٠	ملح	٢٧٠	كيس ١ »	

* البيانات المدونة عاليه مستخرجة من ملفات المتعهدين الموجودة لدى اللجنة.

جدول رقم (٦)

إنتاج مصنع «ناصر باغ» للمعوقين والأرامل والأيتام التابع للجنة الإغاثة السعودية للفترة من ٧/ ٨/ ١٩٨٤م حتى ١٢/ ٨/ ١٩٨٨م الموافق ٣٠/ ١٢/ ١٤٠٨هـ*

مسلسل	الصنف	العدد	القيمة
١	لحف	٢٩٩,٨٥٧	
٢	ملابس	٣٠٨,٢٩٢	القيمة الإجمالية
٣	بطانيات	١٣,٣٠٩	٤٩,٢٦٦,٢٣٢ روبية
٤	أحذية	٨٨,٠٣٠	
٥	خيام	٣,٧٥٩	
٦	دراجات للمعوقين	,١٩٥	
٧	سرر	,٧٥١	
٨	دواليب/ مقاعد/ مكاتب	,٤٤٣	
٩	حقائب / وسائد	,٥٠٠	
١٠	مصاريف تأسيس وإنشاء المصنع		٥,٧٢٨,٢١٦ روبية

* البيانات مستخرجة من ملفات المصنع الموجودة لدى اللجنة.

جدول رقم (٧)

مواد منوعة مؤمنة عن طريق لجنة الإغاثة السعودية بالباكستان

اعتباراً من عام ١٩٨٣م حتى ١٢/ ٨/ ١٩٨٨م الموافق ٣٠/ ١٢/ ١٤٠٨هـ

مسلسل	الصنف	العدد	ملاحظات
١	بطانيات	٢١٩,٠١٥	
٢	ملابس	٣٨٨,٧٩٠	القيمة الكلية
٣	جاكيتات	٤٣٨,٦٧٩	١٢٣,١٩٩,٥٦٥ روبية
٤	أكياس نوم	٣٣٠,٤٣١	
٥	جوارب	١٨٣,٩١٠	
٦	أحذية	١,٠٠٢,٤٨٥	

جدول رقم (٨)

المواد العينية المرسلة من المملكة للجنة الإغاثة السعودية خلال الفترة من ١٤٠٤هـ إلى نهاية ١٤٠٨هـ(*)

مسلسل	الصنف	الكمية	ملاحظات
١	بدل عسكرية	٤٣٨,٠٤٧	
٢	بدل رياضية	١٢٩,٠١٦	
٣	أحذية رياضية	١٣٢,٢٨٨	
٤	جوارب	٤٩٦,٠٩٥	
٥	قبعة ميدان	١٥٢,٢٨١	
٦	غترة حمراء	٨٥,٤٠٩	
٧	معاطف	٣٣,٠٣٥	
٨	بطانيات	٥٥,٩٩٣	
٩	أقمشة مختلفة	١,٢٥٧ كرتون	
١٠	شال	١,٥٥٦	
١١	وجبات غذائية جاهزة	٤١,٦٧٥ كرتون	
١٢	تمور	٣٣,٤٢١ كرتون	
١٣	قمح	١٣,٩٩٩ كيس	كل كيس ٥٠ كجم
١٤	دقيق	٦٩,٩٨٣ كيس	كل كيس ٤٥ كجم
١٥	ملابس قديمة	١,٨١٢ كيس	
١٦	فول	٥٠٦, كرتون	

* لم تضع اللجنة تقديراً ماليا لما جاء في هذا الجدول كله، على ضخامته . . !!

المؤلف

جدول رقم (٩)

قائمة بما تم تأمينه من الكتب من قبل لجنة الإغاثة خلال الفترة ١٤٠٥ ـ ١٤٠٨هـ

م	اســـم الكتـــاب	المـــؤلف	عدد النسخ	القيمـــة
١	كشف الشبهات	محمد بن عبدالوهاب	٤٨,٥٠٠	٣١٠,٥٣٦
٢	عقيدة أهل السنة والجماعة	محمد بن صالح بن عثيمين	٢٤,٠٠٠	روبية
٣	زيارة القبـــور	محمد بن بير علي البركاوى	٣٠,٠٠٠	
٤	مصحف (المعانى مترجمة بلغة البشتو)		١٠,٠٠٠	
٥	مصحف (المعانى مترجمة بلغة فارس)		١٦,٥٠٠	
٦	عقيدة أهل السنة والجماعة (فارس)	محمد بن صالح بن عثيمين	٢٠,٠٠٠	
٧	كتب مختلفة (مرسلة من المملكة)		٢,٨٠٦	
٨	خذ عقيدتك	محمد جميل زينو	١٠,٠٠٠	

جدول رقم (١٠)

إجمالى ما قامت به لجنة الإغاثة السعودية من شراء للخيام

خلال الفترة من ١٩٨٣م حتى ١٢/٨/١٩٨٨م الموافق ٣٠/١٢/١٤٠٨هـ(*)

النـــــوع	العـــدد	القيمـــة
خيـم صغـيرة (سـكن) خيـم كبـيرة (مـدارس وخـلافـه)	٩٤,٢٠٩ ٨٣	١٢٨,٣١٨,٣٠٠ روبيـة

جدول رقم (١١)

إجمالى ما مدت به اللجنة الأفغانية آلاف الأفغان لبناء غرفٍ لأنفسهم

خلال الفترة السابقة، وبعد تجربة الخيام(*)

النـــــوع	العـــدد	القيمـــة
غرف مبنية داخل المخيمات	٦,٥٧٧	٥,٢٦١,٦٠٠ روبية

* البيانات المدونة في الجدولين السابقين من واقع ملفات الموردين الموجودين لدى اللجنة، وبناء ـ كذلك ـ على أوامر بناء الغرف.

جدول رقم (١٢)
كشف المبالغ المصروفة على الخدمات الطبية التابعة للجنة
خلال الفترة من ١٤٠٣هـ إلى ٣٠/ ١٢/ ١٤٠٨هـ

نوع المشروع / اسم المشروع	مستشفى مكة المكرمة	عيادة العلاج الطبيعي	الأدوية	الأجهزة الطبية	المجموع/ روبية
تأسيس وتشغيل وتأمين أدوية	٢٨,٥٢١,٥٢٦	١,١١١,٠٣٣	٢٢,٧٠٩,٠٧١	١,٠٩٧,٤١٦	٥٣,٤٣٩,٠٤٦

جدول رقم (١٣)
كشف بالمبالغ المصروفة إلى فرع لجنة الإغاثة بمدينة «كويتا»
خلال الفترة من ١٤٠٣هـ إلى ٣٠/ ١٢/ ١٤٠٨هـ

الكراية (تجهيزات للمجاهدين ونقل)	المواد الغذائية	المجموع/ روبية
١٠,٠٠٠,٠٠٠	٧,٩٢١,٤١٨	١٧,٩٢١,٤١٨

جدول رقم (١٤)

كشف بإجمالى المبالغ المصروفة على المدارس التابعة للجنة

خلال الفترة من ١٤٠٣هـ إلى ٣٠/ ١٢/ ١٤٠٨هـ

خبيب الشهيد	مدرسة تحفيظ القرآن	مدارس مختلفة	المجموع/ روبية
٤١٢,٠٠٢	١٩٧,٧١٩	١٤,٩٥٤,١٩١	١٥,٥٦٣,٩١٢

جدول رقم (١٥)

مصاريف متفرقة خلال الفترة من ١٤٠٣هـ إلى ٣٠/ ١٢/ ١٤٠٨هـ

تخليص ونقل	تذاكر الجرحى	متفرقـــــة	المجموع/ روبية
٢,٢٧٤,٩٥٧	٢٩,٧١٥	١٨,٤٩١,٧٨٢	٢٠,٧٩٦,٤٥٤

وبذلك تبلغ قيمة المبالغ المنصرفة ـ التى أمكن حصرها فقط، حيث هناك أشياء كثيرة لم تقدر قيمتها ـ بواسطة اللجنة السعودية للإغاثة، والمتمركزة في باكستان حوالى ٥١١,٠٠٠,٠٠٠ ريال سعودى، وإذا تذكرنا ما قلناه في بداية هذا الفصل من أن هناك كثيرين من الموسرين يؤثرون ألا يتحدث أحد عنهم، ويريدون أن يرسلوا ما يجودون به مباشرة إلى المجاهدين وذويهم، أو حتى يحملونه هم إلى هناك بأنفسهم، أقول إذا تذكرنا ذلك، وأن هذه المبالغ هى بعشرات الملايين أدركنا الكم الهائل من الأموال والمعونات والخدمات التى ساند بها الشعب السعودى وحكومته جهاد الإخوة الأفغان.

كذلـك فإن هنـاك أبواباً أخرى أو قنوات أخرى خرجت من خلالها معونات لم نستطع أن نوثق مبالغها، رغم محاولاتنا المتكررة لذلك، مثل كميات المعونات من الإنتاج الزراعى التى ترسلها وزارة الزراعة والمياه بالمملكة، وقيمة التذاكر المخفضة التى تمنحها «الخطوط العربية السعودية» لكل مهتم بالقضية الأفغانية ويريد الذهاب إلى الباكستان، حيث تمنحهم تخفيضات تصل إلى ٨٠٪ من قيمة التذكرة، كما أن «بترومين» ترسل كميات ضخمة من الوقود بملايين الريالات للمجاهدين هناك. . . وغير ذلك كثير، ولعله من الواجب أن نشير إلى جهد طيب يجرى في المملكة، حيث يتم نقل المجاهدين المصابين بإصابات خطيرة من هناك. . من الجبهة على الحدود. . إلى مستشفيات المملكة المخصصة للعلاج ولإجراء الجراحات التى يصعب إجراؤها هناك.

ومن ناحية أخـرى فإن الدولة تيسر عمل الذين يصلون للمملكة للتحدث إلى المواطنين، عن الجهاد الأفغانى، والذين لا تخلو زياراتهم من جمع التبرعات الضخمة لدعم الجهاد.

جهود الندوة العالمية للشباب الإسلامي :

من الأمور التى تذكر للندوة العالمية للشباب، والتى مقرها الرياض، أنها كانت سباقة في بذل كل ما تستطيعه دعماً لجهاد الشعب الأفغانى وإغاثة شبابه، باعتبارهم جزءا من شباب الأمة الإسلامية، وقد وقع عليهم الكثير من الظلم والإضطهاد من جانب القوى الشيوعية الكافرة الحاقدة على الإسلام والمسلمين. هذا ويتمثل دعم الندوة العالمية للشباب الإسلامي في المجالات الآتية:

أولاً : في مجال الدعم الإعلامي :

١ - استلام أخبار المجاهدين من وكالة الأنباء الأفغانية، في لندن، وتوزيعها على وكالات الأنباء والصحف الإسلامية، المحلية والعالمية، بواسطة التلكس.
٢ - إصدار نشرات وملحقات عن أفغانستان وتزويد المعارض بها.
٣ - محاضرات الأمـين العـام، والأمين العام المساعد، عن الجهاد الأفغانى، في

جامعة الملك سعود، وغيرها.

٤ - إرسال مجموعات كبيرة من المصاحف الشريفة، والكتب الإسلامية.

٥ - إقامة معارض بالتعاون مع الوكالة الإسلامية الأفغانية، وجامعات ومدارس المملكة.

٦ - إرسال تقارير، بشكل دورى، عن حالة الإخوة الأفغان، إلى الجهات والهيئات التى تتعاون معها الندوة.

٧ - تتضمن مجلة المستقبل التى تصدرها الندوة العديد من أخبار الإخوة المجاهدين، مع التحليلات الصحفية.

ثانياً: مجال الدعم المالى:

١ - دعم مدارس لجنة الدعوة الإسلامية، في بيشاور، لصالح الإخوة الأفغان.

٢ - تأسيس ودعم «المدرسة الأثرية»، في بيشاور، وهى تضم أكثر من ٦٠٠ طالب.

٣ - دعم شراء أجهزة الأشعة المتحركة، وتخطيط القلب، وتثبيت العظام، وتعقيم الأدوات الطبية، لصالح مشروع الأخ المجاهد عبدرب الرسول سياف.

٤ - دعم مدرسة أبي حنيفة الثانوية، في محافظة وردك (داخل أفغانستان).

٥ - إرسال مجموعة من الأطباء.

٦ - إرسال آلات تصوير المستندات وآلات كاتبة للحزب الإسلامي.

٧ - تسهيل أمور وحاجات الطلاب الأفغان.

٨ - إرسال مبلغ ١٦,٥١٠ دولاراً، لصالح برهان الدين ربانى.

٩ - إرسال مبلغ ١٦,٥٠٩ دولاراً، لصالح قلب الدين حكمتيار.

١٠- إرسال مبلغ ١٦,٥١٠ دولاراً، لصالح عبدرب الرسول سياف.

١١- دعم معهد تخريج مساعدى الأطباء، ودعم إقامة ١٧ مستشفى ومستوصف لصالح الحزب الإسلامي الأفغانى.

١٢- أعطت الندوة مبلغ ١,١٢٦,٣٨٧ ريالاً لمختلف الأحزاب الأفغانية، خلال الفترة من ١٤٠٣/٧/٧هـ إلى ١٤٠٩/٣/١٣هـ.

الجـــــداول

جدول رقم (١) الجمهوريات الإسلامية داخل الإتحاد السوفييتى .
جدول رقم (٢) أعداد الطلاب والطالبات في بعض مدارس المخيمات .
جدول رقم (٣) مساهمات بعض اللجان الغربية في مجال التعليم الأفغانى لعام ١٩٨٦م .
جدول رقم (٤) إجمالى ما تم صرفه للأحزاب الأفغانية من مبالغ نقدية مقابل الكراية .
جدول رقم (٥) كشف إجمالى بالمواد الغذائية المؤمنة عن طريق لجنة الإغاثة السعودية .
جدول رقم (٦) إنتاج مصنع ناصر باغ للمعوقين والأرامل والأيتام .
جدول رقم (٧) مواد منوعة مؤمنة عن طريق لجنة الإغاثة السعودية .
جدول رقم (٨) المواد العينية المرسلة من المملكة للجنة الإغاثة السعودية .
جدول رقم (٩) قائمة بما تم تأمينه من الكتب من قبل لجنة الإغاثة .
جدول رقم (١٠) إجمالى ما قامت به لجنة الإغاثة من شراء الخيام .
جدول رقم (١١) إجمالى مامدت به اللجنة الأفغانية لبناء الغرف .
جدول رقم (١٢) كشف المبالغ المصروفة على الخدمات الطبية التابعة للجنة .
جدول رقم (١٣) كشف المبالغ المصروفة إلى فرع لجنة الإغاثة بمدينة «كويتا» .
جدول رقم (١٤) كشف المبالغ المصروفة على المدارس التابعة للجنة .
جدول رقم (١٥) مصاريف متفرقة .

مراجــع الكتــاب

أولاً : المراجع العربية :

مجلات عربية :

١ - **مجلة الحوادث** : بيروت ، بتاريخ ٢٦/١٠/١٩٧٩ ، مقال بعنوان الجغرافيا تصارع التاريخ في كابول ، وكل القبائل تجيد صناعة . . الموت ، بقلم قدرى قلعجى .

٢ - **مجلة العربى**: العدد ١٧٣ ، إبريل ١٩٧٣ .

الكتــب :

١ - **إدوارد ر. بوشـامب**: الـتربية في اليابـان المعاصرة، ترجمة محمد عبدالعليم مرسى، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

٢ - **اسماعيـل أحمـد ياغى ، محمـود شاكـر** : تاريخ العـالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، الجزء الأول ، الجناح الآسيوى ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٣ - **عبـدالله الـرفـاعى** : أيام مع المجـاهدين الأفغان، كتاب الشرق الأوسط، الرياض، ١٩٨٦م .

٤ - **عبد الله عزام** : آيات الرحمن في جهاد الأفغان، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٥ - **عبدالرحمن محمد سعيد** : مذكرة حول مستقبل التعليم في أفغانستان، الوكالة الإسلامية للإغاثة، بيشاور، ١٩٨٧ م .

٦ ـ **محمد السيد غلاب وآخرون** : البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م .

٧ ـ **محمد على البار** : أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسى ، دار العلم للطباعة، جدة، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

٨ ـ **محمد على البار** : المسلمون في الاتحاد السوفييتى عبر التاريخ ، دار الشروق، جدة، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

٩ ـ **محمد ناصر الدين الألبانى** : صحيح سنن ابن ماجة، المجلد الثانى ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، الرياض، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

بحوث ومقالات :

١ ـ **عبدالرحمن النقيب**: أثر الثقافة السوفيتية على الأقلية المسلمة بالاتحاد السوفييتى (ضمن بحوث ندوة الأقليات المسلمة في العالم ، ظروفها المعاصرة ، آلامها وآمالها ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض) ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢ ـ **محمد ساراى** : ما نتائج حملة روسيا الحضارية في أراض التركستان (ضمن بحوث الندوة السابقة) .

٣ ـ **نادر دولت** : الوضع الراهن للمسلمين السوفييت كما يمثلهم التتار في إقليم كازان (ضمن بحوث الندوة السابقة) .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

1 . Abdul- Ghani: A Review of the Political Situation in Central Asia. Aziz Publisher, Lahore, pakistan, 1980.
2 . Amin Habibullah: My Life From Brigand To King, Autobiography, London, Sampson Low, Morston & Co.
3 . Anthony Arnold: Afghanistan's Two- Party communism: Parcham & Khalq. Hoover Institution Press, Stanford University, Stanford, California, 1983.
4 . Anthony Arnold: Afghanistan.. The Soviet Invasion in Perspective. Hoover International Studies, Stanford University, 1981.
5 . Anthony Hyman: Afghanistan Under Soviet Domination, ST Martin's Press, N.y., 1982.
6 . Anthony Hyman: Afghan Resistance, Danger From Disunity. The Institute For The study of conflict.
7 . Arnold Fletcher: Afghanistan Highway of Conquest. Cornell University Press, Ithaca, N.y., 1965.
8 . Arnold Fletcher: In Afghanistan, An American Odyssey, Coward Melann, N.y., 1983.
9 . Bhaboni Sen Gupta: Afghanistan, Politics, Economics & Society. Revolution, Resistance & Intervention. Lynne Runner Publishers Inc, Boulder, Colorado, 1986.
10. David Roes: Afghanistan's Role In Soviet Strategy, Long- Term Planning For Invasion Towards Gulf Oil- The Institute For the study of Conflict, 1980.
11. Doris Lessing: The wind Blows Away Our words And Other Doccuments Related to Afghan Resistance, Pan Books, London, 1987.
12. Donald N. Wilber: Afghanistan Its People, Its Society, Its Culture, H R A F Press, New Haven, 1962.
13. Dina Reme Spechler: Domestic Influence On Soviet Foreign Policy, University Press of America, Inc., Washington, D.C., 1978.
14. Edward Girardet: Afghanistan The Soviet War. ST. Martin's Press, N.y., 1985.
15. Edward Ellworth & Others: Central Asia Acentury of Russian Rule, Colombia University Press, N.y., 1967.
16. Fath- Ur- Rahman & Bashir A. Qureshi: Afghans Meat Soviet challange, Institute of Regional Studies, Peshawar, 1981.
17. Gerald Chaliand: Report From Afghanistan, Translated by Tamar Jocoly,

The Viking Press, N.y., 1980.
18. Gazi Hussain Ahmad: Pakistan & Afghanistan Crisis, Institute of Policy studies, Islamabad, 1986.
19. George Lenczowski: Soviet Advancement in the East. U.S. Interests in the East Series. American Interprise Institute for Public Policy Research, Washington, D.C., 1972.
20. G. S. Bhargava: South Asian Security After Afghanistan. Lexington Books, Massachusetts, Toronto, 1983.
21. Geoffrey Wheeler: The Peoples of Soviet Central Asia, Abackground Book. The Bodley Head, London, 1966.
22. Geoffrey Wheeler: The Modern History of Soviet central Asia. Weidenfald & Nicolson, London, 1964.
23. George Macmunn: Afghanistan From Darins To Amanullah. Gosha-E-Adab, Quetta, Pakistan, 1977.
24. Hasen Kawan: Government & Society In Afghanistan, The Reign of Amir Abd Al-Rahman Khan, University of Texas Press, Austin & London, 1979.
25. Henry S. Bredsher: Afghanistan & The Soviet Union. Duke Press Policy Studies, Durham. N.C., 1983.
26. Helena Carrere d' Encausse. Translated by Martin Sokolinsky & Henry A Le Farge: Decline of An Empire, The Soviet Socialist Republics In Revolt, N.y., Second printing, 1980.
27. Ivo J. Lederer & Wayne S. Vueinich (Editors): The Soviet Union & The Middle East. The Post- World war II Era. Institute Press, Stanford University, Stanford, California, 1944.
28. Ilana Kass: Soviet Envolvement in the Middle East, Policy Formulation, 1966-1973, West View Press, Boulder, Colorado, 1978.
29. John C. Griffith: Afghanistan. Fredrick A. Praeger Publishers, N.y.,1967.
30. John C. Griffith: Afghanistan key To a Continent, West View Press, Colorado, 1981.
31. Kuldip Nayar: Report On Afghanistan, Allied Publishers, New Delhi, 1981.
32. Kurt Lovdan (Ed): The Soviet Union a Half- century of Communism. The John Hopkins Press, Baltimore, 1968.
33. Kurt lovdan: The soviet Union in World politics, Westview Press, Boulder, Colorado, 1980.
34. Lewis Dapree: Afghanistan. Princeton University Press, Princeten, New Jersey, 1973.
35. Ludwig W. Adamec: Afghanistan 1900-1923 A Diplomatic History. Uni-

versity of California Press, Berkley & Los Angles, 1967.
36. Lawrence L. Whetten: The Soviet Presence In the Eastern Meditterranean, National Strategy Information Center, Inc., N.y., 1971.
37. Len Nikolayen: Afghamistan Between The past & The Future. Translated from the Russian by: Vic Schnciarson. Progress Publishers, Moscow, 1986.
38. Nikel Ryan: A Hitch or Two In Afghanistan. A Journey Behind Russian Lines, Weidenfold & Nicolsen, London, 1983.
39. Nake M. kamrany: The Six Stages In the Sovietization of Afghanistan-Economic Institute For Research & Education, Boulder.
40. Mark V. Kavyspi & R. Craig: The Soviet Union & The Middle East In The 1980's Opportunities, Constraints, and Dilemmas. Lexingten Books, U.S. & Canada, 1983.
41. Nazif M. Shahrani & Robert L. Canfield (Ed): Revolution and Rebilions in Afghanistan. Anthropological Perspectives. Institute of International Studies, University of California, Berkley, 1984.
42. Peter kenez: The Defeat of the whites. Civil war in south Russia 1919-1920. Union of California Press, Berkley, 1977.
43. Mclaurin R. D.: The Middle East Soviet Policy, Lexington Books, Massachusetts, 1975.
44. Maprayil Cyric: The Soviets & Afghanistan, Cosmic Press, London, 1982.
45. Roger E. kavet (Ed) The Soviet Union & The Developing Nations, The John Hopkins University Press, Baltimore, London, 1974.
46. Richard S. Newell: The Politics of Afghanistan. Cornell University Press, Ithaca & London, 1972.
47. Robert O. Freedman: Soviet Policy Toward The Middle East Since 1970. Praeger Publishers, N.y., 1975.
48. Ralph H. Magnas (Ed) Afghan Alternatives: Issues, Options & Policies. Transaction Books, New Brunswick, Oxford, England, 1985.
49. Sayed Shabbir Hussain & Others: Afghanistan Under Soviet Occupation, Astudy of Russian Expansion Drama Whose Latest Aggression Has pushed Mankind to the threshold of a New Catastroph. world Affairs publications, Islamabad, 1980.
50. The Soviet Union in the middle East, Policies & Perspectives. Adeed Dawisha & karen Dawisha (Ed). Holms & Meier publishers for the Royal Institute of International Affairs, 1982.
51. Sayed Quassem Reshta: The Price of Liberty. The Tragedy of Afghanistan, (Pardi Editon) Rome, Italy, 1984.
52. Sandy Gall: Behind Russian Lines An Afghan Journal, ST. Martin,s Press, N.y., 1983.

53. Sadhan Mukharjee: Afghanistan From Tragedy to Triumph, Starling Publishers Private Limited, New Delhi, 1984.
54. Tahir Amin: Afghanistan Crisis, Implications & Options For Muslim world. Iran & Pakistan Institute of Policy Studies, Islamabad., 1982.
55. Thomas J. Barfield: The Central Asian Arabs of Afghanistan- University of Texas, Austin, 1981.
56. Thomas T. Hammond: Red Flag Over Afghanistan. Westview Press, Boulder, Colorado, 1984.
57. Vartan Gragorian: The Emergence of Modern Afghanistan, politics of Reform & Modernization, 1880-1940. Stanford University Press, Stanford, California, 1969.
58. Vitaly Baskarov: Ahistory of Afghanistan, Traslated by: yu.V. Gankovsky & Others. Progress Publishers, Moscow, 1985.
59. W. W. Kulaki: The Soviet Union In World Affairs, A Doccumented Analysis 1964-1972, Syracuse University Press, 1973.
60. William Trousdale (Ed): War In Afghanistan. The Personal Diary of major General Sin charles Melcalfe MacGroger Wayne. State University Press, Detroit, 1985.

تقارير من اللجان المتخصصة (لجان ترعى حقوق الإنسان)

1. To win The children: Afghanistan's Other War. Helsinki Watch/ Asia watch. December 1986.
2. Tears, Blood & Cries, Human Rights in Afghanistan since The Invasion, 1979-84.

وهذان التقريران يحويان الكثير من الحقائق التي جمعها - على الطبيعة - أعضاء هذه اللجان، ورغم أن الاتحاد السوفييتي رفض أن يصرح لهم بالدخول من عنده إلا أنهم تسللوا عبر الحدود الباكستانية، والتقوا بمئات الجرحى والمعذبين من الفارين من الجحيم السوفييتي البشع، كما أنهم زاروا الجرحى في مستشفياتهم وسجلوا مقابلاتهم.. بالأسماء مع الجميع.

المؤلف

ملاحـــــق

ملحق رقم ١ : لقاء صحفي مع الأمير سلمان حول محنة الشعب الأفغاني الشقيق ووجوب مد يد العون له .

ملحق رقم ٢ : نداء من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لمساعدة المجاهدين والمهاجرين لمواصلة الجهاد.

ملحق رقم ٣ : نداء من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز للتبرع للمجاهدين والمهاجرين الأفغان.

ملحق رقم ٤ : نداء من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز لدعم الجهاد الأفغاني ومساندته.

ملحق رقم ٥ : أطفال الأفغان ومصيدة المركسة.

ملحق رقم ٦ : تقرير من مستشفى مكة الجراحي.

ملحق رقم (١)

(مجلة الدعوة ـ العدد ١١٤٠ ـ ١٦/ ٩/ ١٩٠٨هـ)

الأمير سلمان بن عبدالعزيز :

محنة الشعب الأفغاني الشقيق تستوجب مدّ يَد العَون لهم

■ كتب عبدالله المجلي :

لا يزال الشعب الأفغاني المسلم يعاني من كابوس الحقد الشيوعي الماكر . .

ولا تزال قضية الشعب الأفغاني المسلم تستأثر باهتمام الرأي العام الإسلامي بل والرأي العام العالمي .

هذا الشعب الذي سلت عليه الشيوعية الحاقدة سيوفها فحرمته حريته واضطهدته في دينه وعقيدته سطر أروع صفحات الجهاد ضد أكبر قوة في عالمنا المعاصر . وضحى من أجل ذلك بالكثير من أبنائه الذين سقطوا شهداء من أجل عقيدتهم وكرامتهم وكرامة أمتهم .

ولقد خلَّف أولئك المجاهدون وراءهم أعداداً كبيرة من أهليهم وذويهم فروا لاجئين إلى باكستان منهم الأرامل والأيتام والمعاقون الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .

ترك المجاهدون هؤلاء الضعفة والمساكين لاخوانهم المسلمين ليقوموا على شؤونهم ويتولوا رعايتهم والعناية بأحوالهم وكانت المملكة العربية السعودية بمختلف مستوياتها الرسمية والشعبية من أول وأميز من وقف في صف المجاهدين وقدم لهم العون والمساعدة ووقف مع اللاجئين بالرعاية والعناية .

وتجلت تلك الوقفة الصادقة في الدعم المتواصل والمستمر والمنظم والذي تشرف عليه هيئة شعبية هي الهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان يديرها ويوجه أعمالها رجل من خير الرجال وأكثرهم متابعة وأوسعهم إطلاعاوأفضلهم وعيا وأكثرهم حبا لعمل الخير والدعوة إليه ذلك الرجل هو صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض ورئيس هيئة استقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان ويسدي له النصح والمشورة رجال من خيرة علماء البلاد وأعيانها على رأسهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله.

ويعمل بتوجيهه ثلة من الرجال الأمناء المخلصين.

●● «الدعوة» استضافت سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز بمناسبة شهر رمضان المبارك ليعرض للقراء الكرام في حديث صحفي خاص صوراً مشرقة من أعمال الهيئة وأنشطتها وفيما يلي حديث سموه:

أنشأت الهيئة مركزاً كبيراً لتدريب الأرامل والمعوقين وتعويدهم على الكسب من أعمال أيديهم حتى لا يكونوا عالة على المجتمع تخرج عدد كبير من حفاظ كتاب الله الكريم من دار القرآن الكريم التي أنشأتها الهيئة

فكرة موجزة عن الهيئة :

■ سمو الأمير: تقوم الهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان ـ التى يترأسها سموكم ـ بجهود طيبة في التخفيف من آلام الشعب المسلم عن طريق جمع التبرعات وإرسالها لهم. حبذا لو تفضل سموكم بإعطاء القراء فكرة موجزة عن الهيئة وأعمالها؟.

● منذ بدأ التدخل الروسي المسلح في أفغانستان وبدأت على أثره هجرة الشعب الأفغانى عن بلادهم فراراً بدينهم ونسائهم وأطفالهم نتيجة تعرض مدنهم وقراهم للقصف الجوي من قبل القوات الغازية.

سارعت المملكة على مختلف المستويات الشعبية والرسمية لمد يد العون لاخوانهم وصدرت الأوامر السامية بتشكيل الهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان وبدأت أعمالها منذ ما يزيد على ثمان سنوات وأقبل المواطنون على التبرع والوقوف مع اخوانهم في محنتهم امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وقوله صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

كما أن الدولة بذلت الكثير من الدعم المادي والمعنوي من مواد الاغاثة مثل التمور والقمح والطحين والكيروسين وسخرت رحلات جوية وبحرية لنقل تلك المواد وغيرها من مواد الاغاثة. حيث تعتبر الشعب الأفغاني المسلم أحد الشعوب الإسلامية الشقيقة التى تشعر بالواجب نحوها وتقف معها في محنتها كما انها تعتبر القضية الافغانية من أهم القضايا الإسلامية التي تستوجب الدعم المادي والمعنوي.

نسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين وينصر المجاهدين في سبيله في كل مكان.

هكذا توزع التبرعات :

■ **سمو الأمير: يجهل كثير من الناس المصارف التي تصرف فيها تبرعاتهم وصدقاتهم مما يجعل بعضهم يتردد في التبرع. هل يتفضل سموكم بإيضاح المصارف التي تصرف فيها التبرعات وكيف تتم عملية الصرف؟**

● كانت الهيئة ترسل التبرعات نقداً إلى الاخوة الأفغان بالإضافة إلى التبرعات العينية.

ولما كثرت الهجرة وزادت مخيمات المهاجرين مما يستوجب الإشراف المباشر وإقامة بعض المشاريع التى تعني برعاية الأيتام والأرامل والمعوقين وعلاج الجرحى إلى غير ذلك.

شكلت لجنة الإغاثة السعودية وهي لجنة ميدانية تقيم في الباكستان وتضم مجموعة من الأشخاص الذين يتم اختيارهم بدقة وممن تتوفر فيهم الأمانة والإخلاص.

وهذه اللجنة مرتبطة بالهيئة تحول لها المبالغ وتقوم بشراء مواد الاغاثة اللازمة من الباكستان مثل الخيام والبطانيات واللحف والملابس والأحذية والأدوية والمواد الغذائية إلى غير ذلك ثم توزعها مباشرة على المهاجرين وتحاول التركيز على الأحوج فالأحوج.

كما أقامت اللجنة بعض المشاريع المفيدة ومنها:

١ - مستشفى مكة المكرمة الجراحي بكويتا ويتسع لمائة وعشرين سريراً وهو مخصص لجرحى المعارك وقد قام بخدمات جليلة ويعتبر من أهم المرافق الصحية هناك ويضم المستشفى دورات تدريبية تخرج المسعفين.

٢ - عيادة العلاج الطبيعي لعلاج الجرحى بعد اجراء العمليات الجراحية لهم حيث أن بعضهم لابد له من علاج طبيعي. وتضم العيادة دورة تدريبية لتخرج المسعفين الطبيعيين.

٣ - أنشأت اللجنة مركزاً كبيراً لتشغيل الأرامل والمعوقين والأيتام وتعويدهم على الكسب من أعمال أيديهم لئلا يكونوا عالة على المجتمع وليتعلموا مهناً تفيدهم بعد رجوعهم إلى بلادهم إن شاء الله.

.ويعمل في المركز ما يزيد على سبعمائة من الأيتام والمعوقين ويضم مهاجع يأوون إليها وتؤمن لهم الوجبات الغذائية داخل المركز كما يستفيد ما يقارب أربعة آلاف أرملة من العمل في خياطة اللحف والملابس النسائية.

ويأخذ كل من الأرملة واليتيم أجرة على عمله ثم يوزع الانتاج على المهاجرين.

وقد توسع العمل في هذا المركز حتى أصبح يضم الأقسام الآتية:

قسم اللحف وقسم الملابس وقسم الخيام وقسم البطانيات وقسم الأحذية وقسم النجارة وقسم الحدادة وتنتج فيه دراجات للمعوقين وسرر للأيتام وغير ذلك.

كما يضم المركز مدرسة يتعلم فيها الأيتام الدروس الدينية واللغة العربية

بالإضافة إلى الأعمال المهنية ويضم مسجداً كبيراً تقام فيه الصلوات وتلقى فيه الدروس الدينية خارج أوقات العمل هذا المركز قرب مدينة بيشاور وقد بدأت اللجنة بإنشاء مركز آخر في مدينة كويتا قاعدة بلوخستان وذلك للفائدة الكبيرة التى حققها مركز بيشاور.

٤ ـ كما قامت اللجنة بافتتاح دار للأيتام تحت اسم مدرسة خبيب الشهيد تضم مئات الأيتام وتشمل كفالتهم إيواءهم وتعليمهم وعلاجهم وكامل نفقتهم ويصرف لعائلة كل يتيم ما يكفي لإعاشتها شهريا. ويجري الآن الاستعداد لافتتاح دور مماثلة إن شاء الله.

٥ ـ كما افتتحت اللجنة دار القرآن الكريم في بيشاور لتحفيظ القرآن مع التجويد وبعض الدروس الدينية وقد تخرج عدد كبير من الحفاظ وننوي التوسع في ذلك إن شاء الله. وكذلك تقوم اللجنة بمساعدة المدارس الداخلية باللحف والبطانيات والملابس والمواد الغذائية.

كما توزع مكائن الخياطة على الأرامل في المخيمات كي يستطعن الكسب وإلى جانب توزيع الخيام على المهاجرين تقوم اللجنة بالمساعدة على بناء الغرف الطينية وقد تم بناء آلاف الغرف للمهاجرين كما تقوم ببناء المساجد والمدارس وحفر الآبار في المخيمات، وتساعد جميع فئات المجاهدين بمختلف المساعدات النقدية والعينية.

الاعـلام مطلوب :

■ سمو الأمير سلمان : يلحظ قلة نشاط وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في التعريف بنشاط الهيئة ورسالتها السامية. . هل هناك خطة عمل إعلامية من قبل الهيئة للتعريف بنشاطها، وما رأي سموكم لو تكونت لجنة إعلامية فرعية تابعة للهيئة مهمتها التعريف بنشاط الهيئة ودعوة الناس للتبرع لها؟.

● لا أعتقد أن أحداً من المهتمين بالقضية الأفغانية يجهل دور الهيئة وأعمالها لأن كثيراً من الإخوة الذين زاروا الباكستان وقفوا على نشاط لجنة الإغاثة السعودية هناك

ولا شك أن الإعلام مطلوب وتشكيل اللجنة الإعلامية شيء طيب جدير بالمناقشة والدراسة.

وقد تم افتتاح مكتب تنفيذي للهيئة بالرياض متفرغ لاستقبال التبرعات والإجابة على الاستفسارات ومن مهامه التعريف بأعمال الهيئة. وهذا المكتب تم افتتاحه مؤخراً في الملز للتسهيل على المتبرعين واتصال المواطنين.

أئمة المساجد دورهم كبير :

■ **سمو الأمير: حفظكم الله ما مدى استفادة الهيئة من أئمة المساجد في جمع التبرعات وما رأي سموكم الكريم لو قام وفد من الهيئة بجولة على المساجد وجمع التبرعات بالتنسيق مع الأئمة؟.**

● أئمة المساجد وخصوصا الجوامع لهم دور كبير في حث الناس على التبرع أما بالنسبة لجمع التبرعات فقد صدرت التعليمات السامية المتضمنة حصر استقبال التبرعات في الهيئة العامة التي شكلت لهذا الغرض لأن فتح المجال لكل من أراد جمع التبرعات وإيصالها له سلبيات كثيرة وقد ظهر بعض هذه السلبيات منها أن لكل شخص اجتهادا خاصا وهؤلاء يذهبون لأيام ثم يعودون مما يجعلهم لا يعرفون الوضع تمام المعرفة وقد تتركز المساعدات عند بعض فئات المجاهدين دون بعض مما يسبب الحزازات بينهم ويحرم بعض المجاهدين ونحن نكن للجميع المحبة وندعو لهم جميعاً بالنصر والتوفيق وأن تجتمع كلمتهم على الحق.

ونحن نطلب من الإخوة أئمة المساجد حث الناس على التبرع أما جمع التبرعات فيجب أن يكون بالتنسيق مع مكتب الهيئة وكما سبق أن أعلنا بأن المكتب يوزع دفاتر سندات قبض للمتعاونين الذين لهم نشاط في جمع التبرعات وهي تعتبر بمثابة تصريح لمن تسلم لهم بحيث تسلم لهم رسميا ويحاسبون بموجبها.

الهيئة هي الجهة الوحيدة المخولة لجمع التبرعات :

■ **سمو الأمير: هناك جهات داخل المملكة تقوم بجمع التبرعات للمجاهدين**

الأفغان واللاجئين وهل لتلك الجهات علاقة بالهيئة وهل هناك تنسيق معها؟ .

● صدرت لهم التعليمات بأن الهيئة هي الجهة الوحيدة الموكل إليها استقبال التبرعات وأن عليهم ألا يقوموا بأي نشاط إلا من خلال الهيئة ومن حق كل متبرع أن يحصل على إيصال ممن يدفع له تبرعه.

دعوة للخير :

■ **سمو الأمير: ما الكلمة التي يوجهها سموكم لأبناء هذه البلاد والمقيمين فيها بهذه المناسبة؟**

● أقـول: إن أهـل هذه البلاد عرفوا ولله الحمد بالفضل وحب الخير والوقوف مع اخوانهم المسلمين في كل مكان. ولا شك أن ما ينعم به المواطن والمقيم في هذا البلد من نعمة الأمن والرخاء يستوجب الشكر للمنعم به، ومن الشكر البذل في سبيل الله والشكر سبب للزيادة مصداقا لقول الحق سبحانه:
﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾.

والمحنة التي تعرض لها الشعب الأفغاني الشقيق تستوجب العطف عليهم ومديد العون لهم وأذكر إخواني بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم:

« من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا » وإن هذه لنعمة كبيرة من الله سبحانه وتعالى أن يكتب المجاهد بماله غازيا في سبيل الله وهو بين أهله وأولاده آمنا في بلده فلنستغل هذه الفرصة العظيمة لا سيما ونحن في موسم عظيم من مواسم الخير التى تضاعف فيها الأعمال وهو شهر رمضان المبارك.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وتقبل منا ومن جميع المسلمين أعمالنا أنه سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد.

ملحق رقم (٢)
(مجلة الدعوة ـ العدد ١٠٤٠ ـ شعبان ١٤٠٦هـ)

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز يدعو أهل الخير لمساعدة المجاهدين والمهاجرين الأفغان لمواصلة الجهاد

دعا الشيخ عبدالعزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إلى وجوب مساعدة المجاهدين والمهاجرين الأفغان.

ووصف في كلمة له نقلتها «واس» تلك المساعدة بأنها من أفضل القربات ومن أعظم الأعمال الصالحات من الزكاة وغيرها.

وقال سماحته.. إن من حكمة الزكاة في الإسلام والصدقات أن يشعر المسلم برابطة تجذبه نحو أخيه المسلم لأنه يشعر بما يؤلمه ويحس بما يقع عليه من كوارث ومصائب فيرق له قلبه ويعطف عليه فيعطيه مما أفاء الله عليه بنفس راضية وقلب مطمئن بالإيمان.

وأهاب سماحة الشيخ ابن باز بالمسلمين في كل مكان بأن يقدموا لإخوانهم المجاهدين الأفغان مما آتاهم الله من الرزق.

ومن ذلك الزكاة التى فرضها الله في أموالهم حقا لمن حددهم الله جل وعلا في سورة التوبة وهم ثمانية وقال لقد دخل إخواننا المجاهدون والمهاجرون الأفغان في ضمنهم.

وأوضح سماحته في ندائه وتذكيره للتبرع للمجاهدين الأفغان أنهم يعانون مشكلات في حياتهم عظيمة ويصبرون عليها رغم أن عدوهم وعدو الدين الإسلامي يضربهم بقوته وأسلحته وبكل ما يستطيع من صنوف الدمار مشيراً إلى أن هؤلاء المجاهدين بحمد الله صامدون ومصرون على مواصلة الجهاد في سبيل الله.

ونبه سماحته إلى أن جميع المساعدات يجب أن تسلم حسب التعليمات المتبعة من الحكومة للهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان أو لجنة الاغاثة المنبثقة عنها التى تعمل في باكستان أو دفعها للبنوك والمصارف المعلن عنها من قبل الهيئة وهي شركة الراجحي المصرفية للاستثمار وكافة فروعها وكذلك مصرف السبيعى وفروعه أو إمارات المناطق.

وفيما يلي نص النداء والتذكير الذي وجهه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز للتبرع للمجاهدين الأفغان في هذا الشهر الكريم:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فيقول الله تبارك وتعالى:

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾.

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾.

وقال تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ . الآية..

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » ويقول صلى الله عليه وسلم «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه» ويقول صلى الله عليه وسلم «من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا ».

ولذا فمساعدة المجاهدين والمهاجرين الأفغانيين من أفضل القربات ومن أعظم

الأعمال الصالحات من الزكاة وغيرها ومن حكمة الزكاة في الإسلام والصدقات أن يشعر المسلم برابطة تجذبه نحو أخيه المسلم لأنه يشعر بما يؤلمه ويحس بما يقع عليه من كوارث ومصائب فيرق له قلبه ويعطف عليه فيعطيه مما أفاء الله عليه بنفس راضية وقلب مطمئن بالإيمان .

والمجاهدون الأفغان والمهاجرون منهم وفقهم الله جميعاً يعانون مشكلات في حياتهم عظيمة ويصبرون عليها رغم أن عدوهم وعدو الدين الإسلامي يضربهم بقوته وأسلحته وبكل ما يستطيع من صنوف الدمار وهم بحمد الله صامدون ومصرون على مواصلة الجهاد في سبيل الله كما تتحدث عنهم الأخبار والصحف ومن شاركهم في الجهاد من الثقات لم يضعفوا ولم تلن شكيمتهم إلا أن مشكلتهم نتجت من الدمار الذي حل بديارهم والتخريب الذي أحدثته أسلحة الروس وطائراتهم والفاقة التي حلت بأهليهم مما تسبب في هجرة جماعية إلى باكستان وغيرها فقد ذكرت وكالات الأنباء بأن عدد اللاجئين الأفغان قد وصل إلى أكثر من ثلاثة ملايين في الباكستان وحدها كلهم هربوا من ديارهم وأماكن رزقهم وأصبحوا بلا مأوى ولا مصدر رزق إلا ما يسره الله ممن أفاء الله عليه بنعمة من المسلمين ليجود بما يستطيع .

وأنها لدعوة أوجهها لإخواننا المسلمين في كل مكان في هذا الشهر الكريم المبارك الذي تضاعف فيه الحسنات وتكفر فيه السيئات وتقال فيه العثرات وتفتح أبواب الجنات بأن يقدموا لإخوانهم الأفغان مما أتاهم الله من الرزق. من ذلك الزكاة التي فرضها الله عليهم لمن حددهم الله جل وعلا في سورة التوبة وهم ثمانية قد دخل إخواننا المجاهدون الأفغان في ضمنهم .

والله تبارك وتعالى عندما فرض الحق في مال الغني لأخيه المسلم الفقير في آيات كثيرة من كتابه الكريم كقوله تعالى :

﴿ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ .

وقوله سبحانه :

﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾ .

وفي قوله سبحانه:

﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

فإن الله تعالى يثيب المسلم على ما يقدمه لإخوانه ثوابا عاجلاً وثواباً أخرويا يجد جزاءه عنده في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم كما يدفع عنه في الدنيا بعض المصائب التي لولا الله سبحانه ثم الصدقات والإحسان لحلت به أو بماله أو بولده فدفع الله بلاءها بصدقته الطيبة وعمله الصالح قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضا « اتقوا النار ولو بشق تمرة ».

وإخوانكم الأفغان أيها المسلمون يقاسون آلام الجوع والغربة والحرب الضروس فهم في أشد الحاجة إلى الكساء والطعام وفي حاجة إلى الدواء كما أن المجاهدين منهم في أشد الضرورة إلى هذه الأشياء والسلاح الذين يقاتلون به أعداء الله فجودوا عليهم أيها المسلمون مما أعطاكم الله واعطفوا عليهم يبارك الله لكم وتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في اهتمامه بمن في مثل حالة المهاجرين الأفغان الذين طردوا من ديارهم وبيوتهم كما جاء في الحديث الصحيح عن جرير بن عبدالله البجلي رضى الله عنه قال كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء قوم مجتابو النمار أو العباء متقلدوا السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال:

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾.

والآية التي في سورة الحشر:

﴿ اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾.

تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمرة حتى قال: « ولو بشق تمرة » قال. . فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه أن تعجز عنها بل قد عجزت. . ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » رواه مسلم في صحيحه ثم هذه النفقة تؤجرون عليها وتخلف عليكم كما قال الله تعالى:

﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجراً ﴾.

وقال سبحانه:

﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « يقول الله عز وجل يا ابن آدم أنفق ننفق عليك » ـ فنسأل الله عز وجل أن يضاعف أجركم ويتقبل منكم ما تجودون به وأن يعين المجاهدين الأفغان ويثبت أقدامهم في جهادهم وأن ينصرهم على عدو الإسلام وعدوهم إنه سميع قريب مع العلم بأن جميع المساعدات يجب أن تسلم حسب التعليمات المتبعة من الحكومة ـ وفقها الله ـ للهيئة العامة لاستقبال التبرعات للمجاهدين الأفغان أو لجنة الإغاثة المنبثقة عنها التي تعمل في الباكستان أو دفعها للبنوك والمصارف المعلن عنها من قبل الهيئة وهي شركة الراجحي المصرفية للاستثمار وكافة فروعها في المملكة وكذلك مصرف السبيعي وفروعه أو إمارات المناطق.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ملحق رقم (٣)

(مجلة الدعوة ـ العدد ١٠٤٤ ـ ٢٥ رمضان ١٤٠٦هـ)

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز يوجه نداء للتبرع للمجاهدين والمهاجرين الأفغان

وجه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد نداء إلى عموم المسلمين في كل مكان يدعوهم فيه إلى التبرع للمجاهدين والمهاجرين الأفغان في هذا الشهر الكريم فيما يلي نص النداء:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.. فيقول الله تبارك وتعالى:

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾. الآية..

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » ويقول صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ـ وشبك بين أصابعه » ويقول صلى الله عليه وسلم « من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا ».

فمساعدة المجاهدين والمهاجرين الأفغان من أفضل القربات ومن أعظم الأعمال الصالحات من الزكاة وغيرها ومن حكمة الزكاة في الإسلام والصدقات. أن يشعر المسلم برابطة تجذبه نحو أخيه لأنه يشعر بما يؤلمه ويحس بما يقع عليه من كوارث ومصائب فيرق له قلبه ويعطف عليه ويدفع مما أتاه الله بنفس راضية وقلب مطمئن بالإيمان.

والمجاهدون الأفغان والمهاجرون منهم وفقهم الله جميعاً يعانون مشكلات في حياتهم فرغم أن عدوهم وعدو الدين الإسلامي يضربهم بقوته وأسلحته وبكل

ما يستطيع فانهم بحمد الله صامدون ومصرون على مواصلة الجهاد في سبيل الله كما تتحدث عنهم الأخبار والصحف ومن شاركهم في الجهاد من الثقات لم يضعفوا ولم تلن شكيمتهم إلا أن مشكلتهم نتجت من الدمار الذي حل بديارهم والتخريب الذي أحدثته أسلحة الروس وطائراتهم، والفاقة التى حلت بأهليهم مما تسبب في هجرة جماعية إلى الباكستان وغيرها. فقد ذكرت الأنباء الأخيرة بأن عدد اللاجئين الأفغان قد وصل إلى أكثر من ثلاثة ملايين في الباكستان وحدها كلهم هربوا من ديارهم وأماكن رزقهم وأصبحوا بدون مأوى ولا مصدر رزق إلا ما ييسره الله ممن أفاء الله عليه بنعمة ليجود بما يستطيع وأنها لدعوة أوجهها لإخواننا المسلمين في كل مكان في هذا الشهر الكريم المبارك الذي تضاعف فيه الحسنات وتكفر السيئات وتقال فيه العثرات وتفتح فيه أبواب الجنات بأن يقدموا لإخوانهم الأفغان مما أتاهم الله من الرزق ومن ذلك الزكاة التي فرضها الله في أموالهم حقا لمن حددهم الله جل وعلا في سورة التوبة وهم ثمانية قد دخل إخواننا المجاهدون والمهاجرون الأفغان في ضمنهم.

والله تبارك وتعالى عندما فرض الحق في مال الغنى لأخيه المسلم في آيات كثيرة من كتابه الكريم كقوله تعالى:

﴿ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾.

وقوله سبحانه:

﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين أمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾.

فإنه يثيب المسلم على ما يقدمه لإخوانه ثواباً عاجلاً وثواباً أخرويا يجد جزاء لا عنده في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما ويدفع عنه في الدنيا بعض المصائب التى لولا الله سبحانه ثم الصدقات والإحسان لحلت به أو بماله أو بولده فدفع الله بلاءها بصدقته الطيبة وعمله الصالح يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ما نقص مال من صدقة » ويقول صلوات الله وسلامه عليه « ان الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » ويقول صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة ».

ملحق رقم (٤)

(مجلة الدعوة ـ العدد ١٠٥٧ ـ ١١/ ١/ ١٤٠٧هـ)

سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز الجهاد الأفغاني جهاد إسلامي يجب على جميع المسلمين دعمه ومساندته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد فبمناسبة فراغ الحجاج من أداء مناسكهم وتقديم هديهم وضحاياهم لله سبحانه يسرني أن أذكر المسلمين في كل مكان بإخوان لهم يقدمون أنفسهم وأموالهم جهاداً في سبيل الله وإعلاء لكلمته وحماية لأوطان المسلمين وإنقاذاً لها من مكائد العدو الظالم الغاشم وهم إخواننا في الله والمجاهدون في سبيله من أبناء الأفغان..

ولبيان الحقيقة يسرني أن أخبر إخواني المسلمين أن هذا الجهاد قد أوشك على إنهاء عامه الثامن والشعب الأفغاني المجاهد يحمل سلاحه ويرفع رايته أمام أشرس قوى الأرض وأعتاها وهو ثابت لا يتراجع ولا يتزعزع ولسان حاله ومقاله يردد قول الله:

﴿ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾.

وقوله تعالى:

﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾.

وهم إذ يقفون كالجبال الرواسي فإنهم بحمد الله لا يزالون في نشاط متزايد وهمم عالية وصبر ومصابرة في مقارعة الأعداء لإخراجهم من بلادهم بالقوة بدون قيد ولا شرط إن شاء الله ثقة بالله سبحانه واعتماداً عليه وإيماناً بما وعد به من النصر لمن

نصر دينه وجاهد في سبيله كما قال تعالى:
﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾.

وما كان أغلب الناس يتوقعون أن يقف شعب أعزل فقير صغير أمام دولته التي باعت نفسها للكافرين وأمام الاتحاد السوفيتي والعالم الشرقي والدول التي تدور في فلكه. ما كان الناس يظنون أن هذا الشعب الذي جعل الله جهاده مفخرة للأمة الإسلامية سيقف طويلا شامخا أمام هذه القوى الكافرة الغاشمة وهذا هو ظن روسيا التى كانت تحسبها نزهة مريحة وسفرا قاصدا. وظنها هذا هو الذي أرداها فخسرت وخابت وانزلقت أقدامها على سفوح جبال الجهاد في أرض الأفغان وكانت تحسب أنها ستجد أمر الأفغان كأمر عدد من الدول التي انهارت أمامها في يوم أو يومين.

ولقد اطلعت على إحصائية للمجاهدين عن نتائج المعارك في العام الأخير فكانت النتيجة بحمد الله تشرح الصدر وتسر القلب وتدل على توفيق إلـهي وتأييد رباني لهؤلاء المجاهدين الشعث الغبر، الذين أذل الله بهم أعتى قوى الكفر في عصرنا.

يقول التقرير:

لقد سقط للروس ثلثمائة طائرة وطائرتان، وحطم المجاهدون ألفا ومائتين، وثلاثا وستين دبابة وثلاثة آلاف سيارة وسيارتين، وتسعة وسبعين سلاحاً ثقيلا، وغنموا سبعاً وثلاثين دبابة، ومائة واحدى وستين سيارة وثلثمائة وثمانية وعشرين سلاحاً ثقيلاً وأربع آلاف ومـائة واثنين وتسعين سلاحا خفيفاً وقتل المجاهدون سبعمائة وثمانية وسبعين ضابطاً وجرحوا تسعمائة ضابط وقتلوا من جند الكفر عشرين ألفاً وتسعة وستين جندياً وجرحوا خمسة عشر ألفاً وخمسمائة وستة وثلاثين جندياً وأسروا الفين وستمائة وتسعة وانضم إليهم من الجنود أربعة آلاف وسبعمائة وأحد عشر.

هذه الأرقام عن مصادر المجاهدين التي عودت العالم رواية الأخبار كما هي بدون مجازفة، وهذه النتيجة فوق أنها تبهج نفوس المؤمنين فإنها تبين مدى ضخامة المعركة وشراسـة القتال وأنها حرب طاحنة لم تشهد بعض الأقطار التي اشتركت في الحرب العالمية الثانية مثلها. ولقد أحرز المجاهدون انتصارات عظيمة في الأشهر الأخيرة رغم

تصعيد الروس للمعركة إلى ذروتها وبعد أن ألقوا ما في جعبتهم من أفتك الأسلحة التى اهتزت لها جبال الأفغان وصمد أمامها بإذن الله ـ الرجال الصادقون.

ولقد شد الجهاد الأفغاني إليه أعصاب المؤمنين ولفت أنظار العالم أجمع، ولا زالت القلوب والعيون مبهورة بما يجري على أرض أفغانستان ويتابع الناس مسلمهم وكافرهم هذا الجهاد وهم يترقبون نتيجته باهتمام بالغ. ولقد وقف المسلمون بمشاعرهم الطيبة مع الجهاد الأفغاني ولكن هذا الشعور لم يتبع بخطى عملية كافية في واقع الأمر. فلم يلقوا بثقلهم في المعركة وإن ما قدمه بعضهم من مال وما بذله بعضهم من جهد لا يتناسب مع حجم هذا الجهاد ولا مع حجم الأمة الإسلامية وإمكاناتهم المتاحة، وليس هناك تناسب بين الحاجات الملحة المفروضة على المسلمين التي يفرضها حجم وثقل المعركة وأثرها في واقع الحياة وبين ما قدمه المحسنون من أبناء هذه الأمة.

وإن إخوّة الإسلام لها حقوق وواجبات. ونصرة المسلمين بعضهم بعضا من الفرائض التي افترضها رب العزة من فوق سبع سمٰوات فقال سبحانه:
﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾.

وقال سبحانه:
﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾.
الآية.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » [متفق على صحته].

فمساعدة إخواننا المجاهدين والمهاجرين الأفغان ومناصرتهم فرض عين على المسلمين اليوم بالمال والنفس أو بأحدهما حسب الاستطاعة. وخاصة أصحاب الكفايات والإمكانات من دعاة وأطباء ومهندسين ومعلمين وقد أبلغنا المطلعون أن حاجتهم إلى الدعاة الحكماء أكبر من حاجتهم إلى الأطباء وأن حاجتهم إلى الرجال لا تقل عن حاجتهم إلى المال وإن كان عوزهم للمال شديداً وحاجتهم إليه ملحة.

ولقد حصلت كرامات أثناء هذا الجهاد حدث بها الثقاة يصل مجموعها إلى حد التواتر وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الكرامات مستمرة في المسلمين إما لإقامة حجة وإما لحاجة. ولا ينكر وقوعها إلا جاهل أو مبتدع. وإن صرف الزكاة للمجاهدين عامة من أعظم الواجبات وأعظم القربات.

كما أن نصرة هذا الجهاد من أعظم الواجبات على المسلمين ترجيحاً لمصلحة الدين ونصرة للمسلمين، ومراعاة لمقاصد الشريعة، لأن الجهاد في أفغانستان يمر بمرحلة حساسة إما أن ينتصر المسلمون وإما أن تنتصر الشيوعية ـ والعياذ بالله ـ التي إن انتصرت فستعمل على مسح القرآن والسنة من أفغانستان وستعمل على إجتثاث الدين من أصوله، وهذه هي الماحقة والعياذ بالله، ولا يمكن للمسلم أن يتردد لحظة في اختيار نصرة المسلمين الأفغان على الشيوعية الكافرة المدمرة. فكيف يتردد مسلم بعد هذا في مساندته ومعاونته للمجاهدين الأفغان ؟ .

كما يجب على المجاهدين بذل مزيد من الجهد لتوحيد صفوفهم وجمع كلمتهم وإصلاح ذات بينهم.

وختاماً أسأل الله العلي العظيم أن يجمع كلمة المجاهدين على الحق وأن يوحد صفوفهم وأن يوفق المسلمين حكاما ومحكومين إلى مساندتهم ونصرتهم وأن ينصر دينه ويعلي كلمته ويصلح أحوال المسلمين في كل مكان ويمنحهم الفقه في الدين وينصرهم على عدوهم إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
رئيس المجلس التأسيسي
لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

ملحق رقم (٥)

(مجلة الدعوة ـ العدد ١١٢٣ ـ ١٥/ ٥/ ١٤٠٨هـ)

أطفال الأفغان ومصيدة «المركسية»

كتب : د. عبدالقادر طاش

إن أبشع جوانب المأساة الأفغانية تتجلى ملامحها على وجوه الأطفال الأفغان الأبرياء، فهؤلاء الأطفال لا يتعرضون للقتل والسحق والإعاقة الجسدية والتشويه الخلقي فحسب، بل يتعرضون ـ فضلا عن ذلك ـ إلى حرب فكرية رهيبة تستهدف عقيدتهم ومبادىء دينهم وأخلاقهم وقيمهم الإسلامية.

وتتمثل هذه الحرب الفكرية ضد أطفال الأفغان فيما يقوم به الاتحاد السوفيتي وعملاؤه في أفغانستان في المجال التربوي والتعليمي. وقد كشفت صحفية أمريكية زارت العاصمة الأفغانية وأجرت مقابلات مع مسؤولين في إحدى لجان الكونجرس مؤخراً حول انتهاك حقوق الإنسان في أفغانستان.

تقول الصحفية الأمريكية «جان غوردين» ـ وهي محررة في مجلة «لايديز هوم جورنال» أن الأطفال الأفغان يرسلون قسراً إلى الاتحاد السوفيتي لتلقي تعليمهم هناك دون موافقة آبائهم أو علمهم المسبق، وأن أطفالاً من كابول ومدارس الضواحي يشحنون كل شهرين إلى الاتحاد السوفيتي دون أن يحاط آباؤهم بعلم مسبق بذلك!!.

وتضيف الصحفية المذكورة أن ٦٣ ألف طفل قد أرسلوا إلى الاتحاد السوفيتي خلال السنوات الخمس الأولى من الغزو السوفيتي لأفغانستان، ولكن شحن الأطفال إلى روسيا تزايد بسرعة منذ ذلك الحين، وخاصة في عام ١٩٨٧م، فبلغ مجموع ما شحن منهم حتى الآن نحو ١٣٠ ألف طفل. وقد اجتمعت هذه الصحفية مع مسؤولات في اللجنة المركزية لمنظمة النساء الديمقراطية في أفغانستان التي قالت عنها أنها أحد فروع حزب الشعب الديمقراطي في أفغانستان، وهو الحزب الشيوعي الأفغاني، وفي

معرض الحديث بالتفصيل عن نشاطات برنامج صبغ الأطفال بالطابع السوفيتي أوحت الأمينة العامة للجنة بوضوح بما هو بمثابة مبدأ لينين القائل « من ملك الشباب ملك المستقبل ».

وقد ذكرت « غوردين » أن التركيز في برنامج « مركسة » أطفال الأفغان يتم بصفة خاصة على أطفال الفقراء أو يتامى الحرب وقد اصطحبت زوجة « بابراك كارمال » الصحفية الأمريكية إلى مكان أقام فيه الأطفال أثر وصولهم وقبل إرسالهم إلى بلغاريا وألمانيا الشرقية والاتحاد السوفيتي. وقد اجتمعت « غوردين » بطفلتين يتيمتين بلغتا ١١ عاماً وأمضيتا شهراً في الاتحاد السوفيتي، وقالتا إنهما أحبتا ذلك ورغبتا في العيش هناك!!

وتحدثت الصحفية عن جولة قامت بها بين مدارس كابول فقالت أنها سمعت أطفالا يبلغون عامين أو ثلاثة أعوام وهم يلقون أناشيد ثورية روسية، كما شاهدت أطفالا بلغوا عشرة أعوام يرتدون أوشحة حركة الشبيبة الطليعية الروسية، وقد حياها الأطفال بأسلوب عسكري سوفيتي وقادوها إلى قاعات الصداقة المزينة بصور ماركس ولينين وأعلام منظمات الشبيبة في كوبا وأوروبا الشرقية.

وتقول « غوردين » إن مدارس كابول جميعها تقوم الآن بتدريس اللغة الروسية ويلتزم طلاب الجامعات بالاشتراك في مناهج تتناول النظرية السياسية الماركسية ـ اللينينية والمادية الجدلية وتاريخ روسيا وتاريخ الحركة العمالية، وقد نشرت صحيفة النظام الأفغاني « كابول تايمز » عام ١٩٨٥م احصاءات تبين أن ٦٠٪ من أعضاء هيئات التدريس في الجامعة الأفغانية يأتون من الدول الاشتراكية وأن ٨٠٪ من الطلاب هم من الفتيات، إذ أن طلاب السنتين الاخيرتين في الجامعة من الذكور كثيراً ما يفرون من كابول لتحاشي تجنيدهم قسرا في جيش النظام.

إن هدف الشيوعيين من هذا الغزو الفكري إعداد جيل ماركسي في أفغانستان يحل بدلا من السوفيت بعد خروجهم وهو هدف بعيد المدى بالغ الخطورة. وإن مواجهة هذا التحدي ينبغي أن تحتل مكانة بارزة في أولويات العمل الإسلامي لحركة الجهاد الأفغاني حتى لا نخسر أطفال الأفغان إلى الأبد.

ملحق رقم (٦)

مستشفى مكة المكرمة الجراحي
الهلال الأحمر السعودي ـ لجنة الإغاثة

التقرير الشهري لشهر مايو (أيار)

يسر إدارة المستشفى والعاملين فيها التقدم إليكم بالتقرير الشهري والذي نأمل أن يعطيكم فكرة واضحة حول بعض أنشطة المستشفى ونحن نهدف دائما إلى رفع مستوى الخدمات الطبية لأعلى مستوى ونرجو منكم أن لا تترددوا لتكتبوا لنا عن اقتراحاتكم وأرائكم والتي تساعدنا في تحسين مستوى الخدمة بإذن الله، كما نقدم شكرنا إليكم ولكل من ساهم في هذا العمل العظيم ولو بالكلمة.

يشمل هذا التقرير الخدمات الطبية المقدمة من خلال عرض عدد المصابين والجرحى والمرضى والمراجعين الذين يدخلون المستشفى وعدد الذين يخرجون منها، ومن خلال عدد العمليات الجراحية التي تجرى فيها، ومن خلال التحاليل المختبرية والتصاوير بأشعة إكس والعلاج الطبيعي والدوائي وإعداد كوادر فنية وتمريضية لتشارك في العمل الجهادي وبعض مكملات الخدمات الطبية كأعمال الصيانة والأعمال الفنية والخدمات العامة.

الخدمات الطبية :

تبدأ الخدمات الطبية بعد وصول المجاهدين الجرحى والمصابين من نقاط الحدود من قبل لجنة الإغاثة الإنسانية أو من قبل أنفسهم ـ مباشرة بإدخال الجرحى والمصابين والمرضى.

الدخــــول :

معظم الحالات التي دخلت المستشفى في هذا الشهر كانت إصابات حرب إن لم تكن كلها وعدد الدخول كما يلي :

الرجـــــال	٧٣
النســـــاء	١٨
المجمـــوع	٩١

يصل المصابون والجرحى إلى المستشفى من الحدود بسيارات إسعاف وبعضهم يصـل بوسـائـل نقـل خاصـة. وبعض المـرضى يتم اختيارهم من المحـولـين من المستشفيات والعيادات الأخرى من خلال العيادة الخارجية. أما حالات الطوارىء والحالات التي تستدعي عمليات جراحية أو معالجة عظيمة فتدخل أيضا مباشرة.

الخـــروج :

يخرج المـرضى من المستشفى بعـد أن يتم شفاؤهم أو تحسنهم أثناء إقامتهم في المستشفى لفسح المجال أمام إدخال واستقبال إصابات جديدة أو مرضى محتاجون للدخـول. بعض المـرضى الـذين يخرجـون ويحتاجون إلى علاج طبيعي ينصحون بمراجعة المستشفى أو بعض عيادات العلاج الطبيعي وهي قليلة جدا.

أما المصابون والجرحى الذين بترت أطرافهم ويحتاجون لأطراف صناعية فيرسلون إلى روالبنـدى (قرب إسـلام أبـاد ـ العـاصمـة) من خلال مكتب الهـلال الأحمر السعودي. كما أن بعض الحالات الخاصة كالمشلولين والذين يحتاجون إلى اختصاص معـين فيحـولـون عن طريق الهلال وعلى نفقته أيضا إلى أماكن الاختصاص، أما المستشهـدين أو المتـوفين نتيجة الإصابات الخطيرة فتتم إجراءات التغسيل والكفن والدفن من قبل المستشفى.

وعدد الخروج كما يلي :

الرجـــــال	٥٩
النســــاء	١٣
المجمـــوع	٧٢

العمليـــــات :

خلال هذا الشهر أيضا لا تزال النسبة منخفضة حيث شهر رمضان ولكنها بدأت تتزايد مع آخر الشهر بمختلف أنواعها.

ومجموع العمليات التي أجريت خلال الشهر كما يلي:

الرجـــــال	١٠٠
النســــاء	١٦
المجمـــوع	١١٦

لقد تم في هذا الشهر إجراء عمليتين كبيرتين في إصابات الأوعية الدموية الشريانية الكبيرة ومن فضل الله أن تمتا بنجاح دون أي مضاعفات.

والحالة الثانية كانت محولة من قبل وحدة الصليب الدولي بخطاب يذكر فيه عدم إمكانية اجراء العملية وعدم توفير الجراحين والآلات عندهم.

مرضى العيادات الخارجية :

لا تزال العيادات الخارجية محددة ومقصورة على الحالات الجراحية المحولة من بقية العيادات والمستشفيات، والحالات التي خرجت من المستشفى وتحتاج إلى متابعة نظراً للضغط الشديد على المستشفى مما جعل العدد يقل. أما حالات الحرب الطوارىء فتستقبل في أية لحظة من الليل أو النهار.

توزع العيادات الخارجية بالتناوب يوماً للجراحة العامة ويوماً للجراحة العظيمة مع ملاحظة أن عدداً لا بأس به من المرضى يتركون مستشفى الصليب الدولي لرفضهم بتر أعضائهم وبعضهم يخرج من المستشفى بخطاب لرفضه البتر ويتوجهون لمستشفى مكة ليتم لهم العلاج دون البتر بإذن الله تعالى.

وعدد المرضى المراجعين كما يلي:

الرجـــــال	٢٧٠
النســــاء	١٣٠
المجمـــوع	٤٠٠

التحليل المختبرية:

جميع التحاليل المختبرية يتم اجراؤها في المستشفى ما عدا التحليل النسيجي حيث تحول إلى المختبرات الأخرى والآن مختبر المستشفى والحمد لله يغطي التحاليل لمرضى المستشفى ومرضى العيادات الخارجية والمرضى المحولين من بقية المستشفيات ومساعدة وسد حاجة بقية المستشفيات والتنسيق معها في التحاليل ونقل الدم وغيرها.

مجموع التحاليل المختبرية لمرضى المستشفى	٧٩٧
مجموع التحاليل المختبرية لمرضى العيادات الخارجية	٣٥

عدد المرضى المستفيدين من التحاليل المختبرية لمستشفى مكة المكرمة (٢٤٧).

يحتوى المختبر بنك دم صغير لا يغطي احتياجات المستشفى من الدم لصعوبة التبرع بالدم من أقرباء المرضى وتغطى الكميات المحتاجة بالشراء من بنوك الدم الأخرى.

قسم الأشعة:

يعتبر قسم الأشعة قسماً بسيطاً ينقصه بعض الاحتياجات الضرورية رغم أنه يغطي حاجة المستشفى بمئة سرير والعيادات الخارجية والحالات المحمولة من المستشفيات الأخرى.

وهو جهاز متحرك بوحدة (١٠٠) مللي أمبير صغير وعليه ضغط كبير مما يقلل من عمر الجهاز، ويوجد في قسم الأشعة اخصائي أشعة أيضا.

مجموع الصور الشعاعية التي أخذت	٩٦
عدد المرضى المستفيدين من التصوير الشعاعي	٩٩

تتضمن هذه الصور الأشعة العادية والأشعة الخاصة مثل :

الأشعة الظليلة للكلى والجهاز البولي ٨

الأشعة الظليلة للجهاز الهضمي ٥

الأشعة الظليلة للجهاز المراري ١

مدرسة التمريض :

القسم الأول: الممرضين الذين أمضوا حوالي (٩) تسعة أشهر في دورة التمريض والذين حصلوا على خبرة عملية تؤهلهم للقيام بواجباتهم في الأقسام وعمل المناوبات وثم تثبيتهم كموظفين .

القسم الثاني: الممرضين الذين أمضوا حوالي (٧) سبعة أشهر في دورة التمريض ثم اختبار الجيدين منهم وتثبيتهم في العمل لسد حاجة المستشفى وتخريج الباقين ولا يزالون ينهالون على القسمين التعليمي والتطبيقي في جميع مجالات العمل في المستشفى .

القسم الثالث: تم ابتداء دورة تمريضية لمدة ثلاثة أشهر وطلبة التمريض فيها يحصلون على الجانبين التعليمي والتطبيقي والخبرة العملية في التمريض إلى جانب اللغة الإنجليزية .

العلاج الطبيعي :

تغطي احتياجات المرضى من العلاج الطبيعي من قبل فنيين في العلاج الطبيعي حيث يقومون بإعادة وظائف الأعضاء من تمارين وتدريب وغيرها رغم قلة الأجهزة .

الصيدليـــة :

تقوم الصيدلية بتوزيع الأدوية على الأقسام الداخلية والعيادات الخارجية حيث تؤمن الأدوية وتغذي من قبل الهلال الأحمر السعودي أو الشراء .

قسم الصيانة العامة والأعمال الفنية :

يشرف على أعمال الصيانة والأمور الفنية مهندس فني يغطي احتياجات المستشفى كلها من إصلاح أجهزة قديمة وتشغيل أجهزة جديدة يساعده في ذلك فني كهربائي وفني نجارة وفني تمديدات صحية لإكمال جميع أنواع الصيانة في المستشفى والأنشطة الشهرية التي تتم في الأمور الفنية وهي :

١ ـ تصليح الأجهزة التي تتعطل أثناء العمل وتصليح جهاز الفوتوستيت (التصوير النسخي) .

٢ ـ تصليح والعناية المركزة بأجهزة العمليات وتم إصلاح كرسيين للعمليات الجراحية .

٣ ـ تصليح أعطال جهاز الأشعة .

٤ ـ تصليح الغسالات الكهربائية والثلاجات ومبردات الماء والمراوح ويتم تصليح براد كبير ليسد احتياجات المطبخ .

٥ ـ المحافظة على سلامة وتأمين الكهرباء في جميع الأقسام .

الغاز والماء :

١ ـ تصليح وصيانة سخانات الماء وتأمين ماء حار للمستشفى .

٢ ـ التمديدات والتصليحات المائية .

٣ ـ أعمال الصيانة الصحية والمجارى المائية .

النجار :

١ ـ الصيانة الخشبية في المستشفى .

٢ ـ الأعمال الخشبية من أبواب وشبابيك وغرف وأعمال أخرى .

قسم الخدمات العامة :

النظافة :

المحافظة على أعلى مستوى من النظافة للمستشفى دائما يتم من خلال العناية

الدائمة بالنظافة والتفتيش المستمر عليها خلال (٢٤) ساعة ومع التنبيه الدائم على العاملين في قسم النظافة لأهمية استمرارها.

المطبـــخ :

رغم صغر المطبخ بالنسبة لحجم المستشفى إلا أنه يسد حاجة المستشفى بشكل منتظم ويتم توزيع الأكل على المرضى.

ويوجد مطعم صغير يأكل فيه العاملون المقيمون في المستشفى وبشكل نوبات ليتم استيعاب الجميع بدون ازدحام. ويتم غلي الأطباق وتنظيفها بالماء الساخن للمحافظة على نظافتها والحمد لله لم يحدث أي مضاعفات أو أمراض من خلال المطبخ أو التغذية ويدرس تطوير الغذاء باستمرار.

الحراســة :

قسم الحـراسـة يمنـع أى شخص من دخـول المستشفى إلا بتصريح من إدارة المستشفى ويتم تفتيش الداخلين والخارجين إلى ومن المستشفى من الزوار والعاملين ما عدا الأطباء.

ملاحظـــة :

التقـرير الشهـرى للمستشفى سيرسل إليكم باستمرار إن شاء الله ونعتذر عن التأخير في بعض الأحيان ونرجو التكرم بكتابة النصائح والملاحظات ووجهات النظر حتى نمكن العـاملين على إدارة المستشفى ليس فقط من أجل المحافظة على أعلى مستوى من الخدمة الطبية بل لتحسينه وشكراً.

مدير مستشفى مكة المكرمة الجراحي

ملحق (٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

جمعية الهلال الأحمر السعودى

باكستان

ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ

ديسمبر ١٩٨٨ م

جمعية الهلال الأحمر السعودى

ص . ب ٣٤٧ - بشاور باكستان

العنوان : تلفون : ٤٢٢٠٧

فاكس ملى : ٤٢٢١٣ - تلكس : 52482 SRCSPK

إهـــــــداء

عن انجاز عمل إسلامي إنسانى عظيم، لا يسع الإنسان إلا أن يبحث عن سر نجاح هذا العمل ليهدى إلى صاحب هذا السر كلمات اعتراف بالجهد والجميل، ومركز جمعية الهلال الأحمر السعودى بباكستان يقف حائراً أمام هذا الحشد الهائل من الـذين أسهموا بالنفس والنفيس مؤازرين الجهاد ومتطلباته. . . ومتحمسين ومستشعرين آلام وآمال إخوانهم المجاهدين والمهاجرين الأفغان، إبتداءاً من خادم الحرمين الشريفين وانتهاءاً بأصحاب الأكف الصغيرة التى ترفع ابتهالاً إلى الله تعالى بنصرة المسلمين فى أفغانستان على الملاحدة أعداء العقيدة والإيمان.

ولا يفوتنا أن نذكر مساهمة سفارة خادم الحرمين الشريفين فى تذليل الكثير من المصاعب أمام أنشطة ومشاريع الجمعية، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك فى هذا البلد المسلم الأنصارى قادة وشعباً وأن يجعل نصرتهم لإخوانهم فى صحائف حسناتهم يوم العرض عليه وأن ينصر المجاهدين الأفغان على عدوهم وأن يمن عليهم بالأمن والاستقرار.

المقدمـــــة

بفضل الله تعالى ومنته فقد دخلت جمعية الهلال الأحمر السعودى فى باكستان عامها التاسع فى خدمة المجاهدين والمهاجرين الأفغان.

فمنذ بداية هجرة الأفغان إلى باكستان عام ١٩٧٩م، جاءت جمعية الهلال الأحمر السعودى مع بداية الأحداث وتدفق سيل الهجرة... فكانت الهيئة الاسلامية الأولى التى وصلت إلى مخيمات المهاجرين الأفغان فى باكستان وذلك لكى تُعبر عن شعور وأحاسيس شعب وحكومة المملكة العربية السعودية تجاه إخوانهم الأفغان ومشاركتهم فى جهـادهم ضد الإلحادوالشيوعيين من خلال ما يقدمونه لهم من مساعدات فى النواحى الصحية والإغاثيه المختلفة.

وهـذه المسـاعدات التى تقدمها جمعية الهلال الأحمر السعودى مبنية على قواعد الأخـوة الإسـلامية والمشـاركة فى هذا الجهاد الإسلامي.. ولذلك فالاهتمام موجه للمجاهدين داخل أفغانستان كذلك من خلال المعونات الطبية والغذائية والملابس.. بالإضافة للمساعدات الضخمة للمهاجرين فى مناطق تواجدهم فى باكستان.

وحيث أن مقـر الهجـرة متركـز فى إقليمي سرمـد «الحـدودى الشمالى الغربى» وبلوشستـان.. لذا فقـد أُسس مركزا الجمعية فى كلٍ من مدينتى بشاور عاصمة «الإقليم الحدودى الشمالى الغربى» وكويتا عاصمة «إقليم بلوشستان».

نبـذة تاريخيـــة

جمعية الهـلال الأحمـر السعودى هى مؤسسة شعبية وهى كذلك عضو فى جمعية الهلال والصليب الأحمر الدولى . . وهى مؤسسة اجتماعية إغاثية بدأت عملها ونشاطها فى أوساط المهاجرين الأفغان فى نهاية عام ١٩٨٠م وذلك بافتتاح ثلاث عيادات طبية فى مخيم هاريبور بالأضافة إلى توزيع المواد الإغاثية من غذاء وظل وكساء، ثم مالبثت أن مدت أزرع نشـاطها إلى معظم مناطق تجمعات المهاجرين الأفغان فى باكستان وكذلك إلى داخل أفغانستان. ونظراً لهذا التطور استدعى فتح مركز فرعى فى كويتا عاصمـة إقليم بلوشستان بالاضافة إلى المركز الرئيسي للجمعية فى بيشاور عاصمة الإقليم الحدودى الشمالي الغربي.

تميز نشاط الجمعية بين المهاجرين الأفغان بالأساليب الحديثة العصرية خاصة فى مجال الخـدمـات الصحية بالإضـافة إلى عنصر التأهيل للمهاجرين أنفسهم وذلك بتخريج دفعات من مساعدى الأطباء.

كما تعمل الجمعية فى تعاون تام مع مفوضية اللاجئين الأفغان التابعة للحكومة الباكستانية ومع المؤسسات الإسلامية والتطوعية العاملة بين المهاجرين الأفغان.

الخدمـــات الصحيـــة

- المســـــتشفيات .
- المستوصفات الطبية .
- الوحدات العلاجية المتنقلة .
- علاج الحالات المستعصية .
- المختبرات الطبيـة .
- المساعدات الدوائية .
- الدعاية الصحية الشاملة .
- التدريب الصحى .

الخدمات الصحية :

اهتمت جمعية الهلال الأحمر السعودى منذ نشأتها فى باكستان وسط مخيمات المهاجرين الأفغان بهذا الجانب الحيوى وذلك بتقديم الخدمات الصحية المختلفة، حيث بدأ العمل أولاً بانشاء ثلاث مستوصفات فى مخيم هريبور كانت تقوم بتقديم الخدمات الصحية الأولية البسيطة للمهاجرين فى المخيم، ثم مع ازدياد موجات الهجرة توسع العمل الخدمى الصحى للجمعية بصورة كبيرة واضحة حيث تم إنشاء العديد من المستشفيات النموذجية التخصصية والعيادات والمستوصفات التى غطت معظم مخيمات المهاجرين بالإضافة إلى المختبرات الطبية الحديثة والبرامج العلمية المؤسسة فى مجال الرعاية الصحية الشاملة وكذلك المشاركة مع بعض المؤسسات الإسلامية فى برامج إعداد وتأهيل مساعدى الأطباء.

جدول يوضح عدد المرضى الذين تلقوا علاجاً فى عيادات جمعية الهلال الأحمر السعودى لعام ١٩٨٨م

الاقليم	عدد المرضى			المجموع
	رجال	نساء	أطفال	
الشمالى الحدودى الغربى	٧٩٩١٦	٨٤٧٥٨	١٨٠٢٩٦	٣٤٤,٩٧٠
بلوشستان	٤٥٨٣٣	٤٣٦٤٨	٣٦٩٢٢	١٢٦,٤٠٣
المجموع	١٢٥٧٤٩	١٢٨٤٠٦	٢١٧٢١٨	٤٧١,٣٧٣

جدول يوضح عدد المرضى مراجعى العيادات
فى الإقليم الشمالى الحدودى عام ١٩٨٨م

نساء ٨٤,٧٥٨	رجال ٧٩,٩١٦	أطفال ١٨٠,٢٩٦

جدول يوضح عدد مراجعى مستشفى الدرن بكشكرى
والعيادات الخارجية لعام ١٩٨٨م

	الشهور			
العدد الكلي رجال و نساء	يناير ٥٠٠٠	فبراير ٣٨٠٠	مارس ٢٩٠٠	إبريل ٢٦٠٠
	مايو ٣٤٠٠	يونيو ٥٠٠٠	يوليو ٣٦٠٠	أغلسطس ٣٥٠٠
	سبتمبر ٣٧٠٠	أكتوبر ٣٦٠٠	نوفمبر ٤٦٠٠	ديسمبر ٤٨٠٠

العدد الكلي (رجال ونساء)

جدول يوضح عدد مرضى الدرن
المعالجين فى مركز الدرن بكويتا لعام ١٩٨٨م

العمر	ذكور				إناث			
	حالات مشخصة		حالات تحت الملاحظة		حالات مشخصة		حالات تحت الملاحظة	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
من ٠ ـ ١٠	٤٤٣	١٣,٧٪	٧	٥,٣٪	٢٩٧	١١,١١٪	٣	٤,٥٪
١١ ـ ٢٠	٥٠٤	١٥,٦٪	٣٥	٢٦,٧٪	٣١٣	١١,٧٪	٢٤	٣٦,٤٪
٢١ ـ ٣٠	٩٤٥	٢٩,٣٪	٣٩	٢٩,٧	٨٥٣	٣١,٩٪	٢١	٣١,٨٪
٣١ ـ ٤٠	٦٤٣	١٩,٩٪	٢١	١٦,٣٪	٦٧٣	١٠٢٪	١١	١٦,٦٪
٤١ ـ ٥٠	٣٣٧	١٠,٤٪	١٣	٩,٩٪	٢٠٣	٧,٧٪	٤	٦,٠٪
٥١ ـ ٦٠	٢٠٣	٦,٣٪	٩	٦,٨٪	٣١٩	١١,٩٪	٣	٤,٥٪
٦١ ـ ٧٠	١٣٥	٤,٢٪	٧	٥,٤٪	١٥	٠,٦٪	—	—
٧١ ـ ٨٠	١٧	٠,٥٪	—	—	—	—	—	—
المجموع	٣٢٢٧		١٣١		٢٦٧٣		٦٦	

عدد المرضى مراجعي العيادات
في أقليم بلوشستان لعام ١٩٨٨ م

رجال	أطفال	نساء	الإجمالي
٤٥٨٣٣	٣٦٩٢٢	٤٣٦٤٨	١٢٦٤٠٣

أولاً : المستشفيات :

أقامت جمعية الهلال الأحمر السعودى وسط مخيمات المهاجرين الأفغان فى باكستان عدداً من المستشفيات هى :

(١) مستشفى الأمير سلطان للدرن «مخيم كشكرى» :

نظراً لارتفاع نسبة إنتشار مرض الدرن بين المهاجرين الأفغان تكفل سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز بإنشاء مستشفى الدرن (مخيم كشكرى بالقرب من مدينة بيشاور) تحت اشراف الجمعية فى يناير ١٩٨٦م، وتبلغ طاقتها أربعين سريراً للرجال والنساء. ويتكون المستشفى من عدة أقسام تشمل :
العيادات الخارجية «رجال ونساء»، مختبر نموذجي، قسم أشعة، عنابر المرضى.
ويشرف على هذا المستشفى طبيب أخصائي أمراض صدرية وعدد من الأطباء بالاضافة إلى العاملين الذين يبلغ عددهم ستون شخصاً.

جدول يوضـح : عدد مرضى الدرن من خلال فحص البصاق بمستشفى الأمير سلطان والعيادات خلال عام ١٩٨٨م

		العيـــــادات		المســـتشفى		المجمـــوع	
		مرضى جدد	مرضى تحت العلاج	مرضى جدد	مرضى تحت العلاج	مرضى جدد	مرضى تحت العلاج
بالميكروسكوب	عدد الشرائح المفروضة	٣٩٣٠	١٠٣٦	٢٣٠٩٨	٤٤٠١	٢٧٠٢٨	٥٤٣٧
	عدد الشرائح الموجبة	١٤٤	١٠٢	١٠٧٠١	١١٥١	١٨٤٥	١٢٣٥
عدد المرضى الذين تم فحصهـم		١٦٥٧	٥٠٨	٨٩٨٨	٣٨٩٢	١٠٦٤٥	٤٤٠٠
عـدد المرضى		٦٣	٤٩	٨٢٦	١١٠١	٨٨٩	١١٥٠

(٢) مستشفى السلام بسرنان :

يعتـبر من المستشفيات التى تلعب دوراً هامــاً فى تقـديم الخـدمـات الصحية للمجاهدين والمهاجرين الأفغان فى إقليم بلوشستان، وهذه هدية من «سمو الأمير سلطان بن عبـدالعـزيز للمجـاهـدين الأفغـان». تحت مظلة جمعية الهلال الأحمر السعودى بباكستان.

بدأ العمل فيه فى إبريل ١٩٨٤م، حيث يسع (٨٠) سريراً بالإضافة إلى قسم خاص بالنساء. ويبلغ عدد العاملين فيه (١٤٠) شخصاً بين طبيب وممرض وفنى وموظف وعامل، ويوجد به أربعة أطباء أخصائيين فى الجراحة العامة والعظام والنساء والولادة. وأقسام المستشفى هى:

١ - قسم الجراحة العامة.
٢ - قسم جراحة العظام.
٣ - قسم النساء والولادة.
٤ - قسم العناية المركزة.
٥ - المختبر الرئيسي.
٦ - الطـوارىء.

ويستقبـل المستشفى جرحى المجاهدين الذين يتم نقلهم من أرض المعركة عن طريق نقاط الاسعاف الحدودية الدولية التى أقامتها لجنة الدعوة الاسلامية الكويتية، كما أن العيادات الخارجية تستقبل المرضى من المهاجرين الأفغان.

(٣) عيادة العلاج الطبيعي:

نظراً لإزدياد عدد جرحى ومعوقى الجهاد الأفغانى أنشأت لجنة الاغاثة السعودية هذه العيادة وذلك بالتنسيق وتحت ادارة جمعية الهلال الأحمر السعودى فى مدينة بيشاور.

يبلغ عدد العـاملين بهذه العيادة (٣٦) شخصـاً تشمـل الاخصـائيين والأطباء والفنيين، وبلغ عدد المرضى الذين راجعوا العيادة خلال عام ٨٧ حوالى (٣١٣٤) مريض.

جدول يوضح عدد ونوع الحالات التى تعالج في عيادة العلاج الطبيعي لعام ١٩٨٨م

نـــــــــــــــوع المـــرض	عدد المرضى
شلل نصفى أو ضعف نصفى .	٢٠١
شلل مخى .	١٢٩
شلل أطفال .	٣٤٩
شلل وجهى نصفى «شلل بيلز» .	٥٦
شلل شطرى «يدين أو رجلين» أو ضعف شطرى .	١٠٤
ضعف عضـــلات .	٢٧
إصابات الأوتار العصبية .	١٧٥
تصلب مفاصل .	٢٩٨
التهاب المفاصل روماتيزمى .	١٥٣
تاكل المفاصـل .	١١٣
التهاب مفاصل الفقرات العناصر .	٥
التهاب فقرات العنق .	٥٢
إنزلاق غضروفى .	٦
عرق النســـاء .	٢٥٩
الام الظهر.	١٨٨
شد عضلى أو وترى.	٣٩
درن العمود الفقرى.	١٠
تصلب الكتف .	٤٢
أمراض الدماغ المتنكسة .	٤
إلتهاب الأعصاب المتعددة .	١١
بــــتر.	٢٢
أمراض أخرى متعددة .	٨٥٣
المجمـــــــوع	٣١٣٤

(٤) مستشفى النساء والولادة والأطفال «ميرانشاه» :

وهـو مشروع مشترك بين الهلال الأحمر السعودي وهيئة الاغاثة الاسلامية يقدم خدماته للمهاجرين الأفغان. تم افتتاح المستشفى فى مايو ١٩٨٨م حيث يسع (٢٠) سريراً ويحوى الأقسام التالية :

- قسم أمراض النساء والولادة.
- قسم رعاية الأمومة والطفولة.
- قسم الأمراض الباطنية.
- قسم الجراحة العامة.
- قسم العيادات الخارجية.
- قسم الحالات الطارئة.
- قسم الأشعة.
- قسم المختبر والتحاليل.
- قسم الصيدلية.

ويعمل بالمستشفى طبيب أطفال وباطنية، طبيب أمراض نساء وولادة، طبيب جراحة عامة، طبيب عمومى، بالاضافة إلى ثلاث ممرضات وتسعة عاملين.

(٥) عيادات الأسنان ـ بشاور:

بالتعاون بين مركز جمعية الهلال الأحمر السعودي بباكستان والدكتور أحمد نيازى أخصائي طب وجراحة الأسنان فى الرياض تم انشاء ثلاث عيادات أسنان فى مطلع هذا العام ١٩٨٨م، وكان توزيعهم على المخيمات كالآتي :

- معسكر عمر الفاروق بمنطقة ورسن.
- معسكر خالد بن الوليد بمنطقة دارا.
- مخيم شمشـتو.

وهذه العيادات تعمل فى مناطق تواجد المجاهدين بمعسكراتهم أو المهاجرين فى المخيم. كما تم انشاء عيادة مركزية فى مدينة بشاور تُحَوَّل إليها الحالات المستعصية.

ويقوم الهلال الأحمر السعودى بالإنفاق على هذه العيادات والاشراف عليها، كما يوجد طبيب متخصص فى طب وجراحة الأسنان متفرغ لهذه العيادات والإشراف عليها.

ثانياً: المستوصفات الطبية:

وهى من المشـاريع الحيوية الهامة التى توليها الجمعية غاية الاهتمام حيث تكاد تغطى معظم المخيمات، وتقوم بتقديم الخدمات الصحية العامه للمهاجرين الأفغان. يبلغ عدد هذه المستوصفات حوالى (١٨) مستوصف منها (١١) مستوصف فى الإقليم الشـمالى الحـدودى الغـربى و (٧) مستـوصفات فى إقليم بلوشستان. وغالبية هذه المستوصفات إنتقلت من الخيام إلى مبانٍ حديثة. وهنالك مستوصفان في مخيم شمشتو تحت الإنشـاء.

جدول يوضح عدد وأماكن مستوصفات جمعية الهلال الأحمر السعودي

الشمالى الحدودى الغربى		بلوشستان	
أسم المخيم	عدد المستوصفات	اسم المخيم	عدد المستوصفات
كشـكرى	٢	مسلم باغ	١
ناصر باغ	٣	بيرعلى زى	١
داكبسـوت	١	بنجبـاى	١
جلـوزى	٣	سرخـاب	١
شـندن	١	لورالـدى	١
غلام بانده	١	«مدينة كويتا»*	٢
المجمـوع	١١	المجمـوع	٧

* (١) مركز لعلاج الدرن به عيادتان واحدة للرجال والأخرى للنساء.
(٢) مستوصف بالرياض المركزى عبارة عن عيادة عامة وتخصصية لأمراض العيون.

وتعمل المستوصفات ستة أيام فى الأسبوع كما يلي:

- يوم واحد لمرضى الدرن.
- يوم واحد لمراجعة النساء الحوامل.
- يومان عيادة عامة للرجال والأطفال.
- يومان عيادة عامة للنساء والأطفال.

أما الحالات الطارئة تقبل فى كل يوم من أيام الأسبوع. ولتنظيم وتسجيل المرضى المراجعين هنالك نظام تسجيل متبع فى العيادات هو:

١ - ملف العائلة:

وهو لكل أفراد العائلة، حيث يسجل الجميع فى هذا الملف الذى يتم حفظه فى العيادة وتعطى العائلة استمارة تحمل رقم هذا الملف.

٢ - ملف متابعة الحوامل:

وهو ملف خاص بالنساء الحوامل يحفظ أيضاً فى العيادة وتعطى المرأة الحامل إستمارة للمراجعة تحمل رقم الملف.

٣ - ملف الدرن:

وهو خاص بمرضى الدرن.

٤ - إستمارة التنظيم:

وهو خاص بمتابعة برنامج التنظيم.

وتقوم المستوصفات الخدمات التالية:

(أ) علاج المرضى:

ويتم ذلك بواسطة طبيب العيادة حيث يأخذ المريض العلاج المجاني من الصيدلية بعد التشخيص.

(ب) مكافحة الأمراض المستوطنة:

أهم مرضين مستوطنين واسعى الانتشار بين المهاجرين الأفغان هما مرضى الدرن والملاريا.

* **الدرن «السل»:**

وهو مرض منتشر وسط مخيمات الأفغان ونسبة الوفيات الناتجة بسببه مرتفعة جداً ويعزى للأسباب التالية.

١ - ازدحام المهاجرين فى المخيم الواحد.

٢ - سوء التغذية وضعف مقاومة الجسد للأمراض وعلى رأسها الدرن.

٣ - عدم إستقرار المهاجرين فى مخيم واحد وتنقلهم من مكان لآخر مما يؤدى إلى عدم متابعة المريض للعلاج.

ويتم تشخيص هذا المرض «بعد أخذ تاريخ المرض والفحص الطبى» عن طريق: الأشعة السينية للصدر، فحص البصاق، إختبار مانتوكس، أخذ جرعة من الغدد اللمفاوية.

* **- الملاريـــــا:**

وهو مرض طفيلى معدٍ، أحياناً يأخذ الشكل الوبائى فى باكستان وبعض أجزاء أفغانستان. وفى عام ١٩٨٨م كان عدد الحالات التى فحصت (٢٢٠٧٨) منها (٤٤٤٠) حالة كان فحص الدم بها موجبا، وعدم الحالات لنوع فيفاكسٍ من طفيل الملاريا (٤١٢٢) حالة بالاضافة إلى (٣١٤) حالة من الطفيل فالسيبارم.

(جـ) التحصين (التطعيم) ضد الأمراض:

وبدأ العمل فى هذا البرنامج بواسطة الجمعية منذ يناير ١٩٨١م، ويشمل التحصين ضد الأمراض المعدية الستة: الدرن - الدفتريا - السعاد الديكى - شلل الأطفال - الحصبة - الكزاز.

(د) برنامج رعاية الحوامل:

النساء الحوامل يعتبرن من المجموعات القابلة للتعرض للأمراض فى المجتمع لذلك كان هناك إهتمام خاص بهن. وقد أوضحت الدراسات التى أجريت فى مخيمات المهاجرين الأفغان أن أن نسبة الوفيات بين الأمهات والأطفال مرتفعة جداً والتى يمكن الحد منها ببرنامج رعاية الأمومة والطفولة؛ مثال ذلك: أن ٣٠٪ من وفيات

الأطفال فى عمر شهر واحد كانت بسبب الكزاز والذى والذى كان من الممكن الوقاية منه بتطعيم المرأة الحامل وكون الولادة تتم بطريقة معقمة. ويتم هذا البرنامج بتسجيل المرأة الحامل فى المستوصف وفتح ملف خاص لها ثم حضورها إلى المستوصف بصفة مستمرة للمتابعة. وفى المستوصف تُحصّن ضد الكزاز وتعطى التوعية الصحية اللازمة.

فى عام ١٩٨٨م تم تسجيل (١٠,٦١٢) سيدة حامل فى عيادات الجمعية منصف فى:

- بشاور (٧١٧) حالة ولادة - (١٨) حالة وفاة.
- كويتا (٥٩٤)٠ حالة ولادة - (٧) حالات وفاة.

(هـ) حملة التحصين ضد الحمى الشوكية:

تظهر الحمى الشوكية فى بعض مناطق باكستان بشكل حالات متفرقة وقليلة ولكن فى هذا العام ظهرت بشكل وبائى، حيث شُملت وشُخصت أول حالة بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٨٨م فى مخيم الهجرة فى منطقة ببي بيشاور، وارتفع عدد المصابين فى الأسبوع الأول إلى ٢٩ حالة منهم خمسة أطفال توفى منهم (٦) حالات.

ظهرت حالات أخرى فى بعض مخيمات المهاجرين وكذلك فى مناطق أخرى من باكستان مثل أقليم بلوشستان، وبعض الحالات فى كراتشى. وبعد انتشار خبر الوباء وبعد التقارير التى أعدت عن الوباء قام الشيخ يوسف عبداللطيف جميل بالتبرع بمقدار (٥٠٠) ألف جرعة تطعيم ضد الحمى الشوكية وتم أرسالها إلى بشاور وقد قام الهلال الأحمر السعودى بالتعاون مع هيئة الإغاثة الإسلامية بحملة تطعيم واسعة شملت جميع مخيمات المهاجرين ومعسكرات المجاهدين فى بشاور وكذلك كوهات.

كذلك أرسل المركز الرئيسي لجمعية الهلال الأحمر السعودى بالرياض مقدار (٣٠٠) ألف جرعة من مصل الحمى الشوكية، وبحمد الله فقد تم تغطية جميع مخيمات المهاجرين الأفغان فى منطقتى بشاور وبلوشستان وكذلك مستشفيات الهيئات الإسلامية العاملة فى خدمة الأفغان ومستشفيات الأحزاب الأفغانية بالاضافة إلى مستشفيات الحكومة الباكستانية.

جدول يوضح عدد المرضى الذين تلقوا علاجاً فى مستوصفات جمعية الهلال الأحمر السعودى بالإقليم الشمالى الحدودى الغربي

السـنة	عدد المرضى بالألف
١٩٨٤ م	٣٣٠
١٩٨٥ م	٣٦٥
١٩٨٦ م	٤٤٠
١٩٨٧ م	٣٧٥
١٩٨٨ م	٣٦٥

جدول يوضح عدد المرضى الذين تلقوا علاجاً فى مستوصفات جمعية الهلال الأحمر السعودى بإقليم بلوشستان

السـنة	عدد المرضى بالألف
١٩٨٤ م	٦٧
١٩٨٥ م	١٠٠
١٩٨٦ م	٧٨
١٩٨٧ م	٧٣
١٩٨٨ م	١٢٦

ثالثاً: الوحدات الطبية المتنقلة:

وهى عبارة عن نوعين من الوحدات:

١ ـ العيادات المتنقلة بين مدارس الأطفال الأيتام:

وهذه تقوم بتقديم الخدمات الصحية لهؤلاء الطلاب فى أماكن دراستهم حيث يصعب انتقالهم إلى أماكن العلاج الدائمة وهى عبارة عن:

- عيادة لمدارس البنين: تشمل طبيب وممرض.
- عيادة لمدارس البنات: تشمل طبيبه وممرضة.

ولهاتين العيادتين برنامج أسبوعى لزيارة مدارس الأيتام.

٢ ـ غرف العمليات المتنقلة:

وهى عبارة عن ثلاث غرف عمليات كبيرة تستعمل عند الحاجة فى المناطق الحدودية البعيدة فى كل من الإقليم الشمالي الحدودى الغربى وإقليم بلوشستان، وهى مجهزة تجهيزاً عصرياً بكافة الوسائل المطلوبة لغرفة العمليات.

كذلك هناك خمس غرف عمليات صغيرة متنقلة تعمل على الحدود أيضاً.

رابعاً: علاج الحالات المستعصية:

إن الخدمات الصحية المقدمة من جمعية الهلال الأحمر السعودى لا تقف عند حد المستشفيات والمستوصفات الخاصة بها فقط، بل تتعدى ذلك إلى توفير العلاج للحالات المستعصية وذلك بإرسالها إلى المستشفيات التخصصيه داخل وخارج باكستان.

١ ـ العلاج داخل باكستان:

حيث يتم تحويل المرضى من عيادات ومستشفيات الجمعية إلى المستشفيات التخصصية الباكستانية والهيئات الإسلامية الأخرى فى بشاور وكراتشى وروالبندى لمتابعة وتكملة العلاج مثل:

- جرحى الحرب المعاقين «الذين بترت أطرافهم» يتم تحويلهم إلى مركزين أحدهما فى بشاور والآخر فى راولبندى. وكان عدد الذين حصلوا على أطراف صناعية فى عام ١٩٨٨م (٧٩٦) معوقا.
- مركز جراحة القلب فى كراتشي حيث حُوِّل إليه (١٩٧) مريض.

٢ - العلاج خارج باكستان:

نظراً لوجود بعض الحالات المستعصية من جرحى الأفغان والذين تعذر علاجهم فى باكستان فإن الجمعية تقوم بتحويلهم إلى بعض الدول الأخرى مثل:

- المملكة العربية السعودية: بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين تم تحويل بعض الحالات للعلاج فى المستشفيات الجامعية والعسكرية المتخصصة فى السعودية وذلك بالتنسيق مع المكتب الرئيسي لجمعية الهلال الأحمر السعودي بالرياض. وقد تم حتى عام ٨٨ إرسال حوالى (٤٠) حالة نقل بعضها بواسطة المستشفى السعودى الطائر.
- الدول الغربية وأمريكا: حيث أرسلت (٨) حالات إلى أمريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية للعلاج.

جدول يوضح عدد ونوع الحالات التى تعالج
فى عيادة العلاج الطبيعي لعام ١٩٨٨م

جهـــــة التحويـــل	العـدد
أخصائي القلب «بشاور».	١٩٧
جراحة القلب «كراتشي».	٦٨
قسم الأطراف الصناعية «جامعة بشاور».	٧٠
قسم الأطراف الصناعية «المستشفى العسكري - روالبندي». قسم الأطراف الصناعية «المستشفى العسكري - روالبندي».	٥٣٩
«تحويل من مكتب كويتا»	١٨٧
أطباء متخصصون آخرون.	١٢٢
المجمـــوع	١١٨٣

جدول يوضح الحالات المستعصية
المحولة خارج باكستان لعام ١٩٨٧م

الدولة	نوع الحالة					المجموع		
	عيون	عظام	جراحة عامة	جراحة تجميل	جراحة مخ وأعصاب	رجال	نساء	أطفال
المملكة العربية السعودية	١٨	١٢	٥	٢	٣	٣٦	٢	٢
المانيا الغربية	-	١	٢	-	-	٣	-	-
بريطانيا	١	٢	-	١	-	٣	-	١
الولايات المتحدة الأمريكية	١	-	-	-	-	١	-	-
المجموع	٢٠	١٥	٧	٣	٣	٤٨		

خامساً: المختبرات الطبية:

ومهمته تسهيل الخدمات الطبية للمستوصفات والمستشفيات العاملة وسط مخيمات المهاجرين الأفغان، ويتبع لجمعية الهلال الأحمر السعودى الآن ثلاثة أنواع من المختبرات:

١ - المختبر المركزى:

وهو مشروع مشترك بين جمعية الهلال الأحمر السعودى ومنظمة العون الإسلامى والهلال الأحمر الكويتي وهو مجهز بأحدث أجهزة التحاليل الطبية. وهذا المختبر تُحول إليه جميع الفحوصات الطبية من جميع المستشفيات التابعة للهيئات الإسلامية بالاضافة للمستوصفات، كما يقبل التحويل من جميع الهيئات الأخرى العاملة فى خدمة الأفغان. ويتكون الهيكل الإدارى للمختبر من:

- المدير «وهو دكتور متخصص فى كيمياء الأمراض».
- أخصائى كيمياء عضوية.
- أخصائي أحياء دقيقة.
- بالإضافة إلى أربعة فنيي معامل.

ويشمل المختبر خمسة أقسام: قسم الأحياء الدقيقة، قسم الكيمياء العضوية، قسم الطفيليات، قسم أمراض الدم، قسم الأمراض.

المختبر العام «بمستشفى الدرن»:

وهو مؤسس بأحدث أجهزة التحاليل الطبية، ويشرف عليه دكتور كيميائي بالاضافة إلى سبعة فنيين معامل. ويقبل بعض الحالات المحولة من المستوصفات.

سادساً: المساعدات الطبية:

يتم تأمين الأدوية والأدوات الطبية عن طريق جهتين:

- تعـاقـدات مركـز الجمعية فى باكستـان مع الشركات المحلية والعالمية عن طريق وكلائها بباكستان، وقد بلغت فى عام ٨٧ حوالى (٣٨) مليون روبية باكستانية.
- تبرعات المملكة العربية السعودية وهذه يتم توزيعها بمجرد وصولها مباشرة حيث مثـلاً وصلت إلى مركـز الجمعية ببـاكستـان بتـاريخ يوليو ١٩٨٨م ستة طائرات عسكرية [١٣٠ سي] محملة بالمعدات الطبية والأدوية وذلك بعد أمر صاحب السمو الملكي الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز نائب وزير الدفاع والطيران بالتبرع بتلك المعدات الطبية والأدوية للإخوة الأفغان، وقد تم توزيعها على المستشفيات العاملة فى خدمـة المجـاهـدين والمهـاجـرين الأفغـان فى كل من بشـاور وكويتا وبعض المستشفيات التى أنشئت حديثاً داخل أفغانستان.

بالإضافــة إلى مستشفيات ومستوصفات الهلال الأحمر السعودي بباكستان فإن المساعدات الدوائية يتم توزيعها إلى مستشفيات الهيئات الإسلامية العاملة فى خدمة الأفغان وذلك لأن الهدف واحد وهو خدمة المجاهدين والمهاجرين الأفغان، حيث فى كثـير من الأحيان يتم إرسـال بعض االأدوية الطبية إلى داخل الجبهات القتالية فى أفغانستان لتكون بقرب المجاهدين والمستضعفين الذين لم يتمكنوا من الهجرة إلى باكستان.

جدول يوضح حجم المساعدات الدوائية
للأعوام التى قدمها الهلال الأحمر السعودي ٨٦ ـ ٨٧ ـ ١٩٨٨م

الجبهـــات	السنة	المبـــلغ
مستشفى الدرن	١٩٨٦ م	٤٥ مليون روبية باكستانية
المســتوصفات	١٩٨٧ م	٣٤ مليون روبية باكستانية
المستشفيات الأخرى	١٩٨٨ م	٣٥ مليون روبية باكستانية

سابعاً: الرعاية الصحية الشاملة:

من أهم أهداف هذا المشروع هو الارتفاع بالمستوى الصحى عند المهاجرين الأفغان وجعلهم يعتمدون على أنفسهم لمواجهة المشاكل الصحية الطبية، وإنشاء الهلال الأحمر السعودي بالاشتراك مع جمعية الدعوة الاسلامية عيادة الرعاية الصحية الشاملة فى مخيم مدينة المسلمين. وأهم الخدمات التى يقدمها هذا المشروع هى:

١ ـ تقديم الرعاية الصحية الأولية للمجتمع بطريقة سهلة ومبسطة، وذلك عن طريق الاخصائيين الصحيين الذين يتم اختيارهم من ضمن أفراد المخيم ثم يدربون على أسس الرعاية الصحية. فهم متواجدون (٢٤) ساعة بالمخيم وعددهم عشرة إخصائيون صحيون بالاضافة إلى ثلاث مساعدات توليد وعملهم فى هذا البرنامج بالتطوع.

٢ ـ رعاية الأطفال الأصحاء: حيث يتم تسجيل كل الأطفال دون سن الخمس سنوات فى العيادة، ويخصص لكل واحد منهم رسم بيانى للنمو يسجل فيه تطورات نموه بشكل مستمر ودورى، وتعطى لأمهاتهم التوعية الصحية اللازمة.. بالاضافة لذلك هنالك عدة (دورات مياه) لإستحمام الأطفال و(حلاق) لتزيين شعورهم.

٣ ـ رعاية النساء الحوامل.

٤ ـ التطعيم: كل الأطفال الذين يرتادون العيادة يجب أن يمروا بفرقة التطعيم قبل مقابلة الطبيب للتأكد من أخذهم جرعات التطعيم.

٥ ـ برنامج مكافحة الملاريا.

٦ ـ برنامج مكافحة الدرن.

٧ ـ حملة التحصين ضد الحمى الشوكية.

ثامناً: معهد التدريب الصحي:

الغرض منه هو إعداد الكوادر الطبية المؤهلة من الإخوة الأفغان بقيادة العمل

الطبى داخل الجبهات لمساعدة إخوانهم المجاهدين . وبدأ العمل فى هذا المعهد عام ١٩٨٦م حيث تخرجت الدفعة الأولى منه فى فبراير ١٩٨٧م كفنيي معامل خاصة فى مجال مرض الدرن، وتم استيعاب كل الدفعة فى عيادات جمعية الهلال الأحمر السعودي .

تم تطوير المنهج الدراسي بعد ذلك ليتم إعداد مساعدين طبيين حيث بدأ هذا المنهج الجديد فى ديسمبر ١٩٨٧م بالاشتراك مع الوكالة الاسلامية للإغاثة بقبول خمسين طالباً أفغانياً يحملون الشهادة الثانوية العامة، ومدة الدراسة عام كامل مقسمة كالآتى :

- ٧٢٠ ساعة دراسة نظرية .
- ٢٨٨ ساعة تدريب فى المستشفيات .
- ١٢٠ ساعة تدريب فى المختبر.

تم فى ديسمبر ١٩٨٨م أى فى هذا الشهر تخريج الدفعة السابق ذكرها .

تشـــييد المساجد :

نسبة لأهمية المساجد ودورها الكبير فى خلق الفرد المسلم ومن ثَّم المجتمع المسلم المعافى، فقد دأبت الجمعية (جمعية الهلال الأحمر السعودى) منذ بداية عملها وسط مخيمات المهاجرين الأفغان على أن تهتم بتشييد المساجد، حيث بلغ عددها حتى نهاية عام ١٩٨٨م حوالى (٣٣) مسجداً فى أحد عشر مخيماً تمارس فيها العبادة بالإضافة إلى دراسة العلوم الدينية من تفسير وفقه وتوحيد وعقيدة . . وقد شيدت معظم هذه المساجد على نفقة الشيخ صالح جمال وأولاده ومحسنين آخرين .

بيان يوضح المساجد وأماكنها وأعدادها وتكلفتها .

اسم المخيم	عدد المساجد	التكلفة الكلية «روبية باكستانية»
شمشتو	٧	٧٦٣٠٠٠,٠٠٠
جالوزى	٣	١٩٢٢٠,٠٠٠
بناكوت	٣	٥٨٢١١,٠٠٠
خرسان	٢	٢٧٠٠٠,٠٠٠
بلي	٣	٤٢٠٠٠,٠٠٠
كشكري	٤	٥٤٣٠٠,٠٠٠
أكوره ختك	٣	٢٤٢٨٠,٠٠٠
صدا	٢	١٦٥٠٠,٠٠٠
مندا بول	١	٦٨٠٠,٠٠٠
أزراخيل	٣	٤٤٢٠٠,٠٠٠
ميران شاه	٢	٧٢٠٠٠,٠٠٠
المجموع	٣٣	١,١٢٧٥١١,٠٠٠

* حفر الآبار الإرتوازية :

كما هو معلوم فإن مخيمات المهاجرين الأفغان أنشئت فى الأماكن النائية حول أطراف المدن الباكستانية مثل كراتشي، إسلام آباد، بشاور، كويتا، وهى أماكن تفتقد لأهم الخدمات الضرورية خاصة المياه الصحية النظيفة فلذا بادرت جمعية الهلال الأحمر السعودى بالاشتراك مع رابطة العالم الإسلامي بحفر حوالى « ٤ » آبار إرتوازية بالإضافة إلى بثرين آخرين بواسطة بعض المحسنين وذلك فى ستة مخيمات مختلفة من مخيمات المهاجرين الأفغان.

جدول يوضح : عدد الآبار الارتوازية وتوزيعها على المخيمات المختلفة

اسم المخيم	عدد الآبار	التكلفة الكلية « روبية باكستانية »
جلوزى	١ بئر بملحقاته أنابيب مياه + خط كهرباء	٤٩٨٩٨٥,٠٠٠
شمشتو	١ بئر بملحقاته أنابيب مياه + خط كهرباء	٥٣٨٠٠٠,٠٠٠
كشكرى	١ بئر بملحقاته أنابيب مياه + خط كهرباء	٥٥٨٩٨٥,٠٠٠
أكوره ختك	١ بئر بملحقاته أنابيب مياه + خط كهرباء	٥١٧٠٠٠,٠٠٠
بناه كوت	١ بئر بملحقاته أنابيب مياه + خط كهرباء	٥٠٠٠٠,٠٠٠
بجاور	١ بئر بملحقاته أنابيب مياه + خط كهرباء	٣٣٨٩٨٥,٠٠٠
المجموع	٦ «ستة فقط»	٢,٥٠١,٩٥٥,٠٠٠

ميزانية مركز جمعية الهلال الأحمر السعودي فى باكستان

تتأتى ميزانية مكتب جمعية الهلال الأحمر السعودى عن طريق مصدرين :

١ - المركز الرئيسي لجمعية الهلال الأحمر السعودي بالرياض:

لقد رصدت جمعية الهلال الأحمر السعودي للشعب الأفغاني منذ بداية هجرته ميزانية سنوية مقدارها عشرة ملايين ريال سعودى بالإضافة إلى مليون ريال سعودى لإدارة مستشفى الأمير سلطان للدرن .

٢ - أهل الخير والاحسان :

وهؤلاء تكفلوا بإنشاء الكثير من المشاريع مثل :

(أ) مستشفى الدرن فى مخيم كشكرى بمدينة بشاور ويتبعه المعهد الصحى والمسجد الكبير بالمخيم ، وهو هدية من صاحب السموالملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز للمهاجرين الأفغان .

(ب) مستشفى السلام السعودي : وهو مستشفى جراحى فى منطقة سرنان فى إقليم بلوشستان ، وهو كذلك هدية من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز.

(ج) السيارات المجهزة كغرف عمليات تعمل على الحدود تبرع من الشيخ صالح عبدالله الكامل .

جدول يوضح ميزانية الهلال الأحمر السعودي السنوية بباكستان

أبواب الإنفــاق	النسبة المئوية
معونات طبية وأدوية	٦٠ ٪
خدمات عــلاجية	٣٥ ٪
خدمات إداريــة	٥ ٪

ملحوظـة :

تبلغ ميزانية الجمعية السنوية الثابتة عشرة ملايين ريال سعودي أي ما يعادل خمسين مليون روبية باكستانية موزعة حسب الشكل التوضيحي أعلاه .

ملحـق (٨)

نبذة عن لجنة الدعوة الإسلامية
بيشاور ـ باكستان

تأسست لجنة الدعوة الإسلامية في يناير عام ١٩٨٤م وهى احدى اللجان المنبثقة عن جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت. . وقد تأسست هذه اللجنة خصيصاً لخدمة الإخـوة الأفغـان ـ مهـاجـرين ومجـاهـدين ـ في كل من المجالات الطبية والتربوية والاعلامية والاجتماعية، وتضم اللجنة لجاناً متخصصة وهي :

- اللجنة الطبية.
- اللجنة التربوية.
- اللجنة الإعلامية.

وعقب تأسيس اللجنـة في الكـويت قام فريق منهـا من المتخصصين في المجال الصحى والتربوي والاعلامي بزيارة لمدينة بيشاور من صيف نفس العام ١٩٨٤م وقام الفريق بعمل مسح شامل لحالة المهاجرين والمجاهدين حدد على إثرها رسم سياسة اللجنة في باكستان وتحددت أولويات الاحتياجات المراد إتمامها على ضوء ذلك، وقد اختارت اللجنة بعض المشاريع تم توسعت المشاريع بعد ذلك بفضل من الله، واليوم تتمثل اللجنة في:

أولا ـ مشاريع صحية :

١ ـ مستشفى الفوزان الجراحى ـ بيشاور (١١٠ سرير)
٢ ـ مستشفى صدى الحدودى (٤٠ سرير)
٣ ـ مستشفى أعظم ورسك.
٤ ـ نقاط اسعاف حدودية :

(أ) سلمان الفارسي (ب) باراجينار.
(جـ) لاندى كوتل. (د) جاجى.
(هـ) ميتا سنكَر. (و) بغـــر.
(ز) خردند. (حـ) أبادينى.
(ط) جمن.

٥ ـ وحدات صحية أولية:
(أ) جل كس.
(ب) سور بل.
(جـ) كرد جنكَل.

٦ ـ مشروع الرعاية الصحية الشاملة بمخيم مدينة المسلمين.

٧ ـ معهد الإسعاف والتمريض.

ثانيا ـ مشاريع تربوية :

١ ـ المعهد الشرعى العالى للمعلمين.

٢ ـ تبنى مدارس ثانوية:
(أ) عمرو بن حزم ـ بابى. (ب) عمر بن عبدالعزيز ـ بابى.
(جـ) المجاهد ـ بيشاور. (د) المدرسة الرشيدية ـ بيشاور.
(هـ) مولوى حبيب الرحمن ـ أعظم ورسك. (و) الشهيد غلام محمد نيازى ـ كويتا.
(ز) البروفيسور غلام نيازى ـ كويتا.

٣ ـ مراكز تحفيظ القرآن الكريم:
(أ) النعمان بن ثابت. (ب) عبدالله بن مسعود.
(جـ) الشهيد سيد قطب. (د) تالكونج.
(هـ) أبو بكر الصديق. (و) عبدالله بن أم مكتوم ـ كويتا.
(ز) عثمان بن عفان ـ كويتا. (حـ) أنس بن مالك ـ كويتا.
(ط) النعمانية ـ كويتا.

٤ ـ ترجمة وطبع كتيبات باللغة الفارسية.

٥ - تبنى دعاة من الأفغان لنشر الدعوة بين المخيمات وصرف رواتبهم الشهرية.

ثالثا - حفر آبار ارتوازية وأخرى ضحلة :

وقد تم حتى الآن حفر عدد ٩ بئر ارتوازى وعدد ٩ آبار ضحلة.

مستشفى الفوزان الجراحي

لما كانت نقاطنا الحدودية تستقبل الجرحى من المدنيين والمجاهدين وبالرغم من تزويد بعضها بغرف للعمليات إلا أنه تأكد لدى اللجنة أنه لابد من إنشاء مستشفى مركزى اخصائى لاستقبال هؤلاء الضحايا وتقديم الخدمات العلاجية لهم، ولسد الطريق على الذين يستغلون مثل هذه الخدمات لإيقاف الجهاد الأفغاني..

- أنشىء مستشفى الفوزان لعلاج الأفغان في أحد المبانى المستأجرة في مايو ١٩٨٥ وذلك نظراً لضيق الوقت والحاجة الملحة لذلك.
- أما وقد ضاقت المستشفى القديم أمام العدد الكبير من الجرحى والوافدين إليها فقد تم إنشاء مستشفى الفوزان الجديد المجهز لاستيعاب الأعداد المتزايدة للقادمين من الجهات الحدودية من الإخوة الأفغان.. مدنيين ومجاهدين من الجرحى.
- هذا ويستقبل المستشفى الحالات المحولة من نقاطنا الحدودية الآتية:
  باراجينار - جاجى - أعظم ورسك - لاندى كوتل - صدى.
- يوجد بالمستشفى أربعة أقسام:
  ١ - قسم الباطنة.
  ٢ - قسم العظام.
  ٣ - قسم الجراحة العامة.
  كما أنه يمكن استقبال حالات المخ والأعصاب.

- يضم المستشفى :
  - جناح كامل للعمليات مزود بأحدث الأجهزة .
  - غرفتين للعمليات .
  - صيدليتين (داخلية - خارجية) .
  - بنك الدم .
  - عيادة خارجية شاملة .
- عدد الأسرَّة بالمستشفى ١١٠ سريراً .
- يبلغ متوسط نسبة إشغال الأسرة ١٠٠٪ شهرياً .
- تستقبل العيادة الخارجية التابعة للمستشفى حوالى ١٢٠ مريضاً يومياً .
- يقوم بالعمل بالمستشفى فريق طبى من الأطباء العرب والأفغان .
- يقوم المستشفى بتزويد نقاط الحدود بالأدوات والأدوية اللازمة .
- هناك أربع سيارات إسعاف تابعة للمستشفى منها سيارتان للطوارىء مع الطاقم الفنى اللازم حيث أنهما مستعدتان للتحرك في أية لحظة إلى المكان المطلوب والحمد لله . .

معهد الإسعاف والتمريض

تسفر المعارك والقصف دائماً عن عدد كبير من الجرحى بين المدنيين والمجاهدين الذين لا يجدون الإسعاف السريع إلى حين وصولهم إلى المراكز الطبية البعيدة مما ينتج عنه تضخم الإصابات ومضاعفتها ، بل إلى وفاة أصحابها في أحيان كثيرة . . .

- من هذا المنطلق رأت اللجنة أنه لابد من إنشاء معهد لإعطاء دورات سريعة في مجال الإسعاف والتمريض لمجموعة من المجاهدين وإرجاعهم إلى جبهاتهم ثانية بعد تخرجهم لخدمة اخوانهم .
- أنشىء المعهد في ديسمبر ١٩٨٥ بمدينة بيشاور ، ويستوعب ٦٠ طالباً في كل دورة دراسية .
- مدة الدراسة بالمعهد ٩ شهور موزعة على أربعة فصول نظرية بالإضافة إلى التدريب العملي في الأقسام المختلفة بالمستشفى .

- يدرس الطـلاب بالمعهد ١٠ مـواد دراسيـة موزعـة بين العـلوم الطبيـة واللغويـة والشرعية.
- جميع الطلاب من الأفغان ولا يعتبر الطالب مقبولاً إلا بعد اجتيازه للمقابلة الشخصية.
- يمنح الطاب أثناء الدراسة مكافأة شهرية قدرها ٢٥٠ روبية باكستانية.
- يوفر المعهد لطلابه السكن الداخلي والمرافق المتطلبة لذلك.
- تتبنى اللجنة جميع الخريجين وذلك بتوظيفهم في المراجع العلمية والشرعية والثقافية بالإضافة إلى وسائل الإيضاح الطبية المختلفة.
- المصاريف الشهرية للمعهد حوالى ٨٠ ألف روبية باكستيانية.
- راتب المسعف بعد التخرج ١٥٠٠ روبية باكستانية.
- تم تخريج ثلاث دفعات من طلبة المعهد حتى يونيو ١٩٨٨ حيث بلغ عددهم ١١٥ طالباً.

الوحدات الإسعافية الحدودية

لما كان العنصر البشرى هو أساس استمرار عملية الجهاد لإعلاء كلمة الله، كان لابد من إعطاء هذا العنصر الأهمية اللازمة التى يستسحقها. . .

ولما لهذا الأمر من الأهمية، فقد نذرت لجنة الدعوة الإسلامية نفسهسا للنهوض بعبء هذا الجـانب من جوانب الجهاد والمساهمة فيه ما استطاعت لذلك سبيلا. . وبعد دراسة ميدانية لواقع المجاهدين من حيث الوضع الصحى، وجدت اللجنة ان كثيراً من الحالات يستفحل أمرها وتؤدى إلى مضاعفات لا تحمد عقباها. . بل وهناك حالات تصل بالمجاهد إلى الموت نتيجة بعد المراكز الصحية وسوء الطرق المستعملة وتدنى مستوى وسائل النقل.

لذا فقـد بادرت اللجنة إلى إنشاء مراكز إسعافية عند النقاط الأساسية لدخول وخروج المجاهدين، وسيارات إسعاف من وإلى الداخل لاستقبال الجرحى وتأمين نقلهم إلى المراكز الخلفية بوسائل مريحة تتناسب وحالتهم الصحية.

وترتبط المراكز الإسعافية المنتشرة على طول الشريط الحدودى بالمستشفى المركزى (مستشفى الفوزان) أسطول من سيارات الاسعاف جهزت خصيصاً لتلائم حالات نقل الجرحى في الظروف القاسية.

تحت ضغط العمل تم تحويل عدد من المراكز إلى مستشفيات حدودية تجرى فيها العمليات الجراحية المختلفة وذلك لتخفيف العبء عن المستشفى المركزي . . .

ومن هذه المستشفيات :

١ - مستشفى صدى الحدود وسعتها ٤٠ سريراً للجراحة العامة وجراحة العظام والباطنة.

٢ - مستشفى أعظم ورسك الحدودى وسعتها عشرة أسرة للجراحة العامة.

المعهد الشرعى العالى للمعلمين

- أنشىء المعهد الشرعى العالى للمعلمين بمدينة بيشاور في نهاية ديسمبر ١٩٨٤ وهو يستوعب ٢٠٠ طالباً.
- الغرض من إنشاء المعهد: اعداد كوادر علمية لها القدرة على ملء الفراغ الناشىء عن استشهاد كثير من العلماء والدعاة والمعلمين في أفغانستان.
- مدة الدراسة بالمعهد خمسة فصول دراسية (سنتان ونصف) يكون الفصل الأول لتدريس مادة اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- يقوم بالتدريس نخبة مختارة من المدرسين الأفغان والعرب يقوم على توجيههم فنياً اثنان من الذين لهم خبرة عريقة بالتربية والتعليم.
- يؤهل المعهد خريجيه للعمل في مجالات التوعية الدينية والدعوة إلى الله تعالى وتعليم أحكام الشريعة الإسلامية في المخيمات والمساجد والتدريس في المدارس الثانوية والمتوسطة.
- جميع الطلاب الدارسين في المعهد من الأفغان، وهم يمثلون جميع الأحزاب والمنظمات والجمعيات الجهادية الأفغانية، ولا يقبل الطالب في المعهد إلا بعد تزكيته من الحزب أو المنظمة أو الجمعية التى ينتمي إليها.

- يشترط في المتقدم للقبول في المعهد الحصول على شهادة الثانوية العامة أو الشرعية ولا يكـون قبـوله نهائياً إلا بعد اجتيازه للاختبار التحريرى والمقابلة الشخصية وكذلك اللياقة الطبية.

- يدرس الطلاب حوالي ٤٠ مادة أصلية وفرعية موزعة بين:
  (أ) العلوم الشرعية.
  (ب) علوم الدعوة والثقافة الإسلامية والسيرة.
  (جـ) اللغة العربية بجميع فروعها.
  (د) العلوم التربوية.
  (هـ) الاجتماعيات.
  (و) التربية الروحية والبدنية والجهادية والاسعاف.
  (ز) اللغات الأجنبية (الانجليزية).
- وفي المساء: يمارس الطلبة العديد من الأنشطة الطلابية من خلال الجماعات التى يشرف عليها أساتذة المعهد.
- ويلحق بالمعهد قسم داخلي لمن يرغب من الطلاب بالسكن ويعيشون فيه حياة إسلامية بما يلقونه من عناية ورعاية وتربية على مبادىء الإسلام وتعاليمه تحت إشراف نخبة طيبة من أساتذتهم، ويتناولون ثلاث وجبات غذائية جيدة.
- يصرف المعهـد لكل طالب به (سواء في القسم الداخلي أو الخارجي) مكافأة شهرية قدرها ٢٥٠ روبية باكستانية، ويضاف إلى هذه المكافات بالنسبة لطلبة القسم الخارجي أجور المواصلات بحد أقصى ٢٥٠ روبية باكستانية في الشهر.
- يصرف لكل طالب حلتان كاملتان بالعام (إحداهما صيفية والأخرى شتوية).
- يوجد بالمعهد مكتبة علمية ضخمة تحتوى على أمهات الكتب الإسلامية والمراجع الهامة.
- يتولى تسيير شؤون المعهد مجلس إدارة ممثل من الموجهين الفنيين والمدرسين برئاسة مدير المعهد.
- تتبنى لجنـة الـدعوة الإسلامية جميع خريجي المعهد وذلك بتفريغهم للعمل في

مخيمات المهاجرين في أرض المهجر وبين صفوف المجاهدين في أفغانستان.

- المصاريف الشهرية للمعهد حوالى ٢٥٠ ألف روبية باكستانية.
- راتب الداعية بعد التخرج ١٨٠٠ روبية باكستانية لمن يعمل داخل أفغانستان.
  ١٥٠٠ روبية باكستانية لمن يعمل داخل مخيمات المهاجرين في باكستان.
- تم تخريج الدفعة الأولى في ديسمبر ١٩٨٦م.
- تم تخريج الدفعة الثانية في مايو ١٩٨٧م.
- تم تخريج الدفعة الثالثة في يناير ١٩٨٨م.
- تم تخريج الدفعة الرابعة في مايو ١٩٨٨م.
- تم توزيع معظم الخريجين داخل أفغانستان لإقامة مدارس والقيام بواجب الدعوة إلى الله بين صفوف المجاهدين وذلك بالتعاون مع بعض هؤلاء الخريجين حتى يتحقق من خلالهم الهدف الذى من أجله أنشىء المعهد.
- تتم متابعة خريجى المعهد الشرعي من قبل لجنة الدعوة الإسلامية دوريا للوقوف على آخر تطوراتهم وتوجيههم وإرشادهم.

مشروع الرعاية الصحية الشاملة للمهاجرين الأفغان

تمشياً مع سياسة لجنة الدعوة الإسلامية في إعطاء العنصر البشرى الذي هو الأساس الأول في استمرار عملية الجهاد الأهمية اللازمة التى يستحقها كان هذا المشروع المتكامل الذي أقيم في إحدى مخيمات المهاجرين.. ألا وهو مشروع الرعاية الصحية الشاملة..

يهدف المشروع إلى :

١ - إقامة برنامج نموذجي للرعاية الصحية الشاملة يرقى بالمستوى الصحي للمهاجرين الأفغان وتنمية معلوماتهم وممارساتهم وقدراتهم الصحية ليصلوا إلى مرحلة الاعتماد على النفس.

٢ ـ تخفيض معدل الوفيات بين الأطفال الرضع والأمهات الحوامل وكذلك معدل الإصابة بالأمراض.

٣ ـ إنشاء مركز لتدريب العاملين الصحيين الأفغان لتطبيق الرعاية الصحية الشاملة بحيث يخدم مخيمات المهاجرين في مدينة المسلمين وغيرها من المخيمات حسب الخطة المرحلية.

وكان السبيل إلى تحقيق هذه الأهداف ما يأتى :

(أ) إجراء الدراسات الحقلية الأساسية لمعرفة بعض المؤشرات الصحية عن الوفيات والأمراض.

(ب) تسجيل واستنباط المعلومات الصحية لجميع الأسر باستخدام ملف الأسرة والحاسب الآلى.

(جـ) توفير مياه الشرب الصالحة في هذه المخيمات مع الكشف الدورى عليها جرثوميا وكيميائيا للتأكد من صلاحيتها.

(د) توفير غذاء متوازن للمجموعات الضعيفة من الحوامل والرضع وناقصى التغذية والمصابين ببعض الأمراض.

(هـ) وضع خطة عملية لمكافحة الأمراض السارية مثل (الملاريا ـ الدرن).

(و) وضع برنامج تثقيفي صحى بالمخيمات مع التركيز على المدارس.

(ز) تقديم العلاج مع المتابعة للحالات المرضية مع التقيد بتوصيات منظمة الصحة العالمية بترشيد الدواء.

<u>ومن نتائج هذا الجهد تم الآتي</u> :

١ ـ تم ترقيم جميع بيوت وخيام المهاجرين بهذه المخيمات السبع وعمل ملف لكل أسرة وكارت تعارف يتم من خلاله متابعة الحالات الصحية للأطفال تحت عمر الخامسة والتأكد من أخذهم التطعيمات اللازمة وعلاج كل حالة في حينها.

٢ ـ بلغ عدد المطعمين من الأطفال والحوامل منذ بداية المشروع وحتى ١٩٨٨/٩/٣٠م حوالى ٩٩٥٨.

٣ ـ في حملة تطعيم ضد الحمى الشوكية تم تعطيم ١٧,٧٨٧.

٤ - في مجال برنامج مكافحة الملاريا تم أخذ ٧٣٧١ شريحة لفحص الدم وكانت الحالات الإيجابية منها ٢٤٢٠ حالة تم إعطاؤها العلاج اللازم.

٥ - كما تم القيام بحملة رش المبيدات الحشرية للقضاء على الباعوض المسبب لهذه الأمراض.

٦ - في حالات نقص التغذية بين الأطفال يتم تدريب الأمهات على كيفية عمل الوجبات المتزنة والمتكونة من المواد الغذائية المتاحة وإذا لزم الأمر فإنه يتم إمداد بعض هذه الأسر بالوجبات الغذائية المساعدة.

٧ - في مجال مشروعات التنمية تم صرف فأس لكل عائل أسرة مع إمداده بالتقاوي اللازمة لزراعة الأراضى لإنتاج ما يحتاجه من الخضروات والغذاء، كما تم توزيع عشرة كتاكيت عمر خمسة أسابيع (بياض) لتوفير حوالى ٥ بيضات لكل أسرة يومياً.

كما تم حفر بئر لكل مخيم لتأمين المياه النظيفة للأخوة المهاجرين الأفغان يتم فحص الماء دورياً للتأكد من سلامته من الملوثات..



محتـــويـــــات الكتـــاب

الفصـــل الأول

الفصـــل الثانـــى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادى عشر

الفصل الثانى عشر

الفصل الثالث عشر

الفصـــل الرابـــع عشـــر



بسم الله الرحمن الرحيم

تصويبات الأخطاء بالكتاب

الصفحة	الموضع	الخطأ	الصواب
هـ	السطر ١١	بإخواته	بإخوانه
و	السطر ٥		تحذف النقطتان من الآية الكريمة وهما بين ﴿إيمانا . . وقالوا﴾ (آل عمران ١٧٣) .
ز	السطر ١٤	أباءهم	آباءهم
ح	السطر ٧ من أسفل	اخفاءه	إخفاءه
ط	السطر ٥ من أسفل	تشطب عبارة : ما معناه: ماترك قوم الجهاد إلا ذلوا، ويكتب بعدها « من مات ولم يغزو ، ولم يحدث نفسه بغزو، مات على شعبة من نفاق» رواه أبو هريرة (صحيح النسائى، ص ٦٤٩) .	
ك	السطر ٢	لبلاد	من بلاد
ك	نهاية الفقرة الثالثة اعتبارا من حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، تشطب من كلماته « وددت » ويكتب الآتى: « والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم بأن يتخلفوا عنى، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله ، والذى نفسى بيده لوددت أن أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل » رواه أبو هريرة (صحيح سنن النسائى ، ص ٦٦٢) .		
ك	السطر ٦ من أسفل	المجاهد المسلم	المجاهدين المسلمين

الصفحة	الموضــع	الخطـــأ	الصـــواب
ك	آخر الصفحة		(يكتب آل عمران / ١٧٣) .
٢	السطر ٨ من أسفل	للأولمبه	الأولمبيــة
٤	١ - ٢		تكتب الآية هكذا: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (محمد/ ٧) .
٨	٨ - ١٠		تكتب الآية هكذا ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقـدامنـا ، وانصرنـا على القـوم الكـافرين ﴾ (آل عمران/ ١٤٦ - ١٤٧)
٨	١٢		يصحـح الحـديث هكذا « الغدوة والروحة فى سبيل الله ، عز وجـل ، أفضـل من الدنيا وما فيها » رواه سهيل بن سعد (صحيح سنن ابن ماجه ، ص ٦٥٣)
٩	٥	الجبة	الجبهة
١٣	السطر ٥ من أسفل الصفحة ، تكتب الآية هكذا﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ (المنافقون/ ٨) .		
١٤	السطر ١١ من أسفل الصفحة تكتب الآية هكذا ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (محمد/ ٧) .		
١٥	آخر سطر تكتب الآية هكذا ﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ (الروم/ ٤٧) .		
٢٣	السطر ١٣ بعد كلمة « هوياتهم » تضاف العبارة : فى العودة لوطنهم ،		
٢٥	السطر ٦ أول كلمة	بين	وبين
٢٧	السطر ٩		يصحح هذا الحديث هكذا « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلفه فى أهله بخير فقد غزا » رواه زيد بن خالد (صحيح سنن النسائى ، ص ٦٦٩)

الصفحة	الموضـــع	الخطـــأ	الصـــواب
٢٩	السطر ٩ من أسفل	بعد الآية الكريمة يوضع (التوبة/ ٢٥).	
٣٢	السطر ١١-١٣ أسفل	بعد الأية الكريمة يوضع (التوبة/ ٨)	
٣٤	السطر ١١	وصفوا	ضربوا
٣٤	السطر ١٥	ما ترك قوم الجهاد إلا ذلـــوا	عن وجوب الجهاد.
٤٩	السطر ١١	قتدهار	قندهـــار
٥٠	السطر ٥	منهـم	منهـن
٥٣	السطر ١٥	قـل	قبـــل
٥٥	آخر سطر في المراجع تنقل كلمة « المؤلف » إلى يسار أسفل ١٩٨٩م في السطـــر السابق عليهـــا.		
٥٧	السطر ٣	تحـــذف كلمـة الإنتـاج الثانية.	
٥٧	السطر ١٠	الســوف	الصــوف
٦٢	السطر ١٢	ترفع علامـة القـــوس التعجب	التى بعد علامتي
٦٩	السطر ٩ من أسفل	للبيزتطيين	للبيزنطيين
٦٩	السطر ٥ من أسفل	والروس ـ روس	والروس. . روس
٥١	السطر ١٥	آخر. من	آخر من
٧١	السطر ٥ من أسفل	« سمرقنـد »	سمـرقند
٧٢	السطر ٩ آخر كلمه فيه	ومعه	ومـن
٧٤	السطر الأخير في المرجع	مرجع سابق	المرجـع السابق
٨٠	السطر ٣ من أسفل	سافاروفا	سافاروف
٨٢	السطر ٧	Natiomal	National
٨٢	السطر ٣ من أسفل	علمل	العمل
٨٢	السطر ٢ من أسفل	خظيراا	خطـيرا
٨٨	السطر ٧	تابعـين	تابعـون

الصفحة	الموضع	الخطأ	الصواب
٩٤	السطر ٤	علـى	فـوق
٩٦	السطر ٦ من أسفل	عـل	عـلى
١٠٥	السطر الأول من المراجع أسفل الصفحة	روسيا كثير	روسيا مع كثير
١٠٦	السطر ٣ من أسفل	قسط	قسطا
١١٦	السطر ١٢	تستطيع	تستطع
١٢١	السطر ٥	بالأمر	الأمر
١٢٥	السطر ١٣	الانقلابين	الانقلابيين
١٢٩	السطر ٨	عبد القادر» أغاروال»	«عبد القادر أغاروال»
١٣١	السطر ٩ من أسفل	والهلال «قد	والهلال قد
١٣٢	السطر الأخير	المؤمنيين	المؤمنين
١٣٦	السطر ١٥	« موسكو	« موسكو »
١٣٩	السطر ٢	نظيرة	نظيره
١٣٩	السطر ٤ من أسفل	اشتعالات	اشتعالا
١٤١	السطر ٨ من أسفل	عى	عن
١٤٤	السطر ٧	شـرفى	شــرف
١٤٥	السطر ٢ من أسفل	المتقدمة المقاتلات	المتقدمة وكذا المقاتلات
١٥٠	السطر ٢	الأراض	الأراضى
١٥٠	السطر قبل الأخير	مذهبيات	مذاهب
١٥٢	السطر ٨	الكتاب . أن	الكتاب . . أن
١٥٢	السطر ٨ من أسفل	ذلك	بذلك
١٥٢	السطر ٣ من أسفل	نفر	تفر






وقل رب زدني علما
مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية